ثلاثية

أولاد لوسيفر

تأليف:

رانيا رمضان (بنت البروفيسور)

اسم العمل الأدبي: ثلاثية أولاد لوسيفر

رواية الخطيئة – رواية الخناس – رواية الخليفة

تأليف: رانيا رمضان

تدقيق واخراج فني وتصميم غلاف: بنت البروفيسور

رقم التوثيق: GGKEY:37REB7C7XF2

رواية الخطيئة

الجزء الأول من **أولاد لوسيفر**

تأليف:

رانيا رمضان (بنت البروفيسور)

اسم الرواية: الخطيئة

الجزء الأول من سلسلة أولاد لوسيفر

تأليف: رانيا رمضان

تدقيق واخراج فني وتصميم غلاف: بنت البروفيسور

رقم التوثيق:

GGKEY:2P9E6GL8Y00

هذه الرواية عملٌ أدبي خيالي من نسج خيال المؤلفة

رانيا رمضان بنت البروفيسور بالكامل، ولا تمتّ إلى الواقع أو إلى أيّ أشخاص أو

أحداث أو جهات حقيقية بصلةٍ.

وإنّ أي تشابه قد يُلاحظ بين شخصيات الرواية أو أحداثها وبين الواقع

هو محض صدفة غير مقصودة.

تنبيه: هذه الرواية محمية بحقوق الملكية الفكرية الخاصة بالمؤلفة وورثتها، ويُمنع

نسخها أو اقتباسها أو إعادة نشرها أو استخدامها بأي شكل سينمائي أو كتابي

دون إذن مسبق، وأي مخالفة لذلك تُعرّض مرتكبها للمساءلة القانونية.

رواية "أولاد لوسيفير" تنقسم لعدة أجزاء،

تدور أحداثها حول صراع بين الإنس والجن

خلال مغامرات وأزمنة مختلفة،

فهل يا ترى من سينتصر . . . ؟ !

خليفة الله أم خليفة لوسيفير . . . ؟ !

أنتَ لي أنا وحدي، وإن قررتَ أن تكون لغيري؛ فحياتك ستصبح جحيمًا .

***

أرجوكِ لا تتركيني، فأنا تركتُ العالم أجمع وهربتُ إليكِ يا مصدر الأمان بالنسبة لي .

***

لقد تخلى العالم كله عنك، ولكنني لن أتخلى عنك أبدًا .

***

أحبك يا صديقي ويا أخي الذي لم تنجبه أمي . . أصدقاء وإخوة إلى الأبد . .

***

الفصل الأول

الهروب

في فجر العاشر من نوفمبر عام ٢٠١٩ في الإسكندرية، يهرول شاب أسمر طويل ذو ملامح حادة تدل على قسوة الحياة التي مر بها ، ذو جسد رياضي يدل على قوته، بعيون واسعة مكحلة ذات رموش سوداء كثيفة، وشعر أسود طويل ناعم منسدل على كتفيه .

ها هو يجري بسرعة ويده ملطخة بالدم، يهرول باكيًا بطريقة لا تتناسب مع هيبة هيئته، يبكي بطريقة توحي بأنه ذو قلب حانٍ برغم قسوة الدنيا .

ها هو يبحث عن أول مصدر للماء كي يغسل يده، وها قد وجد صنبورًا في إحدى الشوارع المظلمة الهادئة التي لا يوجد بها إلا القليل من الشباب في الزاوية، غير واعين بما حولهم لأنهم يتعاطون المخدرات .

ها هو يغسل يده وهو مستمر في البكاء، ويضرب الماء على وجهه بقوة أملًا أن يكون كل ما يمر به حلمًا لا حقيقة، ولكن لا يوجد أي تأثير، ما زال على نفس الحال؛ مما يؤكد له أن ما حدث واقع لا مفر منه.

صار يبكي أكثر وأكثر؛ لأنه لم يكن يتوقع أبدًا أن يصل إلى هذه الحالة في يوم من الأيام.

وضع رأسه تحت الصنبور عسى أن يفيق من ذلك الكابوس.

رفع رأسه من تحت الصنبور والماء يقطر من شعره الطويل الناعم على ملابسه مما أبرز عضلات صدره أكثر، وعندما وجد ألا مفر من ذلك الواقع، استمر بالهرولة إلى أن وصل كورنيش البحر ووقف أمامه باكيًا مفكرًا في الانتحار.

ها هو يمسك بسور الكورنيش ويهم بالقفز، ولكنه توقف للحظة وهو ينظر لماء البحر من علٍ، يتذكر حياته للوهلة الأخيرة، تذكر حياته القاسية من ظلمة البحر، تردد لوهلة: كيف له أن ينهي حياته بالانتحار . . . ؟ ! يعني أنه لم يهنأ في حياته وفي النهاية يقرر أن يخسر آخرته بيده !

ترك السور وعدّل من وقفته، ولكن قدماه لم تعودا قادرتين على حمله فخرّ واقعًا على ركبتيه وصار يبكي بحرقة، رافعًا رأسه للسماء وصرخ قائلًا :

-ياااااارب. . . . ساعدني. . . . أنا لا أستحق ما أنا به الآن يا الله.

ومن ثم شعر بضعفه أكثر فخرَّ برأسه على الأرض باكيًا . . . . ولكن قبل أن تلمس رأسه الأرض سمع صوت الأذان:

-الله أكبر. . . الله أكبر.

هنا شعر بيد الله الحانية، شعر أن الله معه، يشعر به وبضعفه وانكساره، وكلمة "الله أكبر" جعلته يشعر أن ليس عليه أن ينكسر مادام معه الكبير الذي بيده وحده أن ينتشله مما وقع فيه.

فجأة شعر أن الله القوي مدّه ببعض القوة، ها هو يجمع شتاته من جديد ولم يجد أحدًا يهرب إليه في ذلك الوقت سوى الله.

تنفس الصعداء ومسح دمعه وهمَّ ماشيًا بمنتهى الوهن إلى الجبار كي يجبر قلبه مما لحق به.

وبمجرد أن وضع قدمه على عتبة المسجد شعر بأن الحمل قد زال عن ظهره، لا يدري كيف ولكن يشعر أن هناك طاقة روحية تحيط به كالهالة، رافعةً إياه إلى أن صار جسده طافيًا من شدة خلاء روحه من كل الطاقة السلبية، ولكن سرعان ما

فاق من شروده بمجرد أن وضع قدمه الأخرى داخل المسجد ، رأى أمامه لفظ الجلالة "الله" بشكل ضخم ومبهر ، لم يستطع أن يتحمل عظمة وهيبة ذلك الاسم وهو الاسم الأعظم للرب، خرَّ ساجدًا باكيًا لله طالبًا منه العون، بكى بحرقة إلى أن تقرب منه رجل خمسيني ذو جلباب أبيض وبشرة صافية بيضاء وشعر غزاه الشيب وابتسامة صافية، حاول أن يلمس كتفه بلمسة خفيفة .

رفع فارس رأسه وعينه صارت حمراء من شدة البكاء ، ظل الرجل واضعًا يده على كتفه مهونًا عليه قائلًا :

-هوّن عليك يا ولدي، سامحني لأني قطعت دعاءك مع الله، ولكن ماذا بك . . . ؟

الرجل يتكلم بتأثر ولكن فارس ينظر له فاقد التركيز ، يفكر في الله:

هل سينجده من الكارثة التي هو بها أم لا ؟

حاول الرجل أن يرفع فارس من على الأرض وقال له:

-قُم يا بني، هيا وتوضأ ، الصلاة سوف تقام، قُم يا ولدي ولا تقلق من شيء ما دمت لجأت لله وحده فلن يخزيك الله أبدًا .

وقف فارس ورفع رأسه فرأى أسماء الله الحسنى المزخرف بها المسجد فطلب المدد بكل اسم تراه عيناه، ومن ثم عندما همَّ واقفًا رأى اسم الرسول محمد –صلَّ الله عليه وسلم– فطلب منه المدد والعون، ترجى الله أن ينجده بحبه لحبيبه محمد، ومن ثم توضأ وأثناء وضوئه طلب من الله أن يغسله من كل ذنب أذنبه سواء كان يعلمه أو لا يعلمه.

ها هي الصلاة قد أوشكت على البدء والناس بدؤوا في الاصطفاف، حينها طلب من الله وهو يبكي بصمت رافعًا رأسه:

–يا رب ليس لي سواك، يا رب سخر لي من ينجدني مما أنا به، أرجوك يا الله أعطِ لي سبيلًا للنجاة، يا منجي نجني.

ومن ثم بدأت الصلاة، ومع كل آية يسمعها يبكي، وكالعادة عندما تضيق بنا الحياة نشعر أن ليس لدينا سوى الله، مع كل آية من كتابه العزيز نشعر برسالته لنا، وكأنه أثناء رخائنا عقلنا لا يستوعب رسائل الله لأن العقل مشغول بالنعم عن المنعم، بينما عندما تظلم الحياة وتغلق الدنيا كل أبوابها في وجهنا لا نجد سواه الواحد الباقي، حينها لا نجد أحدًا قابلًا أن يسمعنا أو يكلمنا سواه.

فارس أول ما سمع آية (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) ظل يكررها وأجهش بالبكاء إلى أن سمعه من حوله، استمر على هذا الحال في ركوعه وفي سجوده الذي لم يكن يرغب في أن يرفع رأسه منه؛ لأنه يعلم أن العبد يكون قريبًا لله أثناء سجوده، لذا كان يريد أن يكون قريبًا من الله كي يستجيب له .

انتهت الصلاة فأخذه الرجل السمح الملامح والروح وجعله يستند على أحد أعمدة المسجد ، وقام من مكانه وجلب له ماءً باردًا ، وعندما رجع وجد فارس قد أجهش ثانية في البكاء ، فربت على كتفه وقال له بلين ورفق:

–هوّن، هوّن عليك يا ولدي، أنا مثل أبيك وأنت مثل ابني، ومنذ أن رأيتك شعرت بطاقتك؛ أنت شاب صالح، صدقني لن يخزيك الله، حياتنا مثل محطة القطار، عندما نولد لا نكون نحن من اختار القطار الخاص بنا ولسنا نحن من نختار وجهتنا ، ولكن بمجرد أن نشبَّ بإمكاننا في حالة إن لم تعجبنا وجهة قطار حياتنا أن ننزل منه وأن نستقل قطارًا آخر ينتقل للوجهة التي نريدها ، ولكن الغباء هو أن ننزل من القطار الذي لا تعجبنا وجهته ونظل هكذا في المحطة واقفين محلنا لا نفعل شيئًا سوى أننا ننظر للناس الذين يتعايشون في حياتهم؛ سواء الراضين عن وجهتهم أو من هم غير

راضين ولكنهم مكملون، في النهاية سوف ترى أن الكل وصل للنهاية؛ منهم من وصل لهدفه ومبتغاه ومنهم من ضيّع مجهوده في طريق لا يحبه ولكنه تعايش مع ظروف ومواقف ليست على هواه، ولكنه سيظل أفضل ممن نزل من قطاره وظل "محله سر" لا يحرك ساكنًا .

مسح فارس دمعه وهو ينظر للرجل السمح وقال له متسائلًا :

-أتظن أن الله سوف يخرجني مما أنا به ؟

-كل ما عليك أن تغير وجهتك وكفى يا بني، غير وجهتك وهناك سوف تجد يد الله وعونه .

ظل فارس ينظر له يحاول أن يفهم، ينظر له بنظرة من يريد أن يطمئن بأي كلمة تعيد له الأمل من جديد :

-ولكن كيف ؟ قل لي كيف . . . ؟ أرجوك .

-لا أستطيع أن أقول لك كيف . . . كيف هذه عند الله وحده، اتركها على الله، هو وحده مدبر لك أمرك للنهاية، هيا قُم معي وقرر من الآن من سوف تكون . . ؟

ها هو فارس يهم واقفاً مع الرجل السمح طيب القلب، ومن ثم نظر له الرجل وابتسم وقال:

-أنا واثق بك يا بني، وأنت كل ما عليك أن تثق في الله وحده.

من ثم تركه وهمَّ خارجًا من المسجد، وفارس لا يدري ماذا عليه أن يفعل، ومن ثم التفت له الرجل عندما كان يرتدي حذاءه فأشار على أذنه لفارس وابتسم ورحل.

خرج فارس من المسجد ولكنه لا يدري إلى أين ستأخذه قدماه، ها هو النهار قد بزغ، فجأة وهو يمشي سمع صوت قطار، تذكر الرجل الكبير وكلامه عن الحياة وتغيير وجهة حياته، تذكر إشارته الأخيرة له، قال فارس في قرارة نفسه:

-يمكن الله أرسل لي هذا الرجل كي يدلني على سبيل النجاة.

دخل فارس محطة القطار ولكنه لم يكن يدري ماذا يفعل، ولكن كل ما يريده أن يبعد وكفى، فجأة رأى أن القطار الذي أوشك على الرحيل هو القطار الذاهب إلى القاهرة، ولكنه شرد لوهلة وقال في قرارة نفسه:

-ولكن ماذا سأفعل في القاهرة؟ ليس لي أحد بها . . .

ومن ثم تنهد بحسرة وأردف متألمًا:

-ليس لي أحد في أي مكان لا القاهرة فقط . . . أنا خُلقت وحيدًا وسأظل وحيدًا . . يبدو أن الوحدة مكتوبة عليَّ للأبد .

ومن ثم همَّ بشراء تذكرة وركب القطار غير مفكرٍ كثيرًا فيما سوف يجده في القاهرة، قرر أن يتركها على الله كما قال له الرجل الكبير .

ولكن بمجرد أن ركب القطار شعر أن التعب سيطر على كل أعضاء جسده، سرح قليلًا في مستقبله، فكر قليلًا وسأل نفسه: ترى ما يخبئه له القدر . . . !

ولكن سرعان ما غلبه النعاس وراح في سبات عميق، ولكنه استيقظ بعد مرور بعض الوقت عندما مر مسؤول التذاكر مرة أخرى كي يسأله عن تذكرته، تعجب فارس بأنه كيف نام من دون أن يشعر، ومن ثم عدّل من جلسته ونظر لمسؤول التذاكر باستغراب وقال له وهو يفرك عينه كي يفيق:

-ولكنك قد رأيتها أول ما ركبت القطار .

كرر الرجل كلامه بصرامة تليق بضخامته وشاربه الكث:

-قلت لك أريد أن أرى التذكرة لا تكثر في الكلام .

همَّ فارس بإخراج محفظته ولكنه لم يجدها ، همَّ واقفاً كي يتأكد من وجودها ، بحث جيداً في كل الجيوب من دون أي فائدة، لم يجد شيئاً ، توتر فارس، لقد سُرقت محفظته بكل ما لديه من مال وهويته الشخصية .

نظر فارس لمسؤول التذاكر وقال له بدهشة يتخللها التوتر :

-لقد سُرقت، أنا أعلم أنك متأكد بأني كان معي محفظة وتذكرة، أنت شاهد على امتلاكي لمحفظة وعليك الآن أن تساعدني في إيجادها .

نظر له مسؤول التذاكر باستحقار وقال له بقسوة وهو يمسكه من ذراعه:

-هذا المشهد أراه يوميًا ، لو تركت كل من يقول لي ذلك سوف تصير غابة، أنا ألتزم بالقانون والشروط وكفى .

أمسك فارس بقبضته القوية يد الرجل الممسكة به ودفعه بقوة وصرخ قائلاً :

-لا تتجرأ على لمسي، أنا لست بكاذب، بل أنا من تمت سرقتي .

ومن ثم نظر فارس لمن يجلس بجواره وقال باندهاش بسبب عدم دفاعه عنه:

-قُل شيئاً ، أنا كنت بجوارك ولقد رأيتني وأنا أعطيه التذكرة .

تظاهر الرجل بعدم الانتباه ولم يرد .

زاد غضب فارس وهمَّ ممسكًا بالرجل وقال له:

-لِمَ لا تتكلم . . . ! قل ما رأيته وكفى .

نظر له الرجل وهو يحاول أن يفك قبضة فارس وقال ببرود :

-لم تعطه شيئًا ، أنت كنت نائمًا .

صرخ فارس به وهو ينظر حوله للناس وقال:

-كاذبان، كاذبان ! أنا أعلم جيدًا أنكما متفقان سويًا ، على الأقل دعوني أفتش ذلك الرجل، أكيد هو من سرق المحفظة .

سحبه مسؤول التذاكر من ياقته بقوة وقال له بقسوة:

-هيا ، انزل في هذه المحطة، لن تكمل إلى القاهرة .

هنا لم يتمالك فارس نفسه وأمسك بمسؤول التذاكر ودفعه بقوة، ومن قوة الدفعة ارتطم رأس مسؤول التذاكر في أحد أعمدة القطار مما أدى إلى أن نزف .

هنا عندما وضع المسؤول يده على رأسه ورأى دمه صرخ قائلًا وهو يؤشر بيده ناحية فارس:

-أمسكوا هذا الكلب، يجب أن يُلقى القبض عليه الآن .

نظر فارس مصدومًا مما حدث، يود أن يدافع عن نفسه ويقول إنه لم يقصد بل إنه هو من تمت سرقته . . . ولكن في نفس اللحظة فاق من شروده وأطلق قدميه للريح ودفع من هم أمامه وقفز من القطار، يهرول بسرعة وصار لا يدري يهرب من ماذا أو ماذا ؟

خرج من المحطة، واختبأ وراء إحدى الأشجار، يسند بيده على جذع الشجرة ويحاول أن يلتقط أنفاسه وهو منحنٍ، ولكن سرعان ما خرَّ على ركبتيه وسند رأسه على جذع الشجرة وهو يقول متحسرًا :

-لِمَ يحدث معي ذلك يا رب . . . ! لِمَ عندما أهرب من مصيبة أقع في مصيبة أخرى، لِمَ يا رب . . . ! أرجوك ساعدني، أنا تعبت .

ها هو ينظر حوله لا يدري أين هو بالضبط، قام من مكانه وعدّل من ملابسه وسأل أحد المارة:

-لو سمحت، ما اسم المنطقة التي أنا بها . . . . ؟

نظر له الرجل مستغربًا :

-نحن في دمنهور . . .

نظر له فارس مستغربًا وقال:

دمنهور . . . !

تركه الرجل ولم يعره انتباهًا .

ولكن فارس الآن يشعر أنه ضائع لا يدري أي شيء في هذا المكان، وكل المال الذي كان معه ضاع، لا يدري أين سينام وكيف سيعيش . . . !

الآن فارس لا يملك سوى هاتفه والساعة التي يرتديها .

قرر أن يبحث عن عمل ولكنه ظل طوال يومه ولم يجد أي فرصة له في أي مجال .

كان كلما تعب من كثرة المشي يذهب للمسجد لتأدية الصلاة الحالية، منها كي يرتاح من المعاناة التي يمر بها وكي يطلب العون من المعين .

ولكن في المساء بدأ الجوع يقرص معدته، لذا قرر أن يبيع ساعته كي يستطيع أن يشتري طعامًا .

ابتاع شطيرتين؛ أحدهما كبدة والأخرى سجق، وأردف قائلًا والدمع ينهمر من عينيه ولكنه رسم ابتسامة منبعثة من الحنين والاشتياق:

-سآكل السجق من أجلك يا صديقي، أعلم أنك تحبه .

ولكن سرعان ما اختفت البسمة عن وجهه وصار يبكي بجنون وقال باكيًا وهو يزيل طرف الشطيرة عن فمه:

-أطلب منك أن تسامحني يا صديقي، لم أكن أقصد، صدقني.

ومن ثم بعد أن هدأ من بكائه حاول أن يأكل؛ ليس لأنه يشتهي الأكل ولكن لكي تسكت معدته التي تقرصه من شدة الجوع.

بعد أن انتهى من الأكل شعر أن النعاس كاد أن يغلبه والجو قد ازداد برودة، فقرر أن يبحث عن مأوى له.

ها هو يبحث بعينه يمينًا ويسارًا إلى أن وجد بيتًا قديمًا تعرض للاحتراق الكامل... ولم يرَ أي ضوء ينبعث من داخله... لذا قرر أن يتسلل بخفة من جوار محل البقالة المجاور للبيت المهجور، ومن ثم تمكن من التسلل وها هو دخل من البوابة الحديدية الصغيرة الصدئة، الباب كان مواربًا قليلًا وأصدر القليل من الصرير عندما حاول فتحه، فاكتفى بفتح القليل منه وانسلَّ للداخل، ومن ثم صعد درجات السلم، كانت أغلب الدرجات متآكلة، والجدران ملطخة بدخان أسود ومليئة بالشروخ. ها هو وصل أمام باب أول شقة، الباب كان على الأرض والشقة كانت

مفتوحة، وكل الأبواب في الشقة متفحمة وساقطة أرضاً حتى النوافذ الخشبية انتهى بها الحال بنفس الوضع .

وبمجرد أن وضع رجله على أرضية الشقة بعدما تجاوز الباب الذي عندما مر عليه أصدر صوت حشرجة وكأنه مر فوق صدر رجل ينازع الموت، التفت حوله ولكنه لم يجد أحدًا، فعلم أنه مجرد صوت عادي صادر من حركته، ومن ثم عندما وطئت قدماه أرضية الشقة سمع صوت تكسير زجاج، فنظر أسفله فلم يرَ بوضوح لأن الضوء في الشقة مجرد ضوء قليل منبعث من إضاءة الشارع، اضطر أن يقوم بتشغيل مصباح هاتفه ولكن بطارية هاتفه قد أوشكت على النفاد، ولكنه قرر أن يلقي الضوء قليلاً ومن ثم يغلقه، فوجد أسفله أرضية الشقة كلها فتات زجاج قد غطاه الرماد الأسود، والأثاث متآكل ومتفحم تمامًا، بدأت القشعريرة تسري في جسده، شعر أن عموده الفقري قد تجمد لأنه شعر بحركة وراء ظهره مع فحيح، ولكنه التفت سريعًا وصوّب ضوء هاتفه مباشرة لمصدر الحركة والصوت، ولكنه لم يجد شيئًا، فتنفس الصعداء وحاول أن يلتقط أنفاسه وتذكر أنه في شهر نوفمبر وأن الجو شديد البرودة والرياح هي سبب الحركة والصوت أكيد .

ومن ثم سمع صوتاً ففزع، ولكنه سرعان ما تدارك أن هاتفه يصدر صوت تحذير أن بطاريته سوف تنفد ، لذا قرر أن يبحث عن مكان ينام به ولا يراه أحد من الجيران داخل الشقة، صوّب ضوء هاتفه إلى داخل الغرف، كل الغرف تعرضت للاحتراق التام وتهشم كل ما بها ، ومن ثم قرر أن ينام في غرفة في آخر الشقة لأنها الوحيدة التي لم تُنزع نافذتها الخشبية، فحاول مواربة النافذة ومن ثم نام أسفل تلك النافذة وحاول أن يستأنس بالقليل من الضوء المنبعث من خلالها لأنه أغلق هاتفه تمامًا .

حاول أن ينكمش في ذاته كي يشعر بالقليل من الدفء ولكن استمر جسده في الارتجاف، لا يدري أهو يرتجف من الخوف أو من الصقيع، ومن ثم وهو يتنفس دخل لأنفه بعض من الرماد والتراب الذي على الأرض فبدأ في السعال ولكنه حاول مسرعًا أن يكتم سعاله كي لا يدري عنه أحد ، ولكن بمجرد مرور دقيقة أخرى على سعاله سمع صوت خطوات قادم من الردهة في الخارج، ومن ثم وقع الخطوات يقترب منه ببطء وصوت تهشيم فتات الزجاج يفتت قلبه من شدة الخوف، لا يدري ماذا عليه أن يفعل؛ هل يهرب قافزًا من النافذة أم يواجه ؟ ولكن في النهاية قرر أن يواجه . . . وبسرعة همَّ بضم النافذة فحل الظلام في الغرفة، وبذلك يمكنه أن يرى

القادم من الخارج على أثر الضوء الخافت ولكن لن يراه من هو قادم إلا بالتدقيق لأنه منزوٍ في ركن الغرفة وسوف يستغل تلك الثواني للانقضاض مسرعًا ومن ثم الهرب. ولكنه انتظر لأكثر من دقيقة وهو كاتم أنفاسه متأهب للهجوم ولكنه لم يعد يسمع أي خطوات، فقرر أن يخرج لكي يتأكد بنفسه مع أخذ الحيطة والاستعداد للهجوم. . . ولكنه بحث في الشقة كلها ولم يجد أحدًا، حينها ارتاح قليلًا وقرر أن يعود مرة أخرى إلى تلك الغرفة كي ينام، ها هو يتحسس على أثر الضوء الخافت القادم من الخارج كي يفتح النافذة قليلًا، ولكن قبل أن يهم بفتح النافذة سمع صوت وقع الخطوات، ولكن هذه المرة لا يرى شيئًا، يحاول أن يتفحص المكان حوله جيدًا ولكنه لا يرى صاحب صوت تلك الخطوات، ولكن بمجرد أن وقعت عينه على تلك المرآة المكسورة وجد بها انعكاسًا لعيون. . عيون صفراء مضيئة للغاية. . . عيون أشبه بعيون الـ. . .

ولم يكمل تخمينه أو تفكيره وهو يهم بفتح النافذة كي يرى جيدًا إلا ووجد ذلك الجسم انقض عليه بقوة فسقط أرضًا فارتطم رأسه بقوة ومن ثم. . .

***

الفصل الثاني

الخسران

يد شاب تحمل سكينًا، وها هي اليد تقترب من فتاة لا نرى من ملامحها شيئًا، لا نرى سوى ظهرها وشعرها الأسود الطويل، وها هي اليد تقترب أكثر وأكثر، إلى أن التفتت الفتاة مسرعةً عندما شعرت بأنفاس أحد خلفها، ملامح الذعر رُسمت على وجهها، ومن ثم تنقض اليد كي تطعنها ولكن فجأة. . .

يقطع الكابوس صوت رنين الهاتف.

في اليوم الثالث عشر من مارس عام 2037، لندن–إنجلترا. . .

صوت نغمة رنين هاتف، ولكن أين الهاتف؟ أنا لا أراه! ومن ثم ها هي شابة مراهقة في السادسة عشرة من عمرها، جميلة، سمراء، ذات شعر أسود فاحم مموج يخفي القليل من ملامحها التي بدأت تُرتسم عليها علامات الإزعاج من صوت الرنين، ومن ثم أخرجت يدها من تحت الغطاء البرتقالي.

إن غرفتها يغلب عليها اللون البني الفاتح والبرتقالي؛ مما يدل على أنها شخصية تحب الطبيعة ومندفعة بعض الشيء .

ها هي تلمس خاتمها ذا الحجر الزمردي الأخضر القاتم، فانبعثت في الهواء شاشة، تلك الشاشة من الخلف محتواها مبهم، ولكن من الأمام كانت تحمل اسم "إيفانا" وهي من تتصل .

قامت بلمس تلك الشاشة المنبثقة في الهواء وأغلقت المكالمة كي تكمل نومها ، وقامت بوضع الغطاء البرتقالي على رأسها كي تحجب ضوء النهار عن عينيها الذي تشعر أنه مثل اللص الذي يريد أن يسرق النوم منها ؛ فاختبأت تحت غطائها هاربة منه قبل أن يلاحظها ويسرق منها أعز ما تملك، ألا وهو راحة ولذة النوم .

ولكن راحتها لم تدم دقيقة إلا وسمعت صوت إشعار رسالة ما ، قامت برفع ذلك الغطاء في عصبية ولمست حجر خاتمها مرة أخرى، فانبعثت تلك الشاشة برسالة من إيفانا تخبرها أن عليها أن تتأهب لرحلة تخييم في إحدى الغابات، ومن ثم في اليوم التالي سيذهبون لتسلق الجبال .

تحمست فريدة كثيرًا لتلك الرحلة وطلبت من إيفانا أن تأتي لبيتها بعد ساعة وستكون جاهزة للسفر .

همّت جالسة على السرير وهي تلعب في شعرها كي تفيق قليلاً ، ها هي تمسح وجهها بيدها كي تبعد عنها النوم المتمسك بها ، ومن ثم لمست خاتمها وقالت له:

-"اتصل بأمي" .

ردت عليها أمها ، فطلبت منها أن تحضر لها الفطور قبل أن تتأهب للذهاب .

وفي عشر دقائق قد تجهزت وخرجت من دورة المياه مرتدية سروالاً يحمل نقشة الجيش المموهة، ومن فوقه ترتدي "كت" أسود ، وها هي أمها تطرق عليها باب الغرفة، فأذنت لها بالدخول بصوت مكتوم لأنها كانت تضع مساكة شعرها في فمها وهي تحاول أن ترفع شعرها الأسود الطويل في تسريحة ذيل حصان .

ومن ثم دخلت أمها ونظرت لها مستغربة وقالت متسائلة:

-إلى أين أنتِ ذاهبة يا فريدة . . . ؟

ردت عليها فريدة وهي ما زالت تنظر لنفسها في المرآة، ولا تضع من مساحيق التجميل شيئًا سوى الكحل الذي يبرز جمال عينيها العربيتين، ومن ثم قامت بإنزال غرة على جانبي وجهها العريض.

فريدة طويلة جدًا وعريضة بعض الشيء ولكنها ذات جسد رياضي بالفعل، فريدة جميلة جدًا كأنثى ولكن أحيانًا تشعر بسبب تصرفاتها أنها للرجال أقرب، ومن ثم قالت لأمها:

-سوف أسافر يا وتين، ها أنا سوف أجهز حقيبة الظهر الخاصة بالسفر، مجرد رحلة لبضع أيام وسوف أعود مرة أخرى...

قطبت أمها حاجبيها وأعلنت رفضها وقالت:

-لا... لن تسافري مرة أخرى، ألا تتذكرين آخر مرة سافرتِ بها جئتِ وساقك مكسورة... ألا تتعظين..!

-وتين، أرجوكِ ارحميني من نبرك وفألك السيء ذاك، أنتِ تعلمين أني سافرت عدة مرات ولم يصبني شيء، فأرجوكِ قدمي الخير كي أجده...

أصرت الأم وقالت بجزم:

-ولكن هذه المرة لا يوجد سفر، أنا رأيت رؤيا سيئة تخصك يا بنيتي، إن أصدقاءك لا يحبونك، وخاصة توماس، ذلك الشاب أنا غير مرتاحة له بتاتاً، إنه سوف يؤذيكِ . . .

قالت فريدة وهي تضع ملابسها في الحقيبة الجيشية الكبيرة بسرعة بطريقة تفتقر للأنوثة بعض الشيء:

-وتين، توقفي عن الثرثرة! ها، أنا لست صغيرة، وأنا أخبركِ لكي تعلمي أني ذاهبة، لا من أجل أن آخذ الإذن، أنا كبيرة الآن وصاحبة قرار ومسؤولة عن صحيفة حياتي؛ فدعيني أأبسلها أو ألوثها كما أشاء، وهيا اجمعي لي كل ما لديكِ في الصينية على هيئة شطائر، ليس لدي وقت.

همّت أمها بالخروج من الغرفة وهي تتمتم:

-اصنعي شطائرك بنفسك يا حضرة الناضجة . . .

نظرت لها فريدة باستغراب وأردفت:

-كان بإمكاني أن أطلب من الروبوت تحضير الفطور ولكن ليس لدي وقت للانتظار . . . ولكن شكرًا يا وتين.

وقبل أن تخرج من الغرفة تمامًا وقفت عند الباب وهي تنظر بتحدٍ لفريدة التي تنظر لها بلا مبالاة:

-آه، ها أنا سوف أنزل حالًا وسوف أقول لوالدكِ، تصرفي أنتِ معه . . . لا أدري لِمَ أنتِ متهورة هكذا، لقد أخذتِ من طباع صديقتي كثيرًا . . . لا داعي لذكرها . . . ولكن عنادكِ لن ينفعكِ يا فريدة، وأبوكِ سيكون في صفي اليوم.

ومن ثم همّت أمها بالنزول على السلم ولم تكترث لابنتها، فقالت فريدة بصوت عالٍ:

-حسنًا سوف أتصرف وأقنعه، اخرجي أنتِ منها ولا تزيدي الشرارة بن أبسل يا زوجة أبي.

نزلت فريدة الدرج ومن ثم توجهت إلى حديقة بيتها، ها هي تتسحب بخفة الفراشة التي تتناسب مع رشاقة جسمها، ومن ثم تطوق أباها الجالس على كرسيه متطلعًا إلى كتاب في يديه، فقبلته من رقبته وهي تقول له في حماسة وهي تلتف لكي تجلس على الكرسي الذي أمامه:

-صباح الخير على أحلى مراد في الكون.

فترك والدها الكتاب بجانب فنجان القهوة الذي انتهى من احتسائه، ومن ثم نزع نظارته وهو يبتسم لها قائلًا وهو يهم بإمساك كِلتا يديها:

-أهلاً بوردتي الفريدة.

في نفس اللحظة ابتسمت فريدة لوالدها ومن ثم نظرت إلى أمها وهي تخرج لها لسانها متحدية إياها وهي تقول لأبيها:

-مراد، أريدك أن تصارحني بشيء، هل حقًا هذه الساحرة الشريرة التي تقف عقبة في طريقي دائمًا هي أمي...؟

دافعت أمها عن نفسها وهي تنظر لزوجها وقالت:

-أقسم لك يا مراد هي من "تطلع عيني"، لقد غُلِبْت منها حقًا.

حاول مراد أن يهدئ الوضع بين المبتلى بهما وقال:

-ريدا حبيبتي، إن أمك لا يوجد أحن من قلبها ولم ترفض لكِ طلبًا قط، كل ما في الأمر أنها تخاف عليكِ بعض الشيء.

همّت فريدة واقفة وهي تنظر لأبيها بعدما سمعت صوت بوق سيارة صديقتها إيفانا، وقالت لأبيها وهي تطبع قبلة على خده:

-مراد حبيبي، أنا مضطرة أن أخرج في رحلة مع أصدقائي . . .

ومن ثم حملت حقيبتها على ظهرها وأكملت كلامها في نفس الوقت:

-سوف أطمئنك عليَّ من حين لآخر، لا تقلق . . .

ها هو صوتها ترفعه أكثر وأكثر إلى أن وصلت إلى بوابة البيت وهي تقول بلهفة مؤشرة لكلا والديها :

-إلى اللقاء يا مراد، إلى اللقاء يا زوجة أبي، ولن أطمئنكِ عليَّ، سوف أدع النار تأكل قلبك . . .

ومن ثم ابتسمت وقالت لهما ضاحكةً وهي تبعث لهما قبلةً في الهواء:

-أحبكما كثيرًا . . .

ومن ثم أغلقت الباب وراءها .

ها هي وتين تنظر لمراد متعجبة وهي تقول لمراد الذي لم يتوقف عن الابتسام وهو يتذكر وحيدته:

-مراد، تلك البنت لا أدري لِمَ تعاندني، أحيانًا لا أشعر أنها ابنتي بل ضرتي، أقسم لك .

قهقه مراد قائلًا وهو يمسك يدها :

-إنها وحيدتنا ودلوعتنا ، فلتفعل ما تشاء . . .

ومن ثم ملامح الخوف بدأت تُرتسم على وجهها وهي تقول:

-ولكن لِمَ لم تمنعها من الذهاب يا مراد ، أنا قلقة عليها كثيرًا ، وأنا لا أثق أبدًا في ذاك الشاب توماس .

رُسمت ملامح جادة على وجه مراد وهو يقول لزوجته وهو يربت على كِلتا يديها برفق:

-أنتِ لا تثقين في توماس ولكني أثق كل الثقة في فريدة . . . وهيا بنا ندخل للبيت، أشعر أني متعب قليلًا ، أريد أن أرتاح بعض الشيء قبل الذهاب للعمل في الجامعة .

ركبت فريدة سيارة الدفع الرباعي مع صديقتها إيفانا ، وها هما في طريقهما لأخذ كل من إيما وتوماس .

وبمجرد أن وصلوا الغابة، قرروا أن يجتمعوا أمام البحيرة للصيد .

أخرجت فريدة عدة الصيد من سيارة إيفانا . . . فريدة عاشقة للصيد مثل أبيها مراد ، وفي تلك اللحظة تذكرت فريدة والدها وهي تهم بفتح باب حقيبة السيارة،

ورُسم على ثغرها شبح ابتسامة، ولكن فجأة شعرت أن هناك من يقترب منها ، تسمع أنفاسًا وتشعر بها تلمس رقبتها ؛ فتصلبت مكانها تفكر لثوانٍ، ومن ثم شعرت بشيء يلمس كتفها ، فبحركة لا إرادية متأهبة للدفاع عن ذاتها التفتت مسرعة، ولكنها وجدت توماس الذي بدأ يضحك على ردة فعلها المبالغ فيها .

حاولت أن تلتقط أنفاسها بعدما لكمته بقوة على كتفه، ومن ثم ساعدها على حمل معدات الصيد وهو يحاول أن يلطف الأجواء لأن فريدة شعرت بالضيق من مزحته:

-ديدا ، أنا آسف، كنت أمزح معك، أرجوكِ لا تجعلي الوضع هكذا ونحن ما زلنا في بداية الرحلة .

لم تنظر له فريدة وأخذت تمشي وهي متجهة للبحيرة وقالت بلا مبالاة بنظرة كلها كبرياء:

-لم يحدث شيء ، ولكنك تعلم جيدًا أنا لا أحب المزاح .

وضع توماس أدوات الصيد بجانب الكراسي الموجودة أمام البحيرة، ومن ثم ذهب وترك فريدة تتأمل في البحيرة في هدوء كي تسترخي قليلاً . . . ومن ثم رأت يدًا تمتد لها بزجاجة بيرة من توماس، فنظرت له بحدة:

-قلت لك أنا لا أشرب هذه الأشياء . . .

من ثم همّ توماس بجرع القليل من زجاجته وغمغم:

-لا تكوني هكذا يا فريدة، نحن في رحلة، ونحن لا نشرب دائمًا، نحن نادرًا ما نفعل ذلك، اليوم يمكننا أن نشرب بينما في الغد لن نشرب لأننا سنقوم برحلة التسلق .

ردت عليه فريدة في حزم:

-قلت لك لن أشرب، لا اليوم ولا أي يوم . . .

ومن ثم همّت واقفة وتركته خلفها وهي تنادي على إيفانا بصوت عالٍ وتوّشر لها بيدها قائلة:

-اخرجي لي زجاجة عصير برتقال و . . .

ولم تكمل كلامها إلا ووجدت إيما قادمة تجاهها وهي تنظر لها بحقد، ولكن فريدة لم تقابل نظرتها إلا بلا مبالاة، ولكن إيما استمرت بالتقرب منها إلى أن وقفت بجوار توماس وتأبطت ذراعه وهي تنظر لها، لم تكترث لها فريدة وتركت لها المكان واتجهت للجلوس مع إيفانا .

جلست مع إيفانا بجوار النار وها هي إيفانا تهمس لها وتقول بهمس:

-انظري إلى إيما كيف تنظر إليكِ، هي تقف مع توماس ولكن عيونها عليكِ، إنها تغار منكِ حقًا .

ألقت فريدة نظرة سريعة ومن ثم نظرت لإيفانا بلا اكتراث وقالت وهي تشرب عصير البرتقال بطريقة رجولية بعض الشيء :

-دعكِ منها ، أنا لا أشغل بالي بحماقة البنات والغيرة وما إلى ذلك، كل ذلك مجرد تفاهات .

بينما على البحيرة ها هو صوت إيما بدأ يعلو بعض الشيء وهي تتشاجر مع توماس وتقول له:

-لِمَ لا تتوقف عن ملاحقة تلك الفتاة ؟ قل لي ما بها يعجبك، إنها أشبه بالرجال يا أحمق . . .

اشتد غضب توماس وقال لها وهو يضغط على أسنانه:

-لا تتفوهي بوصف مشين لفريدة، وتوقفي عن غيرتك تلك، إنها مجرد صديقة ولا أرغب أن تكون بمفردها ؛ لذا كنت أرغب بمشاركتها اللحظة لا أكثر .

وتبقى المرأة امرأة في شدة غيرتها حتى ولو كانت أجنبية، ففكرة أن يجن جنون المرأة بسبب الغيرة لا ينبع بسبب ما إذا كانت الفتاة قليلة الجمال، فقد تكون فتاة جميلة جدًا والغيرة تهزها بسهولة؛ فسبب الغيرة الأول هو الثقة بالنفس المهزوزة.

فإذا كانت المرأة أو حتى الرجل يثق بنفسه جيدًا لن يفتعلوا المشاكل بسبب الغيرة.

ها هي إيما تقترب من توماس وتلمس وجهه الأملس برفق وهي تنظر له بحنو قائلة:

-أنا آسفة يا توماس، ولكن لا أريدك أن تهتم بغيري قط، أريدك لي أنا فقط.

ومن ثم همّت لمعانقته ولكنه دفعها برفق وهو يقول لها وهو يتجه تجاه إيفانا وفريدة:

-ولكن بغيرتك تلك تُدمرين ما بيننا، لأنكِ لا تثقين بي...

ومن ثم تحرك، وها هي تمشي خلفه تحاول أن تمسك ذراعه، ولكنه يمسك يدها مع ملامح خالية من أي مشاعر على وجهه وقال:

-أرجوكِ أنهي الحديث عند هذا الحد، نحن هنا في رحلة ليس لمناقشة أمور في علاقتنا، دعينا نستمتع وكفى.

بمجرد أن اقتربا، همّت فريدة بالنهوض وهي تقوم بإزالة ما علق في ملابسها، ومن ثم أمسك توماس بيدها وسألها بلهفة:

-إلى أين أنتِ ذاهبة يا فريدة ؟ اجلسي أكملي مشروبك . . .

ولكنه لم يكمل حديثه لأن فريدة نظرت له نظرة بسبب أنه ممسك بذراعها ؛ تلك النظرة كانت كفيلة أن تحرجه وألا يكمل كلامه، ولكنها بمجرد أن رأت ملامح الإحراج تُرتسم على وجهه تمالكت الموقف وقالت وهي تهم بالحراك:

-الغروب قد أوشك وأنا أحب الصيد في ذلك الوقت، أريد سمكًا على العشاء، هذا كل ما في الأمر .

نظر توماس لإيفانا وهو يهم بأخذ كرسي إضافي لكي يذهبوا جميعًا للبحيرة للتأمل وللصيد في هدوء . . .

كان توماس يختلس النظر من حين لآخر لفريدة، وإيما لاحظت هذا والغيرة صارت مثل النار التي تلتهم قلبها .

ها هي إيما تفكر في قرارة نفسها :

-ما يعجبه في تلك السمراء العربية، أنا أجمل منها ، إني بيضاء ووجنتاي قد صبغتا بالحمرة وشعري ناعم وأشقر، لا أدري لِمَ توماس ذوقه سيء إلى هذا الحد ، كيف ينجذب لفتاة تفتقر للأنوثة، ولم يعد منجذبًا لي أنا .

ولكن فجأة انقطع شرودها عندما سمعت صوت توماس يضحك مهللاً لأنه أمسك بسمكة، وها هو وقف كي يقوم بسحبها وهو يتفاخر بذاته، السمكة كانت كبيرة حقًا . . .

مر الوقت وها هي صنارة فريدة تغمز بأن هناك سمكة قد أمسكت بالطعم، فسحبت الصنارة في اتزان كما علمها أبوها ، ولكن السمكة كانت متوسطة الحجم . . .

وها هي الشمس بدأت في الغروب، كم تعشق فريدة ذلك المشهد ، ولكنها تنفر بشدة من الليل الذي يقوم بإنهاء هذا العرض المسرحي الرائع بإسدال تلك الستارة الكالحة؛ معلنًا نهاية الاستمتاع والانسجام وبدء الكآبة والظلمة والخوف والرهبة بعد الراحة والاسترخاء .

آه من هذه الدنيا ، لِمَ جمالها لا يدوم . . . ! أعلم أن قبح الدنيا سيء للغاية ويرهب قلوبنا أو يؤلمها ، ولكن لولا وجود ظلمة الليل لما عشقنا راحة النهار، ولولا خوفنا من الليل لما انتظرنا النهار لكي نشعر بأمانه . . . آه كفى ثرثرة، هيا سوف أكمل لكم ما حدث .

ها هما إيفانا وتوماس همّا بأخذ أدوات الصيد وجمعها من جديد ووضعها في السيارة، وفريدة أخذت السمكتين وبدأت بإعدادهما للشوي على النار، وإيما لا تفعل شيئًا سوى أنها تحملق بها لا أكثر ولا أقل، إلى أن جاء إيفانا وتوماس، ومن ثم تناولوا السمك واستمتعوا ببرودة الجو ودفء النار، إنه مزيج متناقض ولكنه جميل، ما أروع تناقض الطبيعة، فسبحان ربي !

ومن ثم اقترح عليهم توماس أن يجلب لهم المراتب القابلة للنفخ من داخل الخيمتين كي يناموا في العراء تحت النجوم؛ النجوم حينها كانت متلألئة والقمر كان مكتملًا ، لذا وافقوا . . .

ولكنه وهو بداخل خيمته فتح حقيبته وأخرج كيسًا وأخذه في جيبه، ومن ثم خرج لهم وكل منهم أخذ مرتبته منه وقام بفرشها أرضًا . . .

كانوا يتحدثون سويًا ويضحكون، ولكن من حين لآخر يرون خاتم فريدة يومض بشعاعه الزمردي ويقوم بالاهتزاز معلنًا أن هناك اتصالًا قادمًا؛ كانت أمها قلقة عليها كالعادة، ومن ثم قالت لها إيفانا :

-رُدّي على أمك يا فريدة . . .

ردت فريدة في ضجر:

-لا لن أرد، إذا قمت بالرد سوف تسأل الكثير من الأسئلة وتوترني من كثرة قلقها عليَّ...

ومن ثم قال توماس:

-لِمَ لا تقومي بغلق إمكانية الاتصال وتريحي عقلك...

-لا أستطيع أن أفعل ذلك، إذا فعلت ذلك سيزيد قلقها عليَّ أكثر و...

من ثم قاطعتها إيما بتهكم:

-أمكِ ما زالت تعتبركِ طفلة و...

قاطعها توماس بجدة:

-توقفي يا إيما عن طريقتك تلك...

حاولت إيفانا أن تغير مجرى الحديث ومن ثم قالت لهم بلهفة وهي ممددة وتؤشر للسماء:

-انظروا يا رفاق، إنه شهاب، فليتمنَ كل منا أمنية...

قالت إيما بصوت حانٍ وهي تمسك يد توماس:

-أتمنى أن أكون مع توماس لآخر يوم في حياتي .

ومن ثم همّ توماس وجلس معتدلًا بعدما همّ من رقدته وقال:

-أتمنى أن نظل أصدقاء إلى الأبد يا رفاق . . .

ومن ثم نظر إلى إيفانا وقال لها بحماسة:

-وما هي أمنيتك يا إيفانا . . . ؟

-أنا لدي الكثير من الأماني ولن أفصح عنها لأني أرغب في تحقيقها . . . ألم تسمع أنك إذا قلت ما تنوي فعله أو ما تتمناه لأحد لا يحدث ولا يتم أبدًا . . .

-آه، إن أفكارك صارت تشبه تفكير فريدة إلى حد كبير . . .

ومن ثم نقل مجرى الحديث إلى فريدة وسألها نفس السؤال، ولكن فريدة كانت شاردة الذهن، فاقت على وخزة إيفانا وهي تقول لها بدهشة:

-ما بكِ اليوم يا فريدة، إنكِ شاردة طوال اليوم، ما الذي يشغل بالكِ، أنتِ لستِ معنا بتاتًا .

تنفست فريدة الصعداء وقالت بهدوء تام:

-لا أدري يا إيفانا ، ولكن راودني كابوس هذا الصباح و . . .

قاطعتها إيفانا وقالت لها :

-دعكِ منه، أنتِ قلتِ ما هو إلا مجرد كابوس، هيا قولي ما أمنيتك . . . ؟

ردت فريدة بلا اكتراث:

-أنتِ تعلمين يا إيفانا أنا لا أحب التمني ولا أن أطلب شيئًا ، أنا أحقق وأنفذ ما أريد وما أستطيع فعله . . . لا أحب أن أنظر لما لا أستطيع الحصول عليه .

استمر الحديث يدور بينهم واحد تلو الآخر . . .

ولكن فجأة همّ توماس وهو يتحدث معهم، قام بإخراج ذلك الكيس الذي كان يحتوي على سجائر ولكنها لم تكن سجائر عادية بل بها مخدرات .

قام بإشعال سيجارة ومن ثم رأته إيما فابتسمت قائلة:

-ها هي رحلتنا قد بدأت للتو .

نظرت إيفانا متعجبة متسائلة:

-منذ متى وأنت تتعاطى مخدرات ؟ أنا أعلم أنك صرت مدخنًا فقط، لم أدرِ أن الوضع ازداد معك إلى هذا الحد . . .

رد عليها بعد ما نفث دخان السيجارة:

-لا أتعاطى مخدرات، أنا أشرب من حين لآخر سجائر الماريجوانا، لا تكبّري الموضوع يا إيفانا ولا تصيري مثل فريدة . . .

من ثم همّت إيما بأخذ السيجارة من يده وبدأت في سحب أنفاس منها في انتشاء . . .

ومن ثم قام بإشعال سيجارة أخرى وسحب نفسًا منها في انتشاء، فقامت إيفانا من رقدتها واعتدلت وهي تنظر له بحماس معلنة الرغبة في أن تجرب فقط . . . ومدت يدها لأخذ السيجارة من توماس، ولكن فجأة منعتها فريدة وهي تمسكها من يدها وتقول لها في حدة:

-إيفانا . . . توقفي، لا تفعلي ذلك . . .

ترددت إيفانا وقالت لتوماس:

-لا، لا أريد أن أجرب، أعلم أن شرب الماريجوانا يشتت التركيز . . .

قال لها توماس كي يقنعها:

-كفّي عن هذه الترهات، أنتِ لن تقومي بتدخين الكثير، أنتِ فقط سوف تجربين . . .

ها هي إيفانا تحمست للفكرة ولم تنظر لفريدة ومن ثم سحبت أول نفس، ولكنها لم تتوقف عن السعال، لأن هذه أول مرة تقوم بها بالتدخين.

عندما رأت فريدة أن إيفانا غير مهتمة لما قالته، قررت أن تهم بالنهوض، حينها قالت لها إيفانا في لهفة وهي ممسكة بالسيجارة:

-إلى أين أنتِ ذاهبة يا فريدة. . . ؟

قالت لها فريدة ببالٍ شارد وهي تعطيها ظهرها متجهة للبحيرة:

-سوف أذهب لكي أمشي قليلًا، أحتاج أن أكون بمفردي.

ومن ثم نادت إيفانا عليها وهي تهم بالنهوض:

-انتظري يا فريدة، أنا قادمة معكِ. . .

ولكن توماس قاطعها وقال لها وهو يتبع طيف فريدة الذي ذاب في ظلام الليل:

-دعيها على راحتها يا إيفانا، فريدة ليست على ما يرام اليوم. . .

حينها شعرت إيما بضيق بسبب أنه تمسك بإيفانا، إنها كانت ترغب بشدة أن يكونا بمفردهما، ومن ثم شعرت إيفانا بالحزن وقالت له:

-خذ هذه السيجارة، أنا لا أحب التدخين.

قال لها وهو لا يبالي:

-كما تريدين.

ومن ثم قالت إيفانا وهي ترتجف بعض الشيء:

-سوف آخذ مرتبتي وأدخل خيمتي يا رفاق، إن الجو يزداد برودة، أريد أن أرتاح، لا تسهروا كثيرًا، سوف نبدأ رحلتنا في الغد مع شروق الشمس... تصبحوا على خير.

حينها ارتاحت إيما وقالت بابتسامة صفراء مصطنعة وهي تلتف لإيفانا التي أوشكت على دخول خيمتها:

-تصبحين على خير يا إيفانا.

قامت إيفانا بإغلاق خيمتها عليها جيدًا كي تقي نفسها برودة الجو...

إيما تأففت ومن ثم نظرت لتوماس:

-أوف، إنها ثقيلة الدم مثلها مثل صديقتها فريدة، لا أدري لِمَ تخرج معهما...!

نظر لها توماس في ضجر:

-توقفي عن نقد صديقاتي، يجب أن تحترمي وتحبّي من أحبهم و...

ولكن قاطعت إيما كلامه وغضبه وهي تحاول الاقتراب منه بلين معلنة إنهاء هذا الغضب بقبلة دافئة في هذا الجو الذي ازداد برودة، ولكن فجأة قطع هذا الصمت صوت . . .

صوت إيفانا وهي تنادي عليهما بصوت عالٍ:

-هاااي يا رفاق . . .

حينها ابتعد توماس عن إيما والتفت لإيفانا منتبهًا لها التي أكملت قائلة:

-لا تنسَ وضع المزيد من الحطب، آه، توماس، أرجو منك أن تضع أربع شعلات من النار، شعلة في كل اتجاه، نحن لا ندري ما يوجد بتلك الغابة . . .

قال لها توماس بحماسة:

-لا تقلقي، المكان أمان هنا . . .

قالت إيفانا وهي تهم بغلق سحاب الخيمة:

-الاحتياط واجب . . . تصبح على خير .

ها هي إيما تنظر له، ولكنه كان شارد الذهن بعدما قام بإشعال سيجارة أخرى من الماريجوانا ولا يعيرها انتباهًا ، والصمت طال بينهما ومن ثم قررت الكلام:

-فيما تفكر يا توماس . . . ؟

استمر توماس في شروده وقال وهو يهز رأسه بلا مبالاة:

-لا أفكر في شيء .

قالت له وهي تمسك يده:

-ألن نخلد للنوم . . . ؟

قال لها وهو ينفث دخان السيجارة تجاه السماء:

-اخلدي أنتِ إلى النوم وأنا سوف ألحق بكِ . . .

يئست إيما من محاولاتها في التقرب من توماس الذي صار باله مشغولاً عنها لا بها . . . فقررت أن تنتظره قليلاً في الخيمة وإذا لم يأتِ سوف تخرج كي تطمئن عليه، ولكن تدخينها لتلك السيجارة وشربها لزجاجة البيرة جعلا رأسها ثقيلاً جدًا فنامت بدون أن تشعر . . .

أكمل توماس سيجارته وصار شارد الذهن، وبدأ الحزن يخيم على عقله، شعور مؤلم عندما يشعر المرء أنه في حياة لا يرغب بها أو أن يكمل مع شريك غير مرتاح معه؛ عندما تستمر في علاقة صارت بها مشاعرك فاترة تشعر مع كل كلمة من

شريك حياتك بأنها قيد يُقيّد كل أنحاء جسدك إلى أن يصل القيد إلى رقبتك، فحبّه صار يخنقك، الحب غير المتبادل أشبه بلعنة أو عذاب شديد عليك أن تهرب منه قبل أن ينهي عليك .

ها هو همّ كي يفتح صندوق المشروبات وأخذ منه زجاجة بيرة، وبدأ يشرب كي يتوقف عقله قليلًا عن التفكير في فريدة، ولكن أحيانًا عندما نرغب في نسيان شيء نتذكره بشدة، وعندما نهرب من شيء نجده يلهث كي يلحق بنا ، سحقًا للدنيا ! دائمًا ما تعطينا عكس ما نرغب به .

من ثم أخذته قدماه كي يمشي على شاطئ البحيرة، إلى أن وصل للمكان الذي به فريدة، كانت جالسة أسفل شجرة كبيرة أمام البحيرة في مكان بعيد عن موقع التخييم .

ولكن بمجرد أن صار أمامها ، لم يتمالك نفسه واقترب منها وجلس بجوارها أسفل الشجرة وقال لها هامسًا :

-لِمَ تهربين مني يا فريدة . . . ؟

ردت عليه فريدة وهي تمسك بحجر وتهم برميه في البحيرة في تململ:

-لا تكبّر الموضوع يا توماس، أنا لا أهرب منك ولا أهرب من شيء، لم أتعلم الهرب، لقد نشأت على المواجهة فقط لا غير.

نظر لها توماس وهو يضع يده على وجهها موجهًا إياه صوبه كي تواجه عينه عينها، وسألها وعيناه تترقرق بالدمع:

-ما بي لا يعجبك يا فريدة وأنا مستعد أن أتغير من أجلك...!

أبعدت فريدة يده برفق وهمّت واقفة كي لا تتأثر بنظرته وقالت:

-كل ما في الأمر أنك غير مناسب لي يا توماس...

همّ توماس واقفًا كذلك وسألها وهو يمسك بذراعها وبدأت عيونه تذرف الدمع:

-لِمَ لا أناسبك يا فريدة...؟ أنا وأنت نشبه بعض في أشياء كثيرة، نفس الميول حتى... كنتِ في بداية الأمر منجذبة لي... لِمَ الآن صرت أشعر أنك تكرهينني...!؟

-لم أنجذب إليك قط... أنت مجرد صديق لا أكثر ولا أقل...

قوّى قبضته على ذراعها وقال لها بحدة اختلطت مع ألم قلبه ودموعه:

-أنتِ تكذبين يا فريدة، تكذبين، أنا رأيت حبك لي في عينك...

-توقفي عن وهم نفسك، واتركني أرحل .

-لا لن أتركك . . . لن أتركك تضيعين من يدي، سوف تكونين لي بالرضا أو بالغصب .

-اتركني وشأني، أنت مرتبط الآن و . . .

-لم أحبها قط . . . أنا قررت أن أفعل ذلك كي أشعل غيرتك لا أكثر ولا أقل، لذا قررت أن أتقرب من أكثر شخصية تريد أن ترتبط بي، قررت أن آخذ حبها لصالحي كي تكوني لي .

-لا يهمني هذه الترهات، وباعترافك ذا سقطتَ من نظري أكثر، هذا يعني أنك شخص كاذب لأنك خدعت إيما؛ أعلم أنها شخصية خبيثة ولكن لا تستحق أن تلعب بمشاعرها هكذا .

-أرجوكِ، دعكِ من إيما، أرجوكِ لا تبعدي عني و . . .

وها هو يهم بالتقرب من فريدة ولكنها دفعته وهي تقول له بحدة:

-ابتعد عني، أنا لم أفكر بك قط لأنك على غير ديني، والآن أنت زدت الأمور سوءًا بكونك مدمنًا على شرب الخمر والتدخين، ابتعد عني، أنت صرت شخصية سيئة

ومخادعًا . . . من يخدع فتاة أخرى من أجلي، سوف يأتي وقت ويخدعني أنا كذلك . . . لا أمان لك يا توماس .

من ثم همّت بالرحيل، ولكنه لحق بخطوتها السريعة وقال لها :

–أنتِ السبب في تغيّري للأسوأ يا فريدة، أنتِ من جعلتني أهرب من واقعي الذي لا أحبه بالإدمان، صرت أرغب في هروبي من واقعي الذي لا أحب بذهابي إلى عوالم أخرى في خيالي .

نظرت له بغضب وقالت له مهددة إياه بسبابتها :

–أقسم لك يا توماس إن لم تتركني أرحل الآن سوف أنهي صداقتنا إلى الأبد . . .

ومن ثم همّت بالرحيل عندما رأت أن توماس قد تصلب مكانه بعد سماع تهديدها ، ومن ثم تحولت عيناه إلى بركتي مياه وقد أوشكتا على أن تفيضا من كثرة مياههما ، قررت ألا تنظر لعينيه الرماديتين كي لا تتأثر بنظرته المتخاذلة، ومن ثم رحلت ولم تكترث لما جرى، كل ما تعلمه أن عليها أن تفعل الصواب وكفى، ولكن فجأة سمعت صوت أوراق الشجر يأتي من خلفها ، أي أن هناك أحد يتبعها ، وبمجرد أن التفتت

وجدت زجاجة كُسرت على رأسها ، كانت الزجاجة زجاجها سميك جداً مما سببت الضربة في فقدانها الوعي، ومن ثم . . .

فاقت ولكن لا تدري كم مر من الوقت على فقدانها الوعي، رأسها ما زال يدور ولكن فجأة صرخت بشدة عندما أدركت ما لحق بها وما زال يحدث . . .

ها هو توماس مثل الحيوان يفترسها ، مستغلاً فقدانها للوعي، ها هي تدفع هذا الحيوان عنها ، ولكن قواه كانت تفوق قواها ، تحاول دفعه ولكنه لم يتوقف قط عما يفعله، ولم تجد ما تدافع به عن نفسها سوى حفنة من التراب ألقتها في عينه؛ زلزلت اتزانه فقامت برميه من فوقها وهمّت بأخذ ملابسها ، كان هو قد همّ واقفاً ويحاول جاهداً أن يفتح عينه، في تلك اللحظة تمكنت من أخذ حجر ، ها هي تهدده إن اقترب منها سوف تقوم بضربه . . . ولكنه لم يكترث لتهديدها ؛ إن المخدرات أثرت على تفكيره، ولكن فريدة لم تتردد وقامت بضربه فسقط أرضاً .

ارتدت ملابسها وهي تجهش بالبكاء بعدما نظرت لفخذيها اللذين تلوثا بدم شرفها . . . تبكي بسبب ضعفها ، تبكي لأنها كانت تظن نفسها قوية، كانت تظن

نفسها قوية مثل الرجال ولكنها أنثى، مهما كان أنها أنثى، وستظل ضعيفة مهما يكن . . . ستظل مطمعًا مهما حاولت صنع هالة القوة والرجولة حولها .

هرعت بعدما ارتدت ملابسها باكية صوب خيمتها ، ولكن بمجرد ما أن اقتربت لمكان التخييم، رأت إيفانا تلهث تجاهها .

نظرت لها إيفانا في دهشة وذعر وهي تحاول أن تلتقط أنفاسها :

-ما بكِ يا فريدةِ لِمَ تبكين . . . ؟

تعجبت إيفانا لأن فريدة لا تبكي أبدًا وترفض الضعف . . . ولكن فريدة لم ترد عليها وهي تشيح بنظرها بعيدًا عنها وتمسح دمعها وهي تهم بالذهاب تجاه خيمتها . . .

ولكن سرعان ما قطعت إيفانا تفكير نفسها بما جرى لفريدة وقالت لها بأسى:

-فريدة، أنا كنت نائمة ولكن فجأة شعرت أن خاتمي يهتز معلنًا أن هناك من يتصل، وكما تعلمين أنا أرد على أي اتصال يرد لها تفي . . . كان الرقم غريبًا فقمت بالرد وأنا ناعسة ولكن الصوت الذي سمعته والخبر الذي نزل على مسامعي كان مثل الصاعقة . . .

لم تكن فريدة ترد على إيفانا ، هي تسمع لها ولكن عينيها ممتلئتان بالدمع، ولكنها بسبب كبريائها تكبل دمعها بالقيود كي لا يفروا منها أمام إيفانا وتعلن عن ضعفها . . . ولكن إيفانا أكملت لها بحزن:

-إن الاتصال كان من أمكِ يا فريدة، إنها تريدك ضروري . . .

كل هذا يسقط على مسامع فريدة ولا تحرك ساكنًا ، ومن ثم أردفت إيفانا بعدما حاولت أن تستجمع قواها مع التقاط أنفاسها :

-إن أباكِ في وضع حرج في مستشفى ال . . .

لم تكمل إيفانا كلامها إلا ونظرت فريدة لها بصدمة، ومن ثم هرعت وهي تبكي مثل الطفلة التي تريد أن تهرب من الكون كله، الظالم أهله، إلى مصدر الأمان لها وملاذها ؛ ألا وهو أبوها .

ها هي تهم مسرعة بدخول خيمتها وتأخذ مفتاح سيارة إيفانا وتهم بالرحيل، هرعت إيفانا خلفها وقالت لها وهي تشاركها البكاء ؛ كانت إيفانا حساسة جدًا ، وما يسعد فريدة يسعدها وما يحزن قلب فريدة يؤلم قلبها أضعافًا مضاعفة، كانت إيفانا أختًا لها لا مجرد صديقة فقط:

-سوف آتي معكِ يا فريدة، لن أتركك وحدكِ . . .

صارت تبكي بحرقة وهي تتبع خطى فريدة تجاه السيارة، كانت فريدة لا تسمع ولا ترى أحدًا أمامها وهمّت بفتح باب السيارة كي تقودها ، ولكن إيفانا منعتها وسحبتها من يدها ، ولكن فريدة لا تستجيب لصوتها وتبكي في هستيريا وهي تحاول أن تدخل السيارة، ولكن إيفانا سحبتها بقوة وضربتها كفًا على وجهها كي تسمع لها؛ فنظرت لها فريدة بشرود وقد احمرت عيناها بشدة وسمعت ما قالته لها إيفانا :

-لن أدعكِ تعودين بمفردك، أنا سوف أقود السيارة، إذا قمتِ بالقيادة سوف تقومين بحادث، أنتِ غير واعية يا فريدة . . .

بعد الكف صارت فريدة في حالة شرود ، عيناها تستمران في الانهمار بالكثير من الدموع معلنة بدء العاصفة . . .

صار جسدها مرخيًا ، وها هي إيفانا تجلسها على المقعد الآخر وبدأت القيادة تجاه المستشفى، وطوال الطريق فريدة لا تحرك ساكنًا ولكنها لا تتوقف عن البكاء . . .

لم تختر إيفانا وضع القيادة الذاتي في السيارة لأنه يتحكم في مستوى السرعة الذي يشكل الأمان، بينما هي اعتمدت على القيادة بأعلى سرعة كي يصلا إلى المستشفى.

ها هما قد وصلتا المستشفى، وبمجرد أن وصلت فريدة استعادت رشدها وسألت عن اسم أبيها، من ثم هرعت تبحث بين الغرف عن رقم غرفة أبيها إلى أن وصلت، وقامت بفتح الباب بسرعة، ولكنها ترى الممرضات يقمن بفصل الأجهزة عنه، تنظر إليهن متسائلة رافضة الواقع:

-أنتن تقمن بإزالة الأجهزة لأن أبي صار بخير أليس كذلك. . . ؟

ولكن الممرضات لم يقمن بالرد عليها وأكملن عملهن، فنظرت لأمها الباكية وسألتها بهدوء:

-وتين، توقفي عن البكاء، مراد بخير. . .

اقتربت من الطبيب وقالت له والدموع تنهمر من عينها:

-قل لها يا طبيب إن أبي بخير، قل لها أن تتوقف عن البكاء.

نظر لها الطبيب وقال لها بأسى وهو ينظر أرضاً:

-إن أباكِ قد توفي و . . .

أمسكت به فريدة من معطفه بقوة وقالت له بغضب صارخة:

-لا تقل ذلك، أنت طبيب لا تفهم، ولا تعلم كيف تقوم بعملك على أكمل وجه، أنا والدي طبيب ولدي خلفية طبية سأريكِ ما سأفعل له . . .

تكمل كلامها وهي تقترب من أبيها وهي تبكي في هستيريا :

-هيا يا أبي افتح عينك، هيا يا مراد أرجوك لا تتركني .

ها هي تقوم بالضغط بكلتا يديها على قلب أبيها وتقول له صارخة:

-لا أستطيع أن أعيش في هذا العالم من دونك يا مراد، أرجوك أفق . . .

الممرضات يحاولن سحبها وإبعادها ، ولكنها صارت تدفعهن صارخة وتقول:

-أيها الأغبياء قوموا بتشغيل جهاز صدمات القلب، هيا أعيدوا أبي للحياة حالًا . . .

دفعت الممرضات عنها ومن ثم خارت قواها وفقدت الوعي .

استيقظت فوجدت نفسها معلقاً لها محاليل، بمجرد أن فاقت حاولت أن تفهم لِمَ هي في المستشفى، ومن ثم بدأت تتذكر ما حدث، ولكنها كانت تقول في قرارة نفسها:

-أتمنى أن يكون كل ما مررت به طوال هذا اليوم مجرد كابوس، يا رب يكون كابوس.

دخلت أمها الغرفة عليها وأمسكت يدها وهي تبكي وتمسح بيدها على شعرها، ولكن فريدة كانت تشيح بنظرها عن عيني أمها.

كانت أمها تبكي لفراق زوجها، ولكن كانت تبكي أكثر على ابنتها المتعلقة بشدة بأبيها.

ها هي وتين ترتب إجراءات نقل الجثمان إلى مصر، واستعدتا للسفر لمصر، كانت هذه المرة تزور فيها فريدة مصر، ولكن جسدها فقط هو الذي سافر، ولكن عقلها ظل في لندن يجوب أرجاء البيت مع ذكرياتها هي ووالدها . . .

مرت الشهور وفريدة في غرفتها في فيلتهم في السادس من أكتوبر في مصر، لا تتحدث مع أحد، ولم تعد للندن لكي تكمل عامها الدراسي.

قدرت أمها سوء حالتها، وخسرانها لمن كان لها كل شيء.

ولكن في شهر أغسطس من عام 2038، أي بعد مرور عام وخمسة أشهر على تلك الصدمة الكبرى بفقدها أبيها، وتلك الصدمة الأخرى بفقدها شرفها وإثبات ضعفها.

حاولت خلال تلك الفترة أن تتعافى من كلتا الصدمتين ولكن أثرهما كان عميقًا جدًا، قررت الانتحار ولكنها خافت من عقاب الرب.

صارت أمها تشعر بوحدة حياتها، صارت فجأة شاحبة بغياب حبيبها وشريك حياتها مراد، وبفقدها شغف وسعادة ابنتها . . . كم كانت تحب نقاشها هي وابنتها وتشاجرهما سويًا . . . يقولون إن الشخص الذي تحب أن تتشاجر معه كثيرًا هذا يعني أنك تحبه بشدة.

***

يد شاب تحمل سكينًا، وها هي اليد تقترب من فتاة لا نرى من ملامحها شيئًا، لا نرى سوى ظهرها وشعرها الأسود متوسط الطول، وها هي اليد تقترب أكثر وأكثر، إلى أن التفتت الفتاة مسرعةً ولكن شعرها يخفي ملامحها؛ التفتت عندما شعرت

بأنفاس أحد خلفها ومن ثم طعنتها اليد في ظهرها وسقطت أرضاً غارقة في دمها

و . . .

-فريدة . . . استيقظي يا فريدة .

قامت فريدة فزعة من نومها . . . بدأت أمها تهدئ من روعها . . . وسألتها ما بها

فقالت لها فريدة:

-كابوس يا وتين . . . كابوس يتكرر معي كثيرًا هو عبارة عن . . .

قاطعتها أمها وقالت لها وهي تمسح على شعرها لتهدئها :

-لا يا حبيبتي، لا تذكري الأحلام السيئة أو الكوابيس، فقط اتفلي على يسارك

ثلاث مرات واستعيذي من الشيطان ومن شر هذه الرؤيا .

ظلت فريدة شاردة بعض الشيء ومن ثم تغاضت عن التفكير .

بعد قليل من الوقت وقفت فريدة في شرفة غرفتها ، تحاول أن تتنسم الهواء كي

يدخل ويزيل عن روحها غبار الحزن والكآبة .

قطعت أمها شرودها عندما دخلت وأحضرت لها كوبًا من القهوة وكيكًا كي

تتناوله .

جلستا سويًا تستمتعان بشمس مصر الدافئة التي تفتقر لها لندن الباردة الغائمة الكئيبة، ومن ثم قالت لها أمها وهي تنظر لها برفق:

-حبيبتي فريدة، ما رأيك في مصر . . . ؟

تنهدت فريدة وهي شاردة الذهن في السماء الصافية وقالت وهي تتنفس بهدوء:

-إنها جميلة حقًا بالرغم أني لم أرَ شيئًا منها سوى هذا الطريق الذي أراه من شرفتي، ولكن جوها يبعث الدفء داخل الروح.

-ما رأيك بالاستقرار هنا . . . ؟

نظرت لها فريدة باستغراب وسألتها:

-هنا أين . . . ؟

-في مصر يا فريدة، أنا كنت أرغب بشدة بالعودة والاستقرار في مصر ولكن مراد . . .

ومن ثم لم تكمل الكلام لأنها لا تريد أن تبعث الحزن بداخل فريدة بذكر أبيها .

نظرت لها فريدة وقالت لها:

-أكملي، ولكن أبي . . . ماذا . . . ؟

ابتلعت وتين ريقها وقالت لها بحزن لمجيء طيف ذكرى مراد في بالها :

-لأن مراد كان ينتظر أن تكملي دراستك الثانوية والجامعة وتصيري طبيبة مثله ومن ثم يأتي ويستقر هنا ، كما تعلمين أن المتغرب مصيره في يوم يعود لوطنه مهما طال غيابه .

-يعني هذا كان هدف مراد . . . !

أومأت أمها برأسها "أي نعم" ، فقالت لها فريدة وهي تحاول أن تتمالك أعصابها وألا تبكي، ومن ثم رسمت شبح ابتسامة لأمها وقالت:

-وأنا سوف أحقق مراد أبي، ولن أخذله أبدًا .

ابتسمت لها أمها ابتسامة تقاوم العبوس والبكاء ، ومن ثم قاطعتها فريدة وهي تهم بدغدغتها :

-توقفي عن البكاء أيتها البومة الكئيبة، لا أدري لِمَ من بين الأمهات أنتِ أمي . . . ؟

حينها مسحت وتين دموعها وهي تبتسم وهي تهم بالوقوف وتقول:

-آه وأخيرًا قد عادت ابنتي المشاغبة من جديد .

أخذت فريدة فنجان القهوة وقطعة الكيك ووضعتهما على سور الشرفة وسألت أمها وهي تهم بتناول الكيك:

-وتين، هل مراد كان يحب مصر . . . ؟

تنهدت أمها وهي تقترب منها وسرحت في السماء وقالت بلهفة:

ومن في الكون لا يعشق مصر . . . !

قاطعتها فريدة بعدما قامت ببلع الكيك بسرعة وقالت بعناد:

-لم أسألكِ عن الكون كله، أنا أسألكِ عن مراد، لا أحب تغيير دفة الحديث، ها !

تنهدت وتين وهي تنظر بغضب يتخلله السعادة لابنتها:

-آه يا ربي، أنتِ خُلقتِ كي تعانديني وكفى، اسمعيني جيدًا يا ذات اللسان الطويل . . . مراد كان يعشق مصر ويحب كل ما بها، ولكن اضطر للسفر لكي يحقق ذاته ليس هربًا منها أو كرهًا فيها كما يفعل قليلُ الأصل . . . ولكن كان هناك دافع آخر للسفر هو أن ذاك البيت . . .

قاطعتها فريدة بصوت مكتوم وهي ترتشف من فنجان قهوتها وطلبت من أمها بلهفة:

-أريد أن أذهب للأماكن التي كان يحبها مراد قبل أن أسافر .

نظرت لها أمها بسعادة على تغير حال ابنتها للأفضل وخروجها من قوقعة الحزن أخيرًا ، وأردفت لها بنظرة مليئة بحنو الأمومة:

-كان يحب القاهرة بكل ما فيها من مناطق أثرية أو متحضرة، وكان يحب سيناء بكل ما فيها بلا استثناء ، والأقصر وأسوان .

نظرت لها فريدة ببلاهة ومن ثم غمغمت:

-لا أدري شيئًا عن كل هذا ، دعينا نبدأ من أي مكان ولكن المهم أن نزورهم كلهم خلال هذا الشهر .

وبالفعل بدأت رحلاتهما . . . وبدأت فريدة تشعر بالقرب أكثر من أمها ، كانت دائمًا لا تشعر بأنها بحاجة إلى حنان الأم، لأن حب الأب يكفيها ، ولكن بعد فقدها لأبيها ها هي تحتاج لحنو أمها الذي تبحث بين ثناياه على حب أبيها ، وقررت أن تحب أمها بشدة، يكفي أن أباها كان يهيم بها حبًا وعشقًا .

مرت الأيام وقررت فريدة السفر إلى لندن والعودة إلى مصر في العطلات فقط، ولكن أثناء وجود فريدة مع أمها في المطار سألت أمها السؤال الذي لم تتجرأ على معرفة إجابته كل هذه الفترة:

-أمي، لِمَ مات أبي . . . ؟

-مات أبوكِ بسبب كثرة الإجهاد . . . لم يكن مراد يفكر في راحته . . . كان دائمًا يفكر في غيره ونفع غيره وكفى . . . كان يومها يشعر بالإجهاد، طلبت منه أن يرتاح ولكنه أصر أن يذهب لعمله في الجامعة .

ويبدو أن الإجهاد قد ألّم بقلبه بشدة ووصل لحالة لم يتم إسعافها ورحل بسلام كما كان يعيش بسلام .

رُسمت ملامح الأسى على وجه كلتيهما وهمهمتا :

-عليه رحمة الله .

من ثم جال في خاطر فريدة سؤال كي تغير مجرى الحديث كي لا تستسلما للحزن:

-أمي، لِمَ تؤمنين بالأحلام . . . ؟ ولِمَ تعيرينها انتباهك . . . ؟

-لأنها حق يا بنتي، وكل ما أحلم به يقع .

-ولكن في مرة قلتِ لي أن توماس سوف يؤذيني .

-نعم، أنا غير مرتاحة لهذا الشاب، ابتعدي عنه عند رجوعكِ لندن .

-ولكن هذا الحلم كان منذ مدة طويلة لِمَ أحذر منه . . . ؟

-ابتعدي عنه لأنه سوف يلحق بكِ أذى كبير . . . يعني إن لم يلحق بكِ أذى عند ما حذرتك منه هذا ليس معناه أنه لن يؤذيكِ، ولكن موعد تحقيق الرؤيا لم يأتِ بعد ، فانتبهي .

غمغمت فريدة في قرارة نفسها وقالت:

-لقد وقعت الرؤيا ولحق بي الأذى، وأنا كنت أظن أن الأحلام ما هي إلا تخاريف من العقل الباطن .

***

فتاة ترتدي عباءة سوداء على كتفها وشاح أصفر وشعرها أسود متوسط الطول تقف شاردة، تقترب منها فريدة كي تفهم ما بها ، لِمَ هي واقفة بمفردها . . ؟

ولكن سرعان ما بدأت بطنها بالنزف ومن ثم سقطت أرضاً فبرز السكين المطعون به في ظهرها . . .

صُعقت فريدة من هول المشهد . . . حاولت أن تقترب من الفتاة كي تتأكد أنها ما زالت على قيد الحياة أم لا قبل أن تطلب المساعدة . . .

ولكن سرعان ما تحولت نظرة الفتاة من ساكنة هادئة إلى نظرة كلها شر وتوعد ، وقالت والدم يخرج من عينها ومن شدقيها :

-ابتعدي عن هنا . . . لا تعودي إلى مصر من جديد . . . ابتعدي .

فتحت فريدة عينها على صوت اسم الطائرة للرحلة القادمة .

كانت فريدة متعبة بعض الشيء فقررت أن تنام قليلًا قبل موعد طائرتها . . .

نظرت لها أمها وقالت لها بلهفة:

-كنت سوف أوقظكِ الآن . . .

لم تهتم لما تقوله أمها وهمّت بمعانقتها وهي تشعر بأمان وراحة من بعد هذا الكابوس، ولكن سرعان ما بدأت تسمع همهمات أمها . . . فقالت لها فريدة:

-لا تقلقي عليَّ، إن احتجتِ لي في أي وقت سوف تجديني بين يديكِ في خلال ساعة . . .

أوه، الرحلة في عام 2038 تحتاج ساعة ونحن الآن نحتاج أكثر من خمس ساعات، بالفعل إن التقدم سوف يوفر لنا الكثير من الوقت، ولكن علينا أن نستغل هذا الوقت الذي قمنا بتوفيره فيما هو مفيد وليس لإضاعته هباءً .

***

الفصل الثالث

الاختراع

عادت فريدة إلى لندن وكان رفيقيها توماس وإيفانا في انتظارها ، لم تكن تتوقع أن ترى توماس بعد فعلته تلك، لقد كانت على استعداد أن ترى إيفانا التي اتصلت بها بعد غياب طويل وأخبرتها بموعد وصولها .

عندما رأت توماس، ارتسمت ملامح الغضب على وجه فريدة وقالت لإيفانا :

-لم أكن أظن أنكِ ستفعلين ذلك، قلت لكِ لا تخبري أحدًا .

وهمّت فريدة غاضبة، وهرعت خلفها إيفانا موضحة:

-توقفي عن عصبيتك تلك واسمعيني يا . . .

قاطعها توماس وقال لها :

-دعيني أنا أوضح لها . . .

لم تلتفت فريدة وخرجت مسرعة من المطار، هرع خلفها توماس وقال لها وهو يمسكها لاهثًا محاولًا التقاط أنفاسه:

-هل يمكن أن تعطيني من وقتك دقيقة ؟ أقسم لكِ دقيقة واحدة فقط .

-ولا حتى ثانية، لا أريد أن أرى وجهك .

-صدقيني، دقيقة واحدة ولن تري وجهي مرة أخرى .

وافقت فريدة على مقابلته ولكنها كانت تقف بجانبه، أي لا تريد أن تقابل عيناها عينيه أبدًا؛ لأنها عندما تنظر له تشعر بالبغض ورغبة في الانتقام على ما فعله، ولكن سرعان ما قطع توماس شرودها بالتفاته أمامها ونزوله على ركبتيه معتذرًا متأسفًا لها باكيًا :

-فريدة، أرجوكِ أعطيني فرصة أخرى لأثبت لكِ صدق نيتي، أنا أحبك ولم أكن أقصد أن أؤذيكِ، أقسم لكِ أني لم أكن بوعيّ .

ولكن فريدة لم تكن تنظر له، وها هي الدموع بدأت تتلألأ في عينيها ، لكنها رفعت رأسها في كبرياء كي تمنع دموعها من النزول؛ لأنها تشعر أنها إن بكت حزنًا على ضعفها ، ستسقط كرامتها معها .

وها هي لم تتمالك نفسها عند سماع صوت توماس الباكي النادم، وهمّت بسحب حقيبتها تاركة إياه، ولكن توماس سرعان ما وقف ممسكًا بيدها ووقف أمامها وقال لها وهو يمسح دمعه محاولًا التماسك:

–فريدة، أقسم لكِ أن تصدقي أني لم أكن مدركًا لما حدث، أنا استيقظت في اليوم التالي بجوار البحيرة، ومن أيقظتني كانت "إيما"، جاءت لي وكانت مندهشة من وضعي هكذا عاريًا تمامًا، عندما أفقت لم أكن أدري ما سبب وجودي هنا، ولكن سرعان ما بدأت أتذكر ما حدث في ذلك الوقت؛ كانت إيما لا تتوقف عن التساؤل ولكني لم أكن أرد لأني صرت نادمًا على ما فعلته معكِ يا فريدة، وفي ذات اليوم قررت الانفصال عن إيما و . . .

قاطعته فريدة في عصبية وعيناها تترقرق بالدمع وقالت:

–مهما قلتَ لن أغفر لك أبدًا ما سببته لي من ألم خلال كل هذه الفترة، أرجوك لا تظهر أمامي مرة أخرى، أريد أن أتعافى مما حدث وألا أتذكره مرة أخرى.

صار توماس يتبعها ويقول لها معتذرًا:

–أنا آسف يا فريدة، كنت أنتظر اليوم الذي أراكِ فيه كي أعتذر لكِ، وكنت أتمنى أن تعطيني فرصة أخرى كي أكون معكِ، لأنكِ لو قبلتِ اعتذاري هذا يعني أن لي فرصة أخرى للحياة، ولكن إن لم تقبلي اعتذاري فهذا يعني أني لن أستطيع أن أعيش في عذاب نفسي أكثر من ذلك على ما فعلته بكِ وما سببته لكِ من ألم . . . أرجوكِ لا

تكرهيني . . . وتذكري لي أي ذكرى كانت جميلة بيننا في يوم . . . لا تهربي مني ثانية يا فريدة . . . لأني سوف أرحل .

ومن ثم ضغط على حذائه وطار عاليًا .

التفتت فريدة فرأت إيفانا تقف بعيدًا تتأمل الموقف، ولكن بمجرد أن رأت فريدة لم تحرك ساكنًا ، نظرت بحزن إلى فريدة وضغطت على حذائها وطارت كي تلحق بتوماس . . .

ها هو توماس يقف فوق مبنى عالٍ جدًّا ، وإيفانا تنظر له وتبكي كي تمنعه من ترك جدار المبنى، ثم أردفت:

-توماس، توقف أرجوك، لا تفعل ذلك، أنا أعلم أن فريدة سوف تسامحك، لا تصدق صلابتها ، إنها تحتاج إلى بعض الوقت، أرجوك لا تيأس وتستسلم مسرعًا هكذا ، أرجوك .

تمتم توماس وهو يجهش بالبكاء :

-أريد أن أموت، لأني لا أجد الراحة في حياتي، أنا شخص أحمق ولا أحد يحبني، ولا أحد يرغب في وجودي .

اقتربت منه إيفانا بحذر وقالت:

–من قال لك هذا يا توماس ؟ كلنا نحبك، كلنا نرغب في وجودك معنا . . .

صرخ بها توماس وقال لها وهو يبكي:

–ابتعدي عني يا إيفانا ، لأنكِ إن حاولتِ منعي سوف تعجلين موتي قبل أن أطلب السماح من الرب .

–أرجوك توقف عن التفوه بهذا الكلام، ودع هذه الفكرة، وهيا عُد معي . . .

–لن أعود لأن فريدة لم تسامحني، لا أريد أن أعود للدنيا المُصرة على إعطائي أشياء وأشخاصًا لا أرغب بهم، ودائمًا ما تسلبني كل ما أريد .

وها هو نظر لإيفانا وقال لها باكيًا :

–إيفانا ، سامحيني إن سببت لكِ أذى في يوم من الأيام .

قاطعته إيفانا وقالت باكيةً:

–ولكنك لم تؤذني أبدًا يا توماس، لطالما كنت المقرب لدي منذ الصغر وأنا أحبك جدًّا .

ومن ثم رفع رأسه للسماء مجهشًا بالبكاء وهو يقول:

-يا رب، سامحني على ما سوف أقدم عليه، ولكني أطلب منك مغفرتك و . . .

ومن ثم سمع صوتاً يأتي من أمامه ففتح عينيه في دهشة:

-وأنا . . . ألا تريد أن تطلب الغفران مني مرة أخرى قبل الرحيل . . . !

دهش توماس عندما سمع ذلك الصوت، الذي كان صوت فريدة التي كانت محلقة أمامه في الهواء وتنظر له نظرتها المتفائلة التي طالما اعتاد عليها عندما تكون فريدة في مزاج رائق، ها هو يفلت يدًا من اليدين الممسكتين بالسور كي يمسح عينيه من الدمع، في تلك اللحظة فقد اتزانه واليد الأخرى فقدت تماسكها، ولكن سرعان ما عانقته فريدة معيدة إياه، ومن ثم أمسكت به إيفانا وأجلساه على سطح المبنى، ها هو يجلس بينهما، وينظر إلى فريدة في دهشة، ويقول بعينين مليئتين بالدمع:

-هل هذا حقيقي ؟ هل سامحتني بالفعل يا فريدة ؟

نظرت له فريدة باستغراب مداعبة إياه:

-ما هذا السؤال الغبي . . . ! أقسم لك إن سألت مثل هذه الأسئلة مرة أخرى سوف ألقي بك من فوق هذا المبنى، وقبل أن ألقي بك سوف أخلع حذاءك ذا . . .

ابتسم لها توماس باكيًا وأردف:

-كم أحب عصبيتك يا فريدة .

همّت فريدة واقفةً بهمة وقالت لهما :

-هيا يا رفاق، أريد أن نخرج سويًا بمناسبة عودتي .

ومن ثم ضربت مقدمة رأسها بكف يدها متذكرة:

-آه . . . نسيت، لا مانع من قدوم إيما معنا . . .

نظر لها توماس باستغراب:

-ولكني قلت لكِ أننا انفصلنا . . .

-لا أريد أن تنفصل عنها بسببي، هيا اتصل بها مرة أخرى و . . .

انفعل توماس قليلًا وأردف:

-أنا لم أنفصل عنها بسببكِ، أنا لم أتأقلم معها قط، وإيما مرتبطة حاليًا فلا داعٍ لذكر اسمها .

نظرت فريدة باستغراب وقالت لإيفانا التي لا تفعل شيئًا سوى النظر لكلاهما :

-يبدو أن هناك أمورًا كثيرة قد تغيرت هنا .

ابتسمت لها إيفانا وأردفت وهي تهم واقفة وتأبطت ذراع فريدة ضامة إياها :

-سأخبرك بكل شيء .

***

ها هي فريدة تعيد آخر عام لها في الثانوية من جديد ، وها هي تجد وتجتهد كي تلتحق بكلية الطب التي سبقاها إليها كل من توماس وإيفانا . . .

***

في السابع من شهر أكتوبر عام 2038

-آلو . . . . دكتور جون . . أين كنت ؟ لقد قلقت عليك كثيرًا .

-آسف يا عزيزتي . . . كنت مشغولاً حقًا من أجل أن أحضر لكِ مفاجأة عيد ميلادك . . . ولكني لم أوفق .

-مفاجأة ماذا . . ؟ أنت أكبر هدية لي في الحياة . . . أنت صرت لي أبًا من بعد موت أبي مراد .

هذا أول عيد ميلاد أشعر فيه أني وحيدة بدون أبي الذي مات، ومن دون أمي التي قررت أن تستقر في مصر بعد وفاة أبي، وها أنت قد أكملت تعاستي ليلة عيد ميلادي بعدم حضورك، بل وأقلقتني عليك .

-سامحيني يا عزيزتي . . . لم أقصد أن أجعلك تعيسة ليلة عيد ميلادك . . بل إن المفاجأة التي كنت أود أن تكون جاهزة ليلة عيد ميلادك لم تجهز بعد .

-وما هي هذه المفاجأة . . ؟

-كيف تكون المفاجأة مفاجأة إذا علمتِ بها يا فريدة .

-حسنًا ، قل لي أين أنت الآن . . . ؟ أنا ذهبت إلى بيتك وسألت العمة كريستينا ولكنها أجابتني : أنها لا تعلم أين أنت .

-لقد خرجت مبكرًا ولم أخبرها إني سوف أذهب لمختبري .

-إذن أنت في المختبر الآن ، سوف آتي إليك حالًا .

-فري . . . !

أغلقت الهاتف بمجرد أن عرفت أين دكتور جون .

بعد ساعة وصلت إلى مختبره ، عندما قابلته عانقته بشدة ، إنها تحبه جدًا .

دكتور جون بمجرد أن رآها أمامه فتح ذراعيه إليها مستقبلًا عناقها له ، وأردف :

-أوه يا عزيزتي ، سامحيني عما صدر مني الليلة ، ولكن الأمور لم تجرِ كما خططت لها .

-لا يهمك يا جون، أنت تعرف كم أحبك، أنا حأبسلة فقط لأني ظننت أن مكروهًا قد أصابك، حمدًا لله أنك بخير.

-لا تحزني يا صغيرتي فلقد أوصاني أبوكِ عليكِ، وأنا مسؤول عنكِ وعن سعادتك.

-لا تقل لي صغيرتي، لقد كبرت يا جون، الليلة عيد ميلادي الثامن عشر، صرت شابة ناضجة الآن.

-لا، ستظلين صغيرتي إلى آخر يوم في حياتي.

-حسنًا، قل لي الآن ما هي المفاجأة التي جعلتك تتخلف عن ليلة عيد ميلادي..؟

-لقد أكملت الاختراع لتوّي ولكني لم أجرّبه، يجب أن أجري بعض التجارب على أشخاص متطوعين كي أثبت صحة الاختراع.

-وما هذا الاختراع...؟

-اختراع يجعلك تتحكمين بالزمن، ترجعين لأي تاريخ في الماضي، وتكتبين أي تاريخ في المستقبل.

-وكيف أفعل ذلك وما هو شكل هذا الاختراع؟

-أنه يتكون من خمس قطع يا عزيزتي .

عدسات لاصقة، لا تظني أنها للتجميل ولكني صممتها لكي تكون شاشات مصغرة لكي نرى من خلالها .

وسماعتان دقيقتان جدًا نسمع من خلالهما ما سوف نمر به خلال تلك التجربة .

وخامس قطعة هو هذا الجهاز اللوحي، أنه يشبه الهاتف أعلم ذلك، ولكنه مبرمج على كتابة التاريخ والسفر عبر الزمن .

-أووه، يعني سوف أختفي من هنا وأسافر عبر الزمن .

-لا يا عزيزتي، لن يحدث ذلك، جسدك سوف يظل هنا في المختبر .

-وكيف سوف أسافر عبر الزمن إن لم أسافر بجسدي؟

-سوف تسافرين في رحلة العودة للماضي أو السفر للمستقبل من خلال عقلك فقط، ومن خلال العدسات اللاصقة سوف ترين ذاك الواقع في الماضي أو المستقبل .

-ولكن كيف سوف أشعر بهم وكيف سوف يشعرون بي؟

-إن العدسات التي ترتدينها تصدر إشعاعات تحيط بكِ تجعلك مرئية كما تظهر أي شيء حولك، والسماعات التي ترتدينها تصدر ذبذبات تجعلك مسموعة وتمكنك من سماع أي شيء حولك كذلك .

-ولكن كيف سوف أكون في الماضي والمستقبل بلا جسدي ؟

-سوف تسافرين للماضي والمستقبل من خلال روحك فقط، وتلك المعدات التي معكِ تجعلكِ طيفًا شفافًا أو شخصًا محسوسًا به تمامًا .

-لم أفهم يا جون . . . !

-إنها مغامرة تشبه الحلم إلى حد كبير، ولكنه حلم أنتِ من تختارين أحداثه، والأشخاص الذين تريدين أن تريهم أثناءه .

يعني يمكنك أن تعودي لأي يوم في حياتك .

-صدقني يا جون إني أحاول أن أفهم، ولكن من دون أن أفهم أنا أود أن أجرب هذا الاختراع حالًا .

-أجننتِ يا فريدة ؟ لا يمكنني أن أجرب الاختراع عليكِ، إن لهذه التجربة توقيت يجب أن تعودي قبل تمام ست ساعات في التجربة .

-يعني إذا استمررت أكثر من ست ساعات ماذا سيحدث يا جون . . . ؟

-لن تعود روحك من جديد إلى جسدك .

الجهاز لن يتحمل أن تطول مدة التجربة أكثر من ست ساعات .

إذا انتهى شحن الجهاز للمدة المحددة لن يمكنك أن تشحنيه لا في الماضي ولا المستقبل، يجب أن تعودي إلى الواقع من جديد ، ونعيد شحن الجهاز لكي نكرر التجربة .

-حسنًا يا جون لقد فهمت كل شيء، الأمر بسيط جدًّا . إنها أفضل مفاجأة صارت لي في حياتي .

إذا كنت تحبني حقًا دعني أجرب هذا الجهاز .

-لا يمكنني، لا أدري كيف ستكون النتائج يا عزيزتي .

-أرجوك، أريد أن أعود بالزمن لليوم الذي تركت فيه البيت لكي أسافر مع أصدقائي وتركت فيه أبي . . . ولم أسمع لتحذير أمي .

ولكني كنت أظن أنها خائفة عليَّ، كنت أظن أنها تظنني ما زلت تلك الفتاة الصغيرة المدللة، لذا تمردت وسافرت وتركتهما .

–اهدئي يا عزيزتي، إن أباكِ أوصاني عليكِ وقال لي أنه يحبك بشدة وأوصاني أن أحبك كما أحبك هو .

أنتِ ابنتي التي حُرمت من إنجابها .

–إذن إذا كنت تريد أن تنفذ وصية أبي لك، دعني أقوم بهذه التجربة، أريد أن أرى أبي، أريد أن أعانقه، لقد اشتقت إليه كثيرًا .

–تعالي في حضني يا حبيبتي، توقفي عن البكاء يا عزيزتي، دموعك غالية عندي يا بنيتي، توقفي يا فريدة أنتِ قوية، وهذا أمر الرب وعلينا أن نحمد الرب على قدره .

–أرجوك، دعني أذهب إليه .

–حسنًا يا فريدة، ولكن دعيني أصل الحاسوب الخاص بي بجهاز التحكم الخاص بكِ لأنكِ يمكن أن تنسي التحكم في الجهاز ويأخذك الوقت، فسوف أقوم أنا بإخراجك من التجربة .

وسوف يظهر لي وأسمع كل شيء أنتِ ترينه أو تسمعينه في الحاسوب الخاص بي .

فجأة تغيرت ملامح الحزن والبكاء إلى ملامح فرحة ومن ثم قالت لجون وهي تهم بمسح دموعها :

-ولِمَ كل ذلك يا جون ؟ أنا سوف أنتبه للوقت .

-على الأقل يا حبيبتي في أول مرة، بعد ذلك إذا نجح الأمر سوف أتركك تفعلين ما تشائين .

-حسنًا ، ها أنا أنتظرك إلى أن تنتهي، ولكن لا أريدك أن تتعب معي أنت لم تنم بعد .

-لا يهمك يا عزيزتي، الليلة ليلة ميلادك وعليَّ أن أسعدك .

ومن ثم مر القليل من الوقت ونظر لها دكتور جون نظرة تشجيعية وقال لها :

-أنتِ جاهزة يا عزيزتي !

-أنا جاهزة يا جون، بل أنا متحمسة، لم أكن أظن أن بإمكاني أن يعود بي الزمن وأعيش مع أبي آخر أيامه . . . ولكن هل يمكنني أن أسألك سؤالًا ؟

-أكيد يا فريدة .

-هل يمكنني أن أمنع أبي من الخروج ذلك اليوم كي لا يمر بتلك الأزمة وبذلك عندما أعود للحاضر أجد أبي لم يمت بعد ؟

-لا، لن يمكنك ذلك يا فريدة، إلا الموت لن يمكنك منعه أبدًا لأنه مكتوب علينا جميعًا في يوم محدد سوف نموت .

يعني إذا منعتيه أن يموت بتلك الطريقة سوف يموت بطريقة أخرى، لأن هذا يومه يا عزيزتي.

-ولكن...

-لا تفكري يا عزيزتي... كل ما عليكِ أن تعودي بالزمن وتقضي هذا اليوم مع والدك، وأهم شيء أنكِ بالفعل غير موجودة في ذلك التاريخ لأنكِ مسافرة مع أصدقائك، فلن تكوني عائقًا لنفسك في ذلك الوقت.

-حسنًا يا جون، لقد فهمت كل شيء الآن. إذن أنا مستعدة.. هيا بنا نبدأ.

جلست على الكرسي ومن ثم ارتدت العدسات ومن ثم ركبت السماعات الدقيقة في أذنها ومن ثم أعطاها دكتور جون جهاز التحكم، أمسكت به في يديها وكتبت التاريخ (13-3-2037) وعنوان بيتها ومن ثم نظرت نظرة وداع إلى جون وعيناها تفيضان من الدمع ومن ثم ضغطت على التأكيد.

أوه يا إلهي، في غمضة عين صارت أمام باب بيتها، ها هي ترن جرس البيت، فظهرت أمها في الشاشة فقالت لها مندهشة:

-ها، فريدة، عدتِ بسرعة، ألم تقولي أنكِ سوف تسافرين مع أصدقائك؟

-لم أستطع أن أرفض طلبكِ، ورغبت في أن أقضي معكما اليوم.

-ادخلي يا فريدة، ولكن أين حقيبتك ؟

-أوه، لقد نسيتها ، ولكن لا يهم .

-كم أنتِ غريبة يا فريدة، ولكن لمَ لم تفتحي بالبطاقة الخاصة بكِ يا بنيتي ؟

-قلت لكِ نسيت حقيبتي يا وتين .

-ليس من طبعك النسيان يا فريدة ولكن لا يهم .

فتحت البوابة بأمر من وتين فدخلت فريدة وبمجرد أن دخلت حديقة البيت سألت أمها :

-قولي لي أين مراد ؟

في هذه اللحظة كان أبيها قد جاء من الحديقة الخلفية عندما سمع صوتها .

قال لها أبيها عندما رآها :

-فريدة . . !م . . .

لم تجعله يكمل سؤاله حتى لأنها هرولت مسرعةً معانقة إياه بشدة، وقالت له وهي تقبله بجنون:

-أبي، أبي حبيبي، لقد اشتقت إليك كثيرًا، آه يا أبي يا حبيبي آه لو تدري كم أحبك.

ومن ثم صارت تبكي بهستيريا، أخذ يربت عليها وهو يعانقها بشدة ويقول لها:

-يا حبيبتي وأنا أيضًا أحبك، ولكن لِمَ تبكين يا حبيبتي؟ اهدئي..!

-أبكي لأني اشتقت إليك كثيرًا.

-لِمَ كل هذا الاشتياق؟ كنا معًا منذ قليل يا فريدتي.

أردفت أمها متعجبة:

-إن فريدة غريبة جدًّا اليوم، تخيل يا مراد أنها قالت لي يا أمي، وهي لا تقل لي تلك الكلمة قط... وها هي تنعتك بأبي..!

ضحك مراد وفريدة متمسكة به مثل الطفلة التي لا تريد أن تترك حضنه، بل صارت تقف بجانبه وهي تضمه، ومن ثم قال مراد لوتين وهو يمسح بيده على شعر فريدة:

-ما أجمل كلمة أبي من بنيتي، إن أي كلمة تكون جميلة من فريدة.

ولكن قولي لي يا صغيرتي ما سبب كل هذا الاشتياق؟ لِمَ لم تسافري مع أصدقائك؟

-لا أدري ولكني فكرت كثيرًا بأن تكون رحلتي معك ومع وتين، ها ما رأيك اليوم نخرج سويًا ، ونذهب للتنزه وللعب والذهاب للملاهي وللسينما وأكل المثلجات ؟

ضحك مراد ونظر لعينيها وأردف:

-كل هذا يا حبيبتي في يوم واحد ؟

نظرت إليه وهي تعانقه وتحاول أن تحبس دمع عينيها وأردفت:

-نعم كل هذا ، ولن ترفض لي طلبي .

-بالرغم أني متعب يا صغيرتي ولدي عمل مهم ولكن لا يوجد شيء مهم بالنسبة لي سواكِ، أنتِ تتدللين يا حبيبتي .

وبالفعل تنزهوا ولعبوا سويًا وضحكوا كثيرًا وأكلوا الوجبات التي يحبونها والمثلجات التي يعشقونها ، وشاهدوا فيلمًا في السينما للفنان المفضل لهم .

وها هو الوقت يمر وهي لا تترك حضن أبيها ، لم تفارقه أبدًا ، لم تكن ترفع عينيها عن عينيه، كانت تريد أن تجترع المزيد والمزيد من نظرات عينيه لكي تروي ظمأ اشتياقها إليه .

ومن ثم قرروا أن يجلسوا أمام البحر ويتكلموا، ضحكوا كثيرًا ولم تترك فريدة يد أبيها لحظة، ولكن في لحظة وهو جالس على الكرسي، سرح قليلًا في البحر وفريدة تتحدث إليه ولا يرد، نظر لها أبيها وهو يرسم على وجهه ابتسامة ولكن فريدة شعرت أن خلف هذه الابتسامة ألم بداخله، نظر إليها بعينيه السوداوين اللامعتين المتلألئتين بسبب الدمع النابع من الألم الذي يحاول ألا يظهره إليها، ومن ثم قال لها وهو يبتسم:

-فريدة أنا أحبك.

ومن ثم حول نظره إلى وتين وقال لها:

-وتين أنا أحبك ولم أحب غيرك وسأظل أحبك إلى الأبد. فريدة، كوني فريدة يا فري...

وأثناء كلامه كانت فريدة وأمها تقولان:

-وأنا أيضًا أحبك...

وظلا يبكيان ولكنه لم يكن متجاوبًا معهما، كأنه لا يسمعهما هو فقط يراهما ويقول هذا الكلام، ومن ثم أغمض عينيه.

صرخت فريدة ووتين وهما يحركانه كي يعود لوعيه . . .

-أبي . . أرجوك افتح عينك . . .

***

-ها ، أين أنا ؟ دكتور جون ؟ ماذا حدث ؟

رد عليها دكتور جون وهو يمسك بأذنها معاتبًا :

-آه منك يا فريدة، لم تفعلي شيئًا مما اتفقنا عليه، ها أنتِ عدتِ بالزمن وغيرتِ الأحداث ولم تتركي أباكِ يذهب و . . .

-لم أرغب أن تكون نهاية أبي وأنا بعيدة عنه و . . .

-ولكن حدث ما قلته لكِ . . . في الوقت المحدد لكل منا سوف نترك الحياة، لا مجال للهرب من الموت .

صارت تبكي بجنون فضمها دكتور جون وقام بتهدئتها .

-آه يا جون، أشكرك كثيرًا ، ذلك اليوم أفضل يوم في حياتي، عشت سعادة لم أعشها قط في حياتي مع أبي .

-الحمد لله إني موجود وأخرجتك، لأن الوقت كان قد أوشك على الانتهاء وأنتِ دخلتِ في حالة هستيريا بسبب حزنك على أبيكِ، كنتِ سوف تظلين هناك إلى الأبد .

-آسفة جدًا يا جون، يبدو أنك متعب، ست ساعات تتابعني ولم تنم قط .

-من قال إني تابعتك ست ساعات ؟

-ألم تقل لي أن التجربة ست ساعات !

-ست ساعات مدة التجربة في العالم الآخر، ولكن في الحقيقة أن التجربة مدتها ست ثوانٍ فقط .

نظرت إليه بدهشة واستغراب متسائلة:

-ولكن كيف تابعت وشاهدت كل ما مررت به خلال ست ساعات في خلال ست ثوانٍ ؟

-كل الذي رأيته لقطات سريعة، أنا عيني كانت على الوقت وأوقفته على خمس ثوانٍ وخمسين جزءًا من الثانية .

-ولكن كيف حدث كل هذا ؟

-قلت لكِ أن تلك التجربة أشبه بالحلم، أي حلم نراه أثناء نومنا ومهما طالت مدته لا تتجاوز مدته في الواقع بضع ثوانٍ، عالم الأرواح مختلف تمامًا يا عزيزتي .

عانقته بشدة وأردفت:

-أشكرك يا جون على تلك المفاجأة، لقد حققت وصية أبي لك وبالفعل أسعدتني، ولكن هل يمكن أن أطلب طلبًا !

-أكيد يا بنيتي .

-هل يمكن أن تعطي لي ذلك الفيديو المسجل لتلك التجربة ؟

-أكيد يا فريدة، ولكن دعيني أغير سرعته وأجعله سرعة طبيعية لأن الأحداث مسجلة بسرعة فائقة جدًّا .

قبلته وشكرته، ومن ثم أوصلها لبيتها ، وفي تلك الليلة قامت فريدة بتشغيل الفيديو وكررت لحظات السعادة من جديد ونامت وهي تبكي وتضحك في نفس الوقت .

في صباح اليوم التالي اتصلت بدكتور جون كي تشكره من جديد على تلك التجربة ومن ثم طلبت منه أن تقابله في المعمل الليلة من أجل أن تكرر الأمر من جديد .

رفض في بداية الأمر ولكن فريدة أصرت إلى أن وافق .

في المساء تقابلا ومن ثم شرح دكتور جون لها :

–يا فريدة يا حبيبتي، لا أستطيع أن أجعلك تحرّين الليلة أيضًا ، أنتِ بالأمس كدتِ أن تنسي الوقت، ماذا كنت سوف أفعل حينها إذا بقيتِ في العالم الآخر . . . ؟

–أنت رافض الآن لأنك تشعر بالقلق عليَّ، أعدك سوف أنتبه الليلة . . . كل ما في الأمر أن الأمر كان جديدًا عليَّ فقط، لذا لم أنتبه .

حك دكتور جون رأسه ذا الشعر الأبيض الناعم الكثيف وأردف متنهدًا :

–حسنًا يا فريدة، ولكن دعيني أكمل الليلة التعديل الذي أرغب به على الجهاز، أريد أن أعدل المدة الزمنية المحددة .

–حسنًا موافقة، ولكن يا جون أشعر بالعطش، هل يمكن أن تجلب لي شيئًا أشربه !

–لا، بل سوف أجلب شيئًا نأكله أيضًا ، دقيقة وسوف أعود إليكِ يا صغيرتي .

بمجرد أن خرج دكتور جون من الغرفة شرعت بارتداء العدسات والسماعات وكتبت نفس التاريخ لكي تقابل أباها مراد من جديد في نفس اليوم، ولكن في هذه المرة قررت أن تعيش معه تجربة مختلفة .

وبالفعل قضت اليوم مع أبيها من جديد في أماكن مختلفة، ولكن سعادتها ولهفتها كانت لا توصف .

في هذه المرة لم تبكِ بل كانت تضحك والسعادة كانت تغمرها ، لأنها صارت تشعر بأنها لم تفقده، بل سوف تعود لأي يوم في أي وقت وسوف تقابله من جديد .

ومن ثم تركت الجهاز، وآخر مرة نظرت له علمت أنها تبقى لها نصف ساعة، وها هي في مغامرة مع أبيها يسبحان سويًا في البحر، لذا قررت أن تترك الجهاز مع ملابسها على الشاطئ .

أبوها يشعر بسعادة عارمة، وما زال ينظر إليها كأنها طفلته الصغيرة .

ومن ثم فجأة توقف مراد عن الابتسام، ومن ثم ارتسمت ملامح الألم على وجهه ومن ثم ارتخى جسده على الماء ، فقامت بسحبه باكية إلى الشاطئ، ومن ثم شرعت هي وأمها في البكاء ، ولكن فجأة رأت فريدة شيئًا غريبًا . . . !

أمها تحولت إلى أفعى كبيرة جدًا وفتحت فاها صارخة قائلة:

-أنتِ من قتلتِه .

ومن ثم شرعت بمهاجمة فريدة، ولكن فريدة هربت مسرعة وقررت أن تهرب للبحر وتعوم لأن الأفعى لن تتمكن من العوم بالتأكيد .

ولكن فجأة بمجرد أن اقتربت الأفعى من الشاطئ تحولت إلى قرش كبير، قام بالعوم بسرعة تجاه فريدة، صارت تعوم مسرعة صارخة تشعر بالفزع بسبب فم القرش الذي يريد أن يلتهمها .

ومن ثم بمجرد أن رفعت نظرها عن القرش كي تنظر أمامها ، رأت أباها مراد يعوم وينظر لها فاتحًا ذراعيه ويقول لها :

-هيا يا صغيرتي، بإمكانك فعلها .

ولكنها صرخت وشعرت بالرعب والتفتت بنظرها للشاطئ فوجدت جثة أبيها هامدة وأمها على الشاطئ تنظر لها صارخة خائفة عليها وتقول لها :

-عودي يا فريدة .

ولكن القرش قد اقترب منها .

ومن أمامها أبوها يقول لها :

-هيا يا فريدة . . .

ومن ثم تحول أبوها إلى قرش والقرش الذي خلفها صار أباها .

ومن ثم فتح القرش فاه والتهما ، ولكن فجأة تغير كل شيء وصارت في حفرة عميقة وحولها غابة، ومن ثم جاءت إليها عاصفة قوية فرفعت جسدها في الهواء ، صارت تدور في الدوامة الهوائية ومن ثم ألقتها الدوامة على سحابة ضخمة، شعرت حينها بالأمان لأنها كانت تحملها ، ومن ثم رأت السحاب يتشكل على هيئة درج لكي تتمكن من النزول، ومن ثم شرعت تنزل الدرجة الأولى والثانية والثالثة، ولكن الرابعة جعلتها تهوي ساقطة وكانت الأرض تحتها كأنها وحش فاتح فاه بأسنانه الحادة، ولكن فجأة . . .

سمعت صوت دكتور جون يقول لها معاتبًا :

-لِمَ فعلتِ ذلك يا فريدة لِمَ ؟

نظرت إليه باكية مرتجفة، وقالت له وهي تتلعثم في الكلام معانقة إياه:

-ج . . جون، لقد أنقذتني، مررت بتجربة مرعبة . . .

ومن ثم وهي تعانقه نظرت لوقت التجربة كانت 6 ثوانٍ و 30 جزءًا من الثانية .

سألته مستغربة وهي تمسح دمع عينيها بيديها :

-أنا قد تجاوزت الوقت يا جون، انظر . ولكن كيف . . . ؟

ربت على كتفها مهدئاً إياها ولكن نظرته لها كانت نظرة غضب بسبب فعلتها تلك لأنه خائف عليها كثيرًا ومن ثم أردف:

-لقد كذبت عليكِ يا فريدة وقلت لكِ فكرة أن الجهاز له مدة محددة ويفصل شحنه، وكذبت عليكِ بشأن أنكِ سوف تظلين حبيسة ذلك العالم .

-ولِمَ كذبت عليَّ . . ؟

-لأني لم أرغب أن تمري بما مررتِ به، أنا قلت إذا قلت لكِ تلك الفكرة سوف تخافين وسوف تلتزمين بالوقت المحدد ، لأن بالفعل إذا تجاوزتِ الوقت لن يفصل الجهاز ولكنكِ سوف تدخلين في المرحلة الثانية من التجربة وهي مرحلة الهلوسة البصرية والسمعية، وتلك المرحلة سوف تؤثر على تفكيرك وسوف تنسين أمر الجهاز تمامًا وأمر الرجوع .

وسوف تظلين في مرحلة هلوسة مستمرة وعقلك لن يتحمل تلك الهلوسة كثيرًا و . . .

-حسنًا يا جون الآن فهمت كل شيء ، الأمر يشبه فكرة الحلم مثل ما قلت لي .

-نعم يا عزيزتي، أنه حلم ولكن أنتِ المسؤولة عن تفاصيله .

-صحيح يا جون، أنت تعرف جيدًا أن أمي تفهم في الأمور المتعلقة بالأحلام ولكني لم أرغب في يوم أن أتعلم منها هذا العلم .

ولكن في مرة سمعتها تقول لجارتنا التونسية إن ما رأته كان النصف الأول منه رؤيا ولها معنى بينما الجزء الثاني هو عبارة عن هلوسة وليس له تأويل، أحيانًا عندما يطول الحلم تبدأ في مرحلة الهلوسة كما قلت يا جون، الآن تذكرت ذلك اليوم بالفعل .

-كلامك صحيح يا فريدة، ولكني أشعر بالضيق مما فعلتِه الآن .

-سامحني يا جون، أول وآخر مرة أتجرأ وأفعل شيئًا من دون استئذان .

-أحمد الرب إني معكِ في نفس المكان وأخرجتك من ذلك المأزق .

-أنت منقذي يا جون، ولكن هل يمكن أن آكل تلك البيتزا الشهية، لقد جعت كثيرًا بسبب الفزع الذي شعرت به في تلك التجربة الرهيبة .

ابتسم جون وأردف:

-آه منكِ يا فريدة، لا تأخذين الأمور على محمل الجد أكثر من دقيقة .

-أي أمر في الحياة لا يستحق التفكير فيه كثيرًا، ما دام حدث يعني انتهى، فأهلًا بالجديد .

-حسنًا يا فيلسوفتي، فنانة في اللامبالاة أنتِ .

-وعاشقة للبيتزا، لا تنسَ مميزاتي .

-في يوم سوف تحققين وصية أبيكِ وسوف تكونين فريدة يا فريدة .

-هذا الأمر سوف أفكر فيه فيما بعد، دع الغد قليلًا ودعنا في الحاضر الذي سوف يبرد إذا نسيناه بسبب التفكير فيما سبق وفيما سوف يأتي .

-حسنًا هيا نأكل ومن ثم نعود للمنزل لكي نرتاح قليلًا .

***

وبالفعل بمجرد أن عادت للبيت وصارت تشاهد الفيديو المسجل لتلك التجربة تمتمت في قرارة نفسها :

-أنه لفيديو مشوق بالفعل، بل سيكون أفضل فيلم إثارة إذا تم تصويره .

لكن بعد أن شاهدت الفيديو لم تستطع أن تنام تلك الليلة بل صارت تفكر في أمها لذا قررت أن تتصل بها :

-أهلاً وتين، كيف حالك ؟

-أنا بخير يا فريدة، غريبة تتصلين بي !

-رغبت أن أطمئن عليكِ لأني رأيتك في حلم، ومراد قال لي رسالة .

-ومنذ متى تشغلين بالك بالأحلام . . . ! ؟

-من الآن يا أمي .

-يا أمي مرة واحدة ! من معي ؟ من يتحدث إليَّ . . . !

-وتين لا تجعليني أندم أني اتصلت بكِ .

-حسنًا يا فريدة قولي لي ماذا رأيتِ ؟

-أبي قال لكِ أنه يحبك جدًّا ولم يحب غيرك، وقال لي أني فريدة وسوف أكون فريدة .

-الكلام يا صغيرتي في بعض الأحيان يُؤوَّل كما هو من دون تفسير .

-ولكني أريد أن أفهم أكثر عن الأحلام .

-إنه لموضوع طويل يحتاج للكثير من الشرح .

–حسنًا يا وتين في أول فرصة اشرحي لي كيف أفهم الأحلام . . . ما رأيك أن تعودي إلى لندن مرة أخرى ؟

–لن أعود يا فريدة، إذا كنتِ ترغبين في تعلم تفسير الأحلام سوف أشرح لكِ كل ما ترغبين معرفته في زيارتك القادمة إلى مصر .

ولكن بمجرد أن أغلقت المكالمة مع أمها استمرت في التفكير أكثر، وبحثت عن المزيد من المعلومات بخصوص الأحلام ولم تفهم شيئًا .

قرأت عن العلماء الذين اشتهروا بتفسير الأحلام ولم تتوصل لشيء، قالت في قرارة نفسها :

–لكن كيف سوف أفهم وأمي ليست معي . . . ؟

أوه أنها التاسعة صباحًا، أنا متعبة جدًّا، سوف أنام وغدًا سوف . . .

غدًا ماذا ! أقصد اليوم سوف أفكر .

***

استيقظت الساعة السابعة مساءً، يبدو أن مغامرة الأمس أهلكتها وجعلتها تنام عشر ساعات وبالرغم من ذلك تشعر بالدوار .

بعد أن أكلت اتصلت بدكتور جون وسألته:

-لدي خبر يا جون.

-وما هو يا صغيرتي...؟

-لم أعد صغيرة يا جون، أنا فكرت فيما مررت به في تجربتك والسفر عبر الزمن ومقابلتي لأبي وخاصة عندما قال لي (كوني فريدة يا فريدة) لذا قررت أن أفكر في حياتي بجدية وأن أبدأ في تحقيق أهدافي.

-وما هي أهدافك يا فريدة؟

-بصراحة، بالأمس لم يكن لدي أهداف محددة ولكن صباح اليوم قبل أن أنام، قررت أن أتعلم تفسير الأحلام وأريد أن أستخدم ذلك الجهاز للسفر عبر الزمن أو السفر للكثير من الأماكن.

-وما دخل الجهاز لتعلم تفسير ما نراه أثناء نومنا؟

-كما تعلم أن أمي تفهم تفسير الأحلام جيدًا وكان هدفها وأنا صغيرة أن تكتب كتابًا عن تفسير الأحلام بأسلوبها المميز البسيط، ولكن كما تعلم الحياة ومشاغلها، أو بالأصح هي لم توفق في ترتيب أمور حياتها وتحقيق أهدافها في وقت واحد.

لقد تناست تحقيق هدفها بسبب التأجيل، فكرة أن يؤجل المرء هدفه إلى الغد فهذا معناه أنه لن يقوم بتحقيقه أبدًا .

-صحيح يا فريدة، من يريد أن يحقق أحلامه فليبدأ في نفس اللحظة التي راودته الفكرة بها ولا يؤجلها كي لا يتكاسل، ويوم يجر يومًا ومن ثم أيام .

-كم أنت رائع يا جون، أنت من جعلتني أفكر من جديد في حياتي، وكما قلت لك أن أمي تفهم في تفسير الأحلام ولكنها في مصر و . . .

-سوف تسافرين إلى مصر لكي تكوني مع أمك و . . .

-لا لست بحاجة إلى ذلك، بإمكاني أن أتواصل معها ، ولكني لا أريد أن أفعل ذلك .

-إذن ما هي خطتك يا فريدة ؟

-أريدك أن تعطي لي ذلك الجهاز وسوف أستخدمه بحذر وحرص وأتبع التعليمات .

-تعالي إلى المعمل حالًا وسوف نكمل حديثنا .

***

مسافة الطريق ومن ثم وصلت لدكتور جون ونظر لها مبتسمًا بفمه الصغير، ابتسامته تلك كفيلة أن تغمر فريدة بالبهجة، ومن ثم أردف:

-سعيد بكِ يا فريدة لأنكِ قررتِ أن تغيري من حياتك.

-الفضل لك يا جون، ها قل لي أين جهازي...؟

-ألن تتوقفي عن تسرعك ذا؟ قبل أن تأخذي الجهاز دعيني أجرّبه عليكِ آخر مرة.

-لا يوجد عندي مانع يا جون ولكن لمَ...! لقد جربناه سابقًا...؟

-لأني قد أجريت عليه تعديل اليوم بعد ما حدث معكِ بالأمس.

-وما هو هذا التعديل؟ لن أمر بكوابيس وهلوسة إذا زادت المدة؟

-حاولت أن أفعل ذلك ولكني لم أوفق في زيادة مدة الرحلة أكثر من ست ثوانٍ.

-ولكن ما هو التعديل...؟

-التعديل أن الجهاز سوف يعيدك تلقائيًا إلى المكان الذي سجلتِ منه مكان رحلتك بمجرد أن تتم6ثوانٍ، سوف تستيقظين وتعودين للواقع.

-شكرًا لك يا جون على ما تفعله من أجلي.

أنت أخذت كل الاحتياطات اللازمة، أحبك كثيرًا يا جون .

–وأنا أيضاً أحبك يا بنيتي، هيا بنا نجرّب هل سوف ينجح المؤقت أم لا . . . ! وها أنا بجانبك في حالة عدم نجاح المؤقت سوف أعيدك أنا .

–حسنًا سوف أرجع بالزمن سوف استغل فرصة غيابي وأتقابل مع أبي وأمي .

–هيا نبدأ .

وبالفعل تمكنت من العودة بالزمن وجلست مع أبيها قليلًا الذي لم تعد تشعر أنه مات بل ها هو معها تقابله متى تشاء .

ومن ثم وقفت مع أمها في المطبخ فاستغربت قليلًا من وجودها معها وأنها تركت أصدقاءها ولكن فريدة قطعت تساؤلاتها وقالت:

–أنا كبرت يا أمي وتغيرت طريقة تفكيري .

–هذا أمر يسعدني يا فريدة .

–أريدك أن تعلميني أو بمعني أصح تشرحي لي كل ما يخص الأحلام .

–حسنًا يا صغيرتي، نتناول الفطور سويًا ومن ثم نتكلم فيما تحبين ونحن نحتسي الشاي، ما رأيك يا ريدا ؟

-موافقة أكيد يا أحلى وتين في الكون، ها دعيني أساعدك في تجهيز المائدة .

-أووه، لقد كبرت ابنتي بالفعل وها هي تساعدني وتشاركني نفس الميول، أنه ليوم سعدي .

-أوه يا أمي سوف تجعلينني أرجع في كلامي بسبب مزحك ذا .

-آه من عصبيتك يا فريدة ولكن لن ألومك عليها فأنتِ تشبهينني بها .

بعدما انتهيا من تناول الفطور احتسيا الشاي سويًا وشاركهما مراد بالاستماع إليهما .

بدأت وتين بمقدمة في علم تفسير الأحلام والرؤى بالرد على أكثر الأسئلة شيوعًا حوله .

صارت فريدة تسأل وأمها تجيب و . . .

ولكن فجأة انتقلت فريدة إلى مختبر دكتور جون فنظر لها مبتسمًا مطمئنًا :

-الآن أنا مطمئن تمامًا عليكِ أثناء استخدام الجهاز، لقد تم تفعيل المؤقت وتمت عودتك من جديد عند انتهاء الوقت المناسب وقبل الدخول في مرحلة الهلوسة .

نظرت له فريدة وملامح السعادة قد رُسمت على وجهها :

-هذا يعني يمكنني أن آخذ هديتي معي الآن وأستخدم الجهاز كما أشاء ووقت ما أحب. . . !

-نعم يمكنك ذلك الآن، لأن الجهاز قد اكتمل بالفعل ولكن عليكِ ألا تستخدمي الجهاز سوى مرة واحدة في اليوم، لأن تلك التجربة إذا تكررت أكثر من مرة في ذات اليوم قد تسبب لكِ إجهادًا ومن ثم أضرارًا لا داعي لذكرها و. . .

-لا داعي للتوضيح يا جون، من بعد ما حدث المرة الماضية لن أفعل شيئًا سوى أن ألتزم بكلامك. . .

***

الفصل الرابع

المغامرة

ها هي فريدة عاكفة على الدراسة في بيتها بمفردها، لا يوجد أحد معها، ومن يخدمها هو ذاك الروبوت الذي تراه بطيئًا مقارنة بسرعة أمها في تحضير ما ترغب به.

بعد ما اجتهدت في الدراسة، قامت بفك شعرها وتدليكه، وفكرت وهي تنظر للجهاز الموجود على مكتبها قائلة في حيرة:

-أرغب في مغامرة جديدة مع أبي، لا أريد أن أكرر ذات اليوم، بل أريد أن أعيش أكثر من مغامرة في المرة الواحدة.

ثم التمعت فكرة جعلتها تبتسم وتمتمت:

-أوه، يا لها من فكرة رائعة! سأرجع بالزمن ليوم خطوبة مراد ووتين، أظن لا يوجد أحد حضر زفاف أو خطوبة أبيه وأمه، سأكون أول من يجرب هذا الشعور.

كم أنتِ مجنونة يا فريدة... بل هذا ليس جنونًا، بل مجرد تفريغ طاقة بعد إجهاد الدراسة.

هيا لأبدأ الآن، سأعود ليوم الحادي عشر من شهر نوفمبر من عام 2019 إلى دمنهور .

أتذكر حكاية أبي وأمي عن هذا اليوم، سوف أذهب لمسقط رأس كل من أبي وأمي، والاحتفال كان في بيت جدي محمد .

ضغطت فريدة على الموعد والمكان وها هي في لمح البصر صارت هناك .

-إن هذا الجهاز يترجم جيدًا ما رأيته في الصورة، أنا بالفعل أمام بيت كبير عليه الكثير من المصابيح الملونة المضيئة، ولكن كيف سأدخل الآن . . . ؟

لن أسأل كثيرًا، لم أعتد الخوف أبدًا، أنا تعلمت المواجهة والإقدام وكفى .

معروف أن المصريين أهل كرم، وأنا شكلي غريب، أكيد سوف يكرمونني ولن يتركونني .

كل ما أحتاجه هي بضع لحظات لا أكثر ولا أقل . . .

بدأت الموسيقى تسيطر عليها وتجعلها متحمسة أكثر وأكثر، لم تكن تظن أن الموسيقى المصرية كفيلة بجعل المرء يطير من السعادة لا أن يستمتع فقط .

ها هو باب البيت مفتوح، والأطفال ينزلون من على الدرج بلهفة وسعادة عارمة، تنظر لكل شيء باستغراب؛ إن لمصر جوًا وروحًا لا يمكن أن يجدها المرء سوى فيها ، إنها حقًا أعظم بلد وأجمل بلد لعظمة تاريخها وطيبة شعبها .

دخلت الحفل والكل يرمقها ، ولكن لم يتشككوا كثيرًا؛ لأنهم ظنوا أنها من المدعوين من طرف مراد الذي يدرس في بريطانيا .

فريدة لا تشغل بالها بتلك التفاصيل، كل ما لفت انتباهها وجعل عينيها تدمع مع ابتسامة من القلب، هو رؤيتها لأبيها يرتدي بذلة بيضاء وأمها ترتدي فستانًا فضيًا ، وبينهم مأذون؛ يبدو أن هذا حفل كتب الكتاب كذلك، وذلك لضيق وقت مراد .

سُحرت فريدة بجمالهما ولم تتمالك نفسها بعدما أتما عقد القران، همّت فريدة بمعانقة مراد، هنا شهق كل من في الحفل، وصُدمت وتين مما جرى، ولكن فريدة لم تدعها تستمر بصدمتها إلا وعانقتها هي كذلك بشدة، ولكن سرعان ما أبعدتها وتين عنها بعصبيتها المعهودة التي ورثتها منها فريدة، وسألت مراد صارخة به:

–من هذه يا مراد . . . ؟

مراد لم يستطع الرد بعد هذا الموقف المحرج أمام الملأ، ولكن سرعان ما تداركت فريدة الأمر وردت بإنجليزيتها :

-أنا جيني، أخت جون زميل مراد، جون لم يستطع الحضور لهذا الحفل، ولكني كنت أرغب بشدة أن أزور مصر، وشعرت أن هذه ستكون تجربة مميزة في زيارتي لمصر و . . .

لم تسمع فريدة أي رد من أحد إلى أن بدأت تشعر أنها غير مرحب بها . . .

إلا فجأة سمعت صوت جدتها أم أبيها تسأل ابنها :

-قل لي يا مراد، ماذا قالت لك . . . ؟

ابتسمت فريدة والتفتت لها وقالت بلهجة مصرية ركيكة (سأكتبها باللغة العربية) :

-قلت له إني أرغب في قضاء يوم معكم، لأني أحب مصر وأهلها و . . .

اقتربت منها جدتها وعانقتها عناقاً قويًا وقالت:

-أنتِ تنورين وتؤنسين .

ومن ثم أمرت بتشغيل الموسيقى وعودة الفرح من جديد .

رقصت فريدة مع مراد ووتين؛ مراد كان شابًا في الثلاثين، وسيمًا ، قمحي البشرة، ذا شعر داكن اللون ممزوج بعض الشيء ، بينما وتين كانت آية في الجمال، بيضاء ، رشيقة، متوسطة الطول، ذا شعر حريري أشقر اللون (ولكن يبدو أنها من قامت بصبغه . . . هذا ليس موضوعنا) .

كانت فريدة في سعادة عارمة وقد أخذها الوقت من التاسعة إلى أن صارت الثانية عشرة بعد منتصف الليل، وقد هدأ الجو . . .

وها هي تقف في شرفة الغرفة التي طلبت منها جدتها أن تنام بها من كرم الضيافة .

تقف فريدة في الشرفة وتشرب مشروبًا غازيًا وتشعر بجمال النسيم الذي يظنه المصريون بردًا ، ولكنها تشعر أنه مناخ يبعث في المرء الراحة، ولكن فجأة رأت شيئًا أخذ عقلها وجعلها تفكر . . . !

رأت أمامها بيتًا مهجورًا من طابقين شبه محترق، ظلت شاردة فيه إلى أن قطع شرودها صوت وتين التي أردفت بلا مبالاة:

-لا تفكري كثيرًا في هذا البيت، إنه ليس بيت أشباح.

دُهشت فريدة من وتين التي فهمت ما تفكر به، التفتت لها فريدة فاغرة فاها، ثم تمالكت دهشتها وسألتها:

-هل تعلمين قصة هذا البيت . . . ؟

أخذت منها وتين زجاجة المشروب الغازي وجرعت منها وقالت:

-لا أدري ما قصته بالضبط، لقد تعددت القصص بخصوصه، ولكن بمجرد أن أتينا إلى هنا عام 2007 بعد ما كنا نعيش في بيت العزبة، كان هذا البيت على هذا الوضع.

-ولكن ما هو الحادث الذي أدى به للهجر هكذا . . . ؟

-يوجد من يقول إنه منذ عشرين عامًا أو أكثر، حدث حريق في البيت.

-وهل نجا أحد . . . ؟

-يقولون إن الجيران حاولوا أن يقتحموا الأبواب أثناء الحريق ولكنها كانت مقيدة تمامًا ولم يستطع أحد كسرها، حتى المطافئ لم تجد منفذاً واحدًا كي تطفئ لهيب النيران، بالرغم أن النوافذ كانت مفتوحة والناس رأوا الحريق الذي يلتهم البيت، ولكن بمجرد أن حضرت المطافئ، أُغلقت كل النوافذ وأي مصدر للدخول . . .

ولكن فجأة سمع الناس صوت انفجار داخل البيت، ومن ثم فُتحت الأبواب والأغلب منها قد خُلع من مكانه.

وعندما صعد الناس كي يأخذوا حتى جثث الناس الذين كانوا يصرخون، لم يجدوا أي جثة.

قاطعتها فريدة متعجبة وقالت:

-ولكن أنا لا أصدق مثل هذه الأمور.

أكملت وتين تجرع ما تبقى من المشروب الغازي وأردفت ببرود:

-يوجد فرق بين أنكِ لا تصدقين هذه القصة وبين أنكِ لا تصدقين مثل هذه الأمور، وعلى العموم لن تصدقي هذه الأمور إلا إذا مررتِ بموقف ما، يثبت لكِ أن هناك قوة من عالم آخر.

ارتسمت ملامح التعجب على وجه فريدة وسألت وتين بلهفة:

-وهل مررتِ بمواقف تثبت لكِ هذا يا وتين...؟

تصنعت وتين التثاؤب ثم تركت الزجاجة على السور وقالت بتململ لفريدة:

-هذا موضوع طويل، والوقت تأخر وأريد أن أخلد للنوم.

ولكن فريدة لاحظت أن الحزن قد خيّم على ملامح وتين فسألتها برفق وهي تمسك بيدها كي تنظر لها:

-لِمَ يبدو عليكِ العبوس يا وتين . . . ؟

تصنعت وتين أن كل شيء على ما يرام وأردفت:

-لا يوجد شيء، كل ما في الأمر أني تذكرت . . .

ثم لم تكمل كلامها وتنهدت بأسى، وقامت بتغيير وجهتها للداخل وأردفت:

-لا شيء يا فريدة، أريد أن أنام.

قالت فريدة بإصرار:

-قولي لي، هل صدر مني شيء أحزنك . . .

واجهتها وتين بنظرة حزينة بسلة وقالت:

-كل ما في الأمر أنكِ ذكرتني بصديقتي في الجامعة.

نظرت لها فريدة بتعجب وتساءلت:

-وما الذي يحزن في الأمر يا وتين . . . !

بدأ الدمع ينهمر من عيني وتين وقالت بحسرة:

-أنا حأبسلة لأنها ليست معي، لأنها ماتت . . .

ثم همّت بدخول الغرفة وهي تبكي . . .

تصلبت فريدة مكانها ولم تستطع أن تذهب وراءها ، قررت أن تتركها تبكي على فراق صديقتها كي ترتاح، أحيانًا يكون البكاء مريحًا من كبت المشاعر . . .

ظلت فريدة واقفة في الشرفة شاردة الذهن، وكانت لا تحيد نظرها عن ذلك البيت، ولكن فجأة رأت أحدًا يتسلل كي يدخل البيت من دون أن يراه أحد ، ظلت تفكر:

-كيف له الجرأة أن يدخل بيتًا مثل هذا بالرغم أني لم أعرف بقية قصته ولكنه مقبض، ولكن ستكون تجربة جميلة حقًا إن أقدمت عليها .

ها هو البيت صار هادئًا ، الكل دخل غرفته، وفريدة تنظر للوقت، الساعة صارت الواحدة صباحًا ، أي ما زال معها ساعتان . . .

ها هي تخطو خطوتها الأولى خارج البيت، وقلبها يدق بقوة من الخوف ولكن حبها للمغامرة أقوى من خوفها ، بدأت تخطو خطوة تلو الأخرى إلى أن وصلت لذلك البيت .

بمجرد أن لمست باب البيت سرت قشعريرة في جسدها ولكنها لم تتراجع بل أقدمت أكثر وأكثر، ولكن بمجرد أن وقفت أمام الشقة سمعت من يبكي متنهدًا . . .

قررت فريدة أن تغير من إعدادات الجهاز قبل أن تدخل وصارت طيفًا مرئيًا لا محسوسًا، خوفًا من أن تتعرض لأي هجوم . . .

ثم دخلت الشقة والرهبة سيطرت عليها، صارت تسمعه يقول:

-لم أقتله، أقسم إني لم أقتله . . .

وقفت فريدة أمامه وسألته برفق:

-لم تقتل من . . . ؟

رفع رأسه لمصدر الصوت بعدما كان منكسًا أرضًا من الحزن، وبمجرد أن تأمل الملامح جيدًا فزع وقام من مكانه مبتعدًا . . .

استغربت فريدة كيف لشاب بطوله وعرضه وعضلاته أن يخاف منها هي . . . ؟

ثم بدأ يقترب منها أكثر ويسألها بلهفة والدموع تنهمر من عينيه:

-هل أنتِ على قيد الحياة . . . ؟ ظننت أنكِ متِ . . .

فريدة تنظر له لا تحرك ساكنًا، لا تدري شيئًا، ومستغربة أكثر من دموعه ورقة قلبه وضعفه غير المناسب مع شكله . . .

همّ بالاقتراب منها، وعندما حاول معانقتها، اخترقها، فرجع للخلف خائفًا مما جرى متسائلًا:

-أنتِ لستِ حقيقة، أنا أتوهم . . .

ثم شرع في البكاء، ولكن فريدة أردفت متعجبة:

-عمن تتحدث . . . ؟ من هي التي تتوهمها . . . ؟

-أنتِ يا ياسمين . . .

-ياسمين . . . ! ولكني لست ياسمين . . . أنا فريدة.

-كيف . . . ؟ كيف لا تكونين ياسمين . . . ؟ أدري أن هناك تغيرًا طفيفًا ولكن هذا لا يمنع أن تكوني هي.

-أنا فريدة، ولست ياسمين . . . وأنا لست من هذا الزمن، لقد أتيت من المستقبل.

جلس فارس أرضًا وأمسك رأسه وقال صارخًا متعبًا:

-كل هذا وهم، إن هذا البيت ملعون، يظهر لي كل من ماتوا، بالأمس ظهر لي جواد والليلة ياسمين.

-صدقني أنا لست ياسمين، ولكن يمكنني أن أساعدك . . .

نظر لها نظرة حزن وأسى:

-كيف لا تكونين ياسمين، وهذا هو ما فعلته معي بالفعل عندما رأتني أول مرة بالإسكندرية . . .

-أنا لا أعرف ياسمين، ولا حتى زرت الإسكندرية.

-أنا لا أدري لِمَ صرتِ تتحدثين هكذا يا ياسمين . . . !

-لأني لست ياسمين، أنا مصرية ولكن مقيمة في بريطانيا، فكلامي باللغة العربية صعب بعض الشيء.

-بريطانيا . . . ! ما هذا الذي أمر به . . . ! لم أعد أفهم أي شيء في هذه الحياة.

فاق من توتره وسأل:

-إن لم تكوني ياسمين، هل أنتِ حقيقة . . . ؟

-نعم حقيقة، ولكن كوني حقيقة في زمن آخر، إنما في هذا الزمن أنا لم أولد بعد.

-لا أفهم شيئًا ، أنتِ شبح ياسمين أنا أعلم .

-لا أحب أن أشرح الأمر أكثر من مرة، إذا أردت أن تظن أنني ياسمين إذن فأنا ياسمين .

-لا، لا أقصد أن تنفعلي هكذا ، إن ياسمين لم تكن سريعة العصبية هكذا .

حسنًا ، لن أقول لكِ فريدة، بل أنا أشعر بعد الذي سمعته منكِ وقد ومك من زمن آخر أنكِ عجيبة، لذا سأقول لكِ يا عجيبة .

نظرت له فريدة متعجبة من الاسم، ثم رسمت على وجهها ابتسامة وأردفت:

-عجيبة، أعجبني الاسم ولِمَ لا .

ها قل لي، لِمَ كنت تبكي . . . ؟ يمكنني أن أساعدك .

-أنا أقول لكِ ياسمين ليس للشبه فقط في الملامح، ولكنكِ تذكرينني بالفعل بأول لقاء لي بياسمين منذ عام .

جلست فريدة بجانبه وقالت له:

-احكِ لي ماذا جرى في أول لقاء وأنا كلي آذان صاغية .

***

الفصل الخامس

الفارس

(يحكيه فارس)

بدأ الأمر في شهر أكتوبر من عام 2018، أنا وجواد كنا في الإسكندرية للعمل في أحد المطاعم.

أثناء فترة عملي في المطعم رأيت فتاة جميلة طويلة، ذات شعر بني كستنائي طويل، ترتدي قميصًا كحلي اللون وبنطال جينز؛ ملابسها تدل على قوة شخصيتها، ولكنها كانت تضع مساحيق تجميل على وجهها مما يدل على اعتزازها بأنوثتها وجمالها، كانت تقف أمام لائحة اختيار الوجبات خارج المطعم.

في تلك الأثناء اقترب شاب أسمر نحيل منها، وسحب حقيبتها وهو راكب على دراجته النارية، همت الفتاة بالنهوض من على الأرض والناس حولها ينظرون باستغراب لهول الموقف، ولم يستطع أحد اللحاق بالسارق.

همت من مكانها فوجدت على الرصيف الموازي لها رجل شرطة، لجأت إليه لاهثة وأردفت:

-أريد أن تجلب لي حقي من ذاك السارق.

رد عليها الضابط ببرود وفتور:

-اذهبي للقسم وقدمي بلاغًا . . .

انفعلت خاصة عندما رأت أن يدها تنزف من أثر السقطة وقالت:

-وما هو دورك أنت . . . ؟ إن لم تلحق بالسارق لحظة وقوع الجريمة . . . !

نفث الضابط سيجارته في وجهها وأردف:

-كل ما عليكِ أن تعرفي رقم الدراجة النارية وقدمي بلاغًا في القسم، وهيا أغربي عن وجهي ليس لدي وقت لكِ.

قالت له وهي تنظر له نظرة احتقار:

-ليس لديك وقت لكي تلحق بالمجرم، ولا لأن تسمع شكوتي، ولمن لديك وقت . . . ؟ لديك وقت فقط للتصفح في الهاتف وحرق السجائر، حقًا لن تتقدم هذه البلاد أبدًا ما دام أمثالكم لا يقومون بدورهم.

انفعل الضابط وهمّ بصفع فريدة وسحبها من شعرها أمام الناس وقال لها ساًبا إياها بأهلها:

-وهل أنتِ من سوف تعلمينني عملي يا بنت ال . . .

هنا قد خرج جواد من المطعم فور وصوله، ولكنه لم يتحمل قط ما يجري أمامه، فهمّ بسحب الشابة من يد الضابط وقال له بانفعال:

-ليست رجولة أن تضرب بنتًا مهما كان، عيب على شاربك الذي على وجهك . . .

احمر وجه الضابط من شدة الغضب وأردف:

-وهل أنت من سوف تعلمني الرجولة يا روح أمك ؟ تعالَ هنا يا ابن ال . . .

وسبه بأمه وهو يضربه برأسه مما جعل رأس جواد ينزف . . .

لمس جواد رأسه ورأى الدم ولكنه لم يكترث للدم الذي ينزفه، ولكن تلك السبة التي قالها له أشعلت غضبه؛ فانهال على الضابط وانقض عليه مثل الأسد فأسقطه أرضًا ، ومن ثم همّ بضربه وسبه بدون انقطاع . . .

وها هي تلك الشابة تبكي خائفة مما تمادى إليه الأمر وتحاول أن تسحب جواد من فوق الضابط كي يتوقف ولكن لا جدوى .

حاولت أن أدخل في الحشد وأمنع جواد، ولكن ما ساعدني في إقناعه بالتوقف عن الضرب هو سماع صوت سيارة الشرطة قادمة، فهمّ جواد وقال لي:

-خذها يا فارس وأنا سوف أتصرف . . .

بالفعل أخذتها وهرولنا إلى داخل حواري منطقة المنشية، وفي آخر لحظة نظرت لجواد قبل أن يسلك طريقًا آخر فأشار لي بيده ألا أقلق عليه . . .

قررت أنا وهي أن ندخل حواري ضيقة كي نضيع الشرطة إلى أن وصلنا إلى الطريق المواجه للبحر، فرأينا أتوبيس نقل عام مزدحم، قلت لها بلهفة:

-اركبي . . .

قالت لي بلهفة:

-ولكن . . .

-ليس هناك وقت لل "لكن" . . .

وقمت بدفعها لداخل الحافلة وهي تتحرك وتداخلنا في الزحام . . .

ومن ثم بدأنا في التقاط أنفاسنا، ومن ثم نظرت لي وارتسمت على وجهها ابتسامة وقالت:

-أنت شجاع جدًا يا . . .

شعرت بالخجل من مدحها لي وقلت لها:

-أنا فارس . . . ولم أفعل شيئًا، الذي دافع عنكِ كان . . .

ولكن لم أكمل كلامي لأنها قامت بنزع إيشارب صغير منقوش واضعة إياه في منتصف شعرها، قامت بفكه وبدأت تمسح وجهي، تعجبت مما تفعله فقمت بأخذ الإيشارب منها وأردفت:

-أشكرك ولكن لا داعي لذلك، يمكن من كثرة الجري عرق وجهي كثيرًا و . . .

قاطعتني وقالت:

-ولكن هذا دم يا فارس . . .

حينها دهشت ونظرت للإيشارب، وبالفعل كان ملطخًا بالدم؛ تعجبت وقلت لها:

-لا أدري كيف جاء الدم، أو كيف أصيب رأسي، يمكن أثناء جرينا بسرعة لم ألاحظ وصدمت بشيء ما من دون أن أشعر . . .

-لا بل كان الضابط هو من فعل ذلك . . .

-ولكن أنا لم أقترب من الضابط يا . . .

-ياسمين . . . اسمي ياسمين يا أيها الفارس الشجاع . . . ولكن كيف تقول . . .

سرعان ما قاطع كلامنا مسؤول التذاكر في الأتوبيس وقال لنا :

-ها ألن تدفعا . . . ؟

مسكت الإيشارب مضمدًا به جرح رأسي، وباليد الأخرى أخرجت ثمن تذكرتين . . . وبعد قليل خلا مكان فقررت أن تجلس ياسمين فظللت واقفًا بجوارها ممسكًا بيدي أحد الأعمدة العلوية في الحافلة مما برز من عضلات يدي . . .

نظرت لي ياسمين بإعجاب فابتسمت لها ، ومن ثم قالت:

-أين تسكن يا فارس . . . ؟

-أنا أسكن بجوار المطعم الذي حدث أمامه ما جرى اليوم .

-وهل ستعود إلى هناك . . . ؟

-لا أدري سوف أنتظر صديقي يتصل بي ويقول لي ما عليَّ أن أفعل، هل أعود أم لا . . . !

-يمكنك أن تعود . . . لا توجد مشكلة .

-كيف أعود بعد ما حدث اليوم ؟

-أفهم يا فارس هذا الضابط لا يمكنه فعل شيء، لأنه إن قرر أن يأخذ حقه سوف يمرغ سمعة الشرطة في الوحل بعد اعتدائه على شابة وشاب بالضرب في عز النهار أثناء تكاسله عن تأدية عمله.

-ياسمين أنتِ طيبة، نحن هنا في مصر، يعني لا يوجد أحد يأخذ حقه إلا من هم من الجيش والشرطة.

-لا أنا لست منحازة إلى أي فئة من فئات الوطن، ولكن أنا ضد كل متكاسل عن تأدية دوره في هذا المجتمع، سواء معلم مستغل ومتكاسل أو ضابط متقاعس متعجرف بمنصبه. . . إذا لم يقم كل منا بدوره الصحيح وبأكثر جهد ممكن فلنقل على بلادنا "يا لا السلام".

-حقًا لن تتغير بلادنا إن لم نتغير نحن في البداية.

-صحيح يا فارس، يعني على سبيل المثال بسبب ذاك الضابط المتقاعس تكثر الجريمة لأن السارق يدري أنه ليس هناك رقيب أو حسيب، ومثلًا المعلم المستغل العاشق للمال وكفى، يعلم الأطفال من الصغر على الجشع وعشق المال، وفي النهاية

يعطيهم الامتحان ويعلمهم الاستسهال والغش، وإن لفعلته هذه لأثرًا وخيمًا في المستقبل.

-بالفعل، كلنا لنا أثر في هذه الدنيا، وبيدنا أن يكون أثرنا خيرًا أم شرًا في حياة من حولنا.

نظرت لي ياسمين وعلى وجهها رسمت ابتسامة رقيقة وأردفت:

-بما أنك تقول إننا يجب أن نكون ذا أثر جميل في حياة من حولنا، فكما أنت ساعدتني أريد أن أساعدك.

-لا يا ياسمين، لو كل منا يفعل المعروف لأنه يرغب من الآخرين رده له لن يكون معروفًا، عندما نقوم بعمل الخير ليس من أجل انتظار الشكر أو رده بالمثل ولكن لأخذ الأجر من الرب.

-أوه أخجلتني بكلامك يا فارس، ولكن قل لي إلى أين ستذهب...؟

-لا أدري، سأذهب لأي مكان، هذا ليس غريبًا عليَّ، من صغري وأنا هكذا...

رفعت ياسمين حاجبيها وأردفت:

-يبدو أن وراءك حكايات كثيرة يا سي فارس .

-يمكنك قول ذلك .

همّت ياسمين من مكانها وقالت لي:

-هيا سوف أنزل هنا ولن أدعك بمفردك .

-ولِمَ سوف تنزلين هنا . . . ؟

ضربت رأسها بكف يدها ، ومن ثم قامت بسحبي وأردفت وهي تتحرك وتحركني معها :

-لأني أسكن هنا يا فارس، هيا معي .

نزلنا سويًا وبدأنا نمشي في شارع إسكندر إبراهيم وتتنسم هواء إسكندرية العليل في عز أكتوبر إلى أن وصلنا لعمارتها ، فتوقفت وسحبت يدي وقالت لي:

-هيا معي . . .

نظرت لها باستغراب وقلت لها وأنا أسحب يدي من يدها :

-هيا إلى أين . . . ؟

سحبتني مرة أخرى بلهفة طفولية وأردفت:

-كي أعرفك على أبي وأمي وأخي مصطفى الصغير، متأكدة سوف يحبك كثيرًا .

تعرق وجهي من القلق وقلت لها :

-لا لا يصح أن أفعل ذلك .

هيا لا تكن سخيفًا ، أنت في أي عصر ؟ نحن في 2018 .

-ولكن . . .

هنا سحبتني وشعرت أن قدمي تسوقني معها ، صعدنا للدور الثالث في العمارة، فطرقت الباب، فتح أخوها مصطفى، وهنا سمعت صوت أمها متسائلة:

-من الطارق يا مصطفى . . . !

بصوت طفولي أردف وهو يفتح الباب كي يسمح لنا بالدخول:

-إنها ياسمين و . . .

هنا قد جاءت الأم من المطبخ وهي تقوم بمسح يدها في منشفة صغيرة وكانت تقول متسائلة قبل أن ترانا :

-وأين مفتاح . . .

لم تكمل كلامها عندما رأتني . . . شعرت أنها صدمت عندما رأتني . . . شعرت بالإحراج فقلت بصوت خافت:

-أعذريني، كان عليَّ فقط توصيل ياسمين لذا سأذهب ال . . .

سحبتني ياسمين وقالت لي وهي تجعلني مواجهًا لأمها:

-إلى أين ستذهب . . . ؟

ومن ثم لم تدع لي فرصة للرد وقالت لأمها:

-أعرفك يا أمي، هذا فارس، شاب شجاع دافع عني ولم يهمه أن من يضربه من أجلي ضابط . . . إنه شاب شهم وجدع كما يقولون . . .

هنا ارتسمت على وجه الأم ابتسامة ارتياح وقالت مرحبة بي:

-تفضل يا ولدي، عليك أن تستريح قليلًا .

ازداد خجلي وأصررت على رغبتي وقلت:

-لا شكرًا . . . عليَّ أن أذهب صدقيني .

-عيب يا ولدي، أنت في بيتنا ضيف، ارتح قليلًا وسوف تتناول الغداء معنا، الحاج عادل سوف يأتي من صلاة المغرب بعد قليل .

ومن ثم أشارت لياسمين أن تأتي معها إلى المطبخ، وتركتني أنا مع مصطفى وقد كسانِي الخجل من هذا الموقف، كنت أعلم جيدًا أنها أخذت ياسمين لكي تعرف منها كل ما حدث . . .

بالفعل بعد 5 دقائق فتح الباب، هنا قمت بالنهوض احترامًا وخجلًا في نفس الوقت، نظرته المتعجبة فور دخوله جعلتني أتصبب عرقًا مع أن الجو لا يسمح بذلك، كنت أدعو الله أن تأتي ياسمين وتجاوب بدلًا عني الأسئلة التي سوف تنهال عليَّ الآن، والحمد لله ما أتمناه قد كان .

هرعت ياسمين مسرعة إلى أبيها معانقة إياه، وها هو أبوها يقبل رأسها ولكنه شارد عنها ، فهمت نظرته المتسائلة، فأخذت منه دفة الحديث وشرعت في توضيح الأمر:

-انظر يا سي عادل، أعرفك بهذا الشاب الذي له من اسمه نصيب، إنه فارس، وهو بالفعل فارس لا يهمه الأخطار ، وأنه لرجل في زمن كثر به الذكور لا الرجال، لقد تعرضت للسرقة وكل من كانوا موجودين اكتفوا بالنظر وكفى، لا أدري ما جرى

للناس، ولكنه كان مميزًا بل ودافع عني عندما بدأ الضابط الاعتداء عليَّ . . . ولم يكتفِ بذلك بل أوصلني إلى هنا .

هنا أخذها أبوها بجانبه وهو يهم بالجلوس على أريكة الصالون وهو يأشر لي بالجلوس:

-أشكرك يا ولدي على موقفك الشهم مع بنتي، ربي يكثر من أمثالك .

كانت أصابع يدي معقودة من شدة التوتر، وكذلك لساني، وبصعوبة بالغة خرجت مني تلك الكلمات البسيطة بعد عناء من الهروب من الخجل:

-لا شكر على واجب، ولكن أتسمح لي بالذهاب الآن .

-ولكن إلى أين . . . ؟

-لا أدري .

-أنت من هنا . . . ؟

-أنا مقيم هنا منذ فترة ولكن في الأصل أنا من . . .

هنا قاطعني الحاج عادل وأردف وهو يربت على فخذي:

-يبدو أن قصتك طويلة يا ولدي، فلتحكِ لي كل شيء بعد العشاء .

هنا سمعنا صوت الأم تنادي بأن العشاء جاهز، تناولت معهم العشاء، ومزاح العم عادل أزال حاجز الحرج تمامًا، وبدأت أشعر بالراحة، ومن ثم شربنا الشاي بالفلية (نبتة تشبه النعناع)، ومن ثم وأنا أحتسي الشاي وشعوري بالأمان والحنان ودفء الأسرة هنا سقطت دمعة من عيني، حينها سألني العم عادل برفق ولين:

-ما بك يا ولدي. . . هل ضايقناك. . . ؟

مسحت دمعي ورسمت ابتسامة على وجهي كي تداري وجعي وقلت:

-لا أبدًا يا عمي، بالعكس أنا سعيد جدًا لأني اليوم أول مرة أشعر بمعنى الأسرة.

هنا سمعنا صوت أذان العشاء، فقال لي:

-هيا يا فارس، هيا يا مصطفى نصلي العشاء جماعة في المسجد، وعندما نعود تحكِ لي ما يضيق به صدرك.

وفي الصلاة وبمجرد سماع القرآن بدأت في البكاء، بعد الانتهاء من الصلاة جلسنا بجوار أحد أعمدة المسجد وقال لي العم عادل:

-يبدو أنك شاب نقي وصالح يا ولدي لتأثرك بالقرآن هكذا. . . ولكن بكاءك بحرقة هكذا يدل على وجود شيء بداخلك. . . احكِ لي يا ولدي.

-لا أدري لماذا . . . ؟ ولكن إذا سقط القرآن على مسامعي دائمًا أبكي .

-ولكن أريدك أن تحكي لي ما بك . . . لعلي أساعدك يا ولدي .

-لا يا عمي أرجوك، تكفي ضيافتك لي، عليّ أن أرحل الآن .

-ولكن إلى أين . . . ؟

-إلى أي مكان، إلى أن يطمئنني صديقي جواد .

-حسنًا إلى أن يطمئنك صديقك جواد أنت ضيفي في بيتي .

-لا يا عمي لا يصح، لا أقبل بهذا .

-هل تريد أن تكون (أجدع) مني يا فارس . . .

-حاش لله يا عمي، ولكن لا أرغب برد المعروف بمثله .

-الله يقول (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) . . . هيا يا ولدي وكفى جدالًا .

بعد خروجنا من المسجد طلب مني أن آتي معه إلى ورشته الخاصة بالحدادة كي نتكلم سويًا ، هنا طلب لنا شاي وبدأ في سؤالي:

-قل لي يا ولدي ما قصتك . . ؟

-أنا يتيم، هربت من بيتي في صغري عندما كنت في سن مصطفى ولدك تقريبًا و . .

-آه يا فارس، لا تقل التشبيه على ولدي . . .

-أوه أنا أسف، أقصد عندما كنت في العاشرة من عمري . . .

-ولِمَ هربت يا ولدي . . . ؟

-هربت لأن أبي لم يكن يحبني . . . كان يقسوا عليّ كثيرًا . . . ويعاملني كالمنبوذ . . . أو إني غلطة بالنسبة له .

-وماذا عن أمك . . . ؟

-أنا كنت أحبها كثيرًا لأنها لم تكن تعنفني ولكنها كانت تحب أبي أكثر مني، تعطيه الاهتمام أكثر مني، كنت أشعر إني غريب في هذا البيت، كنت منبوذاً من الجميع .

-ألم يكن لك أصدقاء . . . ؟

-لم أتجرأ على الخروج لكي تكون لدي الجرأة على تكوين صداقات، كل ما كان يدور في ذهني إني غير مقبول في الداخل من أبي وأمي، فما بالك بالغرباء .

-ولكنك قلت لي أن لك صديقًا اسمه . . .

-آه، لدي صديق واحد وهو جواد، في اليوم الذي هربت فيه من البيت لم أجد مكانًا أنام به، ولكن سرعان ما سمعت صوتًا قادمًا . . .

-بسس بسسس .

التفتُّ مسرعًا لكي أعرف من صاحب الصوت ومن أين هو . . . ! ولكن عندما التفتُّ لم أجد أحدًا ، خفت كثيرًا وارتجف جسدي من البرد والرعب، كان يومها السادس عشر من شهر ديسمبر عام 2010 . . .

مر بجوار قدمي فجأة قط أسود ذا عيون خضراء مائلة للصفرة، ولكنه كان يداعب ساقي برفق، فنزع ما بداخلي من خوف، جلست القرفصاء كي أقترب منه وأمسح بيدي عليه، ومن ثم رأيت القط يدخل ماسورة مياه ضخمة جدًا موجود منها العديد في الطريق، فقررت اتباعه، أحببت القط لأنه أهداني إلى هذا المكان الذي سوف يأويني على الأقل من المطر، ولكن في لحظة أغمضت عيني وعندما فتحتها مرة أخرى لم أجد القط، تعجبت من رحيله، كنت أرغب به أنيسًا لي، ولكن سرعان ما قطع تفكيري صبي في مثل سني يقف أمامي وهو ممسك بسحاب بنطاله و . . .

نظرت له بخوف ولكنه سرعان ما سحب سحاب بنطاله مسرعًا وهو يقول لي ضاحكًا :

-لِمَ أنت مذعور هكذا . . . ! هل أنت جديد في المكان . . . ؟

أومأت برأسي وأنا لا أرغب في الرد عليه، لم أعتد أن أتكلم مع أحد ، ها هو دخل الماسورة الكبيرة كي يجلس بجواري . . . ولكني سرعان ما ابتعدت عنه، فقال لي:

-لا تقلق مني، وللعلم أنا من كنت أصدر هذا الصوت منذ قليل لذا لا داعي للخوف . . . أعرفك على نفسي أنا جواد . . . وأنت . . . ؟

تمتمت بصوت خافت من دهشتي:

-فارس .

كان الضوء خافتًا ولكن عندما حاولت أن أرفع نظري له وأحاول أن أتأمل ملامحه تعجبت كثيرًا واستغربت . . .

كنت أشعر لوهلة إني أمام مرآة، إنه يشبهني كثيرًا، لا نختلف عن بعضنا في شيء سوى الملبس، يختلف عني أنه راسم على وجهه ابتسامة نابعة من القوة، وأنا مهزوز خائف كالعادة .

حينها قطع شرودي من هول صدمتي وقال لي:

-أتريد أن تأكل . . . ؟

أومأت له برأسي "أي نعم"، فأخذني معه للخارج، وسرنا نمشي في الطرقات سويًا وكان شعور غريب جدًا ولكنه لذيذ، أنساني ما مررت به اليوم، وبدأت أشعر أن حياتي القادمة سيكون لها طعم أفضل من حياتي السابقة، وها نحن دخلنا سوقًا شعبيًا وكنا نسير سويًا ونتحدث، ومن ثم شعرت إني تعبت من كثرة السير، فقررت الجلوس على أحد الأرصفة، فقال لي:

-هل تعبت . . . ؟

قلت له:

-أريد العودة لبيتي، أريد أن آكل، أريد أن أنام . . .

قال لي وهو يجلس بجواري:

-أتريد أن تعود لكي تظل منبوذاً . . . ؟

شعرت بأن الحزن غمرني وصرت مطأطئ الرأس، ولكن سرعان ما رأيت برتقالة أمامي، رفعت رأسي متعجبًا، ففتح حقيبته التي تشبه الكيس التي يرتديها وقال لي بثقة:

-إن كنت تريد الطعام فمعي الكثير منه.

نظرت له باستغراب وسألته:

ولكن كيف جرى هذا، كيف ؟ كيف فعلت ذلك ؟

-هل يهمك كيف . . . ! أم يهمك أن تأكل . . . ؟

مددت يدي وأخذت البرتقالة وقلت له:

-أن آكل، أريد أن آكل .

ومن ثم أكلت وعدت إلى نفس المكان الذي تقابلنا فيه ونمت نومًا عميقًا وما استيقظت إلا على . . .

حينها قاطعني العم عادل وقال لي:

-أووووه، يبدو أن قصتك طويلة وتحتاج إلى عقل في كامل تركيزه، فلتكمل لي غدًا يا ولدي، وهيا تعال معي البيت .

-لا يا عمي لا يصح أن أذهب معك و . . .

-لا بل لا يصح ما تقوله أنت .

-حسنًا إن كنت مصرًا يا عمي على رد الجميل لي، يمكنك أن تجعلني أبيت في المحل ويمكنك أن تغلق عليَّ .

-ولكن يا بني لا يصح . . .

-أرجوك يا عمي .

-حسنًا إن كانت هذه رغبتك يا ولدي، أراك غدًا على خير .

***

في الصباح أتى لي في الورشة واندهش مما رآه، لقد وجد كل ما بها مرتب، فقال لي:

-صباح الخير يا وجه الخير .

ومن ثم سرعان ما طلب لنا فطورًا وأكملنا حديثنا ، حينها قال لي عم عادل:

-ها أين توقفنا بالأمس . . . ؟

-توقفت حيث قمت بالمبيت في تلك الماسورة الكبيرة في الشارع مع جواد . . .

ولكن ما جعلني أستيقظ هو صوت صراخ طفل:

-أنقذوني أنقذوني . . .

حينها خرجت مسرعًا كي أرى ما يجري، وجدت رجلًا سحب جواد إلى داخل الحافلة التي يقولون عليها "ميني باص"، ها أنا فزعت وما كان بيدي إلا أن أهرول ناحية الطريق وأصرخ كي ينقذنا أحد ، ولكني لم أذهب بعيدًا إلا ووجدت يدًا

ضخمة وضعت على فمي وسحبتني إلى داخل السيارة، وعندما التفت أحد المارة لما يجري تعجب من مقاومتي لذلك الرجل، ولكنه قال بضحكة سمجة واضعًا إياي بجوار امرأة منقبة:

-أنت تدري أولاد هذه الأيام صعب أن نربيهم وصعب التحكم بهم .

ومن ثم همّ بإغلاق الباب، وكذلك المار لم يعر الموضوع أهمية، وضاع مع ذهابه أملي في الخروج من هذا المأزق . . .

وعندما بدأت السيارة في التحرك تركتني المرأة المنقبة وفكت قبضتها عني ولكني استغللت هذه الفرصة وقررت فتح الباب ------والقفز من السيارة، فتحت الباب ولكن سرعان ما سحبتني يد تلك المرأة للداخل وأغلقت الباب بسرعة، وقام الرجال بسبّي وقامت هي بضربي، حينها كرهت نفسي أكثر لأني قررت أن أهرب من حفرة نار إلى وادي الجحيم بنفسي، لم أكن أفعل شيئًا سوى البكاء والصراخ، فقامت المرأة بإخراج مطواة وقالت لي بعنف:

-سوف أجعلك تجد بالفعل سببًا للبكاء .

سحبت أذني وأنا أقاوم تلك السيدة الضخمة، ولكنها كانت أقوى وقامت بقطع قطعة من أعلى أذني، لا أتذكر شيئًا .

سوى أول ما لامست السكين أذني، يبدو أني من هول الصدمة والخوف أغمي عليَّ قبل أن يحدث أي شيء .

رسمت ملامح الأسى على وجه العم عادل ومن ثم قال لي:

-آه يا ولدي، يبدو أنك مررت بالكثير من المعاناة في طفولتك .

قلت له بابتسامة نابعة من التحسر على حالي وحظي في الدنيا :

-يبدو . . . ليس يبدو يا عمي، بل بالتأكيد أنا عانيت في حياتي، ولكن حمدًا للرب على كل حال .

نظر لي محاولًا تغيير دفة الحديث الذي أخذ مجرى الحزن مما فات، وأردف:

-أتصّدق ؟ لفتت انتباهي أذنك عندما رأيتك أول مرة، ولكن أتدري أنها علامة مميزة، ومع وسامتك لم تقلل منك أبدًا .

ابتسمت بسبب هذا المدح، ومن ثم احتسينا الشاي، وبدأ العم عادل العمل، وعرضت عليه المساعدة، وأكملنا حديثنا، وها أنا أمد له إحدى الأدوات وأنا أقول له بهمة:

-أكمل لك يا عمي ماذا حدث بعد ما قطعت المرأة جزءًا من أذني.

ضحك العم عادل وقال لي:

-لقد أخذتها من على طرف لساني يا ولدي، هيا أكمل.

-استيقظت، وجدت نفسي مع أطفال كثر في غرفة قذرة، ولكن لم أتكلم مع أحد سوى "جواد" الذي رأيته مصابًا في نفس الأذن التي أصبت بها، تعجبت لدرجة التشابه بيننا، ولكن ما جعلني أتغاضى عن دهشتي أني رأيت الأطفال الثلاثة الآخرين قد جرحوا في وجوههم كذلك.

وسرعان ما سمعنا صوت أقدام قادمة تجاه الغرفة، تلك الخطوات جعلت قلبي يتفتت من شدة الخوف، وما إن فُتح الباب حتى رأيت ذاك الرجل الضخم الذي قام باختطافي، فما فعلت شيئًا سوى الشروع في البكاء، ولكنه قاطع بكائي صارخًا:

-هل سوف تقضيها بكاءً يا روح أمك ؟ هيا جميعكم أمامي كي يعرف كل منكم عمله .

أول من تقدم كان جواد ، وكان واثق الخطى، لم يكن خائفًا أبدًا ، وكأنه تأقلم مع وضعه الحالي، وقال بثقة ورجولة غير متلائمتين مع صغر سنه:

-على العموم، في أي عمل ترغبون أن أعمل به سأقوم به أنا وفارس سويًا .

نظر له الرجل باستغراب لطريقة كلامه وأردف:

-ومن هو فارس يا روح أمك أنت الآخر . . . ؟ !

أشار عليَّ جواد ، فقام الرجل بسحبه من قفاه وقال بغضب:

-هي ناقصة جنان ؟ أو بضع أطفال يتشرطون . . . هيا جميعكم أمامي .

فجأة وصلنا ، وكنا أمام امرأة سمينة يبدو أنها كانت تلك المرأة المنقبة، ولكنها الآن غير منقبة، بل لا تمت للإسلام بصلة، إنها لا تعلم عن الدين شيئًا ، يبدو أنها عاهرة . . .

كانت ترتدي ملابس بيت كاشفة أكثر ما هي ساترة، وكان في الغرفة هذان الرجلان، وكان عدد الأطفال في الغرفة 10 بما فيهم أنا ، وأعمارنا تتراوح من 8 إلى

15، ولكن يبدو أنهم معتادون على الوضع، ومن ثم قامت بتوزيع كل مجموعة منا لمنطقة ما لبيع المناديل ومسح السيارات في الظاهر، ولكن الدور الكامن هو السرقة أثناء التسول . . .

خرجت أنا وجواد وصبي آخر عمره 13 عامًا كي يعلمنا الشروط، وأعطانا تحذيرًا ألا نتحاذق ونهرب لأن هناك من يراقبنا . . .

لم أكن أفعل شيئًا سوى أني ألحق بجواد وأراه وهو يتسول ويتوسل للمارة، وفي نفس الوقت ينشلهم ببراعة، كنت مصدومًا مما يفعله، ولكني لم أفعل، وليس بيدي حيلة للهرب فكنت أتبعه.

وفي المساء عندما انتهينا من العمل، ها هو الرجل الذي قام باختطافي بالأمس يربت على كتفي ويقول للمعلمة:

–لن تصدقي يا معلمة، إن هذا الفتى الذي كنا نظن أنه ليس منه رجاء هو أفضل من أتى بإيراد اليوم . . . هذا الفتى معجزة.

كنت متعجبًا ، لِمَ ينسب لي الفضل فقط ولا ينسبه لجواد ؟ ولكن جواد لم يكترث ونظر لي وابتسم، قطع استعجابي صوت المعلمة وهي تنادي عليَّ وتوشر لي بأصبعها كي أقدم إليها :

-تعالى هنا يا . . . ها ما اسمك . . . ؟

اقتربت منها وأنا أرتعش وأحاول أن أفك شفتاي اللتين التصقتا خوفًا منها :

ف . . . ف . . . فاا . . . فا

ضحكت ضحكة تليق بامرأة عاهرة وقالت متهكمة:

-اجمد يا فتى، كن رجلًا . . .

ومن ثم نظرت لي نظرة لا تليق أن تنظرها لطفل، وقالت بتهكم:

-ها ، ألست رجلًا . . . ؟

لم أستطع الرد عليها ونظرت أرضًا ، ومن ثم رد ذاك الرجل الضخم الذي كان يدعى صبحي وقال:

-لا ، هذا سيكون من أولادنا ومن رجالنا فيما بعد يا معلمة سماح، واسمه فارس .

نظرت لي وهي تداعب شعري الناعم وتقول لي:

-إنك داهية، وأنا كنت أظن ألا نفع منك .

تمتمت بصوت هادئ وقلت لها :

-جواد من جمع تلك الأشياء .

نظرت متعجبة لصبحي وقالت له:

-أين جواد ذا . . . ؟ !

رد جواد بثقة وقال:

-أنا جواد يا معلمة . . . خدامك . . . وأنا وفارس واحد .

نظرت المعلمة سماح بتعجب وقالت:

-بالفعل واحد .

ومن ثم قالت بتهكم:

-لا تفرق فارس من جواد، هذا راكب وهذا مركوب .

ومرت السنين، واستمر وضعي على ما هو عليه، أنا وجواد مع بعضنا البعض خطوة بخطوة، أنا أُلهي الناس وهو يسرق، إلى أن صار عمري 18 عامًا تقريبًا، ومن ثم بدأت المعلمة سماح في التقرب مني صراحة، وتلميحاتها صارت بمنتهى الجراءة،

ولكني عففت نفسي عنها ، لا أقدر أن أفعل ذلك، لا أقدر على التفكير في القيام بتلك الرذيلة، فقالت لي يومًا متعجبة:

-يعني السرقة حلال والزنا حرام . . . ؟

لم أرد عليها وقررت أن أخرج من الغرفة، فنادت عليَّ قبل أن أهم بالخروج، ولكني لم أعبأ لمناداتها ، وقمت بفتح الباب، ولكنها حينها همت كي تلحق بي وأغلقت الباب وسألتني وهي تقيدني من الحركة بسبب جسمها الضخم الملتصق بجسدي الذي لا يزال صغيرًا مقارنة بضخامتها ، أنها طويلة القامة وسمينة جدًّا ولكنها جميلة ولكني أشمئز منها ، ها أنا أريد إبعادها عني، إني أكره شعوري بأنفاسها على وجهي . . .

فقالت لي وهي تحاول لمسي:

-ما بك يا فارس لمَ أنت متقلب المزاج هكذا ؟ أنا صرت لا أفهمك، لمَ تغيرت عليَّ هكذا . . . ! ولا عندما تأكدت أني أحبك وأريدك فتستغل حبي هكذا . . . !

-ابتعدي عني .

وقمت بدفعها ورحلت، فلم يهمها ما فعلته بها وقالت لي وهي تقف تستند على الباب:

-مسيرك تأتي لي من أجل المزاج.

ذهبت لجواد وبدأت أشكي له ما أمر به من محاولات تقرب هذه المرأة، ولكني تفاجأت من ردة فعل جواد، رد عليَّ وهو ينفث دخان سيجارته وقال بثقة:

-أعطِ لها ما تريده منك وخذ منها مقابل، الست تريدك يا جدع.

-استغفر ربك يا جواد، أنا أقول لك ذلك كي نقرر سويًا خطة للرحيل من هنا، لقد سئمت من كوننا سارقان، والأدهى أنها الآن تريدني أن أرتكب فاحشة كبيرة معها تلك العاهرة، هذه المرأة لا تخاف الله، تسرق الأطفال من أهلهم وتعلمهم السرقة، والبنات بمجرد بلوغهن تجعلهن يعملن في الدعارة، إنها شيطان لعين.

-إن بني آدم ألعن من بني إبليس يا صديقي.

لم أفهم مقصده ومن ثم قلت له بتوتر وبهمس:

-هيا، قل لي فكرة للهروب، لا أستطيع أن أكمل في هذا الجحيم أكثر من ذلك، قلبي يؤلمني من معصية ربي.

-أنت مثلك مثل كل بني آدم خطاء وعاصٍ .

-نحن نعصي الله ولكن نتوب ولا نكمل في المعصية .

همّ جواد بالخروج من الغرفة وقال لي:

-ارتح أنت ولا تشغل بالك، وأنا سوف أدبر لك الأمر .

ولكنه خرج ولم يعد ، تعجبت إلى أين ذهب الآن فقررت أن أخرج في البحث عنه، وأثناء مروري في ممر البيت سمعت صوتًا قادمًا من غرفة المعلمة سماح، إنها السافلة الفاجرة تتأوه وتقول اسمي .

-اسمي كيف . . . ؟ !

قررت أن أنظر من فتحة المفتاح في الباب فرأيت جواد هو من . . .

-آه . . . . يا إلهي، لذلك نظراتها غريبة وقالت عني متقلب المزاج . . .

ولكن لِمَ يفعل جواد ذلك . . . ؟ ! لِمَ لم يقل لي . . . !

قررت أن أدخل عليهم ولكن ما جدوى ذلك . . . ! لن يفيد أن يعرف الناس أنها زانية لأنها عاهرة قوادة في الأساس .

قررت أن أنتظر في غرفتي إلى أن أتى جواد الغرفة وهو يترنح وحسن المزاج، ولكن عندما رأى عيني يتطاير الغضب منهما قال لي باستغراب:

-ماذا بك . . . ؟ لمَ تنظر لي هكذا . . . ؟

انقضضت عليه ممسكًا إياه من ياقته متسائلًا وعيناي تذرفان الدمع:

-لمَ فعلت هذا يا جواد . . . ؟ لمَ لوثت نفسك في الوحل . . . ! لمَ فعلت ذلك وانتحلت اسمي لمَ . . . ؟

قام جواد بإنزال يدي بلامبالاة وقال:

-وهل أنت تشعر بالضيق من فعلتي ولا من انتحال شخصك واسمك ؟

لم أرغب في النظر له وأعطيته ظهري، لم أعد قادرًا على مواجهة نظراته القوية التي لم تشعر بالخزي أبدًا، ومن ثم قلت له:

-لا تفرق، لا أريدك أن تأخذ ذنب هذا الفعل الشنيع ولا أريدك أن تشركني فيه كذلك .

رد جواد ببرود وهو يهم بإشعال سيجارته:

-هي بالفعل لا تفرق، أنا وأنت واحد ، نشبه بعض كثيرًا ، لا يوجد فرق إن قلت فارس بدلًا من جواد ، وعلى العموم أنا فعلت ذلك من أجلك، فعلت ذلك نيابة عنك كي أستغل المعلمة وكي أكمل الخطة التي سوف نبدأ في تنفيذها بعد قليل .

التفت له غير فاهم وسألته:

-حقًا ؟ فعلت هذا من أجلي ؟ وبهذه السرعة فكرت كيف نهرب يا جواد . . .

نفث دخان سيجارته وقال لي بثقته المعتادة:

-لا داعي للحديث الآن، بعد قليل سوف تفهم كل شيء .

بعد قليل وجدته خرج من الغرفة، ومن ثم عاد لي وهو يحمل على ظهره حقيبة ظهر، سألته باستغراب:

-ما تلك الحقيبة يا . . .

قال لي بغضب هامس وهو يضغط على أسنانه:

-لا أريد كلامًا كثيرًا ، اتبعني هيا .

ولكن على الباب ها هو صبحي يسأل جواد:

-إلى أين العزم إن شاء الله ؟ أنا أعرف أنك مجتهد في عملك ولكن ليس لهذه الدرجة .

ولكن لم يكمل صبحي كلامه إلا وقد قام جواد برش منوم في وجهه، ومن ثم نظر لي هامسًا ومؤشرًا لي أن أتبعه، وبدأنا في الجري، وأنا أسأله وأنا أحاول أن أتنفس:

-إلى أين يا جواد . . . ! وماذا حدث فهمني . . . ؟

لم ينظر لي حتى وقال لي:

-عندما نصل سوف أشرح لك كل شيء .

هرولنا إلى أن وصلنا محطة القطار وتوجهنا إلى الإسكندرية، كان جواد متمسكًا بالحقيبة بقوة وهذا أثار حيرتي فسألته:

-ماذا تحتوي هذه الحقيبة . . . ؟

لم يكترث جواد لسؤالي وأجابني بلامبالاة:

-لا يمكنني أن أقول لك الآن، بمجرد وصولنا سوف أفهمك كل شيء .

وها نحن قد وصلنا ، ولكنه قال لي سوف نفترق من محطة سيدي جابر وسوف نعود إليها السادسة مساءً، كل منا سوف يذهب في طريق لكي نعرف مكانًا نعيش فيه، وعلى الموعد المحدد كل منا يقول للآخر ما توصل إليه .

سألني حينها عم عادل وقال لي متعجبًا :

-وهل وثقت به ؟ ألم تظن أنه يمكن أن يرحل ولا يعود إليك من جديد . . . !

-بالعكس يا عم عادل، أنا أثق في جواد وثقتي به فاقت كل الحدود ، إذا كان يريد تركي لكان تركني منذ البداية في بيت المعلمة سماح وأنقذ نفسه وكفى، بل إن جواد دائمًا يفكر بي قبل أي شيء ، جواد يكملني، جواد أرسله الله لي كي يكون لي السند والأب والأخ، وكي يكون لي العوض في هذه الدنيا .

دعني أكمل لك، لأني إن بدأت أحكي لك على مواقف جواد معي لن أتوقف عن مدحه، من ثم ذهب كل منا في طريق وبالفعل ذهبت إلى المحطة الساعة السادسة، كنت قلقًا ألا أجده لأني لن أعرف كيف سوف أصل إليه لأن ليس معنا هواتف، جاء في بالي أن أترك المكان وأبدأ في البحث عنه، ولكن بمجرد أن التفت مغيرًا

وجهتي، وجدت يدًا على كتفي، كان هو، جواد، بمجرد أن رأيته عانقته، هو الأمان لي والمؤنس، قال لي وهو يخرجني من حضنه ويربت على كتفي:

-ها، هل وصلت لمكان . . . ؟

-لا، لم أصل لشيء، كلهم رافضون لصغر سني وغير ذلك لأني شاب، كلهم لا يثقون أني قادر على الدفع وليس من الأمان أن يسكنوا شابًا عازبًا في عمارتهم.

قام بإخراج علبة السجائر الخاصة به وأشعل سيجارته وبدأ ينفث دخانها وقال بثقة وهو يتلفت وأشار لي بيده:

-حسنًا، تعال معي.

لحقته وأنا لا أدري وأقول له متعجبًا:

-ولكن إلى أين . . . ؟

-سوف تفهم كل شيء الآن . . . هيا معي.

وصلنا إلى قهوة شعبية في سيدي جابر، سألته هامسًا بسؤال غبي:

-هل سنعيش هنا . . . ؟

نظر لي متعجبًا من مستوى ذكائي ولم يرد عليَّ، ومن ثم نادى وقال:

-السلام عليكم يا معلمة قدرية .

نظرت فوجدت امرأة في الخمسين من عمرها ، ولكن القوة ظهرت من ثبات خطواتها وصوتها وتمكنها بين الرجال، كانت ترتدي عباءة سوداء وكانت تغطي شعرها بإيشارب أسود وكانت مشمرة عن ساعديها لتكشف عن ذهبها ، وقالت بصوت قوي مجلجل وهي تقترب لطاولة ما وأشارت لنا بالقدوم:

-تعال يا جواد .

تقدم جواد للطاولة وجلس فاتبعته .

قال لها بثقة وهو يقوم برمي عقب سيجارته ونفث دخانها جانبًا بطريقة لا تتناسب مع سنه ذات الـ18 عامًا فقط، ولكن شخصيته تعكس رجولته ورجاحة عقله:

-تمام يا معلمة نقول "أمين" على المكان، ولكن الشقة سيعيش بها معي أخي فارس .

قالت له المعلمة بلامبالاة وهي تخبط بكف يدها على الطاولة:

-يعيش معك أخوك، أبوك، عشرة من أصدقائك لا يهمني، كل ما يهمني التأمين والإيجار، وأنت حر .

-وأنا جاهز يا معلمة، والآن لأني أريد أن أرتاح من السفر .

حينها لم أفهم شيئًا ، كنت أنظر له مستغربًا وهمست له:

-كيف سوف تأتي لها بكل هذا المال . . . ؟

قال لي وهو يوكزني:

-اسكت الآن وسوف أشرح لك كل شيء لاحقًا .

قلت له وبدأت أشعر بالحيرة:

-أليس لديك سوى هذه الكلمة ؟ هل تريدني أن أمشي على عماي معك . . . ؟

-لم يتبقَ إلا القليل، هيا معي .

وبالفعل أخذتنا المعلمة قدرية، إن لديها صحة وقوة مثل شابة في العشرينات بالفعل، وإنها ليست قبيحة الشكل ولكنها سليطة اللسان، وصلنا معها إلى عمارة تتكون من خمسة أدوار فقط، دخلنا معها مدخل العمارة القديمة التي هي للبيت القديم أقرب، وفتحت لنا باب شقة في الدور الأرضي، الشقة كانت تتكون من غرفة واحدة وحمام صغير ومطبخ صغير أيضًا وصالة، كانت الصالة تحتوي على أريكة خشبية قديمة تبدو أنها من أيام الاحتلال، وتوجد طاولة دائرية في المنتصف، وفي

الغرفة سرير متوسط الحجم وكفى، شقة فارغة تمامًا لا يوجد بها شيء سوى ما قلته فقط .

جلسنا على الطاولة ودفع جواد 10000 جنيه تأمين وإيجار مقدم 1000 جنيه، تعجبت كيف يدفع إيجار 1000 جنيه في هذه الخرابة، ولكنه مسك يدي كي لا أنطق، ومن ثم همت المعلمة بالخروج، وقبل أن تخرج وقفت عند الباب ونظرت لجواد نظرة لم أرتح لمغزاها وقالت:

-مبروك عليك يا جواد . . . مع أنك بهذا خسرتني الكثير ولكن هذا طبعي أحب الخير، وأحب أن أسند الغير .

وقف جواد واقترب من الباب وقال لها وهو يبتسم:

-كلك ذوق يا معلمة، وأنا خدامك من اليوم .

ربتت على صدره وقالت:

-تسلم يا ذوق .

ورحلت، فهمّ جواد بقفل الباب وراءها وهو يتنفس الصعداء، ولكني لم أدعه يكمل تنفسه حتى قمت من مكاني كي أسأله:

-من أين أتيت بالمال يا جواد، وما هذه الخرابة التي نحن بها الآن، لا تستحق كل هذا المال.

نظر لي متسائلًا:

-أهذه "شكرًا" التي يجب أن تقولها لي يا فارس...؟

-شكرًا على ماذا...؟ أنا لا أفهم شيئًا...!

-من دون هذه الشقة سوف نكون في الشارع، أتريد أن تكون في الشارع يا فارس...! ها قل لي؟

تمتمت وقلت:

-ولكن ا...

قاطعني وقال بثقة:

-لا تكمل كلامك، سوف أريحك وأحكي لك كل شيء من البداية للنهاية.

لقد استغللت المعلمة سماح وأعطيتها مرادها كي أستطيع في النهاية بعدما تعاطت المخدرات أن تقول لي رقم خزنتها السري، ومن ثم خدرتها، وأخذت مالها، إن

المبلغ ليس كبيرًا مجرد 100 ألف فقط بالرغم أني كنت أظن أن معها الكثير في الخزنة .

قررت ترك القاهرة والرحيل عن إمبابة تمامًا كي لا يصلوا لنا رجالها ، لأن العيون سوف تسلط علينا نحن فقط لأننا من هربنا وأكيد بدءوا البحث عنا من الآن، فقررت السفر للإسكندرية حيث لا يعرفنا أحد .

قررت البحث عن مكان ولا يوجد أفضل من القهوة حيث يوجد ناس مختلفة وأكيد أحد منهم سوف يوصلني لحل، واحمد ربك على هذه الخرابة لأن لا يوجد أحد يسكن من هم أمثالنا لا في عمرنا ولا أكبر منا ، لا يوجد أحد يؤمن لعازب يسكن في عمارته .

وهذه المرأة بمجرد النظر لها علمت أنها مشبوهة وسكتها بطالة، قلت هذه التي سوف تأتي لي بحل، لعبت عليها بكلمتين، أنت تعرف مدى تأثيري، وهذه الشقة أنا أعرف جيدًا هي كانت تؤجرها بالليلة للقمار أو للعشاق، ولكن الحكومة هذه الأيام شادة حيلها ، فصارت تخاف أن تؤجرها للعشاق أو للقمار ، فنحن فرصة لها من السماء ، بدلًا من غلقها تمامًا ، هي قالت "نصف العمى ولا العمى كله" . . .

نظرت له باستغراب:

-يعني أنت لم يكفِك فعلتك الشنيعة التي فعلتها، بل وسرقت . . .

قاطعني بضحكة تهكمية:

-حلوة سرقت، على أساس من صغري كنت ماذا أفعل . . . ! كنت أصلي، هذا جزاؤها، هي من علمتني، وطباخ السم يجب أن يذوقه، وإن جئت للحق، هذا مالي وتعبي وشقائي، ومالي الذي جمعته كان أكثر من هذا، ولكن هيا . . .

وقفت أمامه وسألته وأنا أنظر في عينيه:

-هيا . . ! هيا ماذا . . . ؟ أنت كيف بارد الأعصاب هكذا . . . ؟ لِمَ لم ترغب أن تبدأ بداية جديدة فيها رضى الله . . . ؟

-إن لم تعجبك الحياة معي، فلترحل يا فارس، وهيا اخرج نم في الشارع، دع ربك يرعاك ويدفئك في عز الصقيع .

زاد من حدة غضبه ورزع الطاولة وقال:

-هيا اخرج من هنا ودع مالي الحرام واطلب من ربك يطعمك ويسقيك .

نظرت له بدهشة من تجرؤه على ربه وسألته وأنا أمسك بذراعه كي ينظر لي:

-كيف تتجرأ وتقول هكذا على ربنا . . . !

ترك يدي غاضبًا وأردف:

-ربك وحدك . . . سوف أترك البيت حالًا وأنت فكر، واختر، رضى ربك أم الحياة معي .

لحقت به وقلت له:

-دعنا نبدأ سويًا من الصفر بداية يحبها الله كي يرضى عنا .

-أرضه أنت فقط إن كنت ترغب، ولكنه لن يرضى عني لأني لا أريد ، أنت حر بيدك أن تختار الواقع أم تمشي وراء وهمك .

وأغلق الباب بقوة ورحل .

قررت أنا أيضًا أن أرحل، قررت ألا أكمل في الحرام وأن لا آكل مالًا حرامًا ، قررت أن أرحل وقلت إن الرب لن يجعلني أضيع أبدًا .

ولكن بمجرد أن خرجت من البيت بدأ المطر ينهمر بقوة، وما أدراك ما مطر الإسكندرية شتاءً، كنت حينها في أول يناير من عام 2018 وحبات المطر كانت

تسقط بقوة أرضاً، كانت حبات المطر مثلجة من شدة الصقيع، نظرت للسماء وقلت للرب:

-يا رب ما معنى مطرك الآن . . . ؟ هل مطرك يعني سخطك عليَّ وعدم رضاك عني . . . ؟ أم أن هذه علامة أن أظل في هذا البيت ! ؟ إلهي هل تسمعني . . . ؟ أعطِ لي إشارة . . . ؟ ساعدني . . . ! يا رب إن كنت راضيًا عني وسوف تساعدني إن رحلت، أوقف مطرك، سوف أفهم أنك موجود وأنك سوف تعينني على القادم، انتظرت 10 دقائق على أمل أن يتوقف المطر وأرحل من هنا، ولكن المطر لم يتوقف بل زاد أكثر وأكثر، حينها شعرت بأسى وقلت لنفسي:

-هذا معناه شيئين: أنك يا رب غير راضٍ عني، أو أنك غير موجود فلم تسمعني ولم تساعدني.

حينها رأيت جواد قادمًا من آخر الشارع ومعه كيس كبير ونظر لي وابتسم، وعندما اقترب قال لي:

-ها ماذا قررت ؟ تختار الواقع أم الوهم . . . ؟

لم أجبه وطأطأت رأسي أرضاً ، فأخذني من يدي وقال لي وهو يدخل مدخل العمارة وفتح باب الشقة ونظر لي كي أتبعه وقال لي:

-تعال، لقد عملت حسابك وجلبت لك طعامًا معي، تعال . . .

سحبتني قدماي تجاهه، وبدأت آكل على الطاولة وأنا شارد أسأل نفسي:

-لِمَ ربي تركني وحدي . . . ؟ لِمَ جعلني أحتاج لغيره لا هو . . . ؟ أليس هو المعطي الكريم . . . ! أليس هو الأمان لعباده . . . ! أليس هو الرحيم . . . ! أين هو . . . ؟ لِمَ تركني . . . ؟

قطع شرودي جواد وقال لي وهو يضحك:

-لِمَ أنت حابسل هكذا ؟ لم أكن أظن أن الطعام بهذا السوء . . . !

مضغت بضع لقيمات وقلت له:

-أنا فقط متعب، أحتاج أن أنام .

نمت واستيقظت، كنت مريضاً بسبب مطر الأمس، سألت ربي:

-لِمَ أمرضتني . . . ؟ أنا كنت أريد أن أظل بعافيتي كي أبحث عن عمل، على الأقل أرضى بالحرام فترة إلى أن أتمكن من الاعتماد على الحلال ! لِمَ لا تعينني ! لِمَ !

عندما استيقظت رأيت نفسي بملابس غير الملابس، ومغطى ببطانية، وأنا أتذكر أنه لم يكن هناك بطانية من الأساس.

فجأة سمعت باب الشقة يُغلق، فبدأت في السعال، فجاءني صوت جواد متسائلًا:

-هل استيقظت يا فارس...؟

جاهدت نفسي على الكلام وقلت له:

-استيقظت منذ قليل.

قال لي بصوت عالٍ:

-تعال هيا من أجل أن ترمّ عظمك بالفطور.

لم أرغب أن آكل، كان بداخلي شعور ندم وحزن بأن الرب غير راضٍ عني، يوجد شيء ينغص عليَّ، لا أدري ما هو...!

قلت لجواد بصوت متعب:

-افطر أنت يا جواد أنا لا أريد.

بعد دقيقتين رأيته جاء لي الغرفة وفتح الأكياس وفرشها على السرير ووضع عليها الفطور وبدأ يجعلني آكل.

كنت أنظر له وأحمد الرب على جواد:

-أحمدك يا ربي على نعمة جواد في حياتي، لن أجد أحدًا يحبني في الحياة مثله، أكنت تريدني ألا أرحل من هنا لأنك تحبني أيضًا يا الله. . . ! أحاول أن أفهم حكمتك ولكن لا أدري.

قطع شرودي صوت جواد، ولكني لم أسمع جيدًا ما قاله لي، فقلت له وأنا أمسك يده:

-أحبك يا صديقي ويا أخي الذي لم تنجبه أمي، أصدقاء وأخوة إلى الأبد.

نظر لي ورسمت ضحكة على جانب فمه وقال لي:

-إلى آخر يوم في حياتك يا فارس.

فطرت وقال لي:

-ارتح أنت اليوم.

فقلت له بندم:

-لا أريد أن أرتاح، أريد أن أبحث عن عمل يا جواد.

ربت على كتفي وقال لي:

-نم وارتح أنت اليوم وفي المساء سوف آتي لك أكون قد وصلت لحل في موضوع العمل، ولا تنسَ تأخذ الدواء، ها هو بجوارك .

في المساء جاء لي جواد ومعه الغداء وقال لي:

-المعلمة قدرية تحتاجنا معها للعمل في المقهى، أنت سوف تعمل صباحًا وأنا سوف أعمل مساءً .

-ولكن لَم ليس معًا . . . ؟

-هذا رأيها يا فارس، إن لم يعجبك العمل يمكنك أن تبحث عن غيره، بالنسبة لي أنا موافق عليه .

قاطعته مستغربًا :

-ماذا تقول يا جواد . . . ! أقول لك أريدك معي في نفس الوقت تقول لي أن أبحث عن عمل في مكان آخر مختلف . . . ! حسنًا يا سيدي موافق، أي شيء إلى أن نجد عملًا سويًا .

تناولنا الغداء وتركني وقال لي:

-سوف أذهب للعمل الآن، تناول دواءك عندما تستيقظ .

قلت له بصوت شبه عالٍ مجاهدًا نفسي على الكلام كي يسمعني وهو عند الباب:

-حسنًا، سوف أرتاح الآن، كي أستطيع الذهاب للعمل صباحًا .

جاءني صوته وهو يغلق باب الشقة:

-إن استطعت فلتفعل .

في الصباح ذهبت وباشرت عملي بهدوء، آخذ الأوامر وأنفذ فقط، بعد قليل

جاءتني المعلمة وسألتني:

-لِمَ أنت هادئ، هل حدث شيء ضايقك . . . !

سعلت بهدوء ومن ثم قلت لها :

-لا يوجد شيء يا معلمة، ولكني متعب قليلًا .

تمر الأيام والمعلمة اعتادت على طبعي الهادئ ولم تعد تستغرب منه، وصرنا لا نتقابل

أنا وجواد إلا في الصباح عندما يوقظني ونفطر سويًا، وأنا مساءً عندما أوقظه

ونتناول الغداء سويًا .

بعد مرور شهرين من وجودنا في الإسكندرية، بدأت المعلمة في بناء دور سادس

فقررنا أن نساعد مع العمال ولكن بأجر، كنت أحمل الطوب وأرفعه وبعدها يتبعني

جواد، وفي كل مرة أحمل كانت المعلمة تنظر لي، كنت أعلم جيدًا أنها نظرات إعجاب، ولكن كيف تفكر بذلك وأنا في عمر أولادها إن كان لها أولاد من الأساس.

***

تمر الأيام وأكملنا الشقة، فصار عملي في الصباح في البناء أنا وجواد، وفي المساء يذهب جواد بضع ساعات للمقهى كي يساعد المعلمة.

بعد أن أكملنا البناء، بدأت المعلمة ترسلنا مع عمال آخرين للبناء، فصار عملي الجديد في البناء.

قاطعني العم عادل وقال لي:

-بالفعل، وأنا قلت ما سبب بنية جسدك الرياضية.. !

-آه يا عم عادل، إنه لعمل شاق، ولكن كنت سعيدًا لأنه حلال؛ فعندما كنت أعود ومعي طعام اشتريته بالمال الذي تعبت به، أشعر أني مرتاح لأني أعلم مصدر هذا المال بأنه يرضي الله.

ما زلت أفكر به في كل لحظة في حياتي، أبحث عنه في كل ما أفعله، يوجد شيء رابطني به رغم كل شيء .

-ونعم بالله يا ولدي، أكمل لي .

-لم تستمر راحتي يا عمي، وفي يوم رأيت جواد يأخذ المال الذي كان يخبئه وخارجًا من البيت، قلت له باستغراب:

-إلى أين أنت ذاهب بالمال يا جواد . . . ؟

-لا شأن لك، هذا مال حرام كما تقول، فلا شأن لك به، أفعل به ما أشاء .

وحيرتي لم تدم كثيرًا إلا أني صرت أرى جواد كل يوم معه مال كثير . . .

فقررت أن أسأله:

-جواد، من أين لك بكل هذا المال . . . ؟ قل لي الحقيقة . . . !

-يا سيدي مالي وقمت بتشغيله، ما المشكلة !

-تشغيله في ماذا . . . ؟ أتريد أن يزيد الحرام في جيبك ؟

-أنت لك طريقك وأنا لي طريقي، لم أقل لك أعطني مالك وأشغله لك .

-أعطيك مالي تشغله في ماذا . . . ؟

-لا يهم في ماذا ، ولكن إن كنت ترغب أن يكون معك مال مثلي أنا سوف أساعدك .

قمت من على السرير وقلت له:

-لا أريد أن أعطيك قبل أن تفهمني سكة هذه الأموال في البداية .

قام بربط حزمة المال ووضعها في كيس ثم في الحقيبة، وقام بغلقها وهو يقول لي:

-لا ، لن أقول لك، لأن الموضوع يخص كبارًا .

إن كنت تريد الزيادة فأنا رقبتي لك سدادة، ولكن كثرة كلام لا أريد ؛ لأن الكلام في هذا الموضوع تضيع فيه رقاب .

نظرت له وأنا أسحب منه الحقيبة وقلت له:

-ولِمَ دخلت في هذا الطريق الذي تضيع فيه رقاب يا جواد . . . ؟ ألا تريد أن نعيش في أمان . . . ؟

سحب الحقيبة من يدي ووقف وقال:

-العيش في أمان لا يدعك تخطو خطوة للأمام . الذي يخاف يظل طول عمره بجانب الحيط إلى أن يسقط عليه ولا أحد يدري عنه . . .

-وهل يعجبك وأنت ماشٍ في سكة خطر لا تضمن أتعيش غدًا أم لا . . . ؟

-ولَم يهمني أن أفكر في أن أعيش غدًا أم لا ما دمت أعيش سعيدًا ومعي مال الآن . . . ؟

-هل كل شيء بالنسبة لك المال وكفى . . . ؟

-لأن المال بالفعل كل شيء، قل لي ما هو المهم سوى المال . . . !

كنت سوف أنطق ولكنه سرعان ما أسكتني وقال:

-لا تحاول إقناعي بكلام غير واقعي، أنا لا يقنعني شيء سوى الواقع وكفى، المال هو سيد العالم.

-ولكن يقولون إن المال عبد جيد وسيد سيء، لا تجعله يتحكم بك.

همّ بالخروج من الغرفة وهو يتكلم بغضب:

-من قال ذلك أحمق؛ من معه المال هو السيد، ومن ليس لديه مال هو العبد، نحن عبيد من دون المال.

ومن ثم التفت لي وهو يقف عند باب الشقة وقال:

-لا تتبع هذه الحكم الزائفة يا صديقي كي لا تضيع حياتك هباءً بدون فائدة؛

صدقني من يقولون هذه النصائح هم لا يأخذون بها في الواقع، كله كلام على ورق، ولا يتأثر بها إلا من هو أحمق.

ومن ثم رحل وتركني شاردًا أفكر، من منا هو الصحيح . . . !

***

تمر الشهور، وكل شهر كانت المعلمة تأتي لجواد وتعطيه مالاً لا تأخذ منه الإيجار؛

علمت حينها أن المعلمة هي أيضًا في طريق جواد.

آخر شهرين كان ظرف المال به أقل، فسألها جواد لِمَ المال أقل هذه الفترة . . . !

فردت عليه:

-السوق نائم هذه الأيام يا جواد على عينك.

نظر لها وابتسم جواد وضحك بتهكم:

-على عيني أن الوضع كما هو عليه يا معلمة، لا يغركم صغر سني.

حاولت أن تجعله يهدأ وقالت له:

-اهدأ يا جواد وكلها فترة وسوف يعود الوضع كما كان وأفضل، لا تدع الشيطان يدخل بيننا .

-أي شيطان يدخل بيننا . . . ؟ لا يوجد أي شيطان بيننا ، وإن كنتِ تخافين من الشياطين وبطشها فأنا شيطان، فاحذري من اللعب معي .

رحلت المعلمة، فخرجت أنا من الغرفة وسألته:

-ماذا كان يحدث . . . ؟

أخرج سيجارة وبدأ ينفث بها بغضب وقال لي:

-لا تشغل بالك، ولكن استعد للرحيل من هنا ، الليلة .

استغربت وقلت له:

-كيف . . ؟ ولماذا الآن . . . ؟ بعد أن استقررنا . . . ! ووجدنا عملاً . . . !

ومالك وعملك أنت . . . ماذا سوف تفعل . . . !

نفث دخان سيجارته وقال:

-لا تشغل بالك يا فارس، قلت لك كل ما عليك أن تستعد وأنا سوف أتصرف، لا تقلق .

الساعة الثالثة فجرًا جاء لي جواد وأيقظني وقال لي:

-هيا فلنذهب، الآن . . .

كنت غير مستوعب ماذا يقول لي، فقام بسحبي كي أقوم وقال بغضب:

-هيا ، يا فارس، وارحمني من كثرة الأسئلة .

وبالفعل ارتديت حذائي وأخذني وقال لي:

-أنا جهزت كل شيء هيا اتبعني .

وحمل حقيبة ظهر ضخمة وتحرك وأنا كنت معه، وفي آخر الشارع كانت هناك سيارة، وبدون كلام كثير ركبت السيارة، ووقفنا عند إحدى حواري المنشية، ودخلنا شقة في بيت قديم جدًا ، شكر جواد الرجل الذي أوصلنا ومن ثم دخلنا الشقة، وتعجبت أنه قام بفتحها ، سألته متعجبًا :

-كيف . . . ؟

لم أكمل تساؤلي فقال لي جواد وهو يهم بالدخول:

-ألا تكف عن الأسئلة يا فارس، سوف أريحك يا أخي، أنا موجود في الإسكندرية منذ ثمانية أشهر ولي أصدقاء، وتصرفت في هذه الشقة من شهر عندما بدأت المعلمة قدرية تلعب بذيلها معي.

دهشت مما قاله:

-تلعب بذيلها كيف...؟

-لا تشغل بالك، ارتح الآن وفي الصباح سوف أشرح لك الوضع الجديد.

قال لي العم عادل باندهاش:

-وهل أنت مسالم هكذا دائمًا يا ولدي...؟

-لا أدري يا عمي والله، في أغلب الأوقات يخفي عني جواد ما يمر به، ولكنه دائمًا يفكر في مصلحتي.

-ولكني يا ولدي أظن أن طريقه خطأ وبذلك سوف يجر رجلك في هذا الطريق، وهذا سوف يعرضك للخطر.

-لا أظن ذلك يا عمي؛ لأن بمجرد أن جئنا إلى المنشية في صباح اليوم التالي رأيت معه آلة حلاقة وطلب مني أن أحلق وأغير من شكلي، سألته:

-لماذا يا جواد . . . ؟

-لزوم البداية الجديدة يا صديقي، قررت أن أبتعد عن هذا الطريق الذي كنت به؛ فلنبدأ بداية جديدة في مكان جديد بشكل جديد .

نظرت له بدهشة وقلت له وأنا أمسك يده:

-حقًا يا صديقي . . . !

ابتسم لي وأمسك يدي وقال:

-حقًا يا صديقي .

قمت وعانقته وقلت له بلهفة:

-كنت أعلم جيدًا أنك في يوم سوف تترك هذا الطريق و . . .

أخرجني من حضنه وقال لي:

-توقف عن الكلام قليلًا وهيا بنا فلنبدأ بتغيير شكلنا .

قررنا حلاقة اللحية تمامًا وحلق جانبي الشعر مع رفع شعرنا الطويل بمساكة شعر، شكلنا تغير 180 درجة، بالفعل إذا كنت ترغب أن تغير من شكل رجل فاحلق لحيته فقط .

قال لي جواد أن أذهب إلى مطعم وأقول لصاحبه أنا من طرف المعلم لطفي، وبالفعل ذهبت صباحًا إلى المطعم، وتم تعييني، ولكن جواد لم يعمل معي، جاءني المطعم جواد مساءً وسألني على العمل وما هو انطباعي، قلت له:

-إن العمل بسيط هنا، صاحب العمل علمني كيف أستخدم الآلة وصرت كاشير كما ترى يا صديقي، ولكن لَم لست معي . . . ؟

-ومن قال لك أني لست معك . . . ؟ سوف أعمل في توصيل الطلبات يا فارس، وهيا سوف أتركك الآن كي لا أسبب لك مشاكل، بعد الانتهاء من العمل سنتحدث سويًا .

مر شهران على هذا الوضع إلى أن صار ما صار بالأمس، واشتعل جواد غضبًا عندما رأى الضابط يضرب ياسمين .

قاطعني عم عادل وقال لي متعجبًا :

-يعني جواد انفعل عندما رأى الضابط يضرب ياسمين ولم ينفعل عندما هرب اللص ورمى ياسمين أرضًا !

-لم يكن موجودًا أثناء الحادثة، لقد وصل جواد أثناء وقوع ياسمين بسبب الضابط، وهمّ مسرعًا ودافع عنها .

-يعني جواد هو من دافع عن ياسمين !

-نعم يا عمي هو من دافع عنها وهو من قال لي أن أخذها ونهرب سويًا كي لا نتأذى، هو هكذا جواد دائمًا يهمه أن أكون بأمان، أنا فعلت ما بوسعي كي تكون ياسمين بأمان وأن تصل إليكم .

-أشكرك على أمانتك وصدقك، واسمعني أنا محلي مفتوح لك إذا أردت أن تعمل معي، وإذا استطعت أن تكلم صديقك لكي أقدم له يد العون والمساعدة على موقفه مع ابنتي وشجاعته، وكما قلت لي إنه صار صالحًا الآن وابتعد عن الطرق المشبوهة .

-أشكرك يا عمي على وقفتك معي، حسنًا سوف أحاول أن أصل إليه وأقول له .

***

ومرت الأيام وياسمين تقربت مني، وها أنا ذا ولأول مرة قلبي يدق، بدأت أحب وأتعلق بياسمين، تلك الفتاة الجميلة، مرت الشهور وأنا لم أعرف كيف أصل إلى جواد، ها تفه مغلق دائمًا، كنت قلقًا عليه كثيرًا .

في شهر مارس عام 2019 قررت في مرة أن أذهب إلى الشقة التي كنا بها ولكن بدون جدوى، لم أجده، كنت مفتقده جدًا ولكن وجود ياسمين معي هوّن عليَّ غيابه بعض الشيء .

كسبت حب ياسمين وأهلها لي، شعرت أن الله عوضني بالأهل والحبيبة في آن واحد، ولكن هذا لم يستمر . . .

في صباح أول أيام شهر أكتوبر جاءت ياسمين إلى محل أبيها ولكنها لم تنظر لي حتى، لا أدري ما سبب قطيعتها لي، قررت ياسمين الرحيل مسرعةً، استأذنت عم عادل بعض الوقت .

لحقت بياسمين وأمسكتها من ذراعها، فالتفتت لي، سألتها بلهفة:

-ماذا جرى يا ياسمين . . . ؟ قولي لي لمَ تغيرتِ عليَّ . . . ؟ ماذا فعلت لكِ . . . ؟

ترقرق الدمع في عيني ياسمين وقالت بانكسار وهي تنظر أرضًا :

-ألا تدري ما حدث . . . ؟

وضعت يدي تحت ذقنها كي أرفع رأسها وكي تنظر عينها لعيني وقلت لها :

-أقسم لكِ لا أعلم ما حدث . . . ! قولي لي ماذا صدر مني كي أصلح ما فعلته وضايقتك به .

نظرت لي وبدأ الدمع ينهمر من عينها وقالت بحسرة:

-ما حدث لا يمكن إصلاحه أبدًا ، ومن ثم التفتت وأجهشت بالبكاء ، التفتت للاتجاه الآخر فأمسكتها من ذراعيها وقلت لها وأنا أبكي لبكائها :

-ياسمين حبيبتي ، أقسم لكِ لا أدري ماذا تقصدين أرجوكِ افهميني . . . !

نظرت لي وهمت بمسح دموعها وتنفست الصعداء وتمالكت قواها وقالت وهي تنظر لي نظرة كره:

-أنت استغللتني .

تعجبت كيف تنظر لي ياسمين هكذا . . . ؟ سألتها بتعجب وأنا أمسح دمعي:

-ماذا فعلت يا ياسمين كي أستحق تلك نظرة الكره منكِ ؟

-ألا تتذكر منذ أسبوعين عندما كنت في إجازة لأنك مريض وطلبت من أبي أن تذهب لشراء دواء، أنت يومها اتصلت بي وطلبت مني أن آتي لمقابلتك، وأنا حزنت لأنك مريض ولكنك قلت لي أن سبب مرضك هو فراق جواد الذي طال عليك، لذا طلبت مني أن نخرج سويًا وتستغل إجازتك في البحث عنه والسؤال عليه في المنشية، طلبت منك حينها أن تنتظر إلى أن تكون في صحة جيدة ولكنك أصررت وقلت لي أنك لن ترتاح إلا عندما ترى جواد .

قررت أن أذهب معك ووصلت لتلك الشقة التي كنت تسكن بها أنت وجواد، ولكن بمجرد أن وصلنا لهناك أنت تحولت لوحش، تغيرت 180 درجة، لم أكن أتوقع أن تفعل ما فعلته بي، لم أكن أتوقع أبدًا .

وأجهشت بالبكاء، وأنا شاركتها بكاءها وصرت أرفع رأسها وأقول لها باكيًا :

-أقسم لك يا ياسمين لم أفعل شيئًا، أتظنين أن يصدر مني فعل كهذا . . . ؟

نظرت لي بكره وأبعدت يدي عنها ودفعتني وقالت:

-أنت ممثل وبارع في التمثيل، صدقت أدبك وخجلك وطيبتك وأنت حقيقتك شيطان .

ومن ثم همت بعبور الطريق ولكن في تلك اللحظة كنت أنا أنادي عليها وأحاول أن أمسك يدها وهي تحاول أن تبعد يدها عني وهي تلتفت، فمرت سيارة بسرعة واصطدمت بها . . .

أخذتها بسرعة إلى أقرب مشفى، ومن ثم اتصلت بعمي عادل كي يلحق بي، وتم تجبيس ساقها ولكن لم تكن ياسمين ترغب في النظر لي، ياسمين لم تصدقني، ياسمين كرهتني . . .

صرت أفكر، كيف حدث هذا . . . ؟ أنا في هذا اليوم لم أخرج من الورشة وكنت راقدًا من التعب، هذا معناه يا إما ياسمين تتبلى عليَّ، وأنا أستبعد هذه الفكرة من الأساس ولِمَ تفعل هذا . . . ؟ هي تعلم أني أحبها وأنا من أتمنى أن تكون لي، ليست مضطرة لهذه التمثيلية كي تكون لي، والفكرة الثانية من فعل ذلك هو جواد، ولكن كيف وصل جواد لياسمين وكيف عرف مكاني ورقم هاتفها . . . ! ولِمَ يفعل ذلك من الأساس لِمَ . . . ؟ أنا لا أفهم شيئًا .

مرت ثلاثة أسابيع وأنا لم أرَ ياسمين، قررت أن أسأل عمي عادل عنها، قال لي بأسى:

-لا أدري يا ولدي، هي فكت الجبس بالأمس ولكن طوال هذه الفترة لا تتحدث، قبل الحادث كانت تتحدث قليلًا، ولكن بعد الحادث لا تفعل شيئًا سوى أنها تومئ فقط، والدموع تذرف من عينها كل ما حاولنا أن نعرف ما بها .

ترددت قليلًا ولكني حاولت أن أجمع قواي وأتجرأ وقلت له:

-عمي، هل تسمح لي أن أزور ياسمين كي أطمئن على وضعها بنفسي .

-حسنًا يا ولدي، بعد الانتهاء من العمل سوف تأتي معي البيت وتزورها .

بمجرد أن وصلت طلبت من عمتي كريمة أن توصلني لغرفة ياسمين، وبمجرد أن دخلت أشاحت ياسمين نظرها عني، ولكن عمتي كريمة من أجل أن ترفع الحرج عني بسبب هذا الموقف قالت لي:

-لا أدري لِمَ ياسمين صارت هكذا . . . ! معنا كلنا تشيح نظرها ولا تتحدث .

قلت لها بخجل:

-ولا يهمك يا عمتي، ولكني أريد أن أقول لياسمين شيئًا على انفراد، هل تسمحين لي . . . !

وبالفعل خرجت عمتي وهي تهم، قالت لي وهي تربت على كتفي:

-تفضل يا ولدي، البيت بيتك . . .

جلست على طرف السرير وقلت لها بأسى:

-كيف حالك يا ياسمين . . . ؟

لم ترد عليَّ وبدأت تذرف الدمع على خدها ، فقلت لها :

-ياسمين، أريدك أن تساعديني، وأريدك أن تصدقيني أني لم أفعل ذلك .

لم ترد عليَّ، ومن ثم دخلت لي العمة كريمة بصينية عليها فواكه وكوب من الماء ، وضعت الصينية على السرير أمامي فشكرتها ومن ثم خرجت .

سألت ياسمين برفق:

-ياسمين، أريدك أن تساعديني، أنا فكرت في الموضوع ملّيًا ، لا يوجد إلا شخص واحد فعل ذلك ألا وهو جواد .

نظرت بكره وقالت لي:

-أنت من فعلت ذلك ولكن وجهك الحقيقي ظهر .

–حسنًا ، أريدكِ أن تتذكري شيئًا ، هل من فعل ذلك لمحتي حرقًا في رقبته أشبه بشعلة . . . ؟

صمتت ياسمين قليلًا وكأنها كانت تتذكر ، ومن ثم أغمضت عينيها وكأنها تشعر بألم وتعذيب وقالت وهي تفتح عينها :

–نعم، كانت هناك علامة . . . !

من ثم نظرت لها وكنت أريها رقبتي وأسألها بلهفة كي أثبت لها براءتي:

–هل ترين هذه العلامة في رقبتي، قولي لي . . . ؟

ظلت تنظر لي بدهشة والدموع تنهمر من عينها ولم تنطق . . .

كررت سؤالي لها :

–أجيبيني يا حبيبتي ، أرجوكِ صدقيني واتبعي قلبك وسوف أجلب لكِ حقك ممن فعل ذلك، صدقيني أنا سأكون معكِ دائمًا .

بدأت تبكي في هيستيريا وتقول لي:

–أنا لم أعد أرغب في شيء ، لم أعد أريد شيئًا ، أريد أن أموت، أن أموت . . .

بدأت أهدئها وأقول لها :

-لا تقولي ذلك يا حبيبتي، أنا سأظل معكِ إلى الأبد ولن أتركك حبسلة هكذا . . .

ولكنها كررت كلماتها ألا وهي:

-أريد أن أموت، لا أريد هذه الدنيا .

-أرجوكِ لا تتركيني، أنا تركت العالم أجمع وهربت إليكِ يا مصدر الأمان بالنسبة لي .

ومن ثم فعلت شيئًا لم أكن أتوقعه، أخذت السكين الموجود بجوار طبق الفاكهة في ثوانٍ وطعنت نفسها في رقبتها من دون أي لحظة تردد أو تهديد لي، تصلبت مكاني وحملقت عيني من هول الصدمة والدموع ذرفت من عيني تلقائيًا ، في تلك اللحظة دخلت الأم كريمة وصرخت عندما رأت ابنتها ملقاة أمامي مطعونة غارقة في دمها . وأنا مصدوم لا أحرك ساكنًا ، لا أنطق حتى، الأم تصرخ تنادي على بنتها ، ولكن لا حياة لمن تنادي، العمة كريمة لا تصدق أن بنتها فارقت الحياة، التفتت لي وسألتني ماذا حدث، ولكني مصدوم لا أنطق أبدًا ، دخل عمي حاول أن يسألني ولكني لم أستطع النطق، وكيف أنطق بعد الذي حدث أمامي ؟ طلب عمي الشرطة، وفي القسم بدأ التحقيق، حاولت جاهدًا أن أتكلم، ولكن بمجرد أن قام الضابط بالطرق

على المنضدة بكامل قوته كي أنطق، كانت كفيلة كي أنطق بالفعل، لم أجد ما أقوله سوى أنها قالت لي أنها تريد أن تموت وأنها لم تعد ترغب في العيش في هذه الدنيا، وفي لمحة عين طعنت نفسها بقوة في رقبتها .

لم يجدوا بصماتي على السكين، البصمات كانت بصماتها، وعمي عادل وعمتي كريمة شهدا بطيب طبعي وحسن خلقي، وفي بداية التحقيق عندما طلب مني الضابط بطاقتي قلت له إني نسيتها، وقام عمي عادل بضمانتي، ولكن في الحقيقة أنا ليس لدي أي أوراق تثبت هويتي .

خرجت وكلنا في حالة صدمة، والعمة كريمة منهارة باكية، وأنا مصدوم، كل أحلامي تحطمت، حبي الأول ضاع أمام عيني، بل ورحلت وهي تكرهني .

أقسمت أن آخذ حقها، سوف أنتقم ممن ظلمها حتى وإن كان أعز شخص بالنسبة لي . . .

***

مرت ثلاثة أيام وانتهى العزاء وحزني على ياسمين يزيد ولا يقل . . .

النوم قد سرق من عيني، من بعد فراق ياسمين وأنا لا أقدر على النوم نهائيًا . . .

الساعة الثانية بعد منتصف الليل قررت أن أذهب وأبحث عن جواد مرة أخرى.

بمجرد أن وصلت إلى الشقة تفاجأت، كان جواد هناك بالفعل، أغلقت باب الشقة واجتاحت بداخلي عدة مشاعر، مشاعر شوق ومشاعر انتقام وتساؤلات عدة لم أعد أعرف من أين أبدأ، ومن ثم قلت بصوت مكتوم من صدمتي:

-أين كنت كل هذه الفترة . . . ؟

كان يجلس على الطاولة يدخن سيجارته ببرود وأردف:

-عندما هربت بعدما دافعت عن هذه الفتاة، تعرفت على أناس جدد، وقمت بالعمل معهم، تقدر تقول مصلحة جديدة.

-ومتى رجعت هنا . . . ؟

-منذ قليل، سعيد جدًا برؤيتك، لم أكن أدري أنك تشعر بي لهذه الدرجة، بمجرد وصولي هنا قد أتيت حالًا .

اقتربت منه وبدأت أسأله بصوت مهزوز:

-هل أنت قابلت ياسمين . . . ؟

رد بعدما رسم علامات الغباء على وجهه:

-من هي ياسمين . . . ؟

-أنت تعرف جيدًا عمن أتحدث، هي قالت أنها رأتك حتى بالأمارة تلك العلامة التي على رقبتك .

قام من مكانه وزاد غضبه وأردف:

-يعني تكذب صديقك وأخاك وتصدق تلك الشابة !

وقفت أمامه وطرقت بيدي على الطاولة بقوة وقلت له غاضبًا :

-أنا أصدق الحق يا جواد .

نظر لي وضحك ضحكة تهكم وقال لي بسخرية:

-ولأول مرة أراك غاضبًا وتعلي صوتك عليَّ، ومن أجل من . . . ؟ من أجل شابة تعرفها منذ بضعة أشهر .

اقتربت منه وأمسكته من ياقته وزاد انفعالي وقلت له صارخًا :

-كيف تجرأت أن تفعل ذلك بها ؟ وكيف وصلت إليها ؟ لِمَ فعلت كل هذا . . . ؟

بعد يدي عنه وقال بثبات:

-كنت أختبرها لك، وطلعت رخيصة لا تستحقك.

ازداد غضبي وقلت له وأنا أهم بلكمه:

-هي ليست رخيصة، هي ذهبت معك لأنها كانت تظن أنك أنا، وإن وافقت على تلك الفعلة فذلك لأنها تحبني وأعطتني الأمان، ولكن هي قالت لي أنك من أجبرتها على ذلك لا هي...

نظر لي جواد بعد ما لكمته وقال لي متعجبًا:

-أحقًا تلكمني من أجل فتاة! يااااه لهذه الدرجة نسيت ما فعلته من أجلك...

-لِمَ آذيتني في حبيبتي...؟

-كنت أريد مصلحتك.

لم أتحمل كذبه عليَّ، انفعلت بجنون ولم أشعر بنفسي إلا وقمت بلكمه مرة أخرى وقلت له:

-توقف عن الكذب يا خائن.

ولكنه قام بدفعي فسقطت أرضًا...

تمالكت نفسي ووقفت من جديد ، وقمت بدفعه بقوة فارتطم في الحائط فاستغللت سقوطه أرضًا ، وهرعت إلى المطبخ وجلبت سكينًا ، عندما التفتت رأيته خلفي يحاول أن يمنعني من الانقضاض عليه، حللت قبضته عني وصرت أؤشر له بالسكين، فقال لي متعجبًا :

-هل تريد أن تقتلني من أجلها . . . ؟

-بل أريد أن أقتلك كي ترتاح في قبرها ، أنت لم تظلمها هي فقط بل ظلمتني أنا أيضًا ، سوف أجعلك تموت وتكون نهايتك مثل نهايتها التي تسببت بها .

هرعت تجاهه بجنون وقمت بطعنه في رقبته بقوة، حينها فقت، رأيت صديق عمري ملقى أرضًا غارقًا في دمه، سقطت أرضًا بجواره باكيًا نادمًا على ما فعلت . . .

لم أتوقع أبدًا أن أقتل صديق عمري، ولكن أقسم أن هناك قوة خفية تمكنت مني تسببت في ما فعلته، الآن أنا فقدت حبيبتي وصديق عمري، بل وبهذه الجريمة فقدت حياتي تمامًا ، هربت من الإسكندرية وأردت الهرب إلى القاهرة ولكن

الظروف رمتني هنا إلى هذا البيت المهجور الذي ظهرتِ لي به يا عجيبة، ها قد حكيت لكِ ما مررت به، هل يمكنكِ مساعدتي . . .

***

الفصل السادس

الاستنتاج

نظرت فريدة إلى فارس بأسى وقالت له:

-نعم، يمكن . . .

وهنا انتقلت فريدة إلى عالمها الآخر، يبدو أن الوقت قد انتهى.

ها هي فريدة تفكر في فارس، وتفكر كيف سوف تساعده في ورطته، ومن ثم قالت في قرارة نفسها:

-كيف سوف أساعده . . . ؟ ولكن أكيد سوف أجد طريقة لمساعدته، الله أرسلني إليه كي أنقذه، ولكنه قاتل . . . ! وعليه أن يسلم نفسه للعدالة.

آه، أنا محتارة جدًا، أحتاج أن أرتاح قليلًا، عقلي يؤلمني من هذه المغامرة.

***

يد شاب تقترب من فتاة ذات شعر طويل أسود، ها هو يقترب أكثر فأكثر، ومن ثم تلتفت الفتاة ويُكشف عن وجهها . . .

إنها فريدة، والشاب يضع يده على كتفيها ويبكي لها بحرقة:

-صدقيني أنا لم أقتل، صدقيني . . .

أرجوكِ ساعديني . . .

فريدة تسأله بلهفة:

-كيف أساعدك . . . ؟

صوت الشاب يبتعد عنها وهو يقول لها :

-كوني مكاني . . . ساعديني . . . ساعديني يا عجيبة . . .

فاقت فريدة من نومها وهي تحاول أن تلتقط أنفاسها ، تحاول أن تمسح وجهها بيدها كي تزيل عن نفسها أثر هذا الكابوس . . .

فاقت فريدة من تفكيرها وأردفت:

-ولكن يمكن ما رأيته ليس كابوسًا ، يمكن أن تكون هذه رسالة، ولكن ما معناها ؟ ماذا عليَّ أن أفعل . . . ؟

قامت فريدة من سريرها وأردفت بتنهيدة:

-آه يا ربي، ما هذا الذي أقحمت نفسي فيه . . . !

جهزت فطورها ، ومن ثم احتست كوب النسكافيه الخاص بها ، ومن ثم جال بخاطرها كلام أمها :

-الكلام يا صغيرتي في بعض الأحيان يُؤوَّل كما هو من دون تفسير .

لمعت فكرة في بال فريدة وقررت تنفيذها ، وقالت في قرارة نفسها :

-يبدو أني سأبدأ مغامرة جديدة اليوم، مغامرة في حياة فارس ولكن سأراها بنفسي، لن أستمع إليه مجددًا ، معروف أن الموقف يختلف من شخص لآخر أثناء السرد ، وأحيانًا يتغافل المرء عن بعض التفاصيل، أريد أن أرى بنفسي لكي أعرف كيف أساعده بحق .

مصر ، شبرا ، عام 2010 ، في شهر ديسمبر اليوم السادس عشر ، ها هو الجهاز قد نقلها لبيت فارس، طبعًا الجهاز لا يحتاج سوى أبسط التفاصيل ويفهم ما يجول بالخاطر ويتكفل بمعرفة التفاصيل، هي لا تعرف سوى موعد هروبه من بيته وأن اسمه فارس، وكان هذا كفيلًا لهذا الجهاز .

لا داعي للتركيز على الجهاز، فلنركز على ما رأته فريدة . . .

عمارة كبيرة تتكون من 12 طابقًا، وها هي فريدة في الدور التاسع والعاشر، إن شقة فارس تتكون من طابقين أي ما تسمى بـ "الدوبلكس" . . .

يتوسط الصالة صينية كبيرة عليها مبخرة ضخمة، قطع شرود فريدة صوت صرخات طفل، اتبعت فريدة مصدر الصوت، كان الصوت يأتي من غرفة مغلقة . . .

اخترقت الباب؛ لأنها حددت في الجهاز أن تكون روحًا بجسد أثيري ليس له ترددات الجسد المادي الملموس .

رأت طفلًا في العاشرة من عمره مقيدًا بالحبال، وأباه عاكفًا على ضربه بسوط، والأم تقف بجوار الأب تبكي وتمسك به وتقول له:

-أرجوك يكفي هذا يا فتحي، الولد سوف يضيع منا ونحن أنجبناه بعد عناء .

رمى الأب السوط أرضًا وقال نادمًا :

-وليته ما جاء للدنيا ، إنه عقاب الرب لي، ومهما أتوب لن يتقبل الله توبتي أبدًا . . .

بسببه حل عليَّ العذاب في الدنيا وسوف أعذب في الآخرة .

كانت فريدة تسمع ولكنها لا تفهم أي شيء مما يقع على مسامعها .

خرجا الأب والأم من الغرفة، ولكن فارس ظل يبكي ويئن وينادي على أمه:

-أرجوكِ يا أمي تعالي، تعالي وحرريني، فكي قيدي يا أمي، يا أمي ألا تسمعيني . . !

ويجهش بالبكاء، وقامت الأم من سريرها ، ولكن فتحي أمسكها من يدها وقال لها:

-لا تذهبي إليه، أتريدينه أن يفعل كما يفعل كل يوم . . . !

تبكي رحاب وهي تنظر إليه بحسرة:

-ولكنه ولدي، قلبي يتمزق من حزني عليه يا فتحي، لا أستطيع سماع بكائه هكذا . . .

-أرجوكِ أعينيني على إكمال ما بدأته، أرجوكِ اتركي عاطفتك جانبًا كي أستطيع أن أخلصه .

وقفت رحاب تاركة يده وقالت وهي تبكي:

-تخلصه من ماذا ؟ أنت سوف تخلص عليه يا فتحي، سوف تقتل ولدي الذي لي في الدنيا من بعدك .

وقف بجوارها وهمَّ بمعانقتها وقال لها برفق:

-يعني ألا ترين ما يقوم بفعله . . . ! ألا تظنين أن ما يفعله غريبًا يا رحاب، هل أنا أتبلى عليه كي أؤذي ولدي، ها . . . !

-لا، لم أقصد ذلك، ولكن أكثر من شيخ جاء وقال إنه ليس به شيء، أرجوك رفقًا به يا فتحي .

خرج فتحي وقام بفك فارس، وعندما اقترب فتحي من فارس لفكه همس له فارس بتشفٍ وبصوت لا يمكن أن يكون مصدره طفل أبدًا:

-ودع كوابيسك وليالي آلامك ومعاناتك يا فتحي، ولتستعد لنهايتك . . .

فزع فتحي وهمَّ من مكانه ولكنه تمالك نفسه بمجرد ما التفت ووجد خلفه رحاب، سألها برفق وهي تمسح وجهه الذي صار يتصبب عرقًا بقوة لا تتناسب مع الجو:

-ماذا حل بك يا فتحي . . . ؟

نظر لها بتوتر وحاول أن يتمالك نفسه وقال لها:

-لا شيء يا حبيبتي لا شيء، اذهبي للنوم . . .

نظرت رحاب بشفقة لابنها ومن ثم خرجت، ولكن قبل أن تخرج أوقفها صوت ابنها فارس معاتبًا إياها :

-أنتِ لا تحبينني، أنتِ لا تفكرين سوى في زوجك الذي يؤذيني، لمَ لا ترحميني من أذاه وتأخذيني ونعيش من دونه ؟ إنه ظالم، إنه يعذبني، لا يحبني . . .

التفتت أمه وقالت له برفق:

-لا، بل يحبك يا ولدي، إنه والدك، هل رأيت أبًا يكره ابنه . . . ؟

-نعم، رأيت، هو يكرهني ولا يحبني، وأنتِ كذلك لا تحبينني لأنكِ تسمحين له بمعاقبتي على لا شيء .

مسحت رحاب على شعر فارس وقالت مطمئنة إياه:

كل شيء سيكون على ما يرام يا ولدي، لا تقلق .

مر الوقت بدون حدوث أي شيء فقررت فريدة أن ترى ما سوف يحدث بسرعة قصوى مع تخطي الوقت الذي مر بدون أحداث، ولكن فجأة أوقفها صوت ارتطام شيء في الصالة، حينها همَّ فتحي من نومه وكان يمسك في يده اليمنى مصحفًا وفي

اليد اليسرى سبحة، وعندما وصل رأى أن الفازة قد كُسرت، بدأ يتمتم بذكر الله وهو يقترب من غرفة فارس ويقوم بفتحها، ولكنه تفاجأ بأن فارس نائم . . .

فأغلق الباب على فارس ومن ثم التفت . . .

ولكنه وثب رعبًا عندما رأى فارس خلفه، وعيناه حمراوان تمامًا وينزف منهما دمًا وهو يؤشر بيده تجاه فتحي ويرفعه في الهواء . . .

فتحي استمر في ذكر الله ولكن فارس كان يضحك ويقهقه، ويقول متهكمًا:

-هل تظنه سوف يحميك . . . قد فات الأوان .

وقام برميه بقوة في الجدار المقابل في الصالة، وسقوطه على السفرة وكسرها من قوة الارتطام .

هنا قامت رحاب مهرولة للخارج مفزوعة وقالت صارخة:

-ماذا يحدث هنا ؟

التفت لها فارس بعينيه الحمراوين وقام برفعها في الهواء، فزادت من صراخها وهي تتوسل له:

-أرجوك اتركني يا فارس، أنا أمك التي تحبك .

دفعها فارس وجعلها تثبت في الحائط وقال لها بصوت أجش:

-توقفي عن الصراخ، لن يسمعكِ أحد .

حينها فجأة هجم فتحي بكامل قواه على فارس وانقض عليه، وبدأ يتمتم بذكر الله ويعلي صوته أكثر وأكثر، ولكن هذا زاد من غضب فارس أكثر، فدفعه بقوة وصرخ صرخة هزت أرجاء البيت وقال:

-توقف، قلت لك لن يساعدك أحد ، لن يحميك أحد مني .

هنا نظر فتحي لرحاب وقال لها نادمًا :

-قلت لكِ يجب أن تتخلص منه قبل فوات الأوان، إنه لعنة، لعنة الشيطان . . .

قام فارس برفعه عاليًا أمام باب الشرفة وقال له بتهكم:

-بالفعل قد فات الأوان، وقد حان أن أتخلص منك . . .

وقام بدفعه تجاه زجاج الشرفة ورميه من علٍ .

ومن ثم قام برفع أمه عاليًا وحاول أن يرميها ، ولكن أمه بدأت في التوسل إليه باكية وقالت:

-فارس حبيبي أنا أمك، أمك التي تحبك، لا تفعل بي هكذا، سوف أفعل لك ما تريد و . . .

ولكنه بدأ يقترب منها وهو يقول لها بغضب:

-ولكني لا أحبكِ يا من تسببتِ في دمار حياتي قبل أن تبدأ .

أجهشت أمه في البكاء وقالت له غير فاهمة:

-ماذا فعلت أنا يا فارس كي تقول لي هذا الكلام !

ولكن فجأة شعرت أن الكلام لا يجدي نفعًا معه فبدأت بقراءة آية الكرسي وقالت بصرخة: يا رب .

كانت تلك الكلمة كفيلة أن تسقطها أرضًا وتفقد الوعي . . .

من ثم عاد فارس لفراشه وهو ينظر للسقف بعينيه الدمويتين، ومن ثم أغلقها ، وفي ذات اللحظة فتحها ، ولكنها كانت عادية تمامًا ، شعر بالعطش، فقرر أن يقوم كي يشرب، قام وهو يتألم من أثر الضرب على جسده، ولكن تفاجأ بأن غرفة والديه مفتوحة ولم يجد أمه ولا أبيه، ولكن بمجرد أن مر في الصالة وجد أثر تكسير وأمه ملقاة أرضًا ، بدأ يبكي وقال متمتمًا :

-إن هذا الرجل ضرب أمي مثلما يضربني، أنا سوف أهرب ولن أعيش معه ثانية .

وبالفعل ها هو فارس نزل الشارع فوجد الناس ملتفين تحت عمارته، ولكنه لم يكترث فقرر فقط أن يهرب بلا رجعة .

ها هي فريدة تتبعه وتقول في قرارة ذاتها :

-يبدو أنك لست سهلًا أبدًا يا فارس كما توقعت، سأظل وراءك للنهاية كي أعرف كيف سوف تكون نهايتك .

ها هي فريدة تجعل الوقت أمامها يمر بسرعة كي تعرف كل ما مر به فارس بأقصى سرعة قبل انتهاء وقتها .

فارس بالفعل قد مشى كثيرًا إلى أن وصل إلى تلك المواسير الكبيرة، بالفعل وجد هناك قطًا أسود يداعبه، ومن ثم دخل الماسورة كي يتحامى من البرد القارس، وها هو يتحدث، ولكن إلى من . . . !

إن فارس يتحدث مع نفسه . . . ! لا وجود لجواد من الأساس . . . !

ها هو فارس يمر في السوق وهو الذي يسرق، ومن ثم يجلس على الرصيف ويأكل ويتحدث مع ذاته . . .

فريدة جعلت الوقت يمر بسرعة أكبر كي تصل لليوم التالي حيث تم الاختطاف . . .

إن من تم اختطافه كان طفلًا سمينًا لا يمت بصلة لملامح فارس، أي أن لا وجود لجواد، وأن جواد لم يكن معه في بيت المعلمة سماح.

ها هو فارس بمفرده يسرق . . .

مرت السنين وفارس يتحدث مع نفسه في الغرفة، لا وجود لأحد معه .

فارس هو من يستغل المعلمة سماح، هو الذي يدخن وهو من يتعاطى المخدرات وهو من يزني، لا وجود لشخصية جواد التي اختلقها كي يختبئ من عيوبه وراءها . . .

فارس هو من سافر بمفرده للإسكندرية، وهو من كان يتعامل مع المعلمة قدرية في تجارة المخدرات .

وفارس هو من اعتدى على الضابط، لا وجود لجواد في أي موقف من المواقف .

وبالفعل هو من أخذ ياسمين وفعل بها تلك الفعلة القذرة، ولكن ياسمين هي التي قتلت نفسها بالفعل، فارس أمامها مصدوم غير مصدق ما تفعله .

من ثم قررت فريدة أن تتأكد من آخر شيء، ألا وهو قتل فارس لجواد . . .

ها هو فارس في البيت يتجادل مع نفسه، وها هو يقتل بالفعل .

ولكن . . . إنه ليس جواد . . . إنه مجرد قط أسود دخل عندما فتح باب الشقة . . . !

بمجرد أن رأى الدم هرب نادمًا ، ولكن لِمَ هو نادم ؟ إنه مجرد قط ليس جواد .

فريدة ترى اللحظات الأخيرة لفارس بأقصى سرعة، هرولته باكيًا ، صلاته، هربه وركوبه القطار، وبالفعل هو لم يدفع أجره لأنه كان نائمًا ، وها هو ضرب مسؤول التذاكر وهرب .

إن فارس مضطرب حقًا . . . !

من ثم دخل البيت المهجور، ومن ثم القط الأسود ذو العيون الخضراء المائلة للصفرة ينقض عليه فيفقد وعيه .

ومن ثم رأت نفسها معه ولكنها تجاوزت تلك المحادثة الطويلة وتوقفت عند كلمة:

-نعم، يمكنني مساعدتك يا فارس . . .

فارس يهم ناهضًا باكيًا ويقول لها :

-كيف . . . ؟

فريدة نظرت أرضاً ومن ثم تنفست الصعداء وقالت لفارس:

-أنت لم تقتل جواد . . .

نظر لها بتعجب ومسح دمعه وقال:

-كيف . . . ؟ إن دمه لطخ يدي . . .

نظرت فريدة لفارس بجدة وقالت له بكامل قواها :

-لم تقتل جواد؛ لأن جواد ليس له وجود من الأساس .

ابتعد عنها فارس وقال لها :

-هل تظنين أني مجنون . . . ؟ صدقيني، أنا قلت لكِ كل ما مررت به في حياتي .

حاولت فريدة أن تقترب منه وقالت له بهدوء :

-أنا أصدقك يا فارس، أنت قلت لي ما تعتقده أنت في ذهنك، ولكن كما تعلم، أنا قلت لك إني سوف أساعدك ورجعت بالزمن ورأيت حياتك بأم عيني، لا وجود لجواد، كنت أنت وحدك طوال هذا الوقت، جواد مجرد شخصية في خيالك . . .

أبعد فارس فريدة عنه وبدأ يغلق أذنه وهو يقول لها بانفعال:

-توقفي، توقفي، أنا لست أتوهم، جواد حقيقي صدقيني .

أخذت فريدة في الاقتراب منه وإزالة يده عن أذنه، وها هو بدأ ينزل أرضاً من قوة الصدمة، فبدأت تهمس له:

-فارس، أنا معك، بجوارك وسوف أساعدك كي تكون بخير، الله أرسلني لك كي أساعدك، يمكن الله جعل أبي يوصي أمي أن أدرس الطب النفسي من أجلك . . . !

أنت مصاب باضطراب وهامي، أنت تختلق مواقف وشخصيات ليس لها وجود، أحياناً نختلق شخصية تعوضنا عن شعور نفتقر إليه في حياتنا، بعض الأطفال لديهم الصديق الوهمي أو الخيالي، ولكن سرعان ما نخرج من هذا الوهم للواقع ونكون صداقات في الواقع، فقدانك لأهلك وبعدك عن الناس وانفرادك بذاتك جعل مرضك النفسي يتمكن منك.

-صدقيني جواد كان معي دائمًا .

-أصدقك، وأصدق كل مشاعرك، ولكن عليك أن تصدقني، وأن تسلم نفسك للشرطة.

نظر لها فارس بدهشة متسائلًا:

-لماذا أسلم نفسي للشرطة . . . ؟ أنتِ قلتِ لي إني لم أقتل جواد، وياسمين ماتت منتحرة . . . ؟ ما الذنب الذي اقترفته كي أذهب للسجن . . . ؟

قالت فريدة وهي تنظر لعينيه وعيناها تترقرقان بالدمع:

-لأنك قتلت بالفعل . . . ؟

-لم أقتل أحدًا أقسم لكِ . . .

وأجهش بالبكاء، فقالت له وهي ترفع رأسه كي ينظر لها:

-بل قتلت، قتلت والدك . . .

صُدم فارس وقال بدهشة:

-أنا قتلت والدي . . . ! إن والدي هو من كان يعذبني وأنا هربت من شدة قسوته .

-لا، بل هذا ما سولت لك به نفسك، أنت من آذيته وهو كان يفعل ذلك من أجل أن يخلصك من شيطان نفسك .

مسح فارس دمعه وقال متعجبًا:

-شيطان نفسي . . . ! لا أفهم ما تقولينه .

جلست فريدة أمامه وأمسكت يده وقالت له:

-كما تعلم، أغلب العرب عندما يجدون أحد تصرفاته صارت شاذة أو غريبة، أول ما يخطر في بالهم هو الشيطان والسحر وكفى، يلجأون إلى الدجالين ولا يخطر في بالهم العلاج النفسي .

-يعني أبي كان يضربني ظنًا منه إني ممسوس . . . ؟

-هذا ما كان يظنه . . .

-ولِمَ ظن . . . ؟ ماذا كنت أفعل له . . . ؟

-كنت تحرك الأشياء وتدمر البيت وتلعب بأبيك مثل الدمية وغير ذلك الكثير . . .

-أحقًا هذا ما كنت أفعله . . . ؟

-هذا ما رأيته بعيني .

-ولكن هل بالفعل المرضى النفسيون قادرون على تحريك الأشياء عن بعد هكذا . . . !

-العلم أثبت أن هنالك بعض الأشخاص لهم قدرات فائقة يتحكمون بالقوانين الفيزيائية فيصيرون قادرين على جذب الأشياء ورفعها عن بعد .

-يعني أنا قاتل وسارق . . . ! لا أريد أن أعيش، أريد أن أموت .

-لا تقل هذا يا فارس، بل قدم نفسك للعدالة واحكِ ما حكيته لي بالضبط، وبالكشف الطبي سوف يثبت مرضك العقلي، أنت لا يجب أن تموت، يجب أن تذهب لمستشفى الأمراض العقلية، وتتخلص من مرضك النفسي وتتعافى وتبدأ من جديد .

-ولِمَ أبدأ من جديد ؟ لا يوجد لي أحد في هذه الحياة، لا يوجد لي دافع للبقاء هنا ، لا يوجد أبدًا .

ومن ثم خبأ رأسه بين ذراعيه وانكمش وأجهش بالبكاء ، قامت فريدة برفع رأسه وقالت له هامسة:

-لا، بل سأكون أنا معك، وسأكون بجوارك إلى أن تتعافى .

نظر لها فارس ومسح دمع عينه، وخرج من البيت وقدم نفسه إلى أول قسم شرطة، وبمجرد أن دخل القسم طلب أن يقدم بلاغًا ، وبالفعل دخل للضابط فسأله وهو ينفث سيجارته بغضب:

-أين بطاقتك . . . ؟

ارتجف فارس ومن ثم تمتم قائلاً :

-ليس لدي بطاقة، والبلاغ هو، أريد أن أبلغ عن نفسي، وعن تاجرة بالبشر، وتاجرة مخدرات .

قام الضابط بإطفاء سيجارته ووضع يداه الاثنتين تحت ذقنه وقال له:

-يااااه، كل هذا، تفضل احكِ . . .

-ولكن أرجوك يا باشا أن تجعلني أحكي لك كل شيء ولا تقاطعني، وأن تصدقني، ويمكنك أن تتأكد من صدق كلامي بعد الانتهاء . . .

قام الضابط بطرق المنضدة بقوة:

-لا تشترط عليَّ يا روح أمك، أنا هنا من يعطي الأوامر . .

هز فارس رأسه إيجاباً ثم قال له:

-حاضر يا باشا ، سوف أحكي، أنا هربت من أبي في طفولتي لأنه كان يعنفني، وعندما هربت تعرضت للخطف من عصابة الاتجار بالبشر وعلموني أنا وأطفال آخرين السرقة، وكانت البنات ببلوغهن يعملن في الدعارة، يمكنني أن أقول لك عنوان المعلمة سماح في إمبابة، شارع . . . بيت رقم . . .

وبمجرد أن جئت إلى هنا سكنت في بيت في سيدي جابر بواسطة المعلمة قدرية التي عرفت فيما بعد أنها تاجرة ووسيطة في تجارة المخدرات.

أوقف الضابط كلام فارس وقال له:

-وكيف عرفت أنها لها في تجارة المخدرات...؟

-سوف أشرح لك يا سعادة البيك، في البداية أريد أن أقول لك عنوانها في سيدي جابر، شارع... البيت رقم... كي تتأكد من صحة كلامي يا باشا.

ما سأقوله لك لن تصدقه، ولكني أريد أن أرتاح من هذا العبء الذي اجتاح قلبي وصدري، وأريد كل واحد أن يأخذ جزاءه.

أنا عرفت أن المعلمة قدرية تاجرة مخدرات من صديقي جواد.

قام الضابط بإشعال سيجارة وقال:

-ومن هو جواد وأين هو...؟

ابتلع فارس ريقه وحاول أن يتمالك قواه وقال:

-جواد هو من كان يتعامل مع المعلمة قدرية في تجارة المخدرات، هذا ما كنت أظنه.

-ماذا تعني بهذا الذي كنت تظنه . . . ؟

-سوف أشرح لك يا باشا ، كنت أبيت في بيت مهجور ، وأنا هناك ظهرت لي من حيث لا أحتسب شابة، عبارة عن طيف، سألتها من هي، قالت لي أنها من المستقبل، حكيت لها قصتي وطلبت منها المساعدة، فرجعت بالزمن ورأت حياتي واكتشفت ما لم أكن أعرفه، قالت لي لا وجود لصديقي المقرب جواد ، وإني أنا من كنت أسرق مع المعلمة سماح لا مجرد من كنت أساعد جواد ، وأنا من كنت أتاجر وأتعامل مع المعلمة قدرية في تجارة المخدرات، وقالت لي أني قبل ما أهرب في طفولتي أنا من تسببت في موت والدي، ولكني كنت أظن إني هربت فقط هربًا من بطشه وقسوته، وكي تتأكد من وقوع حادث موت والدي سوف أذكر لك يوم هروبي في السادس عشر من ديسمبر عام 2010 ، اسم والدي هو فتحي عبد السلام، هي تقول أن الحادث صار في نفس اليوم .

نظر له الضابط بتعجب وتساءل:

-من التي قالت لك . . . ؟

-عجيبة يا باشا .

طرق الباشا على المنضدة بقوة وهمَّ واقفًا وقال بغضب:

-هل أنت تتعاطى مخدرات يا روح أمك . . . ؟ يا عسكري .

دخل عسكري الشرطة، فهمَّ الضابط آمرًا إياه بحزم:

-خذ هذا المخبول إلى الزنزانة، إلى أن نتأكد من صحة ما قاله .

قام العسكري بالتحية وقال:

-تمام يا فندم .

وهمَّ بسحب فارس من يده، ومن ثم نادى عليه الضابط، فقام فارس بالالتفات إليه:

-أقسم لك إن لم يكن ما ذكرته لي صحيحًا لسوف أجعلك تهلوس بالفعل من شدة التعذيب، لن تحتاج بعدها أن تتعاطى مخدرات مرة أخرى يا ابن ال . . .

قام العسكري بسحبه وقال متمتمًا وهو يجر فارس:

-توقفوا عن تعاطي هذا السم يا ولاد الحرام . . .

***

فارس صار في الزنزانة وخرَّ على الأرض، لا يدري ماذا فعل بنفسه:

-كيف سمحت لها أن تلعب في عقلي وأن أصدقها ؟ قالت لي سوف تساعدني، بل هي استغنت عني ورمتني في الجحيم، ليس بيدي سوى أن أقول يا رب ساعدني .

بعد ساعة واحدة فقط جاء العسكري وفتح الزنزانة ونادى:

-فارس فتحي عبد السلام . . . !

قام فارس ببطء من شدة التعب وقد سيطر عليه اليأس وقال:

-نعم، أنا فارس .

همَّ العسكري بسحبه بسرعة وقال له بحزم:

-هيا تعالَ معي، سعادة الباشا يريدك .

دخل فارس وهو مطأطئ رأسه، فقال له الضابط بنبرة مختلفة جعلت فارس يرفع رأسه متعجبًا :

-اجلس يا فارس، لقد قمت بعدة اتصالات، وتمكنت القوات في القاهرة من القبض على المعلمة سماح ومن معها ، وتمكنت القوات من القبض على المعلمة قدرية في

الإسكندرية، وتأكدنا من انتحار والدك بالفعل، وهذا يثبت صدق كلامك.

بالنسبة لشهادتك على المعلمة سماح وقدرية تم اعتبارك "شاهد ملك"، وبالنسبة لمقتل والدك فبشهادة الجيران يقولون إنه رمى نفسه، لم يسقطه أحد، وتلك الفعلة كانت في صغرك، ولكن لا يضر أن يتم عرضك على طبيب نفسي، وإن تم إثبات مرضك النفسي سوف تُؤهَّل للعلاج في المصحة. أغلق المحضر يا ابني.

-يا عسكري، خذه للطبيب النفسي.

ومن ثم خرج فارس من الغرفة وهو غير قادر على استيعاب ما يحدث له...

ومن ثم دخل غرفة أخرى كي يتحدث مع الطبيب النفسي، سمع صوتاً يعرفه جيداً... التفت لصاحب الصوت بلهفة.

كان صوت فريدة تقول له بلهفة:

-ألم أقل لك... أن الله أرسلني إليك كي أساعدك.

همس لها:

-كيف فعلتِ ذلك...؟

ظهرت كطيف أمامه، أشار لها وهو يحملق بعينيه... فضحكت وقالت له:

-لا يراني سواك، لا تقلق .

سألها بتعجب:

-كيف تفعلين ذلك . . . ؟

قالت له بابتسامة مبسطة الأمر:

-كله في هذا الجهاز .

طبعًا قراءي الأعزاء، لا تتعجبوا من قدرة هذا الجهاز في عام 2038، ها نحن ذا في عام 2022 ويمكننا في الواتساب أن نجعل الحالة الخاصة بنا تظهر لشخص والآخر لا، لذا لا داعي للتعجب من إعدادات التكنولوجيا أبدًا .

أوه، دعوني أكمل لكم ما جرى، ما دخل الواتساب الآن ؟

أكملت له فريدة وقالت:

-لقد تلبست الضابط وقمت بالإجراءات بأقصى سرعة، أنت تعرف بطء الموظفين، وأنا ليس لدي وقت في مغامرتي يا فارس، وأنا من طلبت إحالتك لطبيب نفسي، وصدقني الطبيب غير الضابط سوف يصدق كل شيء تتفوه به، احكِ، لأن كل ما تحكي أكثر يتم التشخيص أفضل .

نظر لها فارس بامتنان وقال لها:

-أشكرك يا عجيبة.

هنا صدر صوت الطبيب النفسي عندما ظهر في الغرفة وقال:

-احم احم، تفضل يا فارس، احكِ لي ما مررت به.

هنا بدأ فارس يحكي للطبيب النفسي وتم إحالته لمصحة نفسية، عرفت فريدة اسمها ولم يسعها الوقت أن تكمل معه بقية اليوم.

عادت فريدة إلى يومها العادي وهي تشعر بالتعب، ولكن يجب أن تذهب للجامعة ضروري.

عادت للبيت مساءً وزاد إرهاقها أكثر فنامت نومًا عميقًا، نامت وهي مرتاحة جدًا بعد أن تمكنت من إكمال رحلتها ومغامراتها مع فارس.

***

الفصل السابع

العودة من جديد

فتاة طويلة وعريضة ذات شعر كستنائي طويل واقفة في مكان شبه مظلم، تمسك رقبتها وتئن، فريدة تقترب منها تحاول أن تساعدها ، التفتت إليها الفتاة مسرعة، وسحبت السكين من عنقها وبكت بهستيريا وهي تمسك السكين وتوّشر به لفريدة وتقول:

-لم أقتل نفسي . . .

صدقني فارس . . .

صدقني فتحي وخلصي فارس من الشيطان . . .

ومن ثم تلاشت صورتها وصوتها ما زال يتردد صداه . . .

خلصيه من الشيطان . . . خلصيه من الشيطان . . . الشيطان .

قامت فريدة من نومها وقد وثب قلبها من هول الكابوس . . .

أخذت كأس الماء من جوارها واجترعت ما به من ماء وقالت بتعب:

–آه يا رب، وأنا كنت أظن أن موضوع فارس قد انتهى، يبدو أن الموضوع قد عاد من جديد .

كتبت فريدة التاريخ الذي وصل فيه فارس للمصحة النفسية، طبعًا فريدة عندما ترغب أن تزور فارس ويتذكرها يجب أن تكتب تاريخ أول لقاء لهما فما بعد ، أي تاريخ قبل ذلك إذا رآها فارس لن يعرفها ، فهي تكمل ما بدأته، وتكمل حيث توقفت .

ها هو فارس مقيد في السرير ويطير في الهواء ويصرخ ويقول:

–أنت وهم، أنت غير موجود ، لا أحد يراك، إذن أنت غير موجود ، سوف أتخلص منك، لن أدعك تسيطر عليَّ، ابتعد عني . . . ابتعد .

همَّ الطاقم الطبي يهرع من جديد إلى فارس وقاموا بحقنه، يبدو أن هذه النوبة تكررت معه من قبل .

وقفت فريدة تتساءل متعجبة:

–ما تلك الحالة التي يمر بها فارس . . . ؟ لِمَ كل فترة في حياته بأعراض مختلفة . . . ؟ وهل بالفعل هو يرى جواد الآن حقًا . . . ؟

أوه، تلك الفتاة التي تشبهني التي أظنها ياسمين قالت لي عليَّ أن أصدق فارس، وأمي تقول الكلام في المنام حق.

أمسكت فريدة رأسها وقالت:

-آآآاه، ماذا عليَّ أن أفعل . . ؟ يا رب ساعدني، ألهمني.

هنا سمعت تمتمة فارس الأخيرة قبل أن يدخل في سبات نوم عميق: "أنا لا أراك حقًا . . . أنت . . . وهم . . . وهم".

هنا التمعت فكرة في بال فريدة وقالت:

-لا يوجد أحد يرى جواد سوى فارس فقط، معنى هذا إني إذا تلبست فارس سوف أراه . . . لِمَ لا أجرب . . . !كما تلبست الضابط وتحكمت بهِ لِمَ لا أتلبس فارس وأرى الحقيقة من منظوره هو . . . كي أفهم جميع جوانب الموضوع يجب أن أراه من الجوانب كلها بالفعل.

ها هي فريدة تقترب من فارس واستجمعت قواها وقررت اختراق جسده، وتمكنت فريدة من تلبس فارس، وفتحت عيني فارس، ولكن بمجرد أن فتحت

عينيه رأت أمامها صورة طبق الأصل من فارس، ولكن يوجد فرق علامة شعلة على رقبته، وكان يضحك ضحكة شيطانية وقال هامسًا :

-نهايتك اقتربت يا فارس، أوه أقصد يا فريدة، نهايتك اقتربت أنتِ كذلك إن أصررتِ على الاقتراب من فارس .

ومن ثم قهقه ضاحكًا ثم اختفى . . .

هنا لم تستطع أن تلبث أكثر من ذلك، قررت فريدة الخروج من جسد فارس، بل وقررت الانسحاب من هذه المغامرة وخرجت مسرعة، قامت لاهثة خائفة، متسائلة:

-ماذا عليَّ أن أفعل الآن . . . ؟ من هو هذا الجواد . . . ؟ ما هي حقيقته . . . ولِمَ يريد أن يتخلص من فارس . . . ؟

هل أنسحب أم أكمل . . . ؟ ولكن حياتي معرضة للخطر .

قررت فريدة أن تذهب للجامعة ولكنها كانت شاردة الذهن، عقلها يفكر في فارس، وتتذكر صراخه ورفضه حقيقة جواد . . . أقنعته أن جواد وهم، ولكنه حقيقة .

ولكن كيف يكون حقيقة ؟ إذا كان حقيقة ولا يراه سواه ماذا يعني هذا . . . ؟

هذا لا يعني سوى شيء واحد، أنه . . . إنه . . . شيطان .

ما هذه التخاريف يا فريدة . . . ! أتصدقين هذه التخاريف والماورائيات . . . !

أنتِ شابة عالمة دارسة، لا تستندي إلا للعلم وكفى .

يمكن سيطر عليَّ تفكير فارس فرأيت ما يراه من شدة التفكير في جواد . . . !

نامت فريدة في المحاضرة الثالثة غصب عنها ، إن تلك المغامرات تؤثر على عقلها بشدة .

نفس الصوت يتردد في الظلام:

-صدقي فارس . . .

صدقي فتحي وخلصي فارس من الشيطان . . .

فاقت فريدة من نومها على صوت الدكتور وهو ينادي عليها :

-فريدة، فريدة . . . ! هذا ليس مكانًا للنوم .

التفتت فريدة فرأت كل من في القاعة يضحك عليها ، اعتذرت للدكتور وقالت له:

-أنا متعبة قليلًا يا دكتور أعذرني .

وقررت الخروج من المحاضرة، ومن ثم عادت إلى بيتها متعبة وما زال الصوت يتردد في أذنها :

-صدقي فارس، صدقي فتحي وخلصي فارس من الشيطان .

-أصدق فارس . . . !

بالفعل بدأت أصدق فارس بعد ما رأيت ما يحدث له من خلال عينه لا من منظوري أنا ، ولكن عليَّ أن أتأكد من المواقف التي حكى لي عنها ، ولكن في هذه المرة سوف أكون أنا بداخل عين فارس كي أرى ما يراه .

كتبت فريدة تاريخ لقائها بفارس ومن ثم حددت أن تكون طيفاً غير مرئي ولا محسوس، ومن ثم تلبست فارس وقامت بنسخ كل ما رآه فارس منذ صغره إلى هذه اللحظة من عينيه إلى عدسة عينها ، ومن ثم عادت إلى بيتها .

قامت بنقل كل التجربة المخزنة على الجهاز إلى هاتفها وها هي تقوم بمشاهدة حياة فارس من وجهة نظره .

تخطت الكثير وتوقفت عند المهم أو ما ذكره لها فارس بالتحديد .

فارس بالفعل طفل ذا عشر سنوات يحاول ليلا الهرب عندما لم يجد أباه ورأى أمه ملقاة أرضاً .

وبالفعل فارس يرى طفلاً يشبهه، وبالفعل يقوم بكل ما ذكره .

وجواد هو الذي يسرق . .

جواد هو الذي يتعاطى مخدرات ويتاجر بها ويزني .

فريدة أوقفت المشاهدة وتعجبت، ومن ثم سألت نفسها بصوت مرتفع:

-ولكن كيف يا فريدة . . . ؟ كيف الآن عندما رأيت من خلال عين فارس رأيت كل ما قاله لي بالفعل، وهذا معناه أن فارس ليس مريضاً نفسيًا ولكن كيف ؟

أنا عندما رأيت المشهد من منظوري أنا لم يكن هناك وجود لجواد، فارس من يفعل الأمر، فارس يتحدث مع ذاته . . . !

هذا بالفعل ليس له إلا تفسير واحد، تفسير لا يتناسب مع عقليتي، ألا وهو . . .

لا، لن أتعجل في تحليلي للأمر .

ياسمين جاءت لي في المنام وقالت لي: "عليَّ أن أصدق فارس وفتحي" .

الآن أنا قد صدقت فارس وعليَّ الآن أن أصدق فتحي .

جاءت فكرة في بال فريدة ألا وهي العودة بالزمن إلى ما قبل انتحار فتحي . . .

قالت فريدة في قرارة نفسها : "أنا رأيت الموضوع من ثلاث جوانب . . . الجانب الأول الحقيقة غير الكاملة أي ما يعلمه فقط فارس، والجانب الثاني هي الحقيقة التي رأيتها بعيني أنا وهي التي لا يعلمها فارس، والجانب الثالث هو وجود جواد التي لا يراه سوى فارس، لم يتبقَ سوى الجانب الرابع للموضوع وهي نظرة فتحي للموضوع، أكيد سوف أصل لطرف الخيط الذي سوف يصلني لحل . . .

أمي قالت أن الكلام في المنام حق، يجب أن أتبع التعليمات، يجب أن أتبعها . . .

لن أخاف من جواد ولا من تحذيره .

هنا بدأ ضوء غرفتها في التذبذب وبدأت تشعر برجفة بسيطة، فقالت فريدة بثقة وهي تهم بإخراج سلسلة أمها المنقوش عليها لفظ الجلالة "الله" في نجمة سداسية وقالت بقوة:

-لقد رباني أبي على عدم الاستسلام وعلى عدم الخوف .

ومن ثم كتبت تاريخًا قبل هروب فارس، ها هي وصلت الشقة وما زال البخور يملأ الجو، كان الوقت ليلًا وها هي تسمع صوت بكاء رجل قادم من إحدى الغرف . . .

اخترقت الغرفة، فرأته منكمشًا ويبكي نادمًا . . . ويقول:

-يا رب ساعدني على التخلص من هذا الشر الكامن به، يا رب أنا أعلم أني وحدي من سوف أتمكن من تخليصه لأني وحدي الذي تسببت في كل هذا . ولكنك لا تريد أن تتوب عليَّ بسبب ما فعلت، أرجوك ساعدني وخلصني من عذابي .

هنا قررت فريدة أن تظهر له وقالت له برفق:

-أرجوك لا تفزع مني، أنا جئت للمساعدة .

وقف مكانه وتمتم:

-أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

قالت له بلين كي تهدئ من روعه:

-حسنًا هيا بنا نقولها سويًا، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ها أرأيت لم أحترق . . . أنا من الإنس لا من الجن، ولكني جئت من المستقبل كي أنقذ ابنك، ابنك يتعذب وجواد يريد أن ينهي حياته .

نظر لها فتحي باستغراب وسألها:

–من هو جواد . . . ؟

–جواد هو شاب يشبه ابنك فارس .

ومن ثم حكت فريدة الحكاية من جديد إلى فتحي وفهم، وقال باكيًا:

–إن الشيطان هو من وهبني فارس ويريد أن يأخذه مني، كنت أريد ابنًا سندًا لي، ولكن بمجرد قدومه كان لعنة حياتي .

نظرت له فريدة باستغراب وسألته:

–الشيطان هو من وهبك فارس . . . ! كيف هذا . . . ؟ أنا أعلم أن الله هو من يهب كل شيء لا الشيطان .

بكى فتحي وخرَّ أرضًا وقال:

–الله، الله لن يرضى عني بعد ما فعلت . . . الشيطان يا بنيتي قادر أن يفعل لكِ كل شيء بمجرد أن تؤمني به وتسجدي له وتكفري بالله . . . الله يغفر الذنوب جميعًا إلا الشرك به . . . وأنا لم أشرك فقط بل كفرت . . . لم ألجأ للرب بل لجأت للشيطان .

فصارت حياتي جحيمًا بسبب الشيطان في الدنيا . . . وستكون جحيمًا في الآخرة بسبب عدم رضي الرب .

نظرت له فريدة وهي لا تفهم شيئًا وسألته:

-لا أفهم شيئًا ، لِمَ لجأت للشيطان . . . ؟

-السبب هو . . .

ولم يكمل كلامه وبدأ البيت في الارتجاف والضوء في الاهتزاز وصوت ضحك مخيف قادم من غرفة فارس، وها هو قد قام بكسر الباب وقام برفع أبيه عاليًا ، وها هو يذكر الله ولكن قواه تزداد أكثر ، ولم يخرَّ فارس واقعًا إلا بعد أن لفحته أمه بمفرش منقوش عليه آية قرآنية، ذلك المفرش شل حركته تمامًا .

وأنا بمجرد أن سمعت صوت فارس في البداية خفيت نفسي، وها أنا أتابع ما يحدث، فتحي يقوم من على الأرض، ويقول لرحاب أن تحمل فارس لسريره، وجلب هو الحبال وقام بتقييده، ولكن حينها كان فارس في حالته العادية، ولكن أباه فتحي بدأ في ضربه وهو يقرأ القرآن، وفارس يستنجد بأمه، وما حدث أنتم تعرفونه جيدًا .

قررت فريدة العودة لحياتها ومن ثم ترددت وقالت في قرارة نفسها :

-لا، ليس لدي وقت للراحة، يجب أن أستغل ما تبقى من وقت هذه الرحلة في معرفة الحقيقة، يجب أن أعرف ما فعله فتحي ولِمَ . . . ؟

قررت فريدة أن توقف الزمن، وتلبست فتحي، وقررت أن تنسخ ذاكرة فتحي من عدسة عينيه على عدستها الخاصة بأقصى سرعة .

خرجت مسرعة من جسد فتحي ورجع الوقت وخرجت من التجربة تمامًا .

عندما عادت للواقع سقطت أرضاً وفقدت الوعي .

يبدو أن التجربة أثرت عليها إلى أقصى درجة هذه المرة من هول وكمية المشاهد التي قامت بنسخها على عدستها التي تشكل لها ذاكرتها المؤقتة .

وبمجرد أن فاقت أمسكت رأسها ، كانت تشعر بالدوار، قامت بتوصيل جهاز السفر عبر الزمن لاسلكيًا بنقالها ، لمست خاتمها وعرضت كل الملفات على الشاشة المنبثقة أمامها .

كل ملف يحمل يومًا من أيام فتحي . . .

قررت فريدة أن تتغيب عن الجامعة وذهبت لكي تعد كوب النسكافيه الخاص بها ، ومن ثم بدأت بأول ملف بأقصى سرعة وتتوقف عند المشهد المهم وكفى، ومن هنا بدأت .

***

الفصل الثامن

الشيطان

في عام 1996 في شهر يوليو، ها هو فتحي يجلس على كورنيش النيل مع شابة في العشرينات من عمرها، إنها طويلة وعريضة، وشعرها متوسط الطول وفاحم اللون، ملامحها تشبه فريدة، ولكن غلب عليها الطبع البلدي بسبب طريقة كلامها، وكانت ترتدي عباءة سوداء ضيقة، وحجاباً غير مربوط يغطي نصف شعرها، وملطخة شفاهها بأحمر شفاه. فتحي يجلس بجوارها يأكل الترمس، ويبدو أنه في أواخر العشرينات.

قالت له وهي تمصمص شفتها:

-ألن تتقدم لي يا فتحي. . . ؟

قام فتحي بوضع قرطاس الترمس جانباً، وأردف متأففاً:

-آه، بدأنا في أسطوانة النكد يا عليا. . ؟

-لست نكدية يا فتحي، ولكني سئمت من وضع العشاق هذا واللقاء من حين لآخر خفية، كل ما في الأمر أني أريد أن أكون لك.

-وأنا أريد ذلك بل وأكثر، ولكن ليس بيدي حيلة، وأنتِ تعلمين أني لا أريد سواكِ .

-نعم، أعلم أن قلبك لا يريد سواي، أنت لي أنا وحدي، وإن قررت أن تكون لغيري، حياتك ستصبح جحيماً .

فتح فتحي قرطاس الترمس وبدأ يأكل منه وهو يقول متهكماً :

-حياتي ستصير جحيماً أكثر من الذي أنا فيه . . . !

ضربته برفق وقالت له:

-ألا تكف عن المزاح يا فتحي . . ؟ يا فتحي أنا مرتبطة بك منذ ست سنوات ولم تتقدم خطوة للأمام، إلى متى سأنتظر . . . !

رمى فتحي قرطاس الترمس في النيل، ونظر بغضب لعليا وقال لها :

-ماذا تريدينني أن أفعل لكِ . . . ؟ يعني إن رأيتني أتصنع الضحكة في وسط الهم نكدتِ عليَّ، تكفي الدنيا عليَّ يا عليا ، ماذا كان بيدي أن أفعل ولم أفعله، قولي لي . . . ؟ مرتبي الذي آخذه من وقفتي في المحل طوال الشهر يكفي خروجنا سوياً وإيجار الشقة التي أعيش بها مع أهلي .

-بيدك يا فتحي، بيدك، أنت وسيم .

-وسيم . . . ! أول مرة أعرف أن الرجل يُمدح لوسامته، وماذا سوف أفعل بوسامتي، أتريدينني أن أمشي على حل شعري وأبيع شرفي . . . ! يا ليت، ولكني رجل، لا فائدة من وسامتي .

نظرت له عليا بمكر وابتسمت وقالت:

-لا، بل يمكنك أن تستغل وسامتك وتأكل الشهد .

نظر لها فتحي مستغرباً، وأردف بصوت مكتوم من الحيرة:

-لا أفهمك يا عليا . . . ! فهميني . . . !

-رحاب . . . !

رسم ملامح الغباء على وجهه وتساءل:

-رحاب من . . . ؟

-رحاب التي تعمل عندها في أحد محلاتها ، صاحبة السوبر ماركت الموجود في عمارتها .

نظر لها فتحي وأشاح بنظره عنها ونظر للنيل وقال ساخراً:

-يعني رحاب سوف تترك كل من يريدها وسوف ترضى بي أنا . . . ؟

-لا تعطيها أكبر من حجمها يا فتحي، هي أكبر منك أولاً، وعمرها الآن ثلاثون، وأرملة بعد عشرة أعوام من الزواج بالمعلم صلاح الذي كان يكبرها بثلاثين عاماً .

بينما أنت تصغرها ، هي لم تعش شبابها يا فتحي، بل اشتراها رجل في عمر والدها ودفن شبابها ، والآن هي محرومة من الزوج منذ عام، العب على مشاعرها بحجة الحب، سوف تلين لك أنت، من يتقدم لها كلهم رجال متزوجون ومعهم أولاد فلا يهمهم إن كان بها عيب الإنجاب أم لا، لأنهم لديهم أولاد في الأساس، الكل يريد أن يمتص شبابها ويتمتع بها ، بينما أنت ستكون المختلف عنهم، أنت الشاب الوحيد الذي تجرأ على حبها ، وما يميزك عن بقية الشباب أنك وسيم، هي من ستطمع بالاستمتاع بك وأن تعوض نفسها بك عن حرمانها .

نظر لها فتحي باستغراب وسألها :

-هل أنتِ بالفعل تحبينني يا عليا . . . !

ضربته عليا على صدره وضحكت ضحكة متصنعة:

-طبعاً أحبك، وهل هذا سؤال يا فتحي . . . ؟

نظر لها فتحي بجدية وسألها :

-كيف تحبينني وأنتِ تريدينني أن أكون لغيرك . . . ؟ أنا لا أحب سواكِ ولم تملأ عيني أي امرأة كانت، وإن كان من أجل المال لا أريده، أنا لم أخنك في خيالي، أتريدينني أن أفعل هذا حقاً . . . ؟

وضعت يدها على كتفه ومن ثم لفتت وجهه تجاهها وقالت له بلين:

-أنا واثقة في إخلاصك لي يا فتحي، لذا قلت ذلك لأني واثقة أنك سوف تنفذ الخطة وكفى، ومن ثم نستمتع نحن في العز .

أرجوك اسمع لي يا فتحي، لقد سئمت الفقر والبعد .

أشاح فتحي بنظره عنها وقال لها :

-لا أستطيع أن أفعل ذلك يا عليا ، صدقيني . . .

-إن كنت تحبني بصدق يا فتحي افعل ما أقوله لك، جربها ، هل بالفعل سوف تميل لك أم لا . . . ؟ وإن لم تمل سوف أجعلها تميل بطريقتي .

نظر لها فتحي باستغراب وقال:

-وما هي طريقتك . . . ؟

التفتت عليا ومصمصت شفتها وقالت بتهكم:

-لا تتعجل الشيء قبل أوانه، وعلى العموم على رأي المثل: "إن فشل رجالها ما يتمها إلا نساؤها".

نظر لها فتحي متهكماً:

-لم أسمع بهذا المثل من قبل.

قامت عليا بضربه على كتفه وضحكت وقالت:

-قطيعة تقطعك يا فتحي، اسمع وأنت ساكت.

مر أسبوع وفتحي يحاول أن يجذب انتباه رحاب كل ما تأتي للمحل، لا يتوقف عن النظر لها بإعجاب أو حمل أشياء ثقيلة أمامها مما يبرز من عضلاته وقوته وشبابه، ولكنها لم تكترث له قط، ولكن في نهاية الأسبوع كانت المفاجأة عندما نادت عليه رحاب.

هرول إليها مسرعاً وهو يشعر أنه يطير من الفرحة وكأنه يقول: "رحاب قلبها مال"...

ولكنها سلبت الابتسامة من وجهه عندما همست له:

-إن لم تتوقف يا فتحي عن تلك الحركات والنظرات لي سوف أقطع رجلك من المحل، ولن يكون لك أكل عيش هنا ، ولكني صبرت عليك لأني أعرف أنك مسؤول عن أهلك، وأنا لا أحب قطع الأرزاق .

حاول فتحي أن يدافع عن نفسه وتمتم متوتراً :

-ولكن يا معلمة أنا . . .

قاطعته رحاب وقالت له بحزم:

-لا لكن ولا غيره، مثلما أنا لاحظت نظراتك لي هذا يعني أن كل من في المحل لاحظها كذلك، وأنت لا ترضى لي تلويث سمعتي، مثلما أنا خفت عليك وعلى رزقك، خف على سمعتي إلا والله . . .

قاطعتها فتحي طالباً منها السماح:

-أنا آسف يا معلمة، توبة يا معلمة، العين لا تعلو على الحاجب، آخر مرة يا معلمة .

ورحل مطأطئ الرأس وأكمل يومه وهو يشعر بالخذلان .

ثم في اليوم التالي أتت إليه عليا وكأنها تشتري شيئاً ما وسألته هامسة:

-ها ، سبع ولا ضبع . . . ؟

نظر لها فتحي بلا مبالاة وتمتم:

-كلب.

-ماذا تقصد بكلب...؟

-مسحت بكرامتي الأرض مثل الكلب.

-لا يهمك يا فتحي، اترك الأمر لي.

-ماذا ستفعلين...؟

تركته ورحلت ولم تجبه، وعندما أوشكت على الخروج نظرت لرحاب التي كانت تنظر لها ولفتحي، ومن ثم رحلت.

في اليوم التالي جاءت عليا لفتحي وقالت له:

-ضع ما في هذا الظرف في أي شيء لرحاب؛ كوب ماء، شاي، قهوة، أي شيء، وادعُ لي.

نظر لها فتحي بغباء وسألها هامساً:

-ما الذي في الظرف...؟

همت خارجة من المحل متمخترة ضاحكة وقالت بصوت عالٍ:

-سكر يا سكر .

ومن ثم نظرت نظرة مكر لرحاب ورحلت .

وبالفعل بعد قليل طلبت رحاب شاياً وجلبه لها فتحي، ولكن قبل وصوله المحل فتح الظرف وتفاجأ فعلاً أن ما بالظرف سكر، لم يهتم، وضعه وقلبه وقدمه للمعلمة .

بعد قليل من الوقت، قالت له رحاب بصوت متعب:

-فتحي، أنا سوف أعود للبيت، أنا متعبة قليلاً .

هم فتحي تجاهها وقال لها بلهفة:

-أتريدين أن أوصلك يا معلمة . . . ؟

-لا، انتبه أنت للمحل .

وتحاملت على نفسها وصعدت، ظلت رحاب لا تنزل للمحل لمدة أربعة أيام، ولكن في اليوم الخامس جاءت المحل وهنا صدم فتحي لما رآه .

رحاب خلعت عباءتها السوداء وارتدت فستاناً ورديا وحجاباً وضع على رأسها كاشفاً عن شعرها وكانت متبرجة، رحاب كانت بيضاء جداً واسعة العينين جميلة ذات شعر حريري كستنائي، هم فتحي ووضع لها الكرسي وهلل لها :

-نورتِ المحل يا معلمة، المحل كان مظلما من دونك والله .

ضحكت رحاب ولأول مرة يرى فتحي ضحكتها بالفعل:

-يقطعك يا فتحي ألا تتوقف عن الكذب أبداً . . .

هنا فتحي لم يتوقف عن الكذب بل قلبه الذي توقف وقد خلع من مكانه بعد ما رأى ضحكتها التي زادتها فوق الجمال جمالاً . . .

ولكن سرعان ما طقطقت رحاب أصبعيها كي يفيق من شروده:

-فتحي، ما بك شارد هكذا . . . ؟

فاق فتحي من شروده وتلعثم في الكلام وقال:

-أخاف أقول لك السبب يا معلمة فتقطعي رجلي من المحل، وأنتِ تعلمين أنه مكان أكل عيشي .

نظرت له رحاب برفق وقالت له:

-قل ما تشاء يا فتحي، أنت لك معزة خاصة في قلبي .

هنا تسمر فتحي مكانه، يشعر أنه يحلم، كيف لرحاب أن تكلمه هكذا، هنا شعر أنه في السماء وطاقة القدر قد فتحت له .

قطعت رحاب شروده مرة أخرى وقالت ضاحكة متهكمة:

-وماذا بعد يا فتحي . . . ؟ هل سوف تقضي اليوم كله شارداً وساهم هكذا، هيا على أكل عيشك .

ابتسم لها فتحي وقال لها :

-أوامرك يا معلمة .

وها هو فتحي ابتسامته لم تفارق وجهه، وما كان يجعله يبتسم أكثر أن رحاب كانت تبادله نفس النظرات، وبعد المغرب نادت رحاب على فتحي وقالت له:

-فتحي، أنا سوف أذهب لشقتي كي أرتاح قليلاً، وأنت بعد أن تنتهي أي قبل أن تذهب لبيتك مر على شقتي ومعك كشف الحساب وإيراد الأيام السابقة .

تعجب فتحي، ليس من عادتها أن تقول له يمر عليها في شقتها ، ولو على متابعة الأعمال دائماً تتابع أولاً بأول وهي في المحل، ولكنه فهم المغزى وقال: صيدة سهلة، وقرر أن يستغلها .

فتحي صعد إليها وقلبه يطير فرحاً ، صار يتمتم في قرارة نفسه:

-هل السحر هذا لرحاب كي تقع في حبي أم لي أنا كي أعشقها . . .

فتحت رحاب باب شقتها وكانت ترتدي روباً حريرياً بنفسجياً وقامت بربطه جيداً على جسدها مما أبرز معالم جسدها جيداً، هنا فتحي فتح فاه وقال في قرارة ذاته:

-ما هذه قنبلة الجمال التي أمامي، أريد أن آكلها، آه لو . . .

هنا سمع صوت رحاب قاطعة شروده:

-اتفضل يا فتحي . . .

تمالك أعصابه ونظر أرضاً ودخل الشقة وركبتاه لم تعودا قادرتين على حمله، ركبتاه ترتجفان من هول الموقف الذي هو فيه، ولكنه تمالك نفسه، وشعر أن الطريق طال كثيراً، فصار يريد أن يصل إلى أي شيء يجلس عليه قبل أن يخر تحت قدمي رحاب ذائباً من سحر جمالها .

وأخيراً وصل، وظل ساكتاً لا يستطيع التكلم وقد عُقد لسانه عن الحديث . . .

فسمع صوت رحاب وهي تقول له:

-ماذا تشرب يا فتحي . . . ؟

التفت لها فتحي، ولكنه لم ينتبه ماذا تقول لأن عقله شارد في جمال عينيها . . .

كررت سؤالها بصوت حانٍ:

-ماذا تشرب يا فتحي . . . ؟

تنحنح فتحي واستجمع قواه وابتسم وقال:

-لا يا معلمة، لا أريد أن أتعبك، هذا هو كشف الحساب وهذا هو الإيراد بالتمام .

-كلمة معلمة هذه في المحل، بينما هنا أنا رحاب .

-لا يصح يا معلمة، العين لا تعلو على الحاجب، أنا أين وأنتِ أين كي أزيل ما بيننا من حواجز .

اقتربت منه رحاب على مهل وجلست بجواره وقالت له بحنو:

-لا يوجد فرق بيننا ولا مسافات، كلنا ولاد تسعة .

هنا تصبب فتحي عرقاً وكأنه جبل جليد اقترب منه بركان منصهر فلم يصمد أمامه وذاب .

لم يرد فتحي فسألته رحاب وهي تهم بسحب منديل من على المنضدة الموجودة أمامها، وسألته وهي تهم بمسح عرقه، ولكن سرعان ما رغب في مسك المنديل

فأمسك يدها ، فنزع يده مسرعاً متأسفاً ، ولكنها أكملت ما كانت تنوي فعله ألا وهو أن تمسح له وجهه وهي تهمس له بهمس أشبه بالفحيح الملتهب:

-ماذا بك يا فتحي . . ؟ لمَ أنت متوتر إلى هذا الحد . . . ؟

-يا معلمة أصل أنا ، لم أتخيل قط أن أكون معكِ هكذا . . . ؟

-مرة أخرى تقول يا معلمة . . . ؟ اسمي رحاب . . . ؟ أم هو لا يعجبك يا فتحي ؟

-لا يعجبني . . . ! يعجبني ويعجب أهلي، كل ما بكِ يعجب بلد يا معلمة .

من ثم همت رحاب واقفة ومن ثم سألته مرة أخرى:

-ماذا تشرب يا فتحي . . . ؟

هنا فتحي أخذ نظرة لجسد رحاب من أخمص قدميها ورفع نظره لجزء جزء في جسد المعلمة إلى أن رفع رأسه وقابلت نظرته نظرة عينيها ، ومن ثم هم واقفاً وقال لها وهو يمسكها من ذراعيها وهمس لها وهو يحاول أن يقبلها من رقبتها :

-لا أريد أن أشرب إلا حبك، أريد أن أرتوي بعشقك، أريد . . .

هنا أبعدته رحاب وقالت له بجزم متصنع:

-أجننت يا فتحي، أهكذا تفعل بي وأنا ائتمنتك على دخول بيتي، أنا ست محترمة يا فتحي، ليس لي في الحرام . . .

اقترب منها وقال لها متذللاً لاهثاً :

-هو أنا أطول منكِ الحلال يا معلمة . . . ؟

نظرت له بمكر ومن ثم ابتسمت وقالت:

-يمكنك أن تنال الحلال والقرب مني إن توقفت عن قول يا معلمة .

طار فتحي من الفرحة وقال بانفعال من شدة الفرحة:

-بل سأتوقف عن ذكر أبوها من أجلك يا معلمة .

ومن ثم قام بضرب ناصية رأسه بكف يده وقال:

-أقصد يا ست الكل، يا ست الحسن، يا ست الستات، يا . . .

ابتعدت عنه رحاب ضاحكة وقالت:

-يكفي يا فتحي، سوف أذهب وأجلب لنا كوبين عصير وأتي إليك .

هم فتحي وراءها لاهثاً قائلاً:

-عنك يا ست الستات، أنا خدامك، أنا أفعل لكِ ما ترغبين به، كل ما تريدينه سيكون تحت رجلك، حتى أنا تحت رجلك يا ست هانم.

وبالفعل جعلها تجلس وجاء إليها بكوبي العصير ومن ثم جلس تحت رجليها فقالت له بجيرة:

-فتحي، قم واجلس هنا بجواري.

ابتسم فتحي وقال لها:

-أنا هنا مرتاح أكثر يا ست الكل، مستوى الرؤية من هنا أفضل.

ومن ثم غمز لها، فقامت رحاب بضربه على صدره البارزة منه عضلاته وقالت له:

-يقطعك يا فتحي، دمك شربات.

نظر لها بشغف وأردف ذائباً:

-يقطعني، يقطعني مادام من أجلك يا ست هانم، فداكِ كلي يا ست الكل.

من ثم قالت له بصوت حانٍ:

-هيا نبدأ...

هنا لم ينتظر فتحي كي تكمل كلامها وهم واقفاً يريد أن يفتح قميصه، أوقفته رحاب ضاحكة:

-ماذا تفعل يا مجنون . . . ؟

-أبدأ يا ست الكل، أنا رهن إشارتك .

-قلت لك في الحلال، أنا أقصد فلنبدأ متابعة العمل .

نزل فتحي تحت قدميها وتوسل لها وقال:

-والنبي يا ست الكل دعيني أجلب المأذون حالاً، لا أستطيع أن أنتظر، نار الشوق أشعلت في كل جوارحي .

ضحكت رحاب وقالت له:

-انتظر الغد وسأكون لك .

***

وبالفعل تم الزواج، وأخذا إجازة شهر العسل وقاما بقضائها في الإسكندرية، ومن ثم عادا للعمل من جديد ، كان الناس يحسدونهما بالفعل على حبهما لبعضهما البعض .

وعندما جاءت عليا للمحل طلبت رحاب من فتحي ألا تأتي للمحل مرة أخرى؛ لأنها تغار عليه بشدة .

كان يستغل الأيام التي تسافر فيها لأهلها أو لمتابعة أعمالها ويبقى هو بحجة متابعة أمور المحل، وكان يقابل عليا سراً في الشقة .

كان يقابلها لا من أجل أنه ما زال يحبها ، ولكن من أجل أن يتخلص من ظهورها من حين لآخر .

مرت سنة ولم تحمل رحاب، وها هي عليا تقول له:

-سحبنا مبلغاً ممتازاً من المغفلة رحاب .

نظر لها فتحي باحتقار وقال لها :

-ألا يكفي ما جمعتيه إلى الآن . . . !

نظرت له بغضب وقالت:

-اسمها جمعناه، هذا المال لي ولك يا فتحي، ما بك يا فتحي ؟ لمَ تغير أسلوبك معي ؟ أنا ملاحظة التغيير ولكن تحملت إلى أن أصل لمبتغاي، أقسم لك يا فتحي إن كان ما في بالي صحيحاً أنت تعلم ماذا سأفعل، أنت لي أنا وحدي، وإن قررت أن تكون لغيري حياتك ستصبح جحيماً .

قام فتحي من مكانه وقال لها غاضباً :

-يكفي تهديد ، في كل مقابلة تهددينني .

همت خلفه وعانقته وهمست له برفق:

-آسفة يا حبيبي، ولكنك تعلم أني أحبك وأريدك لي وحدي .

نزع فتحي يدها عنه وجلس على الكرسي المواجه لها وسألها بحنق:

-وما هي خطتك التالية ؟

-نتخلص منها .

هنا صدم فتحي وهمَّ واقفاً متوتراً متسائلاً:

-كيف نتخلص منها . . . ؟

هنا اقتربت منه عليا سائلة إياه بتهكم:

-ولِمَ فزعت وتوترت هكذا ؟ أتحبها . . . ؟

أشاح فتحي بنظره عنها كي لا تفضحه عيناه، وقال محاولاً أن يتمالك أعصابه:

-القصة ليست قصة حب، كل ما في الأمر أنكِ تخططين لجريمة قتل، وهذا أمر ليس هيناً .

التفتت ووقفت أمامه عليا وأمسكته من ذراعه وقالت له:

-ومن قال لك سوف نقتل ؟ بل سوف أتصرف بطريقتي .

هنا سكت فتحي قليلاً ومن ثم قال اقتراحاً وقد رسم ابتسامة على وجهه:

-لدي اقتراح آخر يا عليا ، لِمَ نخلص عليها الآن ونأخذ فتافيت من الورث، بينما ننتظر إلى أن يكون لي منها ولد ونأخذ الجمل بما حمل .

-والله فكرة يا فتحي، ولا تكون أحببتها يا فتحي . . . ؟

-لا أحب إلا أنتِ والمال فقط .

-إن كان على حب المال، موافقة .

ومن ثم عانقته، هنا رأت فريدة أن فتحي يختنق من أثر عناقها له .

تحملت عليا أن يكون فتحي لغيرها لعام آخر على أمل أن ينجب، ولكنه لم ينجب قط، كان فتحي لا يبالي بالإنجاب مادامت معه رحاب.

في شهر أغسطس في عام 1998، أي بعد مرور سنتين على زواج فتحي من رحاب، صار مضطراً أن يوافق على شرط عليا له، بأنه إن لم ينجب خلال تلك الفترة فلتبدأ هي وتتصرف بطريقتها.

سألها فتحي:

-ماذا ستفعلين وإلى أين تأخذينني معكِ. . . !

-سوف نصل وتفهم كل شيء الآن.

دخلا بيتاً متهالكاً في إحدى القرى، بيتاً ممتلئاً بالقطط السوداء، ومزدحماً بكثير من الناس مختلفي الشكل والملبس، نظر فتحي لها وسألها:

-ماذا نفعل هنا . . . ؟

همست له:

-ما أريد أن أفعله لا يمكنني أن أفعله بنفسي، يجب أن تكون موجوداً أثناء الطقوس.

ترك يدها وابتعد عنها وقال لها :

-أي طقوس . . . ؟

هنا التفت إليهما الناس، فسحبته من يده للخارج وقالت له وهي تكز على أسنانها :

-لا تفضحني هنا ، اتبعني ولا تسأل كثيراً ، لا تجعل غضب الشيخة يسقط علينا .

مر الوقت، وها هما فتحي وعليا دخلا غرفة لا يوجد بها أي مصدر للضوء سوى شموع تعكس ظل تلك العجوز على الجدار مما زرع شعور الخوف في قلب فتحي، تتوارى تلك العجوز مشعثة الشعر الأبيض خلف بخور كريه الرائحة، سرعان ما سمع فتحي صوتها فخلع قلبه من مكانه وزاده فوق الفزع فزعاً :

-اقترب يا ابن سيدة وصلاح، تريد المال والجاه، إليك ما تتمناه، ولكن نفذ ما أقوله لك، وسوف تجد مرادك تحت قدمك .

هنا نظر فتحي بتوتر إلى عليا ، فوكزته كي يتقدم ويجلسا سوياً .

أول ما قالته العجوز الشمطاء بصوتها القوي الذي لا يتناسب مع سنها :

-اخلعا ملابسكما .

هنا اعترض فتحي وفزع من مكانه، فأمسكت عليا يده كي يجلس مرة أخرى.

فترك يدها وقال بغضب:

-أجننتِ، من الذي يخلع ملابسه . . . !

هنا ربتت عليا بيدها على صدرها كي يسمع لها، ولكن سرعان ما حول فتحي نظره عندما سمع صوت الساحرة التي تقول بسخرية:

-أنت من سوف يخلع ملابسه يا ابن سيدة الخدامة وصلاح الحرامي . . .

هنا همست عليا له وهي تقول له برفق:

-أرجوك دعنا نكمل ما بدأناه، لا تجعلها تنزل علينا سخطها .

نظر فتحي للساحرة وهو يخر على ركبتيه وسألها بحيرة:

-ولِمَ أخلع ملابسي . . . ؟ لم أعلم أن السحر يتطلب هذا . . . !

قالت الساحرة بغضب وهي تلقي بالمزيد من البخور على الجمر المتلهب:

-علمني عملي يا فتحي .

هنا اقتربت عليا وقالت بخوف:

-اسمع يا فتحي ونفذ أرجوك .

هنا شعر فتحي برجفة في المكان وصارت شعلات الشمع تهتز وانطفأت، هنا ارتعب فتحي، ولكن سرعان ما رأى أمام عينيه ناراً اشتعلت بشدة بدلاً من الفحم، النار صارت تتأجج مثل الجحيم، وعيون الساحرة صارت حمراء وقالت بغضب:

-الآن . . . قم بالسمع والطاعة .

بدأ فتحي وعليا بخلع ملابسهما وكان فتحي يرتجف وهو يواري عورته وسألها بخوف:

-ولكن لمَ . . . ؟

-تعويذة جلب المال تحتاج دم عذراء كي يتغير لك الحال .

تمتم فتحي وقال لها بتردد :

-إن هذا الأمر لا يحتاج أن أخلع ملابسي، بإمكانك فعل ذلك .

هنا قالت له عليا :

-أنسيت أننا سنجرب موضوع الحمل فيَّ أنا . . . !

-ولكن، لم أكن أظن هذا . . . !

هنا ارتجفت الغرفة بشدة، وظهر دخان رمادي كثيف، ومن خلف الدخان بدأ يتكون جسد ضخم ذا جلد أسود مثل الفحم وله أجنحة ضخمة مرتفع عن الأرض برغم عدم استخدام أجنحته، جسده أشبه بالبشر ولكن بضخامة وجلد بشع، وملامحه كانت مفزعة، عيناه كانتا مثل عيون الثعبان ولكنها كانتا عبارة عن جمرتين ملتهبتين ينبعث منهما الشر، وأنفه كان مطموساً بداخل وجهه، ويخرج من رأسه قرنان أسودان، تصلب كل من فتحي وعليا من شدة الصدمة ولكن سرعان ما وقع على مسامعهما صوت قادم من الجحيم:

-اسجدا لي يا أولاد آدم، ولكما عندي ما تتمنياه.

هنا تجمد فتحي فزعاً من صوته ومن لسانه المشقوق ومن طلبه أن يسجدا إليه. ولكن تردده لم يدم كثيراً لأنه فجأة اهتزت الغرفة بشدة وبدأت جدران الغرفة في السقوط، ولكن سرعان ما تغير المكان إلى مكان أشبه بالجحيم، وها هو فتحي وعليا يمسكان ببعضهما على منحدر صخري أسفله حمم بركانية ملتهبة، ها هي عليا تصرخ وتمسك بفتحي وتقول باكية:

-أرجوك، لا تفعل بنا شيئاً، سنسجد لك، سنسجد لك.

في غمضة عين رجعا إلى نفس الغرفة ولم يصب الغرفة أي تغيير، هنا نزلت عليا ساجدة، وقبل أن تسجد سحبت فتحي كي يسجد معها ، وبالفعل قد سجد .

بمجرد أن رفعا رأسهما من السجود لم يكن للكيان الشيطاني وجود .

هنا قامت الساحرة من مكانها واقتربت من عليا التي كانت ترتجف خوفاً من شكلها ، ومن ثم مدت أنبوباً زجاجياً في فرج عليا بقوة كانت كفيلة أن تصرخ عليا صرخة مدوية، ومن ثم كتمت ألمها عندما أخرجت الساحرة الأنبوب منها ، ومن ثم تكلمت الساحرة وقالت بلهجة آمرة:

-ابدأ في جماعها ، الآن .

-لا أستطيع . . .

ارتجفت الغرفة واهتز ضوء الشموع إلى أن انطفأ تماماً ، ومن ثم أضرمت النار فجأة، ومن ثم . . . . لا شيء . . .

عليا قامت وارتدت ملابسها وفتحي كذلك .

-ما هذا . . . ! يوجد شيء حدث لم يره فتحي بعينيه .

يجب أن أعود بالزمن وأكون أنا طرفاً خارجياً وأرى بنفسي .

صرخ فتحي بقوة ورجع ظهره للخلف وكأن شيئاً قد تلبسه، ومن ثم رجع لوضعه ببطء وفتح عينيه بسرعة فكشفت عن جمرتين ملتهبتين، وهمَّ بمعاشرة عليا بوحشية وعليا تصرخ، ولكن صراخها زاد أكثر عندما بدأت تشعر أن اللهيب قد صُب بداخلها صباً، كانت قوة صرختها كفيلة أن تفقدها الوعي، وها هو فتحي جسده يلقى أرضاً وكأنه خاوٍ تماماً من أي روح.

وها هي الساحرة تقترب ومعها قطعة قماشية تمدها بداخل عليا الفاقدة للوعي، تخرجها مبللة، ومن ثم بإشارة منها أفاقا عليا وفتحي وهما يشعران بدوار رهيب، فأمرتهما الساحرة بارتداء ملابسهما .

ونظرا للساحرة التي كانت تكتب تعويذة بذلك الدم، وكانت تتمتم بكلمات لم يفهماها قط، ومن ثم قالت لفتحي:

-بهذه التعويذة ستكون رحاب خاتماً في إصبعك، يمكنك أن تكتب لك كل أملاكها بكامل إرادتها .

نظر لها فتحي متعجباً:

-كل أملاكها من هذه التعويذة . . . ! يعني هذا انه لا داعي لفكرة الحمل ولا يوجد داعٍ أن أجامع عليا كي نجرب الفكرة من الأساس .

نظرت له الساحرة بتهكم وقالت له ساخرة:

-ابنك في رحمها الآن .

نظر فتحي بصدمة وقال:

-ابني . . . ! أنا لم أفعل شيئاً .

-بل فعلت، لقد استخدمك لوسيفر كوعاء له، لا يوجد نكاح بين الجن والإنس إلا من خلال التلبس ببشري .

قالت عليا بصوت متألم:

-أشعر بنار في رحمي .

قالت لها الساحرة بلا مبالاة:

-إنه ماء فتحي ولكن بقوة وحرارة لوسيفر .

قال فتحي معترضاً:

-ليس ابني، أنا لم أفعل شيئاً .

قالت الساحرة بنبرة رخيمة وهي تكمل كتابة تعويذتها :

–بالفعل إنه ليس ابنك لأنك عقيم، ولكن ما قلته أن الماء ماؤك أنت، لديك حيوانات منوية ولكن وجودها مثل عدمها ، ضعيفة، ولكن بقوة سيدنا تم الحمل .

ابتعد فتحي وهو يحاول الهرب وهو يقول بذعر :

–إنه ليس ابني، إنه ابن الشيطان، ابن الشيطان .

ولكن الساحرة أوقفته ورفعته عن الأرض وقالت:

–إذا خرجت الآن لا يوجد أحد سوف يخسر سواك .

ومن ثم قامت برميه بقوة على الأرض في إحدى زوايا الغرفة .

هنا نظرت له عليا بغضب وقالت:

–أنا فعلت ذلك لأني أعلم أنك خسيس سوف يأتي يوم وتتركني وتأخذ كل شيء لك وحدك، لذا قررت أن يكون بيني وبينك هذا الطفل كي يكون له ما سيكون لك .

أنت تعلم جيداً أني يمكنني أن أجعلك تخسر كل شيء ، هذه الساحرة تكون عمتي وبيدها أن تحول حياتك جحيماً .

يمكنني مثل ما جعلت رحاب تحبك يمكنني أن أجعلها ترميك رمية الكلاب .

إن أردت أن تفوز بمالها فسوف أفوز به معك، وإن قررت أن تبعد عني، سأجعلك تخسر رحاب وتكون كلب تابع لي .

هنا حاول أن يقوم فتحي وهو يشعر بالذل وكأنه في وكر عصابة تمكر به، ومن ثم قالت له الساحرة:

-اسمع يا فتحي، خذ هذه التعويذة وأجعلها تبيت في فرج زوجتك ليلة كاملة .

توتر فتحي وسأل:

-وما فائدتها . . . ؟

-ما بداخل هذه اللفافة سيجعل زوجتك تحمل منك، ولكن ضعه بداخلها بعد الانتهاء من الجماع وبعد أن تجعلها تشرب هذا المسحوق في أي مشروب .

-ما هو هذا المسحوق وما فائدة الإنجاب مادام ستكون مثل الخاتم في إصبعي فلأنقل كل أملاكها باسمي وكفى . . . ؟

-هذا المسحوق ستكون به مثل الخاتم في إصبعك، ولكن من قوة السحر الذي سوف يجري في جسدها بسببه سوف تفقد الوعي، فاستغل أنت هذا الوقت وضع هذا العمل بداخل فرجها طوال الليل وسوف يتحقق مرادك .

وفكرة الإنجاب منها من أجل شكلك أمام الناس، أتريد الناس يتلسنون عليك بأنك الرجل الذي تزوج من أجل أن يستغل زوجته وينقل كل أملاكها لصالحه . . . !

أم تكون أمام الناس غير مستغل بل محظوظ بأنك رزقت بطفل منها فصارت أملاكها لك وحدك والوفاة قضاء وقدر، ولكن قضاء وقدر وأنت غير مستغل أمام الناس أفضل بكثير .

نظر فتحي وهو مصدوم وقال:

-كيف تفكران هكذا . . . ؟ كيف . . . ؟

نظرت له الساحرة بحزم وأشارت له بسبابتها :

-أحذرك، لا تلعب مع عليا، نفذ ما تريده منك وكفى .

أومأ فتحي برأسه وأخذ عليا وخرجا .

وبالفعل عاد فتحي، وكان العرق من شدة التوتر يملأ وجهه، نظرت له رحاب متعجبة فسألته برفق وهي تقترب منه:

-ما بك يا فتحي، لمَ أنت شارد هكذا . . . ؟

سرح فتحي في عينيها البريئتين ولعن نفسه مليون مرة على وقاحته وحقارته لأنه يستغلها، ثم فاق من شروده عندما شعر بلمسة يدها على خده وهي تكرر سؤالها، فأخذ يدها من على خده وقبل باطنها ومن ثم قال لها هامساً وعيناه تحكي أنه نادم على ما فعله وما سوف يفعله بها، ومن ثم رسم ابتسامة زائفة وقال لها برفق:

-متعب بعض الشيء يا حبيبتي بسبب سفري اليوم لمتابعة موضوع أرض السادس من أكتوبر، كنت أعرضها على مشترٍ ولكنه غير رأيه.

نظرت له بلين وهي تمسك كلتا يديه وسألته بصوتها الحاني:

-أهذا ما يعكر مزاجك إلى هذا الحد . . . ؟

فضحك لها وقال لها وهو يهم بالنهوض:

-وكيف لمزاجي أن يتعكر مادمتِ معي.

وهم برفعها وحملها على كلتا يديه فضحكت رحاب ومن ثم نفذ بالفعل ما طلبته منه الساحرة.

لم يستطع فتحي النوم من شدة تأنيب الضمير، يسمع صوتاً نابعاً من داخله يطلب منه ألا يكمل آخر جزء من الخطة، وهو أن يقتل رحاب بعد أن تنجب بفترة ويتزوج بعدها عليا بفترة أخرى.

ينظر لرحاب الراقدة بجانبه، يمسح على شعرها الحريري، ويفكر ويتردد، محتار، يتذكر عليا التي كان يحبها ولكنه تشكك في حبه لها، هل حقاً كان يحبها بإرادته أم كان تحت تأثير سحر ما . . . ! هناك صوت بداخله يقول له إنه يحب عليا، ولكن ما فعلته اليوم جعله يتردد، شعور مؤلم جداً أن يشعر المرء أنه تم إجباره على شيء. شعور مؤلم أنك مجبور أن تكمل مع أحد، كان من الممكن لفتحي أن يكمل مع عليا ولكن شعوره أنها تريد ذلك بالإجبار جعله ينفر، إلا الحب والزواج لا يمكن أن يكون بالإكراه أبداً، إذا صار الحب أو الزواج بنسبة واحد في المئة بالإجبار تصير الحياة جحيماً.

وبالفعل مع ظهور شمس النهار اخرج فتحي العمل من فرج رحاب، ولكن بمجرد أن أخرجه منها فاقت من نومها مفزوعة فقام فتحي بمواراة العمل في يده وباليد الأخرى قام فتحي بضمها مهدئاً إياها .

سألها فتحي وهو يمسح على شعرها :

-ما بك يا حبيبتي . . . ؟

قالت رحاب لاهثة تحاول أن تلتقط أنفاسها :

-كابوس يا فتحي، كابوس .

بدأ فتحي يمسح على شعرها ويقول لها برفق:

-لا تقلقي يا حبيبتي، أنا بجانبك، لا داعي للخوف مادمت معكِ .

خرجت رحاب من حضنه وقالت له بنظرة فزع:

-لقد رأيت وحشاً بشع المنظر كان . . . كان يجامعني . . . كنت أصرخ ولكن صراخي كان مكتوماً، إلى أن شعرت أن لهيباً يُصب بداخلي، حينها لم أتحمل الألم فصرخت بشدة وتمكنت من الخروج من هذا الكابوس .

حاول فتحي تهدئتها وتركها كي تنام وترتاح، وقام ورتب نفسه كي يباشر أعماله .

هنا كانت فريدة تنظر لهذا المشهد وتقول في قرارة نفسها :

-يبدو أن ما مرت به رحاب حدث أثناء خروج العمل منها ، العمل خرج منها في ثوانٍ ولكن في عالم الأحلام والروح الثواني تعني الكثير .

بدأت فريدة تتجاوز الوقت سريعاً إلى أن جاء المغرب، ظلت تتبع فتحي أينما ذهب، ولكن سرعان ما رأت فتحي راكباً سيارته وفي نهاية الشارع كانت هناك عليا تقف، وأشارت له أن يقف، قال لها بتردد وهو يرد عليها من نافذة السيارة:

-عليا اعذريني، لدي مشوار ضروري، أرجوكِ أجلي حديثك إلى أن أنتهي من عملي .

نظرت له بمكر وبثقة وقالت له:

-أنا من أحدد إن كان يمكن أن نتحدث أم لا، ولن آخذ من وقتك الكثير لأن في الأول والآخر عملك هو عملي، المنفعة تصب لي في النهاية .

تنفس فتحي الصعداء وسلم أمره وقال:

-ماذا تريدين يا عليا . . . ؟ أسمعك .

هنا التفتت عليا وقامت بفتح باب السيارة وقالت بثقة وهي تهم بالجلوس وفتحي ينظر لها باستغراب:

-سوف نتكلم في الطريق .

ومن ثم قالت وهي تبتسم ابتسامة صفراء وهي تهم بلمس وجه فتحي وقالت بصوت أشبه بالفحيح:

-اشتقت إليك يا فتحي، اشتقت إليك كثيراً .

التفت فتحي وبدأ في قيادة سيارته ومن ثم تمتم في شرود:

-وأنا اشتقت إليكِ .

ظل فتحي شارداً يسمع لعليا ولكن بدون انتباه، ويومئ برأسه مع بعض التمتمة، سألته عليا بفضول:

-ما هو العمل الذي سوف تذهب إليه الآن يا فتحي . . . ؟

لم ينتبه لها فتحي فكررت سؤالها فنظر لها وقال بشرود:

-أنا . . . كنت أريد أن أمر على أرض رحاب الموجودة في السادس من أكتوبر وهناك سوف يقابلني أحد .

ومن ثم جالت في خاطره فكرة فضرب رأسه وقال بابتسامة متصنعة:

-أقصد أرض دمنهور، هناك مشترٍ يريد أن يراها، لذا يكفي هذا وسوف أجعلك تعودين لبيتك كي لا تقلق عليكِ أمكِ يا عليا .

نظرت له عليا بلا مبالاة وهي تتنفس الصعداء ببرود:

-لا تشغل بالك بأمي، هي تعلم أني يمكن أن أتأخر في العمل، ولكن هذه المرة سوف أقول لها إن العمل كان كثيراً عند الست هانم وتعبت وقمت بالمبيت هناك .

ومن ثم نظرت بقوة وقالت:

-طول ما أنا كاسرة عينها، ليس لها حق أن تلومني .

التفت لها فتحي في ثوانٍ محاولاً إقناعها بالعودة:

-ولكن أمكِ مريضة وسوف تقلق عليكِ ولها حق أن تطمئن و . . .

زاد غضب عليا وقالت بتهكم وحنق:

-لها حق عليَّ، لا يوجد أحد له حق عليَّ، أبي الذي رماني ولا أعني له شيئاً ولا كأني قطعة منه، ولا أمي التي بمجرد أن شب عودي وأنا مطحونة في العمل كخادمة في البيوت لأنها لا تقدر على فعل شيء، لم يكن أحد في يوم مسؤولاً عني، بل أنا

المسؤولة عن كل شيء، لذا لا يوجد أحد له حق عليَ، وهيا أنا معك ورجلي على رجلك في القادم متى أشاء .

صمت فتحي عندما وجد ألا فائدة من إقناعها أو التملص منها، ولكنه بعدما سرح قليلاً جالت في خاطره فكرة أخرى فابتسم ابتسامة بسيطة على طرف فمه، فنظرت له عليا باستغراب وقالت له:

-ماذا يجول في خاطرك يا فتحي . . . ؟

فاق فتحي من شروده وقال بتوتر:

-لا، لا شيء يا حبيبتي .

فسألته عليا بتعجب:

-ولكن يا فتحي ماذا سوف تفعل فور أن تصل دمنهور . . . ؟ لأننا سوف نصل في وقت متأخر .

رد عليها فتحي وهو منتبه للطريق:

-أريد في بداية الأمر أن أمر بحارس الأرض ومن ثم كان يجب عليَ أن أمر على بيت الحاج رجب وسيقوم بضيافتي، أنتِ تعلمين أهل دمنهور أهل كرم .

نظرت له عليا بلا مبالاة:

-للحق لا أعلم .

نظرت له عليا باستغراب وقالت له:

-ولكن الوقت متأخر يا فتحي، كيف سيراها . . . ؟

قال فتحي بلا مبالاة:

-الرجل ليس له وقت سوى الآن، هو حر .

قالت عليا بثقة:

-حسناً يا فتحي، خذني معك وسأظل في السيارة .

-ولكن لو رآكِ الرجل .

-لا تقلق، رحاب لن تفعل لك شيئاً .

وصلا أمام الأرض المحاطة بسور وعليه لوحة توضح ملكية رحاب لها .

هنا لم تتمالك عليا نفسها عندما وقفت أمام سور الأرض وقررت الخروج من السيارة، فخرج وراءها فتحي وهو ينادي عليها بتعجب:

-إلى أين أنتِ ذاهبة يا عليا . . . !

وقفت عليا بشموخ وقالت بكبرياء وثقة وهي تلتفت لفتحي:

-أريد أن أرى أرضي، هل تمانع . . . !

هنا ابتسم لها فتحي وقال لها:

-لا أمانع أبداً، كل هذا الذي نحن فيه بفضل عقلك .

ومن ثم التفت فتحي وفتح السيارة، هنا نظرت له عليا وسألته:

-ماذا تفعل يا فتحي . . . ؟

رد عليها وهو منحنٍ كي يجلب شيئاً من السيارة:

-أجلب السجائر فقط يا حبيبتي .

ومن ثم التفتت عليا وظلت تنظر إلى اللوحة المعلقة على سور الأرض وهي تتخيل اسمها بدلاً من اسم رحاب، ومن ثم وهي تلتفت كي تقول لفتحي:

-لا تبع هذه الأرض . . .

لم تكمل كلامها من هول صدمتها مما رأت أمامها ، فقالت بذعر:

-ما هذا الذي في يدك يا فتحي . . . !

نظر لها فتحي بتهكم وقال لها:

-ألا تعلمين ما هذا يا عليا . . . ؟

هنا ترددت عليا وبدأت تتراجع إلى الخلف وهي تنظر إليه نظرة توسل:

-اعقل يا فتحي، ماذا جرى لك، أنا عليا حبيبتك . . . !

قال فتحي بتردد وهو يقترب منها :

-حبيبتي . . . ؟ كنتِ حبيبتي إلى أن ظهر وجهك اللئيم الطماع يا عليا ، لا أدري هل بالفعل أحببتك أم جعلتيني أحبك . . . !

هنا بكت عليا وقالت بندم:

-أقسم لك لم أقم بأي شيء كي تحبني، حبنا صادق يا فتحي، أرجوك لا تجعل الشيطان يدخل بيننا وينسيك حبنا .

هنا ضحك فتحي بسخرية:

-شيطان . . . ! شيطان يدخل بيننا . . . !

وقهقه ضاحكاً بهستيريا وسقط على ركبتيه من شدة الضحك التهكمي، ومن ثم رفع رأسه ونظر إليها بكره وقال لها :

-شيطان يدخل بيننا . . . !

من ثم قام واقترب منها وهو يقول:

-بسببك جعلتيني أسجد للشيطان .

هنا اعترضت عليا وقالت بغضب وتبجح:

-الآن ترمي اللوم كله عليَّ يا فتحي . . . ! ألم تسجد له بسبب طمعك ورغبتك في المزيد من المال . . . !

هنا تذبذب فتحي وأمسك برأسه وقال بغضب:

-كله من وراء رأسك يا ابنة الشيطان، لم أفكر في يوم لا في مال ولا غيره، بسببك أدخلتني في دوامة ليس لها مخرج ورحاب ضحية طمعك وجشعي .

هنا اقتربت عليا ونظرت له بشر وقالت له:

-يعني تغيرك عليَّ بسبب رحاب . . . ! هل أحببتها يا فتحي . . . ؟

نظر لها فتحي وقال لها وهو ينظر لعينيها :

-نعم أحببتها ، أحببت براءتها ، إنها ملاك، ليست مثلك .

ومن ثم التفت ومسك رأسه وقال والدموع تنزل من عينه:

-لقد خدعتُ بكِ، كنت أظنكِ ملاكاً ولكن حقيقتك أنكِ لا تختلفين عن الشيطان شيئاً .

هنا قالت عليا بتبجح لفتحي وهو يبكي:

-يعني الآن كرهتني، وتريد أن تقتلني يا فتحي . . . ! تقتلني أنا وابنك .

ثار فتحي ودفعها أرضاً فسقطت صارخة متألمة من قوة الدفعة واقترب منها فتحي مؤشراً إليها بالمسدس ذا كاتم الصوت وقال:

-ليس ابني، بل إنه ابن شيطان، سوف أخلص العالم منكِ ومن بذرة الشيطان التي بداخلك .

هنا نظرت له عليا بثقة وعلى ثغرها ابتسامة وقالت:

-صدقني يا فتحي إن لم تكن لي أنا سوف تتحول حياتك إلى جحيم .

قال لها فتحي وهو يهم بالضغط على الزناد وقال ببرود وهو يمسح دمعه باليد الأخرى:

-لن تحولي حياتي لجحيم لأني سوف أخلص عليكِ الآن .

نظرت له عليا بتهديد وتوعد وقالت له بعينين تتقدان شراراً :

-استعد لجحيم حياتك .

-الجحيم هو أن أكمل معكِ أيتها الشيطانة .

ومن ثم قام بإطلاق جميع رصاصات المسدس عليها ، فرغ الرصاصات في عقلها وقلبها وبطنها التي تحمل شيطاناً بداخلها ، ومن ثم همَّ بالحفر بكلتا يديه إلى أن جرح أصابعه، كان يبكي بحرقة لا يدري لمَ يبكي . . . ! أكيد لا يبكي عليها ولكن يبكي على حاله الذي صار عليه، بسببها سجد للشيطان وخسر رضا ربه وسرق وقتل وخدع، يبكي ندماً متمنياً لو لم يكن يعرفها قط .

ومن ثم بعد أن دفنها . . . قام بـ . . .

قالت فريدة في قرارة نفسها :

هذا يكفي، لا داعي لكي أكمل فالقادم واضح .

لذا قررت فريدة التوقف عن المشاهدة ومن ثم ها هي قامت من سريرها تمسك رأسها متعبة مما رأت، ومن ثم أعطت أمراً للروبوت بتجهيز قهوة كي تفيق قليلاً وتجمع أفكارها .

ها هي ترتشف قهوتها وهي تنظر لحديقة بيتها من علٍ .

قررت أن تجلس في الهواء الطلق .

كثرة الضغط عليها من كثرة الرسائل والكوابيس التي تراها أتعبتها قليلاً . . .

نزلت على الدرج وهي تكمل فنجانها ومن ثم طلبت من الروبوت فنجان آخر كي يجلبه لها في الحديقة ها هي فريدة تتمتم في قرارة نفسها :

يعني ما رأيته الآن يدل على أن الطفل الذي مات في رحم عليا هو جواد أخ فارس .

يعني استنتاجي من تجربتي مع فارس أنه يوجد جزء فارس لا يدري عنه شيئاً ، وأنا تأكدت بنفسي من وجود جواد في حياة فارس فقط ، هذا معناه أن الأساس في أغلب الأحداث هو جواد لا فارس ، أوه ، أقصد أنه جسد فارس ولكن جواد هو المتحكم به وفي عقله ، لذا فارس لا يدري شيئاً عن كل ما كان يقوم به .

وبالفعل من يسرق ويزني وبقية تلك الأمور كان هو جواد وحده ، إن فارس ما هو إلا قالب لجواد .

ومن ثم يقوم جواد بنسخ أحداث معينة وكأنها مشتركة لهما سوياً أمام الناس ، لا وجود لتلك الأحداث إلا في عقل فارس .

لا وجود لجواد وفارس سوياً سوى بمفردهما ، غير ذلك هو جواد من يقوم بالشر كله، بينما فارس يقوم بالخير فقط، أما مجرد أفكار تجول في خاطره يزرعها جواد ، أما ظهوره بالفعل لفارس كي يتعلق به ويجرجره لفعل ما هو خاطئ .

إن جواد كان منذ البداية يأبسل الشر ويغوي فارس بكل الطرق ولكنه لم يُغوَ أبداً .

أغواه بلذة السرقة وخفة اليد وكثرة المال، ولكنه لم يقبل أن يستمر في حياته في كونه محتالاً ، أبسل له الشهوة والزنى ولذة المتعة والانتشاء بالمخدرات ولكنه لم يحب أبداً حاله هكذا ، الشيطان يحاول معنا بأكثر من طريقة، طريقة إغوائه لكل منا تختلف، إذا فشل في إغوائنا بطريقة ما يبدأ في تجربة طريقة أخرى .

حاول أن يقنعه أن الله غير موجود وأن الله لا يساعد فلا داعي للاعتماد عليه . . . وغير ذلك الكثير، وعندما فشلت كل محاولاته مع فارس بدأ في الخطة الأساسية له منذ البداية ألا وهي الانتقام .

الشيطان ينوي لنا منذ البداية الانتقام، الانتقام إن طعنا أو إن رفضنا .

ولكن إن أطعناه سوف ينتقم منا بعد أن خسرنا رضا الرب، بينما إذا كنا عباداً صادقين في إيماننا فليس للشيطان سلطان كي يتمكن من إغوائنا أو الانتقام .

أوه، ولكن لمَ يريد الانتقام من فارس . . . !

ذلك لأن جواد ليس شيطاناً بل هو مزيج بين عليا ولوسيفر، أي أنه قام برسالة أبيه ألا وهي الإغواء فقط، ولكن عندما فشل بها ها هو قد بدأ في تطبيق الخطة الأساسية الخطة الإنسية التي أملتها عليه أمه عليا .

معروف أحياناً أن شر الإنس يكون أكثر بكثير من شر إبليس وبنيه .

لقد سمعت كثيراً أن من يقتل تظل حياته معلقة في الحياة للانتقام . . . !

ولكن ماذا عليَّ أن أفعل الآن لفارس . . . ؟

إن تحليلي كان خاطئاً بأن فارس مريض نفسي، وفكرة أنه موجود في المصحة ولا أحد يصدق ما تراه عيناه هذا يدل على أن جواد سوف يبدأ في تعذيبه وقتله تدريجياً ، الموت التدريجي من خلال العذاب يكون أشد وأقوى من القتل مرة واحدة .

إن جواد عقلية مريضة مثل أمه .

ها هي فريدة تضرب رأسها وتقول بصوت عالٍ وهي تنظر للسماء :

–يا رب ساعدني، كيف لي أن أساعده .

من ثم تذكرت شيئاً وقالت بشك:

-ولكن عليا قد ماتت بالمسدس وأنا رأيتها في المنام قد قُتلت بالسكين . . . !

هل التحذيرات التي أراها أثناء نومي غير صحيحة . . . ؟

ها هي تكمل تمتمة وهي تهمُّ واقفة وتقول:

-لا أدري، لا أدري شيئاً .

هنا قطع كلامها مع نفسها وميض خاتمها ، كانت أمها هي المتصلة، هنا جال سؤال في بال فريدة فقالت بسرعة وبشكل مباشر مقاطعة صوت أمها التي تطمئن عليها :

-بخير، بخير يا وتين، ولكن عندي سؤال لكِ، أنتِ قلتِ لي: "أن الكلام في الرؤيا حق" .

قاطعتها أمها وأردفت بهدوء:

-آه صحيح يا . . .

قاطعتها فريدة بتعجل:

-وتين انتظري قليلاً، أعلم أنه صحيح، ولكن سؤالي هو ما معنى القتل بالسكين في المنام ؟

قالت لها أمها بنبرة مازحة كي تهدئ من جدية بنتها :

-وهل يمكن أن أرد الآن يا أستاذة فريدة . . . ؟

بتعجل فريدة المعهود مع ابتسامة قد اخترقت قلقها :

-تفضلي يا وتين .

-القتل بالسكين في أغلب الأحيان يؤول بالأذى والغدر ، ولكن على حسب من الذي قُتل ومن الذي حلم و . . . !

قاطعتها فريدة بسؤال آخر بجدية:

-يعني إذا رأى المرء أن هناك من قُتل بالسكين هذا ليس شرطاً أن يُقتل بالسكين . . !

-لا ليس شرطاً يا ريدا ، يوجد الكثير من الكتب التي تخص تفسير الأحلام موجودة في مكتبة البيت يمكنك قراءتها ، لو مهتمة بهذا العلم .

هنا بدأت فريدة تنهي المكالمة كي ترتب أفكارها :

-حسناً يا وتين ، سوف أفعل ذلك ، ولكن لدي الكثير من الأمور عليَ فعلها سوف أتصل بكِ في وقت لاحق .

تعجبت وتين من بنتها وأردفت:

-تتصلين بي . . . !

ولكن لم تكمل كلامها لأن فريدة كانت قد أغلقت الاتصال .

استمرت في التفكير قليلاً ولكنها لا تعلم كيف تخلص فارس من جواد ، لذا شعرت بالتعب ومسكت رأسها وكأن القهوة لم تقم بأي مفعول، لذا قررت أن تدخل البيت، وبمجرد أن دخلت البيت لمحت عن يمينها باب مكتب أبيها مفتوحاً ، هنا قررت أن تدخل وتجلس على كرسيه، وبدأت تبكي وهي تلمس كرسي أبيها وكل ما على المكتب، إلى أن وصلت إلى صورتها هي وأبيها وأمها معاً فبدأت تبكي وهي تلمس ملامح أبيها وتبتسم ابتسامة مكسورة امتزجت بالدمع وأردفت:

-لقد اشتقت إليك يا مراد ، اشتقت لضحكتك يا حبيبي .

ومن ثم عانقت الصورة وبكت وهي تقول بحرقة:

-أنا لست بخير من دونك يا أبي، أحتاجك بشدة، حياتي صارت متعبة بعد فراقك، أحتاج لرجاحة عقلك كي تساعدني فيما أنا مقدمة عليه أو ما أمر به . . .

قامت فريدة من على الكرسي والتفتت تجاه المكتبة وصارت تلمس كتب أبيها وهي تبكي، إلى أن شعرت فجأة أن هناك شيئاً لمسها من الخلف، التفتت فزعة ومن شدة الخوف شعرت أن الدم قد جف في عروقها . . .

ولكن سرعان ما وضعت يدها على صدرها محاولة التقاط أنفاسها وأردفت:

-أوه، كيف تدخل هكذا يا روبوت من دون إذن، فزعتني .

رد عليها روبوت بلكنة آلية:

-لقد جاءني إنذار بوجود مشاعر حزن، وأنا هنا كي لا تشعري بالحزن، أنا معكِ .

مسحت فريدة دموعها ومن ثم التفتت مرة أخرى للمكتبة وقالت بهدوء مستجمعة قواها :

-لا تقلق، كل ما في الأمر أني اشتقت لأبي .

-هل تريدين عرض ذكريات لكِ ولمراد . . . ؟

ردت عليه فريدة وهي شاردة الذهن في كتب المكتبة:

-لا تقلق عليَّ بهذا الشأن، لدي طريقة أخرى أفضل، ولكن أنا الآن أبحث عن كتاب تفسير أحلام من كتب أمي .

هنا همَّ روبوت بإصدار شعاع ليزر من عينيه كي يمسح كل عناوين الكتب واختيار الكتاب المحدد، ومن ثم قال لها وهو يأشر بيده الآلية لأعلى:

-ها هو، هذا الركن يا فريدة به أكثر من كتاب لتفسير الأحلام.

ولكن فريدة قالت له:

-اجلب لي أياً من الكتب يا روبوت، لن أستطيع أن أجلبه لنفسي لأن المكان عالٍ بالنسبة لي بعض الشيء.

هنا مد روبوت يده وأثناء جلبه لكتاب من منتصف الكتب سقط كتاب آخر.

همَّ بالاعتذار وهو يهم بالتقاط الكتابين راغباً في إرجاع أحدهما، ولكن فريدة قالت له وهي تهم بأخذهما من يديه:

-لا داعي يا روبوت، إن أمي قالت لي إن لها عدة كتب لتفسير الأحلام يمكن أن تفيدني.

همَّ روبوت موضحاً:

-لا، هذا ليس كتاباً، بل رواية.

هنا تمعنت فريدة في غلاف الرواية الذي أخذ طابع الرعب بعض الشيء، قد شدها الغلاف ومن ثم جلست على المكتب وقالت لروبوت وهي سارحة في الرواية:

-أعد لي كوباً من النسكافيه وأحضره لي هنا في المكتب.

قامت بالنظر لظهر الغلاف وأخذت تقرأ الكلمة التعريفية عنها على الأقل، هنا قد شدها أكثر الكلام الموجود على ظهر الغلاف وخاصةً هذا الجزء: "وفي خلال هذه المغامرة سوف تكتشف أروما حقيقة نفوس من حولها، وسوف ترى الحقيقة المغيَّبة عنها، وسوف تُصدم فيمن كانت تحسبهم أحباباً بأن بهم طبع الغدر والخيانة، وعندهم الاستعداد للسرقة والقتل، وحتى الاستعانة بالجن والسحر..!"

كانت الرواية اسمها "طيف أروما" تأليف "رانيا رمضان"، انتبهت فريدة للاسم ونظرت للغلاف مرة أخرى وقالت في قرارة نفسها:

-يمكن أن فكرة سقوط هذه الرواية في يدي ليست محض الصدفة، يمكن أن أجد بها الحل لما أمر به، لذا سوف أقرأها، إذا وجدت بها حلاً فهذا ما أتمناه، ولكن إن لم أجد بها حلاً ستكون على الأقل أراحت عقلي وجعلته يفصل قليلاً عما أمر به، إن

الروايات والكتب لها تأثير كبير على راحة العقل، هذا ما كانت تقوله لي أمي دائماً، لذا فلأبدأ الآن.

***

الفصل التاسع

المحاولة

بدأت فريدة تقرأ الرواية وهي تشرب النسكافيه، وبدأت تنجذب للرواية بشدة ولم تقم من مكانها إلا أن أكملتها .

عندما انتهت من القراءة وقفت وبدأت تسأل نفسها :

-ماذا عليَّ أن أفعل الآن . . . ؟

هل أرجع بالزمن الذي ذكرته الكاتبة في الرواية وأقابل الشيخ متولي ؟ ولكن ماذا إن كان لم يكن موجوداً إلا في خيال المؤلفة فقط . . . ! ولكن المؤلفة ذكرت أنها قصة حقيقية . . . !

هنا قررت فريدة أن تخرج من غرفة المكتب وتذهب كي تريح جسمها قليلاً ولكن ما زالت وهي تمشي متعبة تفكر في حل .

ها هي فريدة تمدد جسدها وقد أغلقت جفنيها كي تنعم بالقليل من الراحة كي تساعدها قليلاً في الوصول لحل .

ولكن سرعان ما فتحت فريدة عينيها وقامت وجلست وهي ترفع شعرها لأعلى وقالت بلهفة:

-أوه، كيف لم تأتِ في بالي هذه الفكرة، سوف أذهب وأقابل هذه الكاتبة وأكيد سوف تدلني.

خرجت فريدة مسرعةً من غرفتها ونزلت للمكتب من جديد وجلبت الرواية ونظرت على عام إصدارها 2021.

همت مسرعةً كي تعود لغرفتها كي تجلب الجهاز وكتبت التاريخ الذي ختمت به الكاتبة روايتها، وكتبت اسم المؤلفة ومكانها حينها مثل ما ذُكر أنها من الإسكندرية، وهذا كان كفيلاً لأن تجد نفسها في لمحة في غرفة رانيا رمضان.

رأت أمامها شابة تغمرها السعادة لانتهاء عمل من أعمالها، فقررت الظهور أمامها، هنا فزعت رانيا وهمت من سريرها صارخةً متوجهةً تجاه الباب.

ولكن سرعان ما أمسكتها فريدة من يدها وباليد الأخرى وضعت يدها على فمها كي لا تصرخ، وقالت لها هامسةً مطمئنة إياها:

-اهدئي أنا لن أؤذيكِ.

حاولت رانيا أن تصرخ صرخات مكتومة بسبب قبضة فريدة التي لم تستطع رانيا أن تتخلص منها ؛ وذلك لأن بنية رانيا صغيرة جداً مقارنةً بفريدة برغم فرق السن بينهما .

كررت فريدة بنظرة توسل لرانيا :

-صدقيني، أنا لن أؤذيكِ، أنا جئت لكِ من المستقبل، لقد قرأت روايتك وأريدك أن تساعديني .

هنا ملامح ذعر رانيا تحولت إلى ملامح تعجب بسبب لكنة فريدة وأصدرت صوتاً مكتوماً ، فقالت لها فريدة غير فاهمة:

-ماذا تقصدين ؟

هنا توقفت رانيا عن المقاومة بيدها بل أشارت بيدها على فمها أي تسمح لها بالكلام، وبالفعل فكت فريدة قبضتها عن رانيا بعد أن اطمأنت من نظرة عينها ومن ثم قالت رانيا وهي تلتقط أنفاسها وهي تتوجه كي تجلس على سريرها :

-اعذريني على ما صدر مني من ردة فعل، ولكن أنا جبانة جداً ، لتوي انتهيت من كتابة رواية عن شبح فمجرد ظهورك أمامي شعرت بالرعب حقاً .

اقتربت منها فريدة وجلست أمامها على نفس السرير وقالت:

-هذه الرواية هي التي قرأتها لكِ بالفعل، وجئت إليكِ من المستقبل كي تساعديني .

هنا نظرت لها بتعجب وسألتها وهي ترفع أحد حاجبيها :

-أحقاً أنتِ من المستقبل ! ؟

أومأت لها فريدة برأسها أي نعم ولكن رانيا أكملت كلامها وقالت:

-أنا فزعت لفكرة ظهورك أمامي مرة واحدة من دون أي مقدمات، ولكن عندما رأيت أنك غير مسلحة جال في خاطري أنك مجرد لصة وقررت التكلم معكِ ما دمتِ غير مسلحة .

ويمكن أنكِ تمكنتِ من الدخول من دون أن أنتبه لأني مشغولة في مراجعة العمل وأسمع موسيقى بصوت عالٍ .

نظرت لها فريدة بتعجب وقالت بنبرة تهكمية:

-هل حقاً أنتِ رانيا مؤلفة الرواية أم أني قد أخطأت في العنوان ؟

نظرت لها رانيا مؤكدةً لها :

-بل أنا بالفعل المؤلفة .

فسألتها فريدة بتهكم:

-وهل عمرك رأيتِ لصة تخترق البيوت ليلاً، أظن أن النساء بالكثير يقمن بالنشل أو العمل مع عصابة، إنما بمفردها في اختراق البيوت هذا لم يمر عليَّ أبداً .

زفرت رانيا وقالت:

-كلامك صحيح، ولكن كل ما في الأمر أني لا أستبعد شيئاً .

تنفست فريدة الصعداء وأردفت:

-رانيا ، كل ما أريد أن أعرفه منكِ أولاً هل تلك الرواية مبنية على قصة حقيقية بالفعل . . . ؟

نظرت لها رانيا وقالت لها :

-للصدق، ليست قصة حقيقية بل أنها مختلقة من تأليفي . . .

هنا أحبطت فريدة وقالت بخيبة أمل:

-هذا ما كنت لا أتمنى أن أسمعه أبداً .

هنا همت فريدة واقفةً ولكن رانيا أمسكت يدها وسألت كي تتأكد :

-هل بالفعل أنتِ من المستقبل . . . ؟ أم أنك مجرد فتاة الدنيا أتعبتها فقررت أن تجد طريقة للعيش ألا وهي السرقة . . . !

ضربت فريدة رأسها بكف يدها وقالت لها بتهكم:

-وهل هذه اللكنة والهيئة توحي لكِ أني لصة فقيرة الدنيا أتعبتني، أرجوكِ لا تجعليني أندم أني أعجبت بروايتك الشيقة ذات الحبكة المميزة .

وقفت رانيا أمامها وقالت لها :

-صدقيني تلك الاستنتاجات الغبية بسبب أني غير مقتنعة بفكرة القدوم من المستقبل من الأساس .

فكت فريدة قبضة رانيا عن يدها وقالت لها وهي تؤشر على خاتمها فانبثقت منه شاشة عائمة في الهواء ودخلت على الصور حينها ذهلت رانيا عندما رأت التاريخ المكتوب على الصور .

ومن ثم قامت فريدة بتشغيل فيديو لها وهي تطير بجذائها النفاث ومن ثم قالت فريدة لها بنفاد صبر:

-هل تريدين دليلاً آخر يا رانيا . . . ؟

نظرت لها رانيا ببلاهة غير مصدقة وقالت لها :

-للحق أنا جبانة ولكن للصدق أنا أحب الأمور غير الطبيعية والماورائيات .

ولكن فريدة طأطأت رأسها وقالت:

-ولكن روايتك ليست حقيقية كنت أحتاج أن . . .

لم تكمل كلامها وأشاحت بنظرها وأردفت:

-لا داعي أن أكمل ولا أن أوضح لأن هذا سيكون بلا نفع .

همت رانيا تسألها بلهفة:

-وماذا إن كانت حق يا . . . آه حقاً ما اسمك . . . ؟

-اسمي فريدة .

قاطعتها رانيا بلهفة وقالت لها :

-أنا أحب هذا الاسم جداً .

هنا استأذنتها فريدة وقالت لها :

-لا داعي أن أضيع من وقتك أكثر من ذلك، سوف أرحل .

بدأت فريدة في أخذ جهازها كي تعود بالزمن .

هنا همت رانيا مسرعةً وأمسكت بالجهاز، ومن ثم نظرت له وقالت لها بلهفة:

-أوه، هل هذا هو جهاز السفر عبر الزمن . . . ؟

هنا همت فريدة أن تنطق ولكن رانيا قدمت سؤالاً آخر . . . ؟

-ما هذا . . . ! أهذا هاتفك . . . ؟

هنا أخذت فريدة الجهاز من يدها وتنفست الصعداء وقالت بنفاد صبر:

-كان الأمل بدأ بداخلي تجاهك ولكن يبدو ألا فائدة .

سألتها رانيا بصوت هادئ:

-انتظري، قبل أن ترحلي على الأقل قولي لي كيف كنتِ تريدين أن أساعدك، أنا أرغب في مساعدتك، أكثر شيء يسعدني في الحياة هو مساعدة الغير، حتى وإن كنت لا أستطيع أن أساعدك سوف أفعل كل ما بوسعي كي أساعدك .

قررت فريدة أن تجلس وتكلمت وهي مطأطئة الرأس:

-إن الحمل عليّ كبير، أرغب في إنقاذ شخص ما . . .

هنا قاطعتها رانيا وقالت لها بجدعنة مصرية:

-لا تقلقي أنا بجانبك، وعلى رأي المثل المصري "القفة أم ودنين يشيلوها اتنين" .

همت فريدة واقفةً وتنفست الصعداء وقالت بيأس:

– لا، لا، يبدو ألا فائدة منكِ يا رانيا، قد يئستُ بالفعل، كلما أعطيتكِ فرصة تصدميني.

ضحكت رانيا بصوت عالٍ، ومن ثم كتمت ضحكتها وقالت محاولة إظهار بعض الجد في حديثها:

– اهدئي فريدة، ها أنا بالفعل كلي آذان صاغية لكِ.

جلست فريدة ومن ثم تنفست الصعداء ولكن من ثم التمعت عيناها وسألتها بجدية:

– لا، بل أريد أن أعرف المقصود بالمثل.

ضحكت رانيا وقالت لها:

– حسنًا سوف أشرحه لكِ ولكن عليكِ أن تقولي لي سبب قدومكِ هنا.

وبالفعل مر الوقت وها هي فريدة حكت لها كل ما مرت به.

أمسكت رانيا رأسها وملامح الجد قد رُسمت على وجهها وها هي فريدة تقول لها والحزن مسيطر عليها:

– ها قد حكيتُ لكِ كل شيء، هل لديكِ حل لي . . . !

نظرت لها رانيا بيأس وقالت بحزن:

– إن جئتِ للحق، ليس لدي حل .

هنا توقفت رانيا عن الكلام عندما رأت أن حزن فريدة زاد أكثر، ولكنها سرعان ما تمالكت الموقف وأردفت مكملة وهي تمسك يد فريدة مهونة عليها بابتسامة رسمتها على وجهها:

– ولكن سيكون لدي حل .

هنا التمعت عين فريدة وسألتها بتعجب:

– ولكن كيف . . . ؟

قالت لها رانيا بثقة وعلى وجهها نفس الابتسامة:

– لا، كيف هذه اتركيها عليَّ، لا يغرّكِ صغر جسمي ولا سني، ولا يغرّكِ أني بنت، آه أنا بنت ولكن في المواقف أجدع من مئة رجل وأنا قلتُ لكِ كلمة، والكلمة بالنسبة لي سيف .

نظرت لها فريدة ببلاهة وسألتها:

– ما معنى هذا يا رانيا . . . ؟

رسمت رانيا ابتسامة على طرف فمها :

– هذا معناه تعالي لي غدًا في نفس الوقت وسوف أقول لكِ الحل .

هنا شكرت فريدة رانيا وقامت بمعانقتها وقالت لها وكأنها تضع بها كل الأمل وأردفت:

– أنا واثقة أنكِ سوف تساعدينني يا رانيا .

ضحكت رانيا وقالت لها بثقة:

– بعون المولى سوف أساعدكِ .

خرجت فريدة من التجربة وعادت إلى غرفتها وهنا عندما رأت سريرها ابتسمت وقالت بصوت هامس وهي تقوم بفرد شعرها الطويل:

–الآن يمكنني أن أرتاح قليلًا .

استيقظت فريدة على اتصال من إيفانا ، التي تعجبت من عدم حضورها المحاضرة على غير عادتها ، قالت لها فريدة بصوت ناعس:

– متعبة قليلًا يا إيفانا سوف . .

هنا قاطعتها إيفانا بلهفة:

– متعبة، سوف آتي إليكِ حالًا .

هنا تمتمت فريدة بنفاد صبر:

– إيفانا أرجوكِ، لا تقلقي كل ما في الأمر أنا أحتاج أن أرتاح وكفى، سوف أطمئنكِ عليَّ .

ومن ثم أغلقت المكالمة وهمت من مكانها وتوجهت للحمام فنظرت لنفسها في المرآة وقالت بحزن على حالها :

–لقد صرتِ باهتة جدًّا يا فريدة، بالفعل لقد صدق جون بأن هذه التجربة تجهد العقل كثيرًا .

ولكن الأمر ليس إجهادًا فقط من التجربة ولكن الخوف، الخوف يأكل في روحي، خائفة ألا أستطيع أن أنقذ فارس .

من ثم نظرت لنفسها بجد وسألت نفسها :

–ولِمَ تخافين . . . ! كل ما عليكِ هي المحاولة، إن أنقذتِهِ يكون خيرًا وإن لم تنقذيه فليس عليكِ ذنب في شيء .

من ثم نظرت فريدة لنفسها بجد وقالت لنفسها بصوت عالٍ بعض الشيء:

-ألا تكوني أحببتِ فارس يا فريدة. . . !

هنا فريدة فتحت الماء بسرعة وقامت بغسل وجهها عدة مرات ومن ثم رفعت رأسها ونظرت مرة أخرى لنفسها في المرآة وقالت:

-يبدو أن وحدتكِ وعيشكِ بمفردكِ جعلاكِ تفقدين عقلكِ، حب. . . الحب الـ. . . لا، حب ماذا. . . ؟ كل ما في الأمر أرغب في المساعدة وكفى.

ها هي تنظر لعينها في المرآة ومن ثم قالت لنفسها في غضب وهي ترمي الماء على صورة انعكاسها:

-لَمَ أنظر لعيني هكذا. . . !

ومن ثم همت بالخروج وقالت بغضب:

-يبدو أني جننتُ بالفعل، لقد جننتُ.

جلست على كرسيها الهزاز وهي تنظر للحديقة وقررت أن تطلب من الروبوت أن يحضر لها الفطور.

الفطور أمامها، ولكنها اكتشفت أنها لا تشتهي أن تأكل شيئًا.

سألت نفسها :

–هل أقدم على التجربة الآن . . . !

تنفست الصعداء وقالت:

–آووه، أنا متعبة حقًّا ، ولكني أريد أن أرتاح من هذا الحمل الذي عليَّ . هيا ، هيا يا فريدة، من طبعكِ دائمًا الإقدام والمواجهة وعدم الخوف، تفاءلي يا فريدة تفاءلي .

ومن ثم كتبت نفس تاريخ الأمس ولكنها زادت يومًا وحددت نفس الوقت بعد منتصف الليل، ومن ثم صارت أمام رانيا من جديد ، ولكن هذه المرة كانت رانيا مستعدة لهذا اللقاء .

نظرت لها رانيا وابتسمت لها بابتسامتها التي اعتادت فريدة عليها التي تبعث الأمل في قلبها من جديد .

قالت لها رانيا بلهفة:

– ها قد أتيتِ يا فريدة أنا أنتظركِ منذ ساعة .

هنا ابتسمت فريدة لها برفق ومن ثم قالت لها بصوت هادئ:

– طمئنيني يا رانيا . . . !

– وصلتُ لشيخ اسمه الشيخ منصور كل الناس يتكلمون عن بركته ولا يتقاضى أجرًا أبدًا .

– يا رانيا هل تكلمتِ معه في ما حكيته لكِ . . . ؟

أومأت رانيا برأسها مؤكدة ومن ثم سحبت فريدة كي تجلس وأردفت:

–طبعًا حكيتُ له وهو مستعد أن يأتي معي في أي وقت ولكن يجب أن أؤكد عليه قبلها بيوم من أجل أن يعتذر لد . . .

هنا قاطعتها فريدة وهي تضرب رأسها بكف يدها :

– آووووه، كيف تاهت عن بالي . . . ؟

نظرت لها رانيا بتعجب محاولة أن تفهم وأردفت:

–ماذا تقصدين يا فريدة . . . ؟

التقطت فريدة أنفاسها وقد رُسمت على ملامحها مشاعر مختلطة بالحزن والغضب:

– أنا أريد أن أنقذ فارس ولكن اليوم الذي قابلته به في شهر نوفمبر عام ٢٠١٩ بينما نحن الآن عام ٢٠٢١ .

قالت لها رانيا مطمئنة إياها :

–وما المشكلة يا فريدة . . . ! إن الأمر بسيط سوف أذهب أنا والشيخ منصور معكِ عن طريق الجهاز الخاص بكِ وننقذه سويًا .

قالت لها فريدة بأسى والدمع بدأ يلمع في عينها :

– رانيا ، إن جهازي خاص بي أنا يكفي لشخص واحد للنقل عبر الزمن، إن المعدات الملحقة به خاصة بفرد واحد .

قالت لها رانيا محاولة أن تجد حلاً:

– يمكنكِ أن تعودي لزمنكِ وتجلبي جهاً أبسل .

قالت لها فريدة بنفاد صبر وقد خانها دمع عينها هذه المرة:

– يا رانيا ، يا رانيا افهمي، هذا الجهاز صممه لي صديق والدي، لا يوجد منه إلا نسخة واحدة لي أنا فقط .

هنا نظرت لها رانيا بلهفة وترغب أن تتكلم، ومن ثم مسحت فريدة دمع عينها وقالت بعصبية اختلطت بالحزن بسبب اليأس:

– أعرف ما تريدين قوله، تريدين أن أطلب من دكتور جون أن يصنع لي جهاً أبسل .

هنا التمعت عين رانيا بالدمع وأومأت برأسها أي نعم ولكن في نفس الوقت أجهشت فريدة في البكاء:

– إن هذا سيأخذ وقتًا، وأنتِ لا تعلمين كم أنا متعبة لا أستطيع أن أنام بسبب كثرة التفكير وإن نمتُ من شدة التعب أستيقظ والتعب قد أكل روحي، لن أستطيع أن أتحمل هذا التعب أكثر من ذلك، أريد أن أنقذ فارس كي أرتاح، الله جعلني أبدأ هذا الأمر من أجل أن أساعده أكيد، ليس مجرد تجربة وانتهى الأمر.

هنا اقتربت منها رانيا وأخذت تربت على كتفها وتهمس لها:

– لا تقلقي أنا بجانبكِ وسوف نصل لحل سويًا.

هنا مسحت فريدة دمعها وقالت بيأس:

– تعرفين ما هو الحل يا رانيا . . . ؟

نظرت لها رانيا بحنو ولين وسألتها:

– ما هو الحل يا فريدة . . . !

نظرت فريدة للأرض وأردفت:

– الحل أن أنسى الأمر برمته، ولكن ضميري يؤنبني، إنه لأمر . . .

هنا التمعت فكرة في عقل رانيا وقامت بسحب وجه فريدة كي يكون مواجهًا لها وأردفت لها بلهفة وابتسامة:

– لا، بل بالفعل هناك حل .

نظرت فريدة بتعجب وقد تجدد الأمل في روحها وتساءلت:

– وما هو يا رانيا . . . ؟

– غدًا سوف تأتين لي نهارًا بعد الظهر وأنا سأكون في انتظاركِ أمام بيتي وسوف نذهب للشيخ منصور .

هنا سألتها فريدة بتعجب:

– ولكن كيف سوف . . . ؟

قاطعتها رانيا وقالت بثقة وبنفس الابتسامة:

– أنتِ طلبتِ مني المساعدة، كل ما عليكِ أن تثقي بي وكفى .

هيا لنرتاح الآن لكي نستعد لمغامرة الغد .

ومن ثم ودعتها وعادت فريدة مرة أخرى لبيتها ، طبعًا لم تستغل كل وقت المغامرة هذه المرة، لذا فضولها جعلها لا تتحمل وقررت أن تكتب الموعد الجديد وتكمل التجربة اليوم .

ها هي بالفعل فريدة قابلت رانيا وذهبتا إلى الشيخ منصور سويًا .

فريدة كانت تتوقع أن البيت سيكون قديمًا ومتهالكًا وبه الكثير من البخور مثل بيت الساحرة التي ذهب إليها فتحي وعليا ، ولكن البيت كان بيتًا عاديًا يدل على أن صاحبه من الطبقة المتوسطة حينها .

رحب بهما الشيخ منصور الرجل الخمسيني ذا البشرة البيضاء والشعر الأبيض والابتسامة المريحة للنفس، وطلب منهما أن يرتاحا ، وبمجرد أن جلست فريدة تذكرت أنها رأته عندما عادت بذاكرة فارس هو نفسه الشيخ الذي قابله فارس في المسجد وهون عليه ولكن سرعان ما فاقت من شرودها وقالت بلهفة:

- أنا يا شيخ . . .

هنا قاطعها الشيخ بضحكة سمحة:

-أعرف يا بنيتي، لقد حكت لي رانيا كل شيء، وجودكِ أمامي الآن كي أشرح لكِ ما عليكِ فعله.

نظرت فريدة بتعجب لرانيا وللشيخ منصور ومن ثم أردفت:

-أنا . . . ماذا عليَّ أن أفعل . . . ؟

قهقه الشيخ وقال:

-مهلكِ يا بنيتي، سوف أشرح لكِ كل شيء ولكن أريدكِ قوية، ولا يهزكِ ما سوف ترينه فيما بعد.

أومأت فريدة وبدأ حزن عينيها يتحول إلى نظرة جد.

هنا قال لها الشيخ منصور بتشجيع:

-هذه هي فريدة القوية، فلنبدأ.

هنا نظرت لها رانيا بتشجيع وابتسمت لها وهي تمسك يدها محفزة إياها، وحينها بدأ الشيخ في الكلام:

– الأمر بسيط يا بنيتي ولكن يحتاج شجاعة وثباتاً ، لا تنسي يا بنيتي لا الجن ولا عفريت الجن ولا عفريت الإنس قوي مثل الإنسان، نحن الأسمى والأقوى، إن الجسد المادي أقوى من ترددات الجسد الأثيري، لا يخدعنكِ هول المظهر .

هنا رجع اليأس يدخل قلب فريدة وأردفت:

– ولكن أنا في هذه التجربة مجرد جسد أثيري، لأن جسدي في المستقبل و . . .

هنا تردد الشيخ ولكن في نفس اللحظة قال لها بنفس الابتسامة كي يطمئنها :

– أي نعم ليس معكِ جسدكِ المادي ولكن معكِ القوي، معكِ الله، وما خاب من استعان فقط بالله .

شعرت فريدة بالخزي وقالت:

– ولكني غير ملتزمة ولا أعرف . . .

قاطعها الشيخ وأردف موضحًا :

– كلنا مقصرون يا بنيتي ومهما نفعل نحن مقصرون في حق الله، أنا جهزتُ لكِ تسجيلاً سوف يساعدكِ في التخلص من قوة الشر على هذا الجهاز، ومعكِ هذه الورقة اقرئي منها أثناء تشغيل التسجيل على هذا الجهاز .

استجمعت فريدة قواها وبدأت ملامح اليأس تزول عن وجهها ولكن ما زال التوتر يتلألأ في عينها وأردفت:

– هل هذا ما عليَّ فعله . . . ؟

تنفس الصعداء وابتسم لها:

– ربي يهديكِ يا فريدة، أرجوكِ لا داعي للتسرع أو التوتر، وللعلم أنا لم أكمل كلامي .

حاولت فريدة أن تتمالك أعصابها وهدأت ومن ثم أصغت جيدًا لصوت الشيخ منصور الرخيم .

– سوف تعودين بالزمن وتقابلين فارس عندما توقف وحكى لكِ حكايته، وذلك قبل أن يذهب للسجن أو للمصحة، احكي له ما رأيتِهِ وما توصلتِ إليه ومن ثم ابدآ في الحفر في البيت الذي وجدتِ به فارس لإخراج بقايا عليا .

هنا نظرتا كل من رانيا وفريدة بتعجب وسألت فريدة:

– لمَ . . . هذا البيت . . . ؟ !

وضح لها الشيخ منصور بهدوء:

– ألا تتذكرين أن فتحي قد قتل عليا في أرض دمنهور التي كانت حينها منطقة هادئة قليلة السكان تقريبًا . . . !

رُسمت دهشة أكبر على ملامح فريدة وقالت:

– لم يأتِ في بالي هذا الأمر و . . .

ولكن جال سؤال في بال فريدة وقالت:

– ولكن كيف تم بناء هذا البيت ولم يجد العمال جثة عليا . . . ؟ وأين سأحفر بالتحديد . . . ؟

– كل هذا يمكنكِ التأكد منه من خلال جهازكِ وتري ما حدث . . . ولكن المهم الآن أن تخرجا بقايا الجثة وتبدآ في حرقها مع تشغيل هذا التسجيل وترديد ما في الورقة، ومهما حدث أمامكِ لا تتراجعي، لا تخافي، ولا تستسلمي .

نظرت له فريدة بتردد وسألته:

– وهل تظن أني سأنجح في هذا الأمر في التخلص من الروح الشريرة . . . ؟ أنا أظن أن هذا الأمر يحتاج لشخص مثلك .

نظر لها الشيخ منصور وابتسم وقال مطمئنًا إياها :

– وما أنا يا فريدة . . . ! ما أنا إلا شخص مثلكِ، أجاهد نفسي كي أكون صالحًا وسخرتُ نفسي لمساعدة غيري، وأنتِ كذلك يمكنكِ أن تكوني مثلي، نيتكِ الطيبة في مساعدة الغير ستمكنكِ من النجاح، وللتخلص من الروح الشريرة لا تحتاج قوة بنيان ولا رجل دين، كل ما في الأمر والمهم هو القلب الصادق المؤمن حقًا بقوة الله وحده وكفى . طول ما أنتِ قلبكِ مؤمن بالكلمة التي تقولينها ، وما دام قلبكِ مؤمن ومتمسك بقوة القوي الذي تستعينين به فلن يخزيكِ الله أبدًا ، طول ما عقلكِ مدرك بأنه ما دام استعان بخالقه وخالق من أمامه من الجن والإنس وأن الخالق قادر على الانتصار عليه فسوف ينتصر عليه بالفعل .

هنا أشار الشيخ منصور على قلبه وعلى وجهه ابتسامة تبعث الأمان في النفس وأردف برفق:

– ما دام هذا لديكِ نقيًا وسليمًا ولم يظلم أبدًا ودائمًا تفكرين في غيركِ وكفى ومتوكل على المولى فسوف ينصركِ الله يا بنيتي .

رسمت فريدة ابتسامة وبدأت لمعة التوتر تقل في عينيها ولكن فجأة رجعت من جديد وتنحنحت وقالت بخجل:

-يا شيخ آخر سؤال والله .

ضحك الشيخ منصور وقال لها :

- تفضلي يا بنيتي أنا معكِ .

-يعني بالفعل إذا توكلتُ فقط وآمنتُ بقوة الكلمة وبالله سوف أتمكن . . . ، يعني لا أحتاج رجل دين أكيد . . . ؟ أشعر أنك تطمئنني وكفى .

ابتسم الشيخ منصور وتنفّس بعمق وأردف بهدوء :

- ربي يهديكِ يا بنيتي ، اسمعيني كي تصدقي كلامي بناءً على موقف حدث بالفعل مع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

هنا توقف الشيخ منصور ونظر لكلاهما وقال لهما بابتسامة:

- لقد ذكرتُ سيرة الرسول أين الصلاة عليه . . . ؟

ضحكتا كل من رانيا وفريدة وقالت رانيا بخجل:

- اعذرني يا شيخ ولكني كنت في حالة تركيز شديد لما سوف تحكيه، أنا بالنسبة لي وجودي أمامك فرصة وأريد أن ينهمر عليَّ من علمك وثقافتك وقصصك .

ابتسم الشيخ منصور وقال بحماسة للعودة للحديث مرة أخرى:

-حسنًا يا بنيتي أين كنا . . . ؟

في نفس واحد رانيا وفريدة:

-النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

ضحك الشيخ منصور ومن ثم أكمل حديثه:

- عليه الصلاة والسلام، دعوني أشرح لكما الأمر لقد سُحر نبينا محمد و . . .

هنا قاطعته رانيا معتذرة وأردفت:

- اعذرني يا شيخ، ولكن بالفعل هذا الأمر قد حيرني كثيرًا، كيف لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم المعصوم أن يُسحر . . . ! هذا الأمر يقلل من شأنه كثيرًا .

هنا فريدة كانت تنظر لرانيا باستغراب ولكن سرعان ما قطع صوت الشيخ منصور شرودها وأردف:

- أفهم يا بنيتي ما يجول في خاطركِ . . .

هنا أكملت رانيا بصوت متردد:

- أنا أحب نبينا محمد كثيرًا وأحب التعمق في أمور الدين ولكن أحيانًا تجول في خاطري تساؤلات لا أجد لها ردًّا ولا مبررًا .

ابتسم الشيخ منصور وقال بثقة:

– بل يوجد مبرر مقنع يا بنيتي، فلتسمعي لي جيدًا . سوف أحكي لكما المفيد وباختصار، ذُكر عن السيدة عائشة رضي الله عنها في حديث ذكرت به ما معناه أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم . . .

هنا همستا كل من رانيا وفريدة بالصلاة على النبي، فابتسم لهما الشيخ منصور وأكمل كلامه:

– كان يُخيّل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن، المقصود بهذا التعبير أن النبي محمد كان يُخيّل إليه أو يظن أنه جامع أهله ولكنه لم يجامعهن قط، يوجد بعض العلماء الذين أوضحوا أن هذه الحالة كان يشعر بها فقط النبي محمد مع السيدة عائشة التي ورد عنها الحديث، لأنه لم يُذكر عن أي واحدة أخرى من أمهات المؤمنين كلام عن هذا الأمر، ولكن السيدة عائشة استخدمت في حديثها صيغة التعميم لحيائها وخجلها .

يُذكر أن كان هناك شخص من اليهود اسمه لبيد بن الأعصم، قام بعمل سحر باستخدام مشط النبي محمد وما به من خصلات شعر النبي المصطفى، وقرر أن يقوم

بعمل سحر كي يؤذي النبي محمد في أكثر ما يحب ألا وهي السيدة عائشة .

بعد ما علم النبي محمد من السيدة عائشة بأنه يظن له فقط ولا يجامعها بالفعل، بدأ يتعب وتساءل عن سبب ما به، ولكن من ثم جاء للسيدة عائشة وقال لها إنه رأى ملكين يُذكر أنهما جبريل وإسرافيل وكان أحدهما عند رأسه والآخر عند رجله، قال أحدهما: ما بال الرجل . . . ؟ رد الآخر: إنه مطبوب . فرد الآخر: ومن طبه . . . ؟ مطبوب المقصود بها مسحور، ومن طبه المقصود بها من سحره، فرد الآخر: لبيد بن الأعصم، أنه قام بهذا السحر على مشط ومشاطة، وسبق وشرحت لكما تلك النقطة، وذُكر له مكان السحر أنه في جُفّ طَلْعِ نخلةٍ ذُكر في بئر ذي أروان . والجف هو شيء أشبه بالكوز الذي يحتوي على لقاح النخل . وشفاء نبينا محمد كان على يد سيدنا جبريل عندما سأله: هل اشتكيت يا محمد ؟ قال النبي محمد : نعم . فقال جبريل: بسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس، أو عين، أو حاسد ، الله يشفيك، بسم الله أرقيك .

وشُفي نبينا محمد ومن ثم ذهب إلى البئر واستخرج السحر كان السحر معقودًا بشعره إحدى عشرة عقدة فنزلت المعوذتان إحدى عشرة آية (أي سورتي الفلق والناس) وتخلص النبي محمد من هذا الأذى وعاد كما كان.

هنا قاطعته فريدة وقالت له باستغراب:

– ها أنت قلت أن النبي محمد سيدنا جبريل هو من رقاه أو خلصه من الأذى الذي عليه.

– لا يا بنيتي بل إنه علمه كيف يتخلص من الأذى، جبريل ما هو إلا وحي يعلّم النبي محمد ما لا يعلمه، كي يعلّمنا نبينا ما لا نعلمه كذلك.

الله يا بنيتي جعل النبي محمد يُسحر لحكمة، كي يكون قدوة لنا في كل شيء ويعلّمنا كل شيء.

وفكرة أن السحر ينقص من شأن النبي محمد ويشكك بعض الناس في صدق نبوته، لأن البعض يذكر ويقول: "وكيف لي أن أصدق شخصًا يُخيّل إليه... ؟ يمكن أنه كان يُخيّل إليه جبريل وما يُوحى إليه".

وطبعًا هذا الكلام غير صحيح، لأن صدق الكلام الذي ورد عن النبي محمد مثبت بالمعجزات.

ثانيًا هذا السحر أصاب نبينا محمد بعدما هاجر النبي محمد للمدينة أي بعدما ثبتت مكانة الدين الإسلامي، أي ليس في بداية الأمر كي تتشكك في صدق نبوته.

وما السحر إلا نوع من العلل التي يُصاب بها الجسم، والنبي محمد كان يمرض مثلنا . . . الذي يقول: "كيف للنبي المعصوم أن يُسحر . . . ؟" النبي معصوم فقط في نبوته وفي الوحي، معصوم من الشياطين كي لا يمنعوه من تبليغ رسالته.

بينما غير ذلك كان النبي محمد يبكي ويتألم ويمرض مثلنا تمامًا.

عصمة الله للنبي محمد من الشياطين كي يمنعه من أن يصيبه كيدهم.

إصابة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالسحر مثلما أُصيب في مرة من المرات بالسم، عندما قدمت إليه امرأة يهودية كتف شاة وهذا الجزء المحبب للنبي محمد، قدمت له كتف الشاة المسموم، ولكن بعد أن تذوقه واختلط السم في ريقه سمع النبي محمد أن لحم الشاة يخبره أنه مسموم.

فأخرج النبي محمد ما بفمه وحذّر من معه من الأكل ولكن بعد ذلك مرض أحدهم ومات، طبعًا فكرة أن يُسمّ النبي محمد هذا من مكر الشيطان كي لا يكمل دعوته.

وبالرغم من دخول السم للهاته أي حلقه لم يمت النبي محمد من السم، بل جعله الله يكمل رسالته تمامًا، وعندما أكمل الرسالة مرض النبي محمد وظهرت عليه أعراض السم وحينها خيره الله أن يستمر في الحياة أم يختار الرفيق الأعلى، والنبي محمد اختار الرفيق الأعلى لأنه أكمل رسالته فلم يختر الدنيا قط.

عصم الله النبي محمد من الشيطان ومن أذى الإنس والجن إلى النهاية، عصمه أي ما معناه أنه لا يجعلهم يتمكنون منه، أو ينهون حياته بالقتل قبل إكمال الرسالة كما حدث مع الكثير من الرسل.

ولكن هذا لا ينكر أن النبي محمد تعرض للأذى الكثير من الناس ومن الشيطان ولكن لم ينجح أحد في التكن منه، على سبيل المثال:

عندما كانت تضع أم جميل الشوك والنار في طريقه وجاره اليهودي يضع القمامة أمام بيته وأحد المشركين عندما رمى أحشاء شاة على ظهر النبي محمد وهو عاكف في الصلاة أمام الكعبة وعندما قام أحدهم بخنقه أثناء صلاته. . . وغير ذلك عندما

طُرد من الطائف وهرب منهم بعد ما اجتمع من بها لضربه بالحجارة وسبه وغير ذلك الكثير عندما اجتمعت كل قبائل مكة لقتله.

فكرة أن النبي محمد يتعرض للأذى هذا شيء طبيعي لأن من الطبيعي أن يتعرض الأنبياء للأذى لكي يكونوا قدوة لنا في تحمل الأذى والصبر. . . الضرب والإهانة والمرض والسحر الذي تعرض له النبي محمد لا يقلل من قدره ونبوته بل يدل على عظمته ويدل بالفعل أن الله معه حتى أكمل رسالته.

وكما قلت لكما أن النبي محمد طبيعي يتعرض للأذى من الناس ومن الشياطين على سبيل المثال، كان الشيطان يحاول في مرة أن يلهي النبي محمد في صلاته، فقام النبي محمد برفع يده كأنه يقبض شيئًا في الهواء، بعد الانتهاء من الصلاة سألوه الصحابة فقال لهم أنه رأى الشيطان وكان يريد أن يظهره ويقيده في سارية ولكن نبينا محمد قال إنه لم يرغب في فعل ذلك لأن نبي الله سليمان طلب من الله أن يكون له ملك لا ينبغي لأحد من بعده.

هنا تساءلت رانيا بتعجب:

– بصراحة يا شيخ أنا لا أفهم، يعني كيف نبينا محمد رأى الشيطان، ولم يتمكن من أن يعلم أنه مسحور أو أن هناك من يمكر به . . . !

– الحكاية يا بنتي وما بها أن الله يريد أن يثبت لنا أن النبي محمد مثلنا لا يفرق عنا شيء سوى أن الله فضله عنا باصطفائه وأنه مميز عنا بالوحي . . . يعني بمنتهى البساطة النبي محمد ظل أربعين سنة شخصًا صالحًا عاديًّا .

ولكن الله ميزه بالوحي، يعني ما كان يورد عن النبي محمد غير نابع منه بل من الوحي فقط، وقد انقطع عنه الوحي ستة أشهر فلم يستطع النبي محمد أن يقول كلمة . . . كل ما في الأمر الله هو المتحكم في هبات النبي محمد، متى يظهر له الجن ومتى يخفيهم عنه، متى يجعل الرسول يُؤذى من الناس ومتى يُنصر عليهم، الفكرة التي يجب أن نؤمن بها أن الله وحده هو المتحكم في حياتنا حتى النبي محمد، وما نراه شرًّا لنا أو أذى في حق نبينا محمد ما هو إلا لحكمة، وفكرة سحر النبي محمد حدثت كي يثبت لنا أن السحر حق، والتخلص منه بسيط كذلك، أتمنى أن تكونا فهمتماني .

نظرت له رانيا بتفهم وقالت له وهي تهز رأسها :

– بالفعل لقد بدأت الصورة تتضح لي يا شيخ .

نظر الشيخ لفريدة وسألها :

– هل مستعدة الآن يا فريدة . . . ؟

هزت فريدة رأسها بثقة وابتسامة:

– أكيد ، بعون الله سوف أتمكن وأنجح بإيماني بالله وبصدق رسوله .

– وفقكِ الله يا بنيتي .

هنا همت فريدة واقفةً، فقامت رانيا بجوارها وعانقتها بلهفة وهي تربت على ظهرها :

–متأكدة أنكِ سوف تنجحين .

ومن ثم أخرجتها من حضنها ونظرت لها بابتسامة:

– ولكن يجب عليكِ أن تعودي لي من جديد ، وتحكي لي كل شيء .

ابتسمت لها فريدة وقالت لها :

– أكيد يا صديقتي المؤلفة . . .

ومن ثم التفتت مرة أخرى للشيخ منصور وقالت بابتسامة امتنان:

– أشكرك كثيرًا على كلامك ونصائحك لي، أتمنى أن لا تكون آخر مرة .

وقف الشيخ منصور وابتسم وأردف:

– البيت بيتكِ يا بنيتي، أنا معكِ وقتما تشائين .

قبل أن تخرج فريدة من التجربة قامت بتشغيل التسجيلات بسرعة قصوى كي يتم تخأبسلها في فيديو التجربة كي يكون معها عندما تعود مرة أخرى لواقعها ، ومن ثم فتحت الورقة ونظرت لها كي يتم حفظها كذلك ومن ثم ودعتهما فريدة وعادت مرة أخرى إلى واقعها .

جلست فريدة قليلاً لكي تفكر، وبعد قليل فتحت شرفة غرفتها ، تنفست بعمق وهي مغلقة العينين والراحة بدأت تعود إليها من جديد .

ولكن بمجرد أن فتحت عينيها فزعت ورجعت للوراء، كان أمامها جسم هائم في الهواء، لكن سرعان ما التقطت أنفاسها وقالت بغضب مكتوم:

– كدت أموت فزعًا يا إيفانا .

دخلت إيفانا ووقفت في الشرفة بجوار فريدة وقالت لها بلوم:

– هذا جزائي لأني أحبكِ وقلقة عليكِ .

هنا تركتها فريدة ودخلت الغرفة فلحقتها إيفانا وسألتها :

– ماذا بكِ يا فريدة . . . ؟ أنتِ تغيرتِ كثيرًا هذه الفترة، قولي لي ما بكِ . . . !

نظرت لها فريدة بابتسامة مصطنعة:

– لا تقلقي يا صديقتي كل ما في الأمر أني متعبة بعض الشيء ويوم أو يومين وسأعود كما اعتدتِ عليَّ .

نظرت لها إيفانا وقالت لها بلهفة:

– إذن ما رأيكِ أن نخرج سويًا اليوم كي تتخلصي من تعبكِ . . . ؟

نظرت لها فريدة نظرة تبعث بداخلها الأمان وكي تنهي الحديث في نفس الوقت:

– إيفانا أرجوكِ لا تضغطي عليَّ، صدقيني أحتاج بعض الراحة فقط، أعطِ لي يومين بالكثير، وإن لم أعد كما كنت فلتفعلي بي ما تشائين .

حل صمت إيفانا ، ولم تعد تعرف ماذا تقول . . . ! لأنها تعلم صديقتها جيدًا وتعلم أن فريدة تخبئ عنها شيئًا .

قالت لها فريدة وهي تنظر لها بابتسامة:

– اتفقنا . . . !

أومأت إيفانا برأسها وقالت بيأس:

– اتفقنا ، ولكن حينها ستقولين لي ما تخبئينه عني .

– حسنًا ، اتفقنا .

رحلت إيفانا وطارت بجذائها النفاث وهنا وقفت فريدة أمام المرآة وسألت نفسها :

–ها يا فريدة ! هل ستقومين بالتجربة النهائية بالوقت المتبقي من تجربة اليوم . . . ؟ لا ، لا ، أخاف ألا يسعفني الوقت على إنهائها ، نحتاج وقتًا للحفر والمواجهة ولا أدري كم نحتاج من الوقت . . . ! وأظن أن يكون معي الكثير من الوقت أفضل بكثير من أن يكون الوقت قليلًا .

جلست فريدة على الكرسي الموجود أمام المرآة وأمسكت رأسها ، وأردفت:

–أووه، أريد أن أنهي هذا الأمر حالًا . . .

رفعت رأسها أمام المرآة وقالت:

–لا ، بل سوف أنتظر لمنتصف الليل أي بداية يوم جديد وأبدأ تجربة جديدة بوقت كامل .

***

الفصل العاشر

المواجهة

استغلت فريدة الوقت حتى منتصف الليل في حفظ الآيات والأذكار التي كتبها لها الشيخ منصور، وقامت بنقل التسجيلات على هاتفها كي تقوم بتشغيلها .

وها هي الساعة صارت الثانية عشرة بعد منتصف الليل، تأهبت فريدة لبداية المغامرة ووقفت أمام مرآتها وهي ترفع شعرها وتتنفس الصعداء وتحفز نفسها ولكن وهي تنظر لنفسها فجأة تذكرت شيئًا ، تذكرت أن ترتدي سلسلة أمها التي تحمل لفظ الجلالة "الله" لأنها قامت بخلعها ، ارتدت السلسلة وتوكلت على الله وبدأت التجربة الأخيرة .

قررت أن تعود بالزمن لكي تتأكد بالفعل من تاريخ هذا البيت بنفسها ، فذهبت للحظة التي قتل فيها فتحي عليا ، وها هي تمر السنين بالجهاز سريعًا لكي ترى كل ما حدث .

في سنة 2004 بدأ فتحي بناء البيت للعائلة التي اشترت الأرض، برغم مرور السنين فتحي لم يجازف بحفر وعمل أساس للبيت ولكن أمر العمال بالبناء فوق

الأرض بحجة أن الأرض طينية، بل طلب منهم أن يقوموا بإضافة عدة طبقات من الردم فوق الأرض قبل البناء، ونفذ العمال ما قاله لهم.

قاموا ببناء بيت ذا طابقين، لقد تعب العمال في بناء هذا البيت لقد استمر بناؤه عدة أشهر، كان العمال يقومون ببناء جزء يأتون في اليوم التالي فيجدون أنه ليس كما تركوه بالأمس، لقد خاف البعض وترددوا وأصبحوا لا يأتون وهذا أخّر عملية البناء أكثر، بسبب خوف العمال من القدوم لهذا البيت.

تم الانتهاء من البيت بأعجوبة وها قد جاءت العائلة لكي يسكنوا في هذا البيت، حياتهم به كانت بخير لمدة أسبوع واحد فقط، ولكن بعد أسبوع بدأت الأم تشتكي لزوجها أنها تسمع من يطرق كثيرًا على الباب بالرغم من أنها لم تقم بتكوين علاقات مع الجيران، إن المنطقة صارت بها بيوت أكثر مما كانت عليها من قبل، أنكر زوجها وقال لها أن هذا بفعل الرياح، وازدادت كوابيس الأم وكل يوم تقوم مفزوعة مما تراه أثناء نومها، ترى امرأة تقول لها أن ترحل من البيت أو الموت، ولكن زوجها رفض وقال لها كيف سيترك البيت الذي دفع به كل ما يملك ويرحل منه بسبب كوابيس، وصارحها أنه كذلك يرى كوابيس ولكن لن يترك البيت أبدًا.

وفي يوم خرجت الأم ليلاً كي تشرب، فمرت أمام غرفة أولادها ذوي الستة والخمسة أعوام وسمعت ضحكاتهما فقررت أن تدخل عليهما كي تراهما ، ولكنهما كانا نائمين في سبات عميق، وبمجرد أن أغلقت الباب والتفتت وهي تتمتم بأنها يُخيّل لها ، رأت امرأة وجهها متحلل البعض والبعض لا ، وذات جلد متعفن، مشعثة الشعر وصرخت في وجهها :

– ارحلي من هنا . . .

هنا أغمضت عينها وصرخت صرخة ففزع كل من في البيت، استيقظ الطفلان في الغرفة وصارا يصرخان: أمي أمي . . .

والأب خرج من غرفته كي يرى زوجته، وأخذها وفتح باب غرفة الأطفال ودخل هو وزوجته .

أخذ زوجته في حضنه وهمّ الولدان في احتضان أبيهما وصارا يبكيان على بكاء أمهما . . . والأب لا يفعل شيئًا سوى أنه يمسح على شعر زوجته كي يهدئ من حالها ، وبعد أن كفت الزوجة عن البكاء مسحت دموعها باندفاع وقالت لزوجها وهي تمسك به:

– دعنا نرحل من هنا أرجوك، لن أستطيع أن أعيش هنا بعد الذي رأيته . . .

أخرجها زوجها من حضنه وقال لها بتوتر وغضب:

– ماذا بيدي أن أفعل . . . ؟ ليس لدي حل سوى العيش هنا .

– سوف آخذ أولادي وأرحل من هنا ، سأذهب للعيش مع أهلي .

ازداد غضب زوجها وقال لها :

– يعني يكون لنا بيت وتريدين أن نكون عالة على غيرنا . . . !

بكت مرة أخرى وقالت:

– عالة عالة على الأقل أعيش في أمان .

اقترب منها زوجها وقال لها وهو يقوم بسحبها كي تقف ومن ثم لمس وجهها برفق:

– دعينا نشغل قرآنًا في البيت كي يبعد عنا هذه الكوابيس والهلوسة، سنتغلب على كل ذلك ولكن فكرة الرحيل ممنوعة .

نظرت له زوجته بيأس ومن ثم التفتت لأولادها وأعادت كل منهما لسريره وقبلتهما وطمأنتهما ، وبالفعل قامت بتشغيل الراديو في التسجيل الخاص بها ، وبدأت تطمئن بسماع القرآن في الراديو، ولكن هذه الراحة لم تدم كثيرًا ، لأن الراديو قد انفجر تمامًا .

هنا قامت مفزوعة وتمسكت بزوجها الذي أخذ يهدئها ويوضح لها أنه أمر عادي.

ولكنها بدأت في البكاء وهي تترجاه أن يرحلوا، ومن ثم وهي تنظر لزوجها لمحت المرآة يُكتب عليها بالدم "الانتقام سيبدأ".

هنا صرخت لزوجها وهي تؤشر بيدها المرتجفة تجاه المرآة:

- انظر يا عاصم انظر التحذير.

هنا التفت عاصم وهو ممسك بيدها وقال والدهشة قد رُسمت على وجهه:

- لا يوجد شيء يا سلمى يا حبيبتي، يجب أن ترتاحي اهدئي.

ولكن سلمى صارت في حالة هيستيريا وقامت من مكانها ووقفت أمام المرآة وقامت بلمس الدم بعنف كي تري زوجها، ولكن زوجها همّ من السرير وضربها كفًّا كي تفيق من هذه الحالة ومن ثم أمسك يدها وقال لها بغضب كي تهدأ:

- اهدئي، ماذا تفعلين لقد جرحتِ نفسكِ...!

هنا بدأت سلمى في التقاط أنفاسها ونظرت له وقالت بهدوء كي توضح له وهي تبكي:

- لم أجرح نفسي، إنه الدم الموجود على المرآة.

أمسك عاصم يدها وجعلها ترى الجرح.

هنا دهشت سلمى وقالت وهي تذرف الدمع:

- لكن صدقني كان هناك تحذير أقسم لك.

من ثم فاقت من شرودها وحزنها وسألته وهو يأخذها للسرير:

- ولكن كيف جُرحتُ؟

قام عاصم بإحضار مطهر من الحمام وشاش كي يعالج لها الجرح، ورد عليها وهو يتحرك:

- ألا ترين أن هناك كسرًا في المرآة، حدث أثناء نقلها لهذا البيت. . . ! !

همست سلمى وهي تتألم من المطهر الذي سقط على جرحها:

- آه، كان يومًا أسود يوم ما نقلنا إلى هنا.

هنا سمعا صوت أذان الفجر، ومن ثم همس لها عاصم وهو يقوم بربط الشاش على جرحها ومن ثم همّ واقفًا مقبلاً رأسها:

- لا تقلقي يا حبيبتي، كل شيء سيكون بخير بإذن الله.

من ثم جعل سلمى تتمدد على السرير ونام بجوارها.

هنا قامت سلمى مرة أخرى:

– لو تكرر موقف آخر أرجوك دعني أعود لأهلي في أسوان أنا والأولاد .

هنا قام عاصم بغضب وقال:

– سلمى، منذ قليل لم أرغب أن أوضح أمام الأولاد ها ، أنتِ تفهمين جيدًا أننا لن نستطيع أن نعود مرة أخرى ولن نرى أهلنا .

أنتِ تعلمين جيدًا أنا فعلت المستحيل كي نبدأ بداية جديدة بهويات جديدة بعد الذي فعلناه .

ترددت سلمى وقالت:

– ولكن أمام القانون أنت الذي قتلت وسرقت مديرك الذي ظن أنك صديقه المقرب وآمن لك وأدخلك بيته وقال لك كل أسراره .

فتح عاصم علبة السجائر وأشعل سيجارة وقال بحنق:

– الدنيا غير عادلة يا سلمى، هو يكبرني بعامين فقط وهو صاحب الشركة بالرغم من أن الأفكار يستمدها مني .

هنا قالت سلمى بندم:

– آه يا رب لم طمعنا ، أنت كنت مساعد مدير ، لم نظرنا لحال غيرنا ، ها نحن ذا لم نهنأ قط بالمال .

– هذا ما حدث يا سلمى ، أرجوكِ لا تذكري لي هذا الموضوع مرة أخرى ، وفكرة الرجوع ممنوعة ، لأنكِ إن عدتِ سيصلون لي من خلالكِ ، بدأنا معًا فلنكمل سويًا .

أولستِ معي في السراء والضراء لا . . . !

نظرت له سلمى بحسرة ويأس وأردفت :

– معك .

ومن ثم تنفست بحسرة أكثر وأخذت تمدد جسدها على السرير ونظرت للسقف ، وأكملت تمتمتها :

– معك يا عاصم للأبد .

في اليوم التالي كان الوضع هادئًا نهارًا كالعادة ، قررت سلمى ألا تشغل بالها بالكوابيس والهلوسة التي تراها من أجل أن تعيش في سلام مع عائلتها .

في يوم طارق وسالم طلبا منها أن يصعدا للسطح كي يلعبا لأنها ترفض أن يلعبا في الشارع ، فسمحت لهما بساعة ومن ثم ينزلا .

وبعد ساعة قلقت عليهما وقررت أن تخرج تنادي عليهما فنظر لها سالم الصغير وطلب منها المزيد من الوقت، وافقت بمجرد أن رأت ضحكة ابنها أمامها .

بعد ساعة أخرى وهي مشغولة في تحضير الغداء لأن زوجها في الطريق سمعت صوت شيء سقط من علٍ، وتوازى مع صوت السقطة صوت صراخ طارق .

تركت ما في يدها وهمت مسرعةً وفي ثوانٍ وصلت للسطح، حينها كان طارق ينظر لأسفل وبمجرد أن سمع صوت أمه التفت لها وهو يبكي واقترب منها وقال لها :

– لست أنا من فعل ذلك أقسم لكِ .

هنا جرت سلمى تجاه السور رأت ابنها الصغير غارقاً في دمه .

هنا لم تسمع لبكاء ابنها ولا لدفاعه عن نفسه، همت مسرعة في النزول .

وها هي تحتضن ابنها الذي سقط على صخرة حادة أمام البيت، هنا بدأت تصرخ وهي تضع رأسه في حضنها وتمسك يده بيدها الغارقة في الدم وتقبلها وتضعها على وجهها وهي مجهشة في البكاء، وطارق جلس بجوارها وهو يبكي معها، ولكن فجأة توقفت سلمى عن البكاء وسألت طارق بغضب مكتوم:

– لِمَ فعلت ذلك بأخيك لِمَ . . . ؟

– أقسم لكِ يا أمي، لم أفعل ذلك، بل جواد هو من فعل ذلك .

هنا نظرت له أمه بدهشة وسألته والدموع تنهمر من عينها :

– من هو جواد . . . ! ؟

– طفل أصغر من سالم بقليل كان يأتي للعب معنا منذ أن أتينا لهذا البيت .

حتى في اليوم الذي فتحتِ علينا الباب في الليل كان هو من يلعب معنا ، وهو الذي أخبرنا أنكِ قادمة فتصنعنا النوم .

أخذته في حضنها وقالت له بندم وهي تبكي:

– لَمْ لم تقل لي يا طارق . . . ! ؟ لِمَ . . . ؟

– جواد قال لنا ألا نقول لكِ لأنكِ ستمنعيننا من اللعب معه .

أخذت جثة ابنها ولم ينتبه أحد للحادث حتى ، المنطقة هادئة جدًا والناس كلهم في بيوتهم وفي حالهم تمامًا وخاصة أن الوقت اقترب من المغرب وهذا وقت عدم تواجدهم بالفعل .

صعدت لشقتها كي تتصل بزوجها وتقول له ما حدث وهي مجهشة في البكاء متجهة ناحية المطبخ كي تغلق على الطعام الذي تركته .

وهي تغلق الغاز، شعرت بوخز في ظهرها .

فالتفتت مسرعة مفزوعة باكية، رأت ابنها طارق محمر العينين وممسكًا بسكين ويبتسم لها ، هنا تراجعت بظهرها ناحية موقد الغاز وهي توّشر له بيدها ألا يقترب منها ، ولكنه بدأ يقترب منها ببطء وعلى وجهه تلك الابتسامة التي زرعت في قلبها الفزع منه، ولكن سرعان ما قطع خوفها اصطدامها بطنجرة الطعام التي سقطت على جسمها فجعلتها تصرخ بشدة وفقدت تركيزها مع طارق، استغل طارق لحظة انحنائها عندما سقط عليها الحساء الساخن، فقام بطعنها في ظهرها ، فسقطت غارقة في دمها ، هنا اقترب طارق وقام بفتح باقي الغاز، وقام بغلق كل منافذ الهواء في البيت، ومن ثم عاد يجلس بجانب أمه وجثة أخيه .

بعد نصف ساعة وصل عاصم البيت، بعد أن استغرب من الدم الموجود أمام بيته، وبمجرد أن دخل نادى على زوجته ولكن لا يوجد رد فهم كعادته بإشعال سيجارة وفي ذات اللحظة شم رائحة الغاز وأدركها ولكن تفكيره لم يدم بضع ثواني لأنه في ذات اللحظة حدث انفجار كبير في البيت، جعل البيت يرتجف تمامًا فانكسر ما به من أبواب ونوافذ وأمسكت به النيران، وبعد صوت الانفجار تجمع الجيران عند

البيت واتصلوا بسيارة المطافئ كي تطفئ هذه النيران ولكن لم تتمكن من إطفاء النيران إلا بصعوبة، ولم يجدوا جثث من يسكنون البيت، وبعد هذا الحادث ظل هذا البيت مهجورًا .

اكتفت فريدة بهذا القدر وقالت في قرارة نفسها :

-إن الحرام لا يدوم أبدًا والله لا يرضى بالظلم، ولكن ما ذنب الأطفال . . . ! أووووه، أكيد للرب حكمة في كل ذلك .

من ثم قررت أن تعود للحظة التي كانت فيها مع فارس وخاصة عند اللحظة التي طلب منها المساعدة .

ها هي فريدة أمام فارس وتقول له بثقة:

- طبعًا سوف أساعدك يا فارس، لقد تخلى العالم كله عنك، ولكن لن أتخلى عنك أبدًا يا فارس .

طلبت فريدة أن ينتظر بضع دقائق، ذهبت لبيت جدها والكل نيام وأحضرت أدوات تساعدها على الحفر فأسين وجاروفين حفر .

طبعًا دخلت البيت كطيف وعندما نزلت أكملت التمويه على الأشياء التي تحملها كذلك، أول ما وصلت البيت تعجب فارس لما رآه معها، سألها بتعجب:

– ما هذا يا عجيبة . . . !

– لا تسألني كثيرًا فقط تعال ورائي .

هنا نظر لها فارس بضجر وأردف:

– مكتوب عليَّ ألا أفهم شيئًا في حياتي .

شعرت فريدة بأسف تجاهه واعتذرت له وأردفت موضحة:

– الموضوع طويل يا فارس، وليس لدي وقت، أريد أن أنهي هذا الأمر ومن ثم سوف أفهمك كل شيء .

ولكن كي تفهم سوف ننزل للطابق الأول، وفي الغرفة الموازية لهذه الغرفة سوف نبدأ بتكسير الأرضية والحفر . . .

ازداد تعجب فارس وتساءل:

–لماذا يا عجيبة فهميني . . . ! ؟

– كي نخرج بقايا جثة ونقوم بحرقها كي تتخلص من الأذى الذي لحق بك .

- لا أفهم شيئًا .

- أرجوك، هذا ليس وقتًا للفهم، أريدك أن تثق بي أني سوف أساعدك وكفى . .

اقترب منها فارس ونظر لها بحنو:

- أثق بكِ يا عجيبة .

ابتسمت له فريدة ومن ثم أخذا الأدوات ونزلا وهمت فريدة بمسك فأسها كي تساعد في التكسير ولكن فارس طلب منها أن ترتاح وهو سوف يتكفل بالقيام بكل شيء لأنه معتاد على هذا، ولكن فريدة رفضت وأعلنت الرغبة في البدء حتى ولو المساعدة بالقليل خوفًا من ضياع الوقت .

وبعد أن بدءا في الحفر ارتجف البيت رجفة قوية أسقطتهما أرضًا .

فقام فارس وساعد فريدة في القيام من مكانها ولكن سرعان ما لمست فريدة خاتمها وقامت بتشغيل القرآن والرقية والأذكار التي سجلها الشيخ منصور .

هنا سألها فارس متعجبًا :

- ما الذي حدث يا عجيبة . . . ؟

همت فريدة بإمساك الجاروف الآخر وقالت له مسرعة:

– هيا يا فارس أكمل معي بسرعة أرجوك .

ها هو فارس بكل ما أوتي من قوة يحفر والرجفة تزداد أكثر .

فارس يعيد تساءله بعد أن تمكن الرعب منه:

– ما الذي يحدث يا عجيبة أريد أن أفهم . . . !

ردت عليه فريدة وهي تلهث من شدة الحفر:

– ردد مع القرآن يا فارس، ردد ما تسمعه أرجوك .

بدءا في ترديد القرآن وها هما قد وصلا لبقايا الجثة، وبمجرد أن همّ فارس برفعها كما طلبت منه فريدة . . . سقطا أرضاً من قوة الاهتزاز، فسقطت البقايا على فارس فرماها مسرعًا عنه وقام مفزوعًا ، قامت فريدة مسرعةً وأخذت الخشب والقماش الذي أحضرته من الشقة التي كان بها فارس، ورمتهما على الجثة، ومن ثم التفتت نحو فارس واليأس قد رُسم على وجهها وأردفت:

– نسيت أن أجلب قداحة .

نظر لها فارس في حيرة وأردف:

– وماذا سنفعل الآن . . . ؟

هنا تذكرت فريدة وقالت لفارس:

– أنت قلت لي أنك قبل أن تأتي هاربًا إلى هذا البيت لقد قابلت جواد قبل أن تقتله، كان جواد يدخن . . . !

هز فارس رأسه أي نعم، فطلبت منه أن يبحث في جيبه، وبالفعل لقد وجدها .

أخذتها منه وأعطته ظهرها وهمت بإشعال البقايا، ولكن سرعان ما تلقت ضربة قوية من الخلف أسقطتها أرضًا بعد أن اصطدمت في الجدار الذي أمامها . . . هنا التفتت فريدة ورأت فارس قد احمرت عيناه وقال متهكمًا :

– ها قد حفرتِ قبركِ بنفسكِ يا فريدة أو أقول لكِ مثل أخي الأخرق يا عجيبة، استعدي لنهايتكِ .

تمالكت فريدة قواها وقامت وهي تقول بغضب:

– بل نهايتك أنت يا أيها الشيطان .

هنا بدأت فريدة بجعل الصوت أعلى من خاتمها وبدأت تردد القرآن بجزم وهي تقترب منه، هنا صار جسد فارس يرتفع في الهواء وتعالت الضحكات التهكمية على فريدة، ولكن فريدة لم تعبأ بتهكمه ولم تخف من ارتفاعه في الهواء .

وأخذت تردد بكل يقين الآيات، ولكن فجأة خرج من الأرض أشباح، شبح عليا وسلمى وعاصم والولدين الصغيرين، من ثم أحاطوا بها .

هنا فريدة أوشكت على الصراخ فزعًا من قبح أشكالهم . . . ولكنها تذكرت الشيخ منصور بأن عليها ألا تتراجع، لأنها إذا تراجعت أو خافت سوف يتمكنوا منها، ولكنها بسرعة ارتفعت في الهواء وأخرجت من جيبها قارورة مياه صغيرة، وبدأت برشها على كل من في الغرفة وهي تردد رقية طرد الشيطان، وبالفعل بدأت الأشباح في الصراخ والاحتراق الذاتي إلى حد الاختفاء .

وبمجرد ما قطرات الماء المقروء عليه القرآن والرقية الشرعية التي قامت فريدة بتحضيرها في أثناء انتظارها وقت التجربة، بمجرد أن سقط على وجه فارس صرخ بقوة وبدأ وجهه في التآكل .

ومع قوة الصرخة تحرك بسرعة وأمسك فريدة وقام بضربها في جدار الغرفة، فسقطت من علٍ تتأوه من أثر السقطة، ومن ثم رفعها فارس من شعرها ويرفعها في الهواء ويقول لها متهكمًا :

– تظنين أنكِ ذكية يا فريدة . . . ! أنا من تركتكِ لكي تصلي لهذه النقطة والآن سيبدأ العقاب .

ومسك يدها التي ترتدي بها خاتم هاتفها ، بدأت تخرج من عينه شعاع أحمر حارق بدأت فريدة تشعر بحرارته قبل أن يصل ليدها .

كانت فريدة برغم آلامها تنظر له بتحدٍ وقبل أن يكمل كلامه، فعلت في الجهاز خاصية الطيف، فانحلت قبضة جسد فارس الذي تلبسه جواد .

في خلال ثوانٍ كانت فريدة طيفًا ولكن تلك الثواني كانت كفيلة أن تدمر الأشعة خاتمها واحتراق إصبعها ، ولكنها لم يكن لها وقت تتألم به .

طارت في الهواء كطيف أمامه بغضب وهي تخرج من تحت ملابسها سلسلة لفظ الجلالة "الله" وأمسكتها وقالت له بجزم:

– لقد تمكنت من إسكات صوت خاتمي، ولكنك لن تتمكن من إسكاتي أنا .

هنا همّ بالهجوم عليها ، ولكنها اختفت تمامًا فارتطم جسد فارس المادي في الجدار .

فقالت له وهي ما زالت رافعة لفظ الجلالة "الله" في وجهه:

– اترك جسد فارس يا جواد، وهيا واجهني جسدًا أثيريًا مقابل جسد أثيري . . .

أخرج فارس من هذا القتال .

هنا ضحك جواد متهكمًا وقال وعيناه تشتاطان نارًا :

– نهايتي تعني نهاية فارس .

– إن لم تخرج منه يا جواد سوف أخرجك أنا .

وبدأت بقراءة القرآن مع تقريب السلسلة تجاه فارس .

هنا بدأ فارس في تشنجات على الأرض، وجواد بداخله يصرخ بصوت أجش

ويقول:

– لن أخرج منه، وإن خرجت ستكون نهايته .

بدأت فريدة تستغل تشنج حركته أرضًا وبدأت ترش على جسده ما تبقى من الماء ،

بدأت الحروق تبرز على جسد فارس، بل وقطرات الماء بدأت تأكل ملابسه أي

كأنها نار ولكنها برغم بكائها وخوفها على فارس أكملت ذكرها ، وهنا بدأ الجسد

في التشنج أكثر والارتفاع بشكل أفقي في الهواء .

وتكرر الصوت الأجش من بعد الصراخ:

– اتركيني، حرريني وسوف أترك فارس يعيش في سلام ولن أوذيكِ أبدًا .

قررت فريدة ألا تثق في ابن إبليس هذا، وأكملت ترتيلها للآيات .

هنا اشتد الصراخ أكثر وأكثر وارتجف البيت من قوة الصوت، ولكن فريدة ظلت متماسكة عندما بدأت ترى الدخان يتصاعد من جسد فارس .

علمت حينها أنها أوشكت على التمكن منه، بدأت فريدة في تكرار الأذكار بصوت أعلى، وهنا سمعت صوت جواد :

– سوف تندمين على فعلتكِ .

ولم يكمل كلامه لأنه صرخ صرخته الأخيرة، في تلك الثانية سقط فارس من علٍ . . .

وهنا كانت الصدمة .

***

الفصل الحادي عشر

النهاية

في نفس اللحظة التي تمكنت فيها فريدة من التمكن من جواد سقط فارس في غمضة عين . . . ولكنها لم تكن مجرد سقطة عادية، سقط فارس على الفأس الذي كان يحفر به . . . طُعن فارس بالفأس بقرب من قلبه، هنا سقطت فريدة بجواره صارخة وهي تضع يدها على صدره الملطخ بالدم، حاول فارس أن يفتح عينيه وقال بصعوبة بالغة:

– أشكركِ على ما فعلتِهِ من أجلي يا عجيبة . . . أتمنى أن أراكِ في الحياة الآ . . .

لم يكمل كلامه ومات، مات وعيناه تنظران لعيني فريدة . . . هنا صرخت فريدة وهي تبكي بحرقة:

– أرجوك لا تتركني يا فارس، لقد فعلتُ المستحيل كي تكون معي، لِمَ يا رب لِمَ . . . ؟

مالت فريدة على صدر فارس وبدأت تبكي بقوة وهي ممسكة به، رافضة فكرة رحيله عنها .

جلست فريدة بجوار فارس تبكي ومن ثم شرد ذهنها إلى أن تحولت بقايا عليا إلى مجرد رماد، من ثم أخذت الرماد كما طلب منها الشيخ منصور ونقلت نفسها للإسكندرية وقامت برميه في البحر، ما زالت تبكي وبدأت تشكو للبحر حالها وعلى حظها العاثر لأنها إذا تعلقت بشيء تخسره.

الآن فريدة تنظر للبحر وتسأل ماذا عليها أن تفعل. . . !

قررت أن تعود للحظة التي ودعت فيها رانيا والشيخ منصور كي تحكي لهما ما حدث.

وها هي تقف أمامهما وقالت لهما باكيةً:

– لقد فعلتُ كل شيء كما قلتَ لي وتخلصتُ من جواد ورميتُ الرماد، ولكن فارس لقد مات، أنا السبب في موته، أنا السبب.

وبكت بكاءً هيستيريًّا وسقطت أرضاً، جلست رانيا بجوارها وأخذتها في حضنها وأخذت تنظر للشيخ منصور وهي تربت عليها.

تكلم حينها الشيخ منصور مهونًا عليها:

– يا بنيتي الموت لا يوجد أحد يمكن أن يكون السبب به، الموت مقدر ومكتوب لنا في يوم سوف نموت فيه، مهما حاولنا تغيير مصير الموت سوف يقع الموت .

يعني إن لم يمت فارس أمام عينيكِ، لكان مات بمفرده، أو مات في المستشفى وكله في نفس اليوم .

مسحت فريدة عينها وقالت للشيخ موضحة:

– ولكن عندما ذهبتُ للمستشفى نهارًا عندما نُقل إليها ، كان ما زال على قيد الحياة .

– ولكنكِ قلتِ إنه كان يتعرض لنوبات هناك .

قد تختلف طريقة الموت يا فريدة، يمكن جواد كان يرغب في عذاب فارس قبل موته . . . ولكنكِ كما قلتِ تمكنتِ من جواد فأراد أن ينتقم من فارس سريعًا قبل فوات الأوان . . . أنتِ تعلمين أن هناك أرواحًا تظل معلقة في هذه الحياة رغبة في الانتقام ومن ثم ترحل .

بكت فريدة وقالت بيأس:

– وما فائدة كل ما مررتُ به . . . ؟ ما حكمة الله في كل هذا . . . ؟ ما دام جواد كان يرغب في الانتقام من فارس ويرحل عن هذا العالم .

– الله يا بنيتي كل شيء يفعله لحكمة، جواد لم يكن مجرد روح عادية، أكيد لم يكن سيكتفي بالانتقام من فارس وكفى، بل كان سيظل في الحياة ويشيع فيها الفساد، وهذا ما شاهدتِهِ بنفسكِ، لا تعترضي على قدر الله يا بنيتي، أنتِ فعلتِ ما عليكِ وسوف ترين حكمة الله فيما بعد .

بعد أن تمالكت فريدة نفسها ومسحت دمعها، ودعتهما، وقررت أن تعود بالزمن ورأت ما حدث لفارس في حياته لو كانت هي لم تظهر له من الأساس .

بالفعل رأت فارس يتعرض للتعذيب تحت يد جواد، ها هو يقيده، ويحرق في جسده، ويسلخ جلده عن جسمه وهو على قيد الحياة، ومن ثم بدأ في تقطيع أجزاء جسمه، وكلما أُغمي على فارس ينتظر كي يفيق من جديد ويستمر في تعذيبه إلى أن مات فارس من شدة الألم والعذاب .

هنا فريدة خرجت من البيت وسألت نفسها بندم:

-آه كيف لم يأتِ في بالي أن أرى مصير فارس . . . ! لا تندمي يا فريدة، كل شيء كان لحكمة، قدر الله وما شاء فعل، على الأقل مات فارس موتة أكثر رحمة مما مات عليها ، ويمكن بالفعل لقد خلصتُ العالم من شر جواد ابن لوسيفر، من ثم مسحت فريدة دمعها الذي صارت غير قادرة على التحكم به .

قررت أن ترى ما كان مصير هذا البيت بعد موت فارس .

ها هي تمر بالزمن سريعًا لأنها لا ترى أحداثًا مهمة، رأت أبيها مراد وأمها قررا أن يعرفا حقيقة هذا البيت، لأن مراد قرر أن يشتريه إن عرف له صاحبًا ويقوم بإعادة بنائه، وبمجرد أن دخل مراد البيت رأى شبح امرأة غاضبة ومعها ولداها الاثنان وقالت له غاضبة:

- اخرج من بيتي . . .

هنا التفت مراد وأخذ وتين من يدها فقالت له بتوتر :

- ماذا حدث يا مراد . . . ! نحن ما زلنا لم نصعد الدرج حتى، لا تقول لي أنك خائف، أنت قلت لي أنك لا تؤمن بهذه التخاريف .

استمر في سحبها إلى أن خرجا دون أن ينطق بكلمة وبمجرد أن صارا بالخارج قال لها:

– كل ما في الأمر أني غيرتُ رأيي وسنعيش في القاهرة.

– ولكنك قلت لي أننا سنعيش هنا من أجل أهلي وأهلك. . . !

– وتين هذا قراري، أرجو عدم فتح الموضوع مرة أخرى.

ومن ثم ظل البيت مهجورًا . . . ولكن فريدة ظلت تفكر، هذا ما حدث قبل أن أغير الأحداث وتخلصي من الأرواح الساكنة في البيت. . . هذا معناه إن عدتُ بالزمن بعد تغييري فيه، هذا يدل على أن أبي وأمي سيذهبان للبيت وأبي لن يرى تلك الأشباح ويمكن أن يعيد بناء البيت.

ولا أدري ما يمكن أن يحدث إن غيرتُ جزءًا كهذا من حياتي. . . أوه، ماذا عليَّ أن أفعل الآن. . . ؟

قررت فريدة أن تكون في البيت في اليوم الذي سوف يأتي فيه أبيها وأمها . . .

وعندما دخلا الاثنان، قامت فريدة بطلق شعرها وغطت به وجهها وطارت في الهواء كطيف وقالت لهما محذرة صارخة أن يخرجا من البيت.

وبالفعل لقد صرخت وتين من خوفها فاحتضنها مراد وخرجا بسرعة، وقررا سويًا إلغاء فكرة هذا البيت تمامًا .

هنا ارتاحت فريدة أنها اطمأنت أنها لم تغير شيئًا في حياة والديها . . .

من ثم قررت أخيرًا العودة إلى جثة فارس تنظر له بحسرة باكية وتسأل:

-ماذا سأفعل بجثتك يا فارس . . . ! هل سأدفنك هنا . . . ! أم ماذا عليَّ أن أفعل . . . !

قررت فريدة العودة لبيت فارس في شبرا، وبالفعل رأت أمه رحاب تعيش بمفردها في شقتها . قامت الأم مفزوعة من نومها، صارخةً:

- فارس . . . أين أنت يا ولدي . . . !

همت الخادمة على صوت رحاب ودخلت الغرفة وأعطتها كوب ماء ودواءها المهدئ، من ثم قامت رحاب بلمّ شعرها الحريري الذي اختلط به الكثير من الشيب . ها هي تنادي بحسرة:

- آه أين أنت يا فتحي . . . ! وأين أنت يا فارس . . . ؟

بدأت الخادمة تربت عليها ، هنا قررت فريدة أن تخرج وتطرق باب شقتها وتخبرها بمكان ابنها ، وبالفعل دخلت فريدة وقالت لها على مكان فارس .

ولكن بمجرد أن بدأت رحاب تسألها بلهفة غير مصدقة:

– ابني فارس، أنتِ تعرفين فارس حقًا . . . ! كيف عرفتِ مكاني وكيف عرفتِ مكانه . . . ؟

هنا ظلت فريدة ساكتة لا ترد ، فكانت كلما سكتت سألت رحاب المزيد من الأسئلة .

فجأة قررت فريدة أن ترحل دون أن ترد لأن عينها بدأت تبكي على لهفة أم فارس .

وبمجرد أن خرجت وأغلقت الباب وراءها ، حاولت رحاب أن تلحق بها وتفتح الباب، ولكنها لم تجدها قط .

طبعًا اتصلت رحاب بشرطي تعرفه معرفة شخصية وأبلغته بمكان فارس .

وبالفعل عثرت الشرطة على جثته وتم نقله للمستشفى في القاهرة .

هنا اتصل بها الشرطي وأخبرها بمكان ابنها .

وتم اللقاء بعد غياب دام لتسع سنوات .

قررت أن تدفنه في حديقة بيتها الموجود في السادس من أكتوبر . وقررت أن تستقر هناك، هي وابنها فارس . . . أغلب وقتها تقضيه في الحديقة أمام قبر ابنها ، الذي تحكي معه طول الوقت وكأنه يسمعها .

***

عادت فريدة إلى حياتها مرة أخرى . . . هنا وقفت أمام مرآتها وشرعت في البكاء على فراق فارس، وهناك صوت بداخلها يقول لها :

-لِمَ تبكين على فارس هكذا ، حتى وإن كان ظل على قيد الحياة لكان في الوقت الحالي رجلاً تخطى 38عامًا ويمكن أن يكون لغيركِ . . .

هنا نظرت للمرآة وقالت بندم:

- على الأقل سيكون على قيد الحياة .

هنا بدأت تشعر أن قدميها لا تستطيعان أن تحملاها فقررت أن ترمي نفسها على السرير ، وهنا لم تشعر بشيء سوى في صباح اليوم التالي، سمعت من يطرق على شرفة غرفتها ، فقامت مفزوعة بسبب قوة الطرق .

فتحت عينيها رأت إيفانا واقفة غاضبة، فهمت بفتح الشرفة فدخلت إيفانا وسألتها بلهفة:

– لِمَ هاتفكِ مغلق يا فريدة . . . ؟

هنا نظرت إيفانا ليد فريدة وقالت صارخة بدهشة:

– ماذا حدث ليدكِ . . . ؟

عادت فريدة للسرير وتمددت وقالت بتعب:

–حادث بسيط، لا تشغلي بالكِ .

قررت إيفانا أن تهتم بفريدة وأن تقضي معها أسبوعًا حتى تتحسن حال رفيقتها . وبعد ذلك عادت فريدة لدراستها ولأصدقائها ، ولكن مع شرود كثير في أغلب الأحيان .

***

تمر السنين وها هي فريدة وإيفانا قد تخرجتا ، وتوماس قد قرر أن يسافر أمريكا بعد أن يئس من محاولاته في إقناع فريدة، لذا قرر أن يبعد ويعتزل ما يؤذي قلبه ما دام لا يستطيع الحصول عليه .

بالفعل إن لم يكن بإمكانك شراء قطعة الحلوى فلا تظل واقفًا أمامها ، لأن هذا سيزيد الأمر سوءًا .

قامت فريدة بافتتاح عيادة للعلاج النفسي هي وإيفانا ، باختلاف مواعيد الدوام .

كانت فريدة تحب عملها جدًا ، لأنها تشعر بلذة رهيبة عندما تتمكن من تخليص مرضاها من عقدهم النفسية .

وفي يوم بعد أن أكملت دوامها الليلي وقررت أن تغلق العيادة .

وهي تقوم بوضع الرقم السري على مقبض الباب، هنا شعرت بأن هناك صوت خطوات يأتي من خلفها ، التفتت مسرعة فرأت شيئًا جعل ضربات قلبها المتسارعة تتسارع أكثر ، ولكن مع سماعها للصوت بدأت تلتقط أنفاسها :

– هل يوجد أحد بداخل العيادة، كنت أرغب في استشارة سريعة .

ظلت فريدة مذهولة مما تراه عيناها ، تنظر من رجله لرأسه، هو، إنه هو فارس، نفس الطول العرض العضلات، الشعر الناعم الطويل ولكنه قام برَفعه لأعلى، نفس اللحية، ولكن الفرق العين لونها رمادي اختلط بالأخضر .

ولكن سرعان ما فاقت من شرودها وقالت:

– لقد انتهى الدوام و . . .

هنا أزاح الشاب نظره هنا وقال معتذرًا:

– آوه، حسنًا، شكرًا لكِ.

وهما بالنزول ولكن فريدة أوقفته وقالت له بلهفة:

– ولكن يمكنك أن تسألني ما تريد أنا الطبيبة التي أعمل هنا .

نظر لها وارتسمت على وجهه ابتسامة وسألها:

–أسألكِ هنا . . . !

توترت فريدة وقالت له ضاحكة:

– كما تشاء، إن كنت ترغب في دخول العيادة لا أمانع.

ابتسم وقال لها:

– سأكون سعيدًا إن دخلتُ العيادة، ولكن سأكون أسعد إن قبلتِ دعوتي في احتساء القهوة.

لم تتردد فريدة ووافقت وهي في قمة سعادتها . . . ارتسمت السعادة على ملامحه عندما وافقت فريدة.

نزلت فريدة معه وهي تخطف نظرات له وتقول في قرارة نفسها :

-إنه هو، هو بالضبط .

نظر لها نظرة تعجب ولكن سرعان ما ابتسم، هنا أكملت فريدة تساؤلاتها لنفسها :

-اووه يا حمقاء كيف توافقين على الخروج معه بهذه السهولة . . . ؟

ولكن كيف لي أن أرفض هذه الفرصة بعد غياب قد طال أكثر من ثماني سنوات .

أحقًّا هو . . . ؟

أووه كيف يكون هو . . . ! إذا كان على قيد الحياة لكان عمره تجاوز 46عامًا .

هنا وصلا أمام باب العمارة فقطع شرودها صوته وهو يفتح باب سيارته لها :

- هل يمكن أن تتفضلي يا . . . !

- فريدة، فريدة يا . . . !

- أبسل . . . اسمي أبسل مصطفى .

دخلت فريدة السيارة وهي تبتسم ومن ثم جلس هو في مقعده فبدأت فريدة الكلام:

- إذن أنت عربي . . . !

- أوه، وأنتِ عربية كذلك .

– نعم، أنا مصرية .

– وأنا فلسطيني .

–أوه، لذلك اسمك أبسل لأنك شجاع من بلد الشجعان فلسطين العظيمة .

هنا شردت فريدة وقالت لنفسها :

–ليس هو يا فريدة، ولكن الشبه بينهما رهيب .

هنا قرر أبسل أن يكسر حاجز الصمت ويعرّف عن نفسه:

– أنا مهندس ديكور، عمري 26 .

هنا دهشت فريدة وقررت أن تسأله:

– إذن ما برجك . . . ؟

– أنا برج العقرب لقد ولدتُ يوم 11–11–2019

هنا بدأت فريدة عينها تذرف الدمع لأن هذا هو اليوم الذي مات به فارس .

تعجب أبسل وقال لها محاولاً تغيير الوضع ممازحًا :

– لم أكن أعرف أن برج العقرب بهذا السوء، يمكنكِ أن تعتبريني جوزاء إن أحببتِ .

ولكن سرعان ما ارتسمت الضحكة على وجه فريدة ومسحت دمعها وهي تقول:

– لا أرجوك هذا أسوأ .

أخذا يتكلمان سويًا ويضحكان إلى أن وصلا مقهى راقٍ جدًا ، جلس أبسل أمامها سارحًا في ملامحها ، فقررت فريدة بعد أن ابتسمت له أن تسأله:

– ها ، قل لي يا أبسل ما هي استشارتك التي كنت ترغب في معرفة حلها . . . ؟

ضحك أبسل ضحكة هادئة كشفت عن أسنانه الناصعة المتساوية وأردف:

– لم يعد هناك أي استفسار بخصوص أي شيء ، لقد حُلّت المشكلة .

هنا ضحكت فريدة ونظرت له بتعجب وتساءلت:

– لا ، بل قل لي ماذا كنت تريد أن تعرف . . . ؟

– لا شيء ، كل ما في الأمر الكوابيس تراودني ، كل ما أفكر أن أرتبط في ذات الليلة أحلم بتلك الشابة التي قررت أن أوافق على الارتباط بها أراها بشكل قبيح ، فبمجرد أن أستيقظ أشعر أن قلبي غير مرتاح لها فأقرر الانفصال قبل البدء في الارتباط من الأساس .

– هل يمكن أن أعرف هل هن من يبدأن في خطوة الارتباط أم أنت . . . ! وكم مرة تكرر هذا الأمر معك ؟

– هذا الأمر تكرر معي ست مرات، ستة هن من أصررن أن أرتبط، ومع الإصرار أقرر أن أعطي فرصة، خاصة أنهن لم يكن في أي منهن أي عيب، ولكن قلبي حقًا لم ينجذب إليهن، ولكن عدد المعجبات بي اللاتي ليس لديهن الجرأة على الإصرار والمواجهة فعددهن لا أستطيع ذكره.

ابتسمت فريدة وهي ترفع حاجبيها وأردفت:

– الآن تأكدتُ أنك عربي.

ضحك أبسل وقال لها مؤكدًا:

– أقسم لكِ هذا ما حدث، فكان استفساري ما هو سبب رفضي الكامن بداخلي للارتباط، لِمَ لا أنجذب لأي امرأة وإذا فكرتُ أرى تلك الكوابيس التي تجعلني أغلق الموضوع تمامًا، أرجو ألا تقولي لي بسبب الخوف من تحمل المسؤولية. أنا شخصية جادة جدًا وأتحمل المسؤولية، أوه هل تفهمين قصدي. . . !

هنا هزت فريدة رأسها مؤكدة:

– طبعًا أفهمك جيدًا ولكن أحب أن أسمع منك أكثر.

تحولت ملامح الجد من على وجه أبسل لابتسامة:

– لا يوجد ما أحكيه، يبدو أن علاجي كان رؤيتكِ فقط .

ضحكت فريدة وقالت له:

– فلننتظر للغد ونرى نتيجة رؤيتي، وفي حالة عدم جدواها سنبدأ في جلساتنا .

في اليوم التالي اتصل بها أبسل وطلب منها أن يتقابلا ضروري، تقابلا في نفس المقهى بعد انتهاء دوامها، نظر لها أبسل بعد صمت طوال الطريق وقال لها :

– لقد رأيتكِ في منامي بالأمس .

– وكيف كنت . . . ؟

– كنتِ ترتدين فستاناً ورديًا وجئتكِ أنا على حصاني البني الذي أملكه بالفعل، وأخذتكِ خلفي وكنا سعداء .

ابتسمت فريدة وقالت:

– أوه إن هذا أشبه بالخيال .

– يعني لقائي بكِ كذلك كان خيالاً، كنت عائدًا من عملي رأيت لافتة عيادتكِ المضيئة فقررت أن أصعد وأريح عقلي .

صعدت كي أريح عقلي من التفكير ولكن لقد ارتاح قلبي كذلك .

في بداية الأمر فريدة لم تكن تتخيل أن ترى فارس أو شخصًا يشبهه إلى هذا الحد ، بدأت تسأل نفسها ، هل تناسخ الأرواح حق ؟ هل بالفعل عندما يموت المرء يعود من جديد للحياة، ولكن التناسخ يكون تناسخ روح فقط لا القلب والقالب .

استغفرت ربها عن هذه الفكرة الغير مذكورة في ديننا ، وقررت أن تحمد الرب على هذه النعمة، هي تعلم جيدًا أنه يوجد لكل منا أربع وأربعون شبيهًا هكذا يقولون، ولكنها متأكدة أنها لولا المغامرة التي فعلتها مع فارس لما كانت تعلقت به هو ولا حتى بأبسل، سبحان الرب المدبر في اختيار أقدارنا . . .

***

ها هي الأيام تمر بل الشهور إلى أن مرت سنة، ها هو أبسل يغلق المكالمة مع فريدة بعد أن اتفق معها أن يسافرا إلى مصر صباح الغد كي يتقدم ويتعرف على والدتها .

ها هي فريدة تستيقظ من نومها ومن ثم خلعت سلسلة لفظ الجلالة "الله" قبل دخولها الحمام كي تتأهب لسفرها .

وبعد أن خرجت فريدة من الحمام وهي ترتدي روب الاستحمام، رأت شيئًا جعلها تشعر برعب ودهشة .

لقد رأت أبسل جالسًا على سريرها . . . قالت له بدهشة واستعجاب:

– كيف دخلت إلى هنا يا أبسل . . . ؟

اقترب منها أبسل وعلى وجهه ابتسامة زرعت الرعب في قلب فريدة وهي تتراجع للوراء، ها هو يهمس لها بصوت أشبه بالفحيح:

– إنه الروبوت قلت له إن لي موعدًا معكِ، وهو سبق وشاهدني معكِ، لذا لم أجد مشكلة.

هنا سمعت فريدة صوت خاتمها وبمجرد أن لمست الحجر الخاص به انبثقت الشاشة التي تظهر اسم أبسل.

هنا نظرت له وقالت في قرارة نفسها وهي ترجع للوراء:

–إن كان أبسل هو المتصل . . . من الذي أمامي . . . ؟

هنا سمعت فريدة صوت قهقهة تبعها صوت أجش:

– ألم أقل لكِ لنا لقاء آخر . . . ؟

هنا برزت على رقبته علامة شعلة، حينها فريدة صرخت عندما علمت صاحبها . وهنا انقض عليها و . . . . . .

النهاية

اقلب الصفحة ضروري هناك كلمة من المؤلفة

تعليق المؤلفة

هل تظنون أني أقوم بكتابة رواية ذات نهاية مفتوحة . . . ؟ حاشا وكلا، كم أمقت هذه النهايات يا أصدقاء، إنها تؤلم قلبي .

إن هذه رواية فريدة فكيف لها أن تموت وهي من سردت لي كل التفاصيل . . .

دعوني أكمل لكم . . .

***

ها هي فريدة تستيقظ على صوت هاتفها ، هنا تقوم مفزوعة تحاول التقاط أنفاسها .

حمدت الرب أنه مجرد كابوس ليس له أي علاقة بالواقع .

ما زالت فريدة تعاني من كوابيس ولكن برغم ذلك لا تأخذ مهدئات . . .

معروفة طباخ السم لا يذوقه، أو كما يقولون بالمصري باب النجار مخلع .

دكتور السمنة في بعض الأحيان سمين، ودكتور الأسنان أسنانه غير مرتبة . . .

ودكتور العيون يرتدي نظارة . . . والدكتور النفسي مريض ن . . . لا لن أكمل فريدة سوف تحزن مما سأقوله . . . دعوني أكمل لكم .

ها هي ترد على أبسل وتقول له بصوت منهك:

– سأكون على استعداد على الموعد .

ها هي فريدة في مصر وتمت خطبتها ، ولا غنى عن زياراتها لي سواء في الواقع أو في رحلاتها التي للعلم لم تنتهِ عند فارس، بل قامت بمغامرات أخرى، ولكن سيتم ذكرها في عمل آخر . . .

***

تم بحمد الله

2022-6-6

رانيا رمضان "بنت البروفيسور"

***

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علمًا

إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمً

اللَّهُمَّ صَلِّ أَفْضَلَ صَلَاةٍ عَلَى أَسْعَدِ مَخْلُوقَاتِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ

وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ عَدَدَ مَعْلُومَاتِكَ وَمِدَادَ كَلِمَاتِكَ

كُلَّمَا ذَكَرَكَ الذَّاكِرُونَ وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ الغَافِلُونَ.

***

لا تنسوني من دعواتكم لي أخوتي بالتوفيق ولكم بالمثل.

والدعاء بالرحمة والمغفرة لوالدي البروفيسور

رمضان عبد الله هو وجميع أموات المسلمين.

***

أعمال أخرى لبنت البروفيسور

نركسوس (رواية نفسية اجتماعية)

بروفيتيا (رواية فانتازيا اجتماعية)

لاقيت الفضفضة– كيمياء السعادة (كتاب تنمية ذاتية وخواطر دينية)

جد ولعب وجرح وحب (ديوان بالفصحى والعامية)

طيف أروما (رواية رعب ورومانسية)

البروفيسور – الخلاصة لفهم الوجه الحقيقي للحياة (كتاب تنمية ذاتية وقصائد شعرية)

المهدي المنتظر (رواية رعب ونفسية)

أولاد لوسيفر ج1 الخطيئة (رواية رعب ونفسية)

أولاد لوسيفر ج2 الخناس (رواية رعب ونفسية)

رواية الخليفة ج3 من أولاد لوسيفر

60 قانون لامتلاك السعادة وتجاوز صعوبات الحياة move on (كتاب تنمية ذاتية)

كتاب "تعلم تفسير الأحلام مع بنت البروفيسور"

كتاب "تعلم فن كتابة السيناريو مع بنت البروفيسور"

كتاب "فضفضة بعد منتصف الليل"

كتاب "رحلة ال 90 يوم" للتعافي والتحرر من الإدمان

كتاب "تعرف على اسرار التاروت مع بنت البروفيسور"

كتاب "رسائل الملائكة"

كتاب (اسوياء نفسيًا)

كتاب (رسائل ملائكة الحب)

كتاب فضفضة في الطريق (أدب ساخر)

رواية الخناس

الجزء الثاني من أولاد لوسيفر

تأليف:

رانيا رمضان (بنت البروفيسور)

اسم الرواية: الخناس

الجزء الثاني من سلسلة أولاد لوسيفر

تأليف: رانيا رمضان

تدقيق واخراج فني وتصميم غلاف: بنت البروفيسور

رقم التوثيق: GGKEY:SWNX7W1KQY8

هذه الرواية عملٌ أدبي خيالي من نسج خيال المؤلفة

رانيا رمضان بنت البروفيسور بالكامل، ولا تمتّ إلى الواقع أو إلى أيّ أشخاص أو أحداث أو جهات حقيقية بصلةٍ.

وإنّ أي تشابه قد يُلاحظ بين شخصيات الرواية أو أحداثها وبين الواقع هو محض صدفة غير مقصودة.

تنبيه: هذه الرواية محمية بحقوق الملكية الفكرية الخاصة بالمؤلفة وورثتها، ويُمنع نسخها أو اقتباسها أو إعادة نشرها أو استخدامها بأي شكل سينمائي أو كتابي دون إذن مسبق، وأي مخالفة لذلك تُعرّض مرتكبها للمساءلة القانونية.

إهداء

إهداء إلى والدي البروفيسور رمضان عبد الله، أهدي إليك عملي التاسع وأنا أشعر بألم رهيب يجتاح صدري، لأن هذا هو عملي الأول بعد رحيلك.

بعد رحيلك، فقدت شغفي ولم أعد تلك الفتاة المفعمة بالطاقة، لا أدري لِمَ انطفئت شمعة شغفي برحيلك. . . !

بل الحقيقة، لم تنطفئ شمعتي فقط، بل أنا انكسرت كذلك.

هل تتوقع يا أبي أن رانيا تنكسر وتعترف بهذا الاعتراف على الملأ؟

أنت من علمتني القوة، وفي وجودك لم يكن يهمني فقدان أي شيء؛ لا فقد الأصدقاء أثر بي، ولا فقد الأحبة شق لي قلبي، ولا فقد المال شغل بالي.

كان بداخلي يقين بأن أي شيء أفقده بسهولة يمكن أن أُعوض بغيره.

ما أكثر الأصدقاء والأحبة ومصادر المال! إلا أنت لا يمكن أن تعوض، ولا يوجد لك بديل يا أبي.

كنت أظن أنني قوية إلى يوم فراقك؛ حينها ذقت معنى الألم ولم أعد قادرة على الوقوف، شعرت حينها أن كل معاني ومصادر القوة تخلت عني .

بعد رحيلك ومرور الشهور على موتك، بقيت أنا محلي سرًا لا أحرك ساكنًا ، واكتشفت أنك لست مصدر قوتي فقط، بل مصدر شغفي كذلك .

كنت أتحدى نفسي كي أقوم بإكمال عمل جديد قبل أن أقابلك، كي أهرع إليك عند لقائي بك وأقول لك كطفلة صغيرة أكملت للتو واجبها المدرسي وترغب في رؤية نظرة الفخر والتشجيع في عيني والدها .

برحيلك اكتشفت أنني لن أرى هذه النظرة مرة أخرى .

ولكن هذا كان حالي إلى أن قابلتك في المنام ومعك ذاك الكتاب؛ حينها شعرت بدفء رهيب من لقائك، ومن هذا الدفء ولدت شرارة كانت كفيلة بأن تشعل شمعة شغفي من جديد كي استمر فيما بدأته، وكي أكمل حلمي وأترك أثري في الحياة .

وأثري وأثرك واحد ، سوف أفعل كل ما بوسعي كي أجعل اسمك خالدًا في الحياة يا والدي .

أعمال بنت البروفيسور رمضان عبد الله سيكون لها صيت يا عزيزي، ولن أكِل أو أمِل إلى أن أخلد اسمك قبل اسمي .

ونظرة الفخر التي كنت أشعر بها دفينة في عينيك تجاهي سوف أراها في عين كل من حولي بعون المولى، إلى أن ألقاك على خير يا والدي العزيز .

رانيا رمضان

بنت البروفيسور

دقيقة من وقتك عزيزي القارئ،

أعلم أني أثقلت عليك بهذا الإهداء الطويل الذي يحوي على قدر كبير من ثرثرة شخصية لا دخل لك بها ، ولكن أنا عشمي بك كبير أن تتحملني دقيقة أخرى وتقرأ الفاتحة لوالدي البروفيسور رمضان عبد الله، ولا تنسَ أن تجعل النية شاملة لكل أموات المسلمين والمؤمنين كي تُرسل كرحمة لهم تغمدهم إلى أن نلتقي بهم حين يشاء المولى، على أمل أن نلتقي بهم في جنات النعيم .

تكفي ثرثرة جانبية ولندخل في صلب الموضوع،

تنفس الصعداء عزيزي القارئ ولنبدأ مغامرتنا الجديدة .

"الخناس"

الجزء الثاني من (أولاد لوسيفر)

رانيا رمضان

بنت البروفيسور

المقدمة

هل يا ترى لو تركنا العقل والمنطق جانبًا ،

وتركنا القلب يمسك دفة القيادة ويكون له السيطرة التامة على جوارحنا . . .

إلى ماذا سوف يقودنا . . . ! ؟

جنةً في الدنيا . . . !

أم حافةً على جرف هارٍ سوف تؤدي في النهاية إلى عمق الجحيم . . . ؟

وما زال الصراع مستمرًا في هذا الجزء بين

بني آدم "الإنس" وبني لوسيفر "الجن" ،

فلمن سيحسم الصراع في هذه المرة . . . ؟ !

خليفة الله أم خليفة لوسيفر . . . !

الفصل الأول

الزفاف

-مدينة السادس من أكتوبر – مصر مارس عام 2047

سيارة نفاثة هوائية فضية اللون تحلق في الهواء، يظهر بداخلها شاب وسيم ذا عيون رمادية خضراء وملامح عربية جذابة، ينظر على المقعد الذي بجواره حيث تظهر فتاة سمراء اللون يظهر على ملامحها التعب والإرهاق الشديد، فيحاول أن يوقظها:

-فريدة حبيبتي، هيا استيقظي لقد أوشكنا على الوصول.

تتحرك في مقعدها وتدير وجهها تجاه النافذة وتتمتم بتعب:

-لا توقظني إلا عندما نصل، لم أنم جيدًا بالأمس يا أبسل.

ها هي السيارة تهبط من الجو وتطير على ارتفاع بسيط على طريق الأرض.

ها هو أبسل للمرة الثانية يترك مقود السيارة ويلتفت لجميلته فريدة، ويلمس وجهها برفق، وبسعادة ولهفة همس لها:

-حبيبتي ريدا، هيا لقد وصلنا المجمع الخاص بك و. . .

قاطعته فريدة وهي تلتفت له بهدوء ونظرت له نظرة ناعسة وهمست بصوت واهن:

-أشعر أن عقلي يؤلمني جدًا يا أبسل .

ألقى أبسل نظرة على الطريق ومن ثم التفت لفريدة من جديد ، وأمسك بيدها وقبلها وتمتم برفق:

-انسي التعب يا ريدا ، ها نحن على بُعد خطوات من تحقيق حلمنا وسنبدأ حياة كلها حب وراحة فقط ، ولكن عليكِ أن تلتزمي بوعدكِ لي . . . !

نظرت له فريدة بتردد وتنهدت .

وفي تلك اللحظة التفت أبسل بحزن للطريق ، ولكن في تلك اللحظة كان الوقت قد فات؛ لأن السيارة ارتطمت بأحد المارة ، ارتطامًا قويًا .

قويًا جدًا . . .

صرخت فريدة من هول الصدمة وظلت مكانها مذهولة ، ولكن أبسل هرع مسرعًا خارج السيارة .

ها هو يرى شابًا يحاول الوقوف مستندًا على السيارة بيد ، واليد الأخرى يضم كلبًا صغيرًا ذهبي اللون لا يتوقف عن النباح.

وها هو أبسل يمد له يده كي يساعده على النهوض ويتفحصه بنظره كي يطمئن عليه، وبلهجة متوترة:

-هل أنت بخير . . . ؟

في هذه اللحظة كانت فريدة تنظر للمشهد من داخل السيارة، فرأت أمامها شابًا غطى وجهه شعره الطويل، ومن ثم التفت الشاب وأعطاها ظهره وتمتم لأبسل:

-لا تقلق . . . أنا بخير، كل ما في الأمر أني كنت ألحق بكلبي و . . .

لم يكمل كلامه لأن أبسل قاطعه بأسى وهو يضع يده على كتفه:

-لا ! يجب أن تركب معنا حالًا كي يتم فحصك في المستشفى لكي أطمئن عليك، صدقني لم أرك بسبب ظلمة الليل و . . .

بابتسامة محببة للنفس، نظر الشاب لأبسل وهو يربت على رأس الكلب كي يهدأ من نباحه وصدمته:

-لا داعي صدقني، ها هي فيلتي سوف أرتاح قليلًا وكل شيء سيكون على ما يرام.

ابتسم له أبسل وصافحه وأردف:

-وهذه هي فيلتنا أيضًا موازية فيلتك، لذا تقبل صداقتي وأنا أرغب بزيارتك بعد بضع ساعات تكون ارتحت قليلًا؛ ستكون زيارة سريعة فقط لكي يطمئن قلبي، هل ستكون مستيقظًا . . . !

هَمَّ الشاب بضم كلبه وبدأ في المشي وكأن لم يصطدم بالسيارة قط، ومن ثم التفت لأبسل بضحكة بشوشة:

-من دون استئذان يا صديقي، تنورني وقتما تشاء وسأكون بانتظارك.

لوح له أبسل مودعًا إياه:

-إلى اللقاء يا . . . !

-خالد . . . أنا خالد يا . . . !

-أبسل، أخوك من فلسطين.

وقف خالد أمام باب فيلته ونظر بفرحة لأبسل:

-إذن أنا في انتظارك يا غالي، ويا مِن أغلى البلاد على قلبي .

ها هو أبسل يهم واقفًا أمام باب سيارته ويهم بفتحها :

-على الموعد يا جدع، كما تقولون يا من من بلد الرجال .

بدأ أبسل يقود سيارته، وفريدة تنظر له بقلق وسألته بحيرة:

-هل هو بخير . . . ؟ كيف . . . !

قطع أبسل كلامها وكأنه يعلم السؤال الذي تنوي أن تسأله إياه:

-لا أدري كيف خرج منها سليمًا يا فريدة . . . !

نظرت فريدة بقلق لأبسل:

-الحمد لله، ولكن يجب عليك أن تنتبه للطريق أو تفعيل خاصية الأمان والقيادة الذاتية يا أبسل، أرجوك أنا . . .

أوقف أبسل السيارة أمام الفيلا، ومن ثم التفت لفريدة وأمسك بيدها ونظر لها برومانسية بعينيه الرمادية اللتين اختلطتا بالأخضر الساحرتين، وهمس لها :

-هل تخافين عليّ يا ريدا . . . ؟ !

ابتسمت له فريدة بخجل:

-ليس لي سواك يا أبسل، ولا أريد سواك .

أمسك أبسل بيدها وتمتم لها وهو مقترب منها :

-أتحبينني يا ريدا . . . ؟

-إن لم أكن أحبك لما كنا هنا الآن .

-حسنًا ، ولكن عليكِ أن تعطيني جهاز السفر عبر الزمن، لا أريدك أن تستمري باستخدام هذا الجهاز و . . .

قاطعته فريدة بحزن:

-ولكن يا أبسل، أنت تعرف إن هذا الجهاز مهم لي لأني من خلاله أُقابل أبي و . . .

سحبها أبسل في حضنه ومسح على شعرها الأسود الحريري:

-لا تحزني يا حبيبتي، أنا أعلم إن هذا الجهاز مهم بالنسبة لكِ لأنك تقابلين والدك، ولكن لا تنكري أن هناك مغامرات أخرى يسحبك فضولك إليها ، وعقلك تشتت كثيرًا هذه الفترة، لذا أرجوكِ دعي الماضي وراء ظهرك وعيشي الحاضر معي، وهيا نخطط للمستقبل وكفى .

خرجت فريدة من حضنه وعينيها تترقرق بالدمع:

-ولكن يا أبسل . . .

قاطعها أبسل بحزم ولكن عينيه بهما حنو الدنيا :

- من دون لكن يا ريدا ، دعينا نعيش الواقع وكفى ، لا داعي للرجوع للماضي ولا حتى تذكره أو الندم عليه ، تحرري من سجن الماضي .

-حسنًا يا أبسل ، أعدك لن أستخدمه أبدًا .

مد لها أبسل يده تجاه حقيبتها ، فنظرت له فريدة بتردد وتمتمت:

-قلت لك يا أبسل أعدك ألا أستخدامه ، هل وعدي لا يكفيك ؟

*لمعرفة المزيد عن مغامرات فريدة وحكاية جهاز السفر عبر الزمن ، عليكم بقراءة الجزء الأول من رواية أولاد لوسيفر بعنوان (الخطيئة) .

أبسل قال لها بنبرة صوت بها حزم ولكن أسلوبه أسلوب توسل:

-أرجوكِ يا ريدا ، دعيني أبدأ حياتي معكِ وأنا غير قلق عليكِ . . . أرجوكِ . . . !

أومأت ريدا برأسها بأسى ، وقامت بإخراج الجهاز من حقيبتها ، فهَمَّ أبسل بأخذه ، ومن ثم خرج من السيارة وهمَّ تجاه باب فريدة وفتحه لها ونظر لها برومانسية .

وبمجرد أن نزلت ريدا ابتسمت له ، فهمَّ معانقًا إياها .

ومن ثم بمجرد أن خرجت فريدة من حضنه، قام بتحطيم الجهاز ! حينها شعرت فريدة أن قلبها هو الذي تحطم، ومن ثم سحب فريدة وهَمّا بدخول الفيلا .

فُتحت بوابة الفيلا بمجرد تعرفها على وجه فريدة، ومن ثم بمجرد أن دخلا بهو الفيلا كانت وتين تجلس تقرأ كتابًا وتحتسي قهوتها كالعادة .

بمجرد أن سمعت الباب يفتح، همّت بترك الكتاب وقامت بلهفة فهرعت إليها فريدة وعانقتها بشدة، وها هو أبسل يقف متأثرًا .

وبمجرد أن خرجت فريدة من حضن أمها بعد الكثير من القبل ونحيب النساء المعهود المرتبط بالسعادة والحزن، نظرت وتين بتعجب لأبسل ومن ثم سألت فريدة بابتسامة وهي تكزها في ذراعها :

-من هذا الوسيم . . . ؟ لم تخبريني عنه شيئًا .

هنا نظرت لها فريدة ضاحكة، ومن ثم همّت تجاه أبسل وسحبته تجاه أمها :

-ومنذ متى وأنا أخبرك بشيء يا وتين . . .

هنا قاطعها أبسل ضاحكًا خجلًا :

-توقفي يا فريدة عن مزحك ذاك، أنا أبسل واسمحي لي أن أقول لكِ يا أمي .

عانقته وتين وهي تمسح على شعره وابتسمت وعينيها تترقرق بالدمع بمجرد سماعها كلمة "أمي" منه، فهمست له بمجرد أن أخرجته من حضنها وهي تلمس وجهه بيدها:

-قل ما تشاء يا بني، فكم كنت أتمنى أن أنجب ولدًا، ولكن فريدة بطبعها الذكوري جعلتني أشعر أن الله لم يحرمني قط.

من ثم ضحكت وهي تنظر لفريدة، ولكن فريدة وكزتها غاضبة ضاحكةً:

-أخ منك يا وتين، لم أكمل خمس دقائق وها أنتِ بدأتِ الحرب، لذا تحملي...

***

بعد مرور بضع ساعات، ها هو أبسل ينقر على جهاز الإنذار كي ينتبه من بالداخل أنه بالخارج، ها هي الشاشة الملحقة بالجهاز تظهر مقسومة نصفين، نصف به أبسل ونصف به خالد، هَمّ خالد مرحبًا بأبسل:

-أهلًا أبسل، تفضل يا رجل سيصاحبك الروبوت للأعلى.

ها هو أبسل بمجرد أن دخل حديقة الفيلا رأى الكلب مربوطًا وينبح بشدة، ولكن أبسل لم يكترث له وأقدم على دخول باب الفيلا الداخلي، وها هو رأى بهو الفيلا

المظلم الضخم ذا الأثاث الغريب الكئيب، يصعد الدرج وهو ينظر لكل شيء بتعجب بسبب الديكور الغريب الخاص بالفيلا، فيلا لا يوجد بها ألوان سوى الأسود الذي سيطر على أغلب الفيلا والقليل من الأحمر القاتم.

ولا يوجد أي مصباح مشتعل في الفيلا، بل إنه اكتفى فقط بإضاءة الشموع الهادئة.

ها هو الروبوت يفتح لأبسل باب غرفة خالد . . .

دلف أبسل بداخل الغرفة بخطوات بطيئة مترددة بسبب أنه متعجب من هذا الجو المغلق المكتوم في غرفته، حيث لا نافذة ولا شرفة حتى مفتوحة، ولكن سرعان ما قطع شروده صوت خالد مهللاً له بقدومه بصوت تخلله الوهن:

-أهلًا يا أبسل . . . أعذرني يا صديقي، لم أستقبلك بالأسفل لأني أُشعر . . . لأني أشعر بإعياء، سامحني.

من ثم أمسك رأسه وظهرت على ملامحه علامات الوهن، فنظر له أبسل بقلق وهمَّ بالجلوس بجواره:

-ماذا بك يا خالد . . . ؟ لقد كنت بخير منذ بضع ساعات . . . !

أخذ خالد مساكة شعره وقام برفع شعره الطويل، فظهرت ملامحه الباهتة الشاحبة التي لم يلاحظها أبسل أثناء الحادث لأن الكمامة والشعر كانا يغطيان أغلب وجهه، ومن هول الصدمة لم يركز به قط .

تمتم أبسل بقلق وتوتر:

–خالد ، أنت شاحب جدًّا ، يجب أن تأتي معي حالًا للمستشفى، لا يمكن أن أتركك هكذا و . . .

قاطعه خالد مبتسمًا بوهن:

–لا تقلق، في الغد سأكون بخير .

–ولكن إن لم تكن بخير في الغد ، ماذا أفعل حينها . . . ؟

–حينها سأذهب معك للمشفى، لا تقلق يا أبسل .

هَمَّ أبسل بالوقوف وهو قلق وأردف:

–حسنًا ، سوف أتركك ترتاح قليلًا ، وفي الصباح سوف أطمئن عليك . . .

اتفقنا . . . !

–اتفقنا يا صديق . . .

ها هو أبسل ينزل الدرج وشعلات الشمع تتحرك وكأن هناك حركة هواء كثيرة داخل البيت بالرغم من أن الجو لا يسمح بذلك قط، استحالة في مصر في مارس أن تكون هناك رياح قوية في ذلك الوقت . . . تعجب أبسل ولكن لم يركز لتساؤلاته وقرر أن يخرج مسرعًا من هذا البيت .

ولكن بمجرد أن اقترب من باب الفيلا، ها هو يرى الباب يتحرك برفق وكأن للرياح يدًا في ذلك، ولكن لا توجد رياح! ولكن بمجرد ما كان أبسل يهم بالمرور من الباب، أُغلق في وجهه، ومن قوة ارتطام الباب انطفأت كل الشموع المشتعلة، وحل صمت رهيب قطع هذا الصمت نباح الكلب كأنه يواجه خطرًا ما، ولكن سرعان ما تحول نباحه إلى نواح واهن إلى أن تلاشى . . . تلاشى تدريجيًا . . . تلاشى تمامًا .

هنا قرر أبسل أن ينادي على خالد بصوت عالٍ جدًّا تخلله الخوف:

-خالد . . . خالد، هل يمكن أن تفتح لي باب الفيلا إذا سمحت .

لم يسمع أي رد . . . لم يسمع إلا صوت الصمت وكفى . . .

كرر ندائه بقلق وهو يهم بلمس حجر خاتمه، فانبعثت منه شاشة منبثقة تظهر محتواها من الأمام ومن الخلف مبهمة، فاختار منها شعاعًا مضيئًا، ومن ثم هَمَّ

صاعدًا تجاه الدرج من جديد ، هنا زادت الرهبة بداخله أكثر من الفيلا وديكورها المقيت بمجرد سقوط الضوء المنبعث من حجر أبسل؛ لأن حجر خاتمه هو الحجر الروبي أي الأحمر القاتم .

ولكن الذي جعل قلبه يسقط في رجليه بمجرد ما سقط الضوء على لوحة امرأة في الخمسين من عمرها باكيةً، تحركت له رأسها أي: لا . . . !

هنا انتفض جسده للخلف ردة فعل لذعره مما رآه، ولكن بمجرد أن مسح عينه لم يرَ سوى صورة المرأة مبتسمة وبجوارها خالد واقفًا مبتسمًا كذلك .

التقط أنفاسه بعد ما أثلج الدم في عروقه من هول الموقف، وأكمل صعوده وهو يحاول أن يتمتم بصوت خافت:

-إنه إرهاق السفر يا أبسل، كل ما أحتاج إليه هو النوم وكفى .

هنا طرق الباب على خالد ولكن لم يصله أي رد ، فبدأ ينادي عليه بقلق:

-خالد . . . هل أنت بخير يا خالد . . . ؟ خالد . . . !

هنا قرر أن يفتح الباب عليه ودخل الغرفة المظلمة، وبمجرد ما سقط ضوء مصباحه على سرير خالد وجده فارغًا .

ومن ثم نظر للغرفة فوجد أن شرفة غرفته صارت مفتوحة على عكس عندما دخل أول مرة.

ها هو أبسل يتقدم تجاه الشرفة وهو ينادي بصوت متردد:

-خالد . . . ! هل أنت . . .

لم يكمل ندائه إلا وشعر بيد باردة توضع على كتفه! هنا قفز مذعورًا صارخًا والتفت مسرعًا، وبمجرد أن سقط ضوء مصباحه ورأى من أمامه وسمع الصوت، هدأ قليلًا:

-ماذا بك يا أبسل . . . ؟ ولماذا أنت هنا . . . ! كنت أظن أنك رحلت عندما سمعت صوت الباب قد أُغلق.

ازدرد أبسل لعابه وتنفس الصعداء وحاول أن يتمالك أعصابه:

-لا يا خالد، بل الباب أُغلق قبل أن أخرج مباشرةً، لذا ناديت عليك ولكنك لم تسمعني . . .

ها هو خالد يبتسم وهو يعبث بساعته فانبثقت منها شاشة، فقام بتفعيل إضاءة الشموع الإلكترونية وتمتم ضاحكًا:

-سامحني يا صديقي، كنت أقضي حاجتي فلم أسمعك .

ظل أبسل ينظر له بقلق، ولكن خالد أكمل كلامه:

-لا تؤاخذني، ولكن توجد مشكلة في إعدادات الكهرباء في البيت، يجب من حين لآخر أن أقوم بضبطها .

هنا يحاول أبسل أن يفيق من شروده وتساؤلاته، ويقرر أن يهم خارج الغرفة متمتمًا :

-ولا يهمك يا صديق، يكفي أنك بخير .

هنا قال له خالد بصوت عالٍ كي يوقف أبسل وهو عند باب الغرفة:

-هل ترغب في أن أوصلك للخارج . . . ؟

التفت له أبسل مترددًا وأردف:

-لا يوجد داعٍ، أعرف الطريق جيدًا . . . ارتح أنت الآن .

ابتسم له خالد ، فابتسم له أبسل بابتسامة تخللها القلق وهَمَّ بالنزول .

وبمجرد وصوله بهو الفيلا، وجد أمام الباب المفتوح يقف الروبوت الذي عاد للعمل من جديد بعدما تعطل مع باقي أجهزة البيت منذ قليل .

خرج أبسل من الفيلا، وها هو يلتفت للفيلا التي تعجب من بساطة مظهرها الخارجي وغرابة ما بداخلها .

ولكن بمجرد أن اقترب من باب الفيلا، التفت حوله متذكرًا صوت الكلب ولكنه لم يجده في أي جزء من أرجاء الحديقة، ولكنه قرر ألا يكترث وهمَّ عائداً لفيلا فريدة .

***

ها هو أبسل يرمي جسده على كرسي في الصالون ويغمض عينيه، من ثم شعر بيد تلمس يده ففتح عينيه فزعًا ، ولكن قطع فزعه صوت فريدة المطمئن إياه:

-ماذا بك يا أبسل . . . ؟

عدل أبسل من جلسته وتنفس الصعداء ونظر لفريدة بتعب، ولكن سرعان ما رسم ابتسامة والتمعت عينيه بالحب بمجرد شعوره بالأمان برؤيتها ، ومن ثم همس لها :

-أنا على ما يرام طالما أنت معي يا فريدتي .

ابتسمت له فريدة بلين ومن ثم همت واقفةً وقامت بسحبه تجاهها كي يقف، وهمست له:

-عليك أن تصعد وتنام في غرفتك، لقد جهزتها من أجلك .

ها هما يصعدان الدرج، ومن ثم التفتت له فريدة بلهفة وقالت:

-نام وارتاح يا حبيبي، غدًا وراءنا الكثير من المهام علينا أن ننجزها .

-أهلي سوف يصلون من فلسطين ولندن خلال هذا الأسبوع، سيكون أسبوعًا مرهقًا ولكن علينا أن ننجز كي يأتي اليوم الذي نتمناه .

تنظر له فريدة بخجل وهما يقفان أمام باب غرفته، وتهمس له بحياء :

-توقف عن نظرتك تلك يا أبسل .

-لي الحق أن أفعل ما أشاء، ستكونين زوجتي بعد بضعة أيام .

ومن ثم سحبها لحضنه، ولكنها أبعدت نفسها عنه بتمنع ودلال وابتسمت:

-ها أنت قلت بعد بضعة أيام . . .

ومن ثم هرعت تجاه باب غرفتها ونظرت له مبتسمةً بدلال، ولكنه تبعها لباب غرفتها ، ولكنها منعته بيدها ضاحكةً:

-تصبح على خير يا من ستكون زوجي بعد أسبوع .

وأرسلت له قبلة في الهواء ومن ثم أغلقت الباب .

وها هو أبسل ما زال واقفًا شاردًا في جمالها بعدما التقط قبلتها من الهواء .

من ثم سمعت فريدة همس (أحبك يا عجيبتي) .

من ثم مشى متبخترًا تجاه غرفته والسعادة تغمره، ونسى ما مر به في بيت خالد .

وبمجرد ما ألقى جسده على سريره غاص في نوم عميق والبسمة على وجهه وهو يضم وسادته . . .

في غرفة فريدة، بعد ما كانت تدور من الفرحة، ها هي تقف شاردة أمام مرآتها بمجرد سماعها كلمة "أحبك يا عجيبتي" .

ها هي فريدة تنظر لنفسها في المرآة وتكلم نفسها بتعجب:

-هذه أول مرة يقول لي فيها أبسل "يا عجيبتي"، بل لم يقل لي أحد هذه الكلمة سوى فارس . . . !

ها هي تلتفت من أمام المرآة وتصفع وجهها وتقول في قرارة نفسها :

-فارس ! لقد انتهت تجربتك مع فارس منذ أكثر من تسع سنوات، وها أنتِ سوف تتزوجين، فلا يصح أبدًا أن تفكري في أحد سوى أبسل، أبسل وكفى . . .

ومن ثم تمددت على السرير وأغمضت عينيها وبدأت في النوم .

***

ها هي فريدة ترتدي فستانًا أحمر وشعرها الأسود الطويل الحريري يطير في الهواء، وعلى رأسها تاج ذهبي كبير مرصع بالمجوهرات، وخاصة الحجر الروبي .

ها هي تمشي في مكان مثل الملكات، تمشي في مكان كله زرع وأشجار وأنهار إلى أن وصلت لمكان به عرش ذا كرسيين .

يجلس على أحد الكرسيين شاب وسيم ذا ملامح عربية وشعر طويل يصل للمنكبين، ويرتدي ملابس بيضاء أشبه بالملوك في العصور القديمة وتاجًا ذهبيًا ضخمًا ، وحوله الكثير من الفتيات الفاتنات يرتدين فساتين بيضاء وشعرهن طويل أسود حريري، يحومن حوله والبعض منهن تحت قدميه، ولكنه عيونه زائغة يلتفت حوله إلى أن تقع عينيه على ذات الفستان الأحمر التي تمشي في الحديقة لا تدري وجهتها .

ها هو يهم واقفًا تاركًا خلفه الفاتنات ويهرع خلفها إلى أن وصل إليها فأمسك بذراعها ، فالتفتت إليه فذاب في سحر عينيها ، وهي شردت في عينيه السوداء المكحلة وشعرت أنها وجدت وجهتها أخيرًا .

ها هو سحبها وها هي تجري معه وهي تطير من السعادة إلى أن وصلا أمام العرش. هنا وقفت ذاهلةً، فنظر لها وأومأ لها أي تفضلي.

هنا اصطفت الفتيات عن يمين ويسار العرش، وها هو قد أمسك بيدها وأجلسها على العرش بجواره، ومن ثم نظرا لبعضهما البعض وابتسما و. . .

***

-فريدة. . . فريدة، استيقظي يا حبيبتي، ها قد صرنا الظهر يا عزيزتي.

ها هي فريدة تمسح وجهها بيدها وتنظر لأمها وتتمتم متعجبةً:

-أين أنا. . . ؟

ها هي أمها تجلس بجوارها وتمسح على شعرها وقالت لها مبتسمةً:

-هذا هو الحال يا حبيبتي عندما نترك مكاناً معتادين عليه ونذهب إلى مكان آخر نشعر أننا مثل التائهين، وأنا أعلم جيدًا أنكِ متعبةً من السفر، لذا تركتك ترتاحين إلى الآن.

***

قبل الزفاف بيوم، ها هي فريدة تسأل أبسل بلهفة وهو يهم بالخروج:

-إلى أين ستذهب يا أبسل . . . ؟

-سأذهب لكي أطمئن على خالد . . . منذ أن ذهبت إليه في يوم وصولنا لم يخرج قط ولم يسمح لي بزيارته حتى، أقصى شيء يطمئنني عليه برده عليّ من خلال جهاز التنبيه الملحق بالبوابة .

-إذن دعه على راحته .

-لا، بل أريده أن يحضر زفافنا، أريده أن يختلط بنا، لا أدري لِمَ هو معتزل كل شيء هكذا . . .

-لِمَ تشغل بالك به إلى هذا الحد يا حبيبي . . . ؟

-أشعر أن وراءه سرًا . . . حياته مليئة بالغموض يا فريدة، أنتِ لم تري فيلته من الداخل، إنها . . .

قاطعته فريدة بلهفة وأمسكت يده:

-ولِمَ تصفها وتحكي لي ما رأيت، وبإمكاننا أن نراها سويًا .

-ولكن يا ريدا . . .

-أششش، أنت تعرف جيدًا أني أحب المغامرات كثيرًا والغموض، وأظن ليس لك مانع بما إنك معي . . . !

-ولكن الموضوع لا يستحق كل هذا الحماس، كل ما في الأمر أن . . .

قاطعته فريدة وهي تسحبه من يده وهي تخرج من باب الفيلا:

-لا توضح لي شيئًا، دعني أحكم أنا على الأمر بنفسي إن كان يستحق أم لا . . .

-يا لَكِ من عنيدة ! ولكني أعشقك .

ابتسمت له فريدة وها هما يجريان في الشارع ويضحكان بطفولية برغم عمرهما الذي تجاوز السابعة والعشرين عامًا .

ها هي فريدة تسبق أبسل وترن جرس الفيلا قبل أن يضع أصبعه على الجرس بثوانٍ، ها هما يضحكان ويلهثان، ولكن سرعان ما يقطع ضحكهما صورة خالد المنبثقة من الشاشة . . .

هنا أخذت فريدة نظرتها الجادة الحازمة الذكورية مرة أخرى بمجرد سماعها للصوت، وبمجرد أن نظرت للشاشة لم تلمح ملامح خالد جيدًا لأن شعره الطويل

يواري أغلب وجهه، بالإضافة إلى إضاءة غرفته الخافتة. ظهر صوت خالد الواهن:

-أهلًا، أهلًا أبسل . . .

هَمَّ أبسل قائلًا بأسلوب معاتب بعض الشيء:

-هل تسمح لنا بزيارتك يا أستاذ خالد ؟ لا يصح كل يوم لقاؤنا يكون هكذا . . .

أعطى خالد أمرًا للبوابة ففتحت لهما، وها هما يدلفان بداخل الحديقة ومن ثم داخل الفيلا المفتوح بابها لهما على مصراعيه، وبمجرد دخولهما أُغلق الباب مرة واحدة فصدر عنه صوت مُقبض وعالٍ جدًا، وخاصة أن فيلا خالد خالية تقريبًا من الأثاث.

فريدة ذعرت بمجرد سماعها للصوت فأمسكت بيد أبسل، فقام باحتوائها بذراعه وها هما يتقدمان تجاه الدرج، ولكن فريدة تمتمت بقلق عندما رأت الضوء يخفت:

-لمَ بيته غريب هكذا . . . ؟

حاول أبسل أن يقلل من قلقها وبصوت مطمئن همس لها:

-لا تقلقي يا عزيزتي، كل ما في الأمر أن خالدًا قال لي إن بيته يوجد به خلل في الأجهزة، لذا كل شيء لا يعمل بشكل جيد .

ولكن كلما صعدا أكثر وأكثر، كلما وجدت فريدة الإضاءة المهتزة تزداد حدة أكثر، إلى أن وصلا لغرفة خالد .

الضوء برغم اهتزازه صار قويًا وكل شيء صار واضحًا للرؤية .

ها هما يطرقان الباب فسمح لهما خالد بالدخول .

كان خالد ممددًا في سريره، إلى أن اقتربا أبسل وفريدة وجلسا على الأريكة على يمين باب غرفته والمقابلة لسريره الضخم بشكل مبالغ فيه ذا الأعمدة الخشبية السوداء .

تنحنحت فريدة ومن ثم أردفت:

-ألف سلامة عليك يا أستاذ خالد . . .

وبمجرد ما سقطت تلك الكلمات على أذن خالد، ها هو جسده انتفض بقوة على السرير كمن أصابه الصرع، فهَمّ كل من فريدة وأبسل إليه قلقان وصرخا :

-خالد . . . خالد . . . ماذا بك، هل أنت بخير . . . ؟ !

ها هو أبسل يحاول أن يمسك بيد ، وفريدة من جانب آخر أمسكت باليد الأخرى، ولكن بمجرد أن لمست يد فريدة يده هدأت حركته، وبمجرد ما هدأ تنفسا كل من فريدة وأبسل الصعداء وجلس كل منهما بجواره في اتجاه .

قال له أبسل بقلق:

-ماذا بك يا خالد . . . ؟مما تعاني . . . ؟ أخبرني يا صديقي . . . ؟

حاول خالد أن يهم ويجلس، وتنفس الصعداء وها هو يلتقط مساكة الشعر وقام بلم شعره الطويل، وهنا كشف عن وجهه .

وهنا كانت الصدمة لكل من أبسل وفريدة . . .

نظر لهما خالد بتعجب وأردف:

-ماذا بكما . . . ؟

التفت كل من فريدة وأبسل لبعضهما البعض ونظرا بتعجب، ولكن سرعان ما تحولت ملامح أبسل من التعجب إلى الابتسام لفريدة وأردف:

-هل ترين ما أراه . . . ؟

ولكن ما زالت ملامح الصدمة مرسومة على وجه فريدة، وها هي تشيح بنظرها عن أبسل وتوجهها لخالد، وها هي عينيها تترقرق بالدمع . . .

هنا ابتسم أبسل متعجبًا وسأل فريدة:

-ماذا يا فريدة، هل الأمر يستحق كل تلك الصدمة . . . ؟

فاقت فريدة من شرودها وتمتمت بصوت ما زالت الدهشة مسيطرة عليه:

-كل ما في الأمر أني لا أصدق ما تراه عيناي.

قاطع خالد حديثهما بصوت غير فاهم لما يحدث:

-ما الذي تقصدانه . . . ! شاركاني مرادكما من الحديث.

ابتسم له أبسل وقال له متعجبًا:

-ألا ترى أننا نشبه بعضنا في الكثير من الملامح . . . ؟

رد خالد بسرعة متعجبًا:

-ولكني لا أهتم بالتركيز في شكلي.

ضحك أبسل وأشار إلى مرآة ضخمة موجودة على الجدار على يسار الباب ومقابلة لشرفة الغرفة وأردف:

-كل هذه المرآة الضخمة ولا تهتم لشكلك . . . !

تمتم خالد موضحًا :

-أقصد أني . . .

قاطعه أبسل وقال له بتعجب وسعادة:

-يا صديق، نحن لا نختلف إلا في لون العيون؛ أنت عيونك بنية عسلية وأنا عيوني رمادية خضراء، وأنا بشرتي قمحية وأنت ذو بشرة فاتحة . . . أوه، كأننا توأم لولا فارق السن أظن أني أكبرك بعدة أعوام قليلة . . .

ومن ثم سأله متعجبًا :

-أه صحيح، كم عمرك . . . ؟

نظر له خالد متعجبًا ومن ثم أردف له بصوت غير مكترث:

-لا أدري يا صديق، لا أحسب عمري و . . .

قاطعتهما فريدة وهي تهم وقد تغير لونها وقالت بقلق اختلط بالحزم:

-أبسل، أريد أن أعود للبيت . . .

نظر لها أبسل غير فاهم ما سبب تغيرها هكذا وأردف:

-حسنًا ولكن انتظري أ . . .

قاطعته فريدة بجزم:

-حالًا يا أبسل . . .

رفع أبسل حاجبيه غير مستوعب ومن ثم همَّ واقفًا وحول نظره عنها إلى خالد وابتسم وقال له:

-ها يا صديق، سوف أتركك الآن، ولكن عليك أن تأتي لفيلتنا في الغد لكي تحضر زفافنا أنا وفريدة.

ابتسم لهما خالد وأردف:

-مبارك عليكما . . . ولكن لن أعد . . .

ها هو أبسل يهم تجاه فريدة التي قررت النظر للأرض حزنًا بعدما رأت ابتسامة خالد، من ثم قاطعه أبسل:

-لا توجد أعذار يا صديق، وإن لم تحضر سوف أتي بنفسي لكي أخذك، ألا ترى كيف تغير وجهك وكأن رُدت به الروح بمجرد بضع دقائق تحدثنا بها سويًا ؟ على

العموم أنت صديقي، وكما تعلم أنا جديد في مصر فأنت رفيقي وأخي هنا . . .

اتفقنا . . . !

ابتسم له خالد وهمَّ من سريره:

-لي الشرف يا أبسل . . .

هنا قاطعه أبسل متعجبًا ضاحكًا:

-آوه، إلى أين أنت ذاهب يا أستاذ خالد . . . ؟ !

ضحك خالد وهو يقترب منهما وأردف:

-ماذا بك يا رجل . . . ! وأستاذ ماذا وأنت الذي تكبرني . . . ! أنا أخوك الصغير ومن واجبي احترامك وتقديرك وتوصيلك بنفسي .

وضع أبسل يده على كتف خالد وربت عليه تشجيعًا له وبسعادة لتغير حاله:

-سعيد لأن قلبي اطمئن عليك . . .

قاطعه خالد وهو ينظر لكلا من أبسل وفريدة وأردف مستغربًا مبتسمًا:

-أقسم لك يا صديق، لا أدري كيف رُدت بي الروح هكذا . . . ؟ دائمًا أشعر أني من الأموات . . .

هنا نظرت له فريدة، وبمجرد أن التقت عيناهما توترت فريدة وهمست لأبسل وهي تسحبه من يده برفق:

-هيا يا أبسل، وراءنا الكثير من الأشياء علينا الانتهاء منها .

نظر لها أبسل برومانسية هامسًا :

-حسنًا يا حبيبتي، فهمت ماذا تريدين . . . لكِ ما تشائين .

ومن ثم هما بالنزول على درج الفيلا الواسع وبجوارهما خالد .

التفت له أبسل وأضاف مكملًا حديثه لخالد :

-يا صديقي، الوحدة قادرة على قتلنا أحياء، إذا أردت الراحة والسعادة فعليك بالناس؛ الناس تعني الأُنس، وأنا سأكون أول من تأنس به يا صديق .

ابتسم له خالد وأردف له:

-سعيد بك يا أبسل، أقسم لك بذلك .

ضحك له أبسل وها قد أوشك على الوصول لباب الفيلا وأردف له:

-أرى أن إضاءة البيت راضية عن لقائنا اليوم، أنها تعمل بشكل شبه جيد . . .

-سوف أقوم بإصلاح كل شيء، لا تقلق يا صديق .

ودعه أبسل وأشار له بعدما خرج هو وفريدة:

-حسنًا، في انتظارك غدًا يا خالد .

أشار لهما خالد مودعًا، ومن ثم التفت أبسل مستغربًا لفريدة التي تمشي بجواره شاردة:

-ماذا بكِ يا عزيزتي، لَم تغيرتِ هكذا برغم أنكِ كنتِ متحمسةً جدًّا في البداية. . . !

ابتسمت له فريدة ابتسامة مصطنعة وهي تمسك يده بدلال:

-كل ما في الأمر أني لم أشعر بالراحة أثناء وجودي في هذا البيت، وكما تعلم أنا متوترة ومتقلبة المزاج جدًّا بسبب ضغط التجهيزات الخاصة بزفافنا . . .

ابتسم لها أبسل وقال متهكمًا:

-لا توجد امرأة يسهل على المرء فهمها، كلكن مجنونات يصعب فهمكن . . .

ضربته فريدة برقة على ذراعه وضحكت:

-لا تشبهني بأحد ها . . .

ومن ثم تأبطت ذراعه وأضافت متهكمةً:

-وإن جئت للحق، أنا لا أفهم نفسي في بعض الأحيان، سحقًا لمَ جئتُ بنتًا تسيطر عليّ تقلباتي المزاجية.

مسح أبسل على شعرها وهما يسيران:

-ولكني أحبك وأحب جنانك يا فريدة، أنتِ خُلقتِ أنثى من أجلي، كي تكمليني. أنا ناقص من دونك، كنت سأضيع إن لم تخلقي.

رفعت فريدة نظرها فالتقت عيناهما برومانسية وأردفت بدلال وضجر مصطنع:

-إن لم أخلق لكنت مع غيري الآن و. . .

قاطعته أبسل ضاحكًا:

-يبدو أنكِ نسيتِ سبب لقاءنا الأول يا ست فريدة.

ابتسمت له فريدة بدلال وأردفت هامسةً:

-بل أتذكره جيدًا يا أستاذ أبسل.

وقف أبسل وصارت فريدة أمامه تنظر له برومانسية وهو ينظر لها بلهفة عاشق، وأردف وهو يمسك يدها وهما أمام فيلتهما:

-فريدة، أنتِ خُلقتِ من أجلي وأنا خُلقت من أجلك، أنتِ من أحييتِ قلبي وجعلتِني أحب الحب صدقيني .

ابتسمت له فريدة وقالت له بضحكة مغيرة مجرى الحديث:

-أعلم هذا يا مريضي الجميل، هيا لا داعي لتذكر الماضي، وهيا بنا نستعد لتجهيزات الغد .

***

ها هو الأسبوع قد مر سريعًا ، وها هي فريدة تقف أمام مرآتها وبجوارها المنسقة ترى طلتها الأخيرة التي تتكون من لباس زفاف يتكون من بنطلون أبيض واسع وقميص أبيض من الستان، وعلى كتفها شال طويل يصل للأرض مرصع بالجوهرات المتلألئة، وشعرها مسدول حريري، وعلى رأسها تاج فضي اللون، وعلى وجهها القليل من مساحيق التجميل "الميك أب" ، ولكن لا غنى عن كحل عينيها الذي يبرز وسعهما ورسمتهما الساحرة .

ها هي وتين تدخل غرفة فريدة، وبمجرد ما دخلت ورأت ابنتها الوحيدة ترقرقت عيناها بالدمع .

رأتها فريدة في المرآة فالتفتت إليها وابتسمت لها، وها هما تقتربان لبعضهما البعض، وكلما اقتربتا يزداد بكاء وتين الذي اختلط بابتسامة مكسورة، فعانقتها فريدة فزادت وتين من ضمها لفريدة وكأن جزءًا من جسدها سوف ينتزع منها وأجهشت في البكاء.

من ثم خرجت فريدة من حضن أمها وحاولت أن تتمالك دمع عينيها، من ثم مسحت دمع عيني أمها وقالت لها ممازحة إياها:

-ماذا بكِ يا بومة، لمَ تبكين الآن...؟

ضحكت لها أمها وقالت لها بضحكة مكسورة:

-لأنكِ كبرتِ وسوف تتزوجين.

رفعت فريدة أحد حاجبيها ونظرت لأمها بأسلوب مهدد لها بمزح:

-حسنًا، انزلي أخبري الضيوف أن العرس قد أُلغي، ولكن لا تذكري لي بعد ذلك أنكِ ترغبين أن تفرحي بي ها...

ضحكت لها وتين واقتربت منها، ومن ثم تحولت ضحكتها إلى ابتسامة أمومية بها حنان العالم كله وهي تمسك ذراعي ابنتها وأردفت:

–هذا اليوم الذي أنتظره يا حبيبتي، اليوم الذي أطمئن عليكِ أن هناك من يحبك ومن تشعرين معه بالأمان، فأنا لن أدوم لكِ و . . .

قاطعتها فريدة بغضب:

–وتين، يا منكدة، ارحميني من عاطفتك ونبرك وفألك السيء ذا، أرجوكِ أريدكِ متفائلة لمرة . . .

أقسم لكِ، ما توجد مرة "نبرتي" قلتِ فال سيء إلا وتحول اليوم لنكد ها . . .

نظرت لها أمها بأسى ومن ثم جلست على الشيزلونج الموجود أمام سرير فريدة ومن ثم نظرت أرضًا وتمتمت:

–لا أقصد أبدًا أن أقول فالًا سيئًا لكِ يا فريدة، كل ما أتمناه لكِ هو السعادة وكفى . . . ولكن كل ما في الأمر أن قلبي يؤلمني بشدة وأشعر أني لن أقدر أن . . .

فريدة اقتربت منها ومدت لها يدها وابتسمت لها ابتسامة ذابت في بحر الحزن وأردفت:

-هل يمكن أن تقومي معي وننزل سويًا ونفرح وننسى ولا نفكر فيما يحزننا ؟ أرجوكِ لا تفكري فيما فات ولا تخافي مما هو آت، كل ما عليكِ أن تظني بالله الخير وكفى، وسوف ينعم قلبك الجميل ذا بالراحة والفرحة صدقيني . . .

ابتسمت لها أمها وهمّت واقفةً وأردفت:

-أنا فخورة بكِ يا بنيتي، ولو كان أبوكِ معنا لكان سعيدًا بما حققتِه إلى الآن .

ترقرقت عيون فريدة عندما سمعت سيرة والدها وقالت بأسى، ولكن سرعان ما حاولت أن تكبح مشاعرها وأردفت:

-أرجوكِ يا أمي، حاولي ألا تذكري سيرة أبي اليوم، أنا أحاول أن أتجاور . . . وأتعمد تجاهل عدم وجوده بكل ما أستطيع من قوة .

نزلت دموع وتين، ولكنها حاولت أن تتمالك نفسها وابتسمت لفريدة وقالت:

-سامحني يا بنيتي، لم أقصد أن . . .

قاطعتها فريدة وهي ترسم الضحكة على وجهها وتغير مجرى الحديث:

-ها أنا ذا بجوارك، حتى أني سوف أعيش معكِ في نفس الفيلا، وعملي سيكون في مصر كذلك، لذا لا أريدك أن تشعري بالوحدة ولا الحزن مرة أخرى ها ، ليس لي في الدنيا سواكِ، لذا حافظي على قلبك من الحزن من أجلي لا من أجلك .

أومأت لها وتين وابتسمت، فنظرت لها فريدة مبتسمةً وأدارت وجهها كمن فقد الأمل:

-أدري ألا فائدة من الكلام معكِ يا وتين، عذبي نفسك بالحزن يا "نكدو" ها ، هيا أمامي، هيا .

ضحكت لها وتين وقالت لها متعجبةً:

-لا أدري من هي أم من . . . !

***

الزفاف بدأ، وها هم الحاضرون يرقصون على صوت الأغاني والبعض منهم جالسون.

لم يتجاوز عدد الحاضرين الثلاثين لكلا العائلتين ولم يكن بينهم أي من الأطفال، وهذا ما أفضله؛ فكم هم مزعجون حقًا ويحولون أي لحظة إلى مأساة بسبب أفعالهم الشيطانية أو بكائهم الهستيري المصطنع! آه، لا أدري من صاحب مقولة أن الأطفال ملائكة وأحباب الله، بل الحقيقة أنهم ماكرون أشد مكر و. . .

آه، أعذروني، لا أدري لِمَ أقحمكم دائمًا في خواطري النفسية المعقدة، دعوني أكمل لكم سرد ما حدث. . .

من وسط الحضور تبرز فريدة التي ترقص مع أبسل بسعادة، ولكن سرعان ما يقع نظرها على شخص فيخطف نظرها وانتباهها وتركيزها . . .

أبسل ينظر لها مستغربًا، وها هو ينظر تجاه نظرها ولكنه لا يفهم فيما هي شاردة.

ها هو يحرك يده أمام عيني فريدة كي تستعيد تركيزها إليه، ولكن فريدة تتركه وتتحرك تجاه الشخص الذي جعلها تشرد هكذا . . .

ها هي تمشي بصعوبة وهي شاردة وعيناها تترقرق بالدمع كمن لا يصدق ما يراه أمام عينيه . . .

ها هي تقف وتضع يدها على كتف رجل يعطيها ظهره، ولكن بمجرد ما يشعر بها يلتفت لها ، هنا تقول له فريدة بلهفة:

-هل أنت هنا حقًا . . . ؟ !

هنا تقع عين الرجل عليها ويراها وهي تبكي، فيقول لها مستنكرًا :

-كيف . . . ؟ !

هنا تنظر فريدة جيدًا فيتحول شكل الرجل لملامح رجل آخر .

هنا تلتفت فريدة باكيةً فتجد أبسل وراءها ، ويسألها مستغربًا :

-ماذا بكِ يا فريدة . . . ؟ ما الذي غيركِ فجأة هكذا . . . !

تركته فريدة وهرعت لداخل الفيلا باكيةً بشدة، فلحقها أبسل لغرفتها .

ها هي فريدة تجلس على سريرها متطأطئة الرأس تبكي بحرقة، حينها وصل أبسل ومشى تجاهها ببطء متسائلًا :

-ما الذي يتعب نفسيتك هكذا يا حبيبتي . . . ؟ أحكي لي، أنا زوجك حبيبك .

هنا كان قد جلس بجوار فريدة وأخذها في حضنه ومسح على شعرها وهي تجهش في البكاء وتقول بحرقة:

-أقسم لك ، أقسم لك أني رأيته يا أبسل . . .

قاطعها مستغربًا :

-من هو يا ف . . .

خرجت فريدة من حضنه وقالت بحرقة وغضب:

-أبي يا أبسل، أبي هنا ، وكان يقف مع أمي في ال . . .

مسكها أبسل من ذراعيها وهزها وقال لها بحدة كي تفيق من وهمها :

-فريدة، والدك مات، مات يا فريدة .

أبعدت فريدة يده عنها بقوة وغضب، ووقفت وقالت له بحزن اختلط بالغضب:

-أبي لم يمت، أبي ما زال على قيد الحياة بداخلي، حتى وإن لم أعد أقوم بالسفر عبر الزمن للقائه ولكنه يأتي لي في منامي .

أنا أصدق بعالم الأرواح يا أبسل، لم أستبعد أنه قد يحضر زفافي . . .

وقف أبسل وسحبها من يدها وعانقها بشدة كمن يصعب عليه حالها ومسح شعرها وهو يقبل رأسها، وهمس لها:

-أنا أعلم أنكِ متعلقة به بشدة، ولكن لا يصح يا سيادة الدكتورة النفسية ألا تتجاوزي هذه الصدمة برغم كل هذه السنين . . .

هنا رفعت فريدة رأسها كي تنظر له وقالت بحسرة:

-كم كنت أتمنى لو كان هو الذي رأيته يا أبسل.

-أنتِ قوية يا فريدة، أنتِ من تعلمين الناس كيف يتجاوزون الصعب و . . .

خرجت فريدة من حضنه وتحركت تجاه باب شرفتها الزجاجي، وقالت منكسة الرأس:

-صدقني، الشخص الذي ينصح الناس ويوجههم ويساعدهم على تجاوز نكبات حياتهم هو نفس الشخص الغارق في مصائب حياته.

هنا سحبها أبسل للشرفة وتطلّعا على الحديقة وعلى الزفاف ومظاهر السعادة، من ثم همس لها:

-ومن قال لكِ أنكِ غارقة في المصائب، بل أنتِ غارقة في النجاحات والإنجازات يا حبيبتي .

ابتسمت فريدة وقالت بصوت به نبرة ندم:

-عندك حق يا أبسل، الحمد لله على كل حال، ولكنك تدري عندما ينفعل المرء يجحد وينكر كل نعم الله وتسود الدنيا في وجهه و . . .

هنا قطع كلامها ظهور طائر في حجم النسر ذي ريش صبغ باللون الناري وذي رأس عليها عدد من الريش يشبه التاج، كاد أن يرتطم بوجهها ، إلا أن أبسل قام بإزاحتها قليلًا .

نعق الطائر نعيقًا عاليًا ، ومن ثم طار عاليًا في السماء بسرعة خارقة .

التفتت فريدة تجاه أبسل وحاولت أن تلتقط أنفاسها ، وها هو أبسل يحاول تهدئتها بقوله:

-لا تقلقي يا حبيبتي، إنه مجرد طائر .

قاطعته فريدة وهي تضع يدها على صدرها :

-أنا لا أخاف من الطيور، ولكني فزعت من ظهوره هكذا فجأة و . . .

-نحن لم نلاحظه لأننا كنا شاردين في حديثنا و . . .

لم يكمل كلامه وفجأة رأت فريدة أن عين أبسل تنظر لغيرها ، فالتفتت كي ترى على من تقع عينه، وفي نفس اللحظة التي التفتت بها ها هو أبسل يصيح مرحبًا :

-خالد . . . مرحبًا .

كان خالد في الأسفل يتطلع إلى شرفة فريدة بتركيز ويبتسم لهما .

سحبها أبسل من يدها وقال لها بلهفة:

-هيا يا حبيبتي، أظن لا يجب علينا أن نترك الحاضرين هكذا من دوننا في زفافنا .

ها هو خالد كلما رآه أحد الحاضرين بدأ يمزح معه ومع أبسل لكثرة الشبه بينهما .

رقص الجميع وجاءت لحظة الصورة الجماعية لكل الحاضرين، وكان خالد في وسط فريدة وأبسل من الخلف .

***

الفصل الثاني

ساتوريني

ها هي فريدة ترتدي فستانًا أحمر قاتمًا ذا طراز من العصر العثماني، ويزين رقبتها عقد به شكل بومة، ورأسها من حجر الروبي.

ها هي تنام على سرير ضخم ذا أعمدة سوداء، تفتح عينيها فتجد نفسها في غرفة أشبه بغرف القصور القديمة، تحاول أن تقوم من مكانها فتشعر بتعب وألم رهيب يمنعها من القيام، تشعر أن هناك من ثبت ظهرها في السرير فلم تعد قادرة على الحراك أبدًا، ولكن بمجرد ما تنظر لجسدها تجد ما يجعلها تشعر بالذهول...

رأت أن بطنها كبير جدًّا أشبه ببطن الحوامل، أو أنها حامل بالفعل.

حاولت فريدة أن تقوم من مكانها بصعوبة، وبمجرد أن قامت وجلست على طرف السرير بإجهاد، ها هي تسمع صوت تحطم زجاج شرفة غرفتها، وبمجرد ما ترفع رأسها لكي ترى مصدر الصوت تفزع وتهم صارخةً و...

***

ها هي فريدة نائمة تقاوم في نومها ، وتتصاعد أنفاسها وتأن .

أبسل بجوارها نائم، ولكنه يستيقظ على صوتها ويهم بإيقاظها متمتمًا :

-فريدة . . . فريدة حبيبتي .

هنا تفتح له فريدة عينيها بذعر كمن رأى هول الدنيا كلها ، وتشهق كمن تم إنقاذه من الغرق .

همس لها أبسل وهو يفرك عينيه:

-ماذا بكِ يا حبيبتي . . . ؟ هل ما زلتِ تعانين من تلك الكوابيس المزعجة . . . ؟

ها هي فريدة تحاول أن تلتقط أنفاسها وتهم بالجلوس وتتمتم بصوت خافت:

-لا أدري يا أبسل لمَ تلاحقني الكوابيس، إنها تؤرقني جدًّا .

هم أبسل بالوقوف وقال لها بنفاد صبر:

-ماذا سيحدث إن أخذتِ أيًا من المهدئات التي تصفينها للمرضى كي تنعمي ببعض الراحة ؟

داعبت فريدة شعرها محاولة أن تفيق من نعاسها وأردفت:

-أحيانًا الحياة من دون ألم وأرق تجعلنا لا نشعر بقيمة الراحة، يجب أن أعاني يا أبسل، وغير ذلك أحلامي أكيد لها دلالة، ويجب عليّ أن أركز كيف أفهم ما سيجري لي جيدًا .

التفت لها أبسل ووقف تجاهها ومد لها يده وقال لها مبتسمًا برومانسية:

-حسنًا يا عاشقة المعاناة، هل يمكن أن تأتي معي الآن كي نستعد ونبدأ جولتنا ؟ لدينا الكثير من الأماكن لزيارتها .

قامت فريدة بحماسة تناقض فزعتها منذ قليل، وقالت بلهفة وهي تضمه:

-لن نترك مكانًا في جزيرة سانتوريني إلا وسوف نذهب إليه .

أخذها أبسل وهم بها ماشيًا تجاه الحمام وقال لها هامسًا :

-بل سنقوم بزيارة كل معالم اليونان، ولن ينتهي شهر العسل إلا باكتفائك يا عزيزتي .

خرجت فريدة من البيت، وها هي تتنسم الهواء الجميل وهي تغلق عينيها وهي تهمس له:

-آه، إن جو إكروتيري رائع جدًا، أشعر أنه يزيل كل ما بداخلي من تعب وأرق الفترة الماضية .

ضمها أبسل وهو يمشي بجوارها في شوارع إكروتيري المميزة وهمس لها :

-انتظري، إنكِ لم تري شيئًا بعد ، وبما أني أعلم جيدًا أنك تحبين الطبيعة والأماكن الأثرية، فأحببت أن نبدأ رحلتنا بزيارة موقع إكروتيري و . . .

قاطعته فريدة وصاحت بلهفة طفولية وخرجت من حضنه:

-موقع إكروتيري . . . أوه أنه من أهم المعالم السياحية في اليونان بأسرها ، كم أتشوق لأرى ما به من كنوز وآثار تعود للقرن السادس عشر .

سحبها أبسل تجاهه كأنه يسحب طفلته وداعب شعرها وأردف:

-لن أقول لكِ ماذا سنفعل بعد ذلك، خطوة بخطوة وسوف أبهرك يا حبيبتي .

تخاصرا وصارا يمشيان بهيام وشرود في سحر الطبيعة والبيوت المميزة ذات اللون الأبيض والأزرق .

ها قد وصلا الموقع الأثري، وهناك دهشت فريدة وأخذت ترى كل مكان في الموقع بلهفة ونهم كمن هو متعطش لبحر العلم والتاريخ .

وبعد جولة دامت لساعتين، ها هو أبسل يقول لفريدة بحماسة:

–يكفي هذا يا عزيزتي، لا نريد أن نقضي باقي اليوم في ذات المكان، هناك المزيد من الأماكن الآسرة يجب أن نراها سويًا .

نظرت له فريدة بلهفة وحزن وأردفت وهي مبهورة بالمكان:

–ولكن يا أبسل، ألا ترى ما أراه ؟ لم أكن أتوقع قط أن هذا الموقع كان مدفونًا ، وكل هذا الموقع كان تحت أنقاض رماد الحمم البركانية، إلى أن جاء يوم ونجح العلماء في التنقيب وإيجاد هذا الموقع عام 1967 .

أكيد سيأتي يوم ويجد العلماء المدينة المفقودة "مدينة أطلانتس" و . . .

قاطعها أبسل بلهفة وهو يمسك يدها :

–حاضر يا سيادة المؤرخة، هل يمكن أن تنجزي قليلًا ؟ نريد أن نصل إلى قرية كاستيلي من بيرغوس كي لا يفوتنا الغروب من قلعة البندقية . . . !

التمعت عينا فريدة وقالت بلهفة:

–أوه، سنرى الغروب من القلعة، أنت تعلم جيدًا كم أعشق المرتفعات .

قال لها أبسل ضاحكًا :

–سترين ما لم تريه من قبل يا حبيبتي، أعدك .

وبالفعل، لقد وصلا لقلعة البندقية، وهي عبارة عن تحفة من تحف الهندسة المعمارية في العصور الوسطى، وهي موجودة على رأس تل، وكانت في يوم هي المركز الإداري لبيرغوس .

ها هي فريدة على القمة مع أبسل، وترى كل ما يحيط بهما من علٍ وتقول في انبهار :

-إنها تحفة يا أبسل، تحفة حقًا .

هل ترى هذه الجدران المحصنة وتلك الممرات والمتاهات والشوارع الضيقة ؟

ابتسم لها أبسل وجذبها إليه، مالت فريدة برأسها على كتفه في هدوء وقال لها هامسًا وهما بمحاذاة سور القلعة:

-ماذا كنتِ تظنين يا حبيبتي . . . ؟

همهمت فريدة بصوت هادئ شارد في سحر التاريخ والطبيعة:

-لم أكن أظن أني سوف أرى كل هذا الجمال يا أبسل .

جعل أبسل فريدة تنظر له وهو يمسك ذقنها برفق وقال لها بشاعرية:

-يبدو أنه ليس هناك أي جمال في الكون قادر على أن يبهرني بعد ما رأيت جمالك يا فريدة .

ابتسمت له فريدة في خجل، من ثم عادت تميل برأسها على كتفه وشردت في المتاهات التي أمامها وهي تتنفس بهدوء وعمق .

***

ها هي فريدة تمشي في المتاهة وتنظر لكل شيء بتعجب رهيب، ولكن فجأة تشعر أن هناك شيئًا ما ارتطم برأسها من السماء ، ولكن قبل أن ترفع رأسها أو أن تلتفت لكي ترى مصدر ذاك الشيء ، كانت قد فقدت الوعي .

ها هي فريدة تستعيد وعيها وترى نفسها ملقاة أرضًا ، ولكن سرعان ما تتحول نظرة عينيها إلى نظرة ذعر بمجرد أن تدرك ما الذي يجثو على صدرها . . .

طائر ضخم الهيئة ذا ريش ناري تكاد تشعر أنه قد لبد في ريشه النار ، ومنقاره يشبه منقار النسر .

ها هو يهم لكي يهوي على بطنها التي صدمت بكونها كبيرة جدًا أشبه ببطن الحامل .

من ثم حاولت أن تبعده عنها صارخةً ، ولكن الطائر ثبت جسدها بمخالبه، وها هو انقض على بطنها بمنقاره بقوة مما جعلها تعوي من شدة الألم، ولكن في ذات

اللحظة من قوة الطعنة همت بنزع الطائر من فوقها ورمته بعيدًا فارتطم بصخرة مجاورة أفقدته توازنه .

تحاملت على سور بجوارها كي تستطيع الوقوف والهرب .

ها هي تضع يدها على بطنها الذي ينزف بشدة، وكذلك أعلى صدرها ، لقد لطخ فستانها الأبيض بالدم .

ها هي تهرب وتنظر وراءها وتلتفت حولها وتنادي بخوف:

-أبسل، أنقذني يا أبسل .

ولكن لا وجود لأبسل، ولا تدري أين هي؛ أهي في بداية الطريق أم في نهايته . . . !

إنها في متاهة لا أول لها ولا آخر .

فجأة سمعت نعيق الطائر، كان الطائر من شدة وقوة نعيقه كادت فريدة أن تصم، قامت بسد أذنيها بوضع أناملها بهما من بشاعة صوت الطائر الصارخ .

رفعت رأسها للسماء فرأت أن الطائر قد أوشك على أن يهوي عليها ، رسمت على ملامحها أعتى ملامح الذعر وكادت عيناها أن تخرجا من محجريهما .

التفتت مسرعة متجاهلة ألمها ، تهرع في طريقها عسى أن تجد مخرجًا ، ولكنها في مأزق الآن؛ إن الطريق نهايته سور . . . !

ومن ورائها ذاك الطائر الناري . . . !

ازدرت فريدة لعابها بعدما لهثت بشدة بسبب كثرة الجري .

أعطت ظهرها للجدار وهي تنظر للطائر الذي صار يمشي على الأرض تجاهها وجسده يتضخم أكثر وأكثر .

ها هي قدماه تحولتا إلى أقدام أشبه بأقدام بشرية مغطاة بريش أسود فاحم .

ترجع فريدة للوراء ببطء تجاه السور وقد تملكها الذعر بعدما أدركت أن نهايتها محتومة .

ها هو جسد الطائر يزداد ضخامة وتحول لجسد رجل طويل القامة مغطى بذاك الريش الضخم، وما زاد فزع فريدة أكثر عندما فتح جناحيه الضخمين اللذان امتدا على اليمين واليسار فأغلقا الطريق من أمامها وحجبا عنها الرؤية .

هنا استندت فريدة بظهرها على الجدار بعدما شعرت أن قدميها لم تعد قادرة على حملها وقررت الاستسلام لنهايتها .

ولكن فجأة شعرت أن الجدار يتحرك تدريجيًا من ورائها .

ها هو الباب يفتح، ها هي تنظر للباب وهو يفتح وهي جالسة على الأرض غير مستوعبة ما تمر به .

ها هي ترى هيئة رجل تتكون تدريجيًا بمجرد تحرك الباب . . .

تنظر له بدهشة وكأنها تعرفه . . .

إنه يشبه ذاك الرجل الذي رأته في أحلامها ، الذي يرتدي ملابس بيضاء من عصور قديمة وتوجها كملكة له . . .

نظرت له فريدة كمن يستنجد بقشة في عرض البحر .

ها هو ينظر لها ويقترب منها ببطء ، كان يرتدي نفس الملابس ولكنها ذات لونين؛ الأحمر والأسود ، وفجأة بدأت ملامحه تأخذ ملامح الشر . . .

بدأت فريدة بالزحف بجسدها أرضًا للخلف ووجهها له وهي تنظر إليه بذعر اختلط بالفزع والصدمة . . .

ولكن سرعان ما يقطع صدمتها وفزعتها صوت الطائر ، فالتفتت له مذعورة بعدما نسيت أمره لوهلة . . .

صارت عيناها زائغة، إنها محاصرة وليس لها مفر .

ها هو الطائر البشري يتحول سريعًا إلى طائر مثل حجمه منذ قليل، وانقض على بطن فريدة كي ينهشها ، ولكن الرجل ذا الرداء الغريب ذا اللون الأحمر والأسود ها هو يمسك الطائر من عنقه بقوة هائلة ويرميه بقوة فيرتطم في الجدار .

هنا تنظر له فريدة وهي تبكي مذعورة مشتتة لا تدري ماذا يريد منها .

ها هو يقترب منها ، يقترب بهدوء ، وها هي الابتسامة ترسم على وجهه .

وفريدة تزحف بجسدها وهي تنظر إليه وقد ران الرعب على قلبها ، تبكي من دون صوت، مجرد نحيب خافت وكأن نفسها قد أوشك على النفاد من هول الموقف الذي هي به، من ثم وقف بجوارها ونزل تدريجيًا بجوارها بهدوء تام فزاد الخوف في قلب فريدة، وها هو ينظر لها بابتسامة سيكوباتية وهو يمرر يده على شعرها برفق، ويده الأخرى يمررها على بطنها وهو يزيد في ابتسامته إلى أن كشفت عن أسنانه، وهم يقترب من أذنها يهمس لها :

-إنها ليست النهاية بل مجرد بداية يا عجيبة . . .

***

هنا دوت صرخة رهيبة من فريدة .

هنا نظر لها أبسل متعجبًا :

-ماذا بكِ يا حبيبتي . . . ؟ ما الذي أفزعك إلى هذا الحد . . . ؟

هنا رفعت فريدة رأسها ونظرت لأبسل بتعجب وأخذت تنظر حولها وقالت له بعدم استيعاب:

-أين أنا . . . ؟ وماذا حدث . . . ؟

ضحك أبسل وقال لها :

-لم نتحرك من مكاننا يا حبيبتي، ما زلنا نشاهد الغروب سويًا ، وكنت أقول لكِ إن المناظر هنا تعجبك لأنها غير معتادة بل إنها مثلك فريدة وعجيبة، ولكنك صرختِ، لا أدري ماذا رأيتِ كي تفزعي هكذا . . . ؟

نظرت له فريدة بشرود وتمتمت:

-ماذا قلت . . . ؟

قطب أبسل حاجبيه وقال لها غير فاهم:

-لتوي قلت لكِ ما قلتهُ يا فريدة . . . ؟ ماذا بكِ . . . ؟ ! لمَ أنتِ شاردة هكذا . . . ؟

سألته فريدة وهي متعجبة وتنظر للسماء :

-منذ متى ونحن هنا . . . ؟

-فريدة، لقد جئنا هنا لمشاهدة الغروب وأنتِ كنتِ تشاركيني الحديث ولكنك فجأة صرختِ . . .

أمسكت فريدة برأسها وقالت بتعب:

-لا أدري، ولكنيِ أشعر أني رأيت كابوسًا ، لذلك ظننت أن الوقت قد مر .

أخذ أبسل يهدئها ويمسح على شعرها وقال لها هامسًا :

-حسنًا ، ما رأيك في تناول كوب قهوة لكي . . .

لم يكمل كلامه لأن فريدة قاطعته بلهجة متعبة:

-لا يا أبسل، أفضل العودة للبيت .

قطب أبسل حاجبيه ولكن سرعان ما تفهم وضعها وقال لها بتنهد :

-لكِ ما تشائين يا حبيبتي .

وصلا كل من أبسل وفريدة بيتهما ، ها هو أبسل يمسك يد فريدة، ولكن فريدة تترك يده وهما عند باب البيت وتمشي بعدم اتزان بعض الشيء وتمسك رأسها .

ينظر لها أبسل متعجبًا قلقًا وينادي عليها بصوت قلق:

-ريدا ، حبيبتي، إلى أين أنتِ ذاهبةً . . . ؟ !

تقف فريدة أمام الدرج وتلتفت له بوهن:

-أنا متعبة يا أبسل صدقني، أريد أن أصعد للغرفة كي أنام .

يهم أبسل بالمشي تجاهها وينظر لها برومانسية اختلطت بالحزن وتمتم:

-ألن نجلس سويًا يا حبيبتي ونتحدث إلى أن تصيري بخير من ثم نكمل سهرتنا بالخارج.

قاطعته فريدة بصوت منهك وهي تهم بصعود الدرج:

-آسفة يا أبسل، سوف أستريّح الليلة ونكمل في الغد .

يهم أبسل بالصعود وراءها ويمسك يدها ويهمس لها برومانسية:

-ولكني جهزت لكِ مفاجأة متأكد أنها ستع . . .

لم يكمل كلامه لأن فريدة قاطعته بنفاد صبر وتعب:

-قلت لك متعبة، متعبة يا أبسل، ألا تفهم . . . ! ؟

ظل أبسل مكانه لا يحرك ساكنًا مصدومًا من ردة فعل فريدة وتركها إياه من دون أن تنظر له حتى أو أن تقدم اعتذارًا عما بدر منها .

ها هي فريدة تقوم بفك شعرها المرفوع لأعلى وتخلع حذاءها بتعب هنا وهناك مثل معظم الرجال، وتلقي بجسدها على السرير من كثرة التعب من دون أن تبدل ملابسها حتى، وسرعان ما غاصت في نوم عميق، عميق جدًا بسبب كثرة الإجهاد العقلي لا الجسدي .

بعد قليل، ها هي تفيق من نومها بعدما شعرت أن أبسل جاء لكي ينام .

كانت نائمة على جنبها الأيمن، من ثم سمعت صوت أبسل يهمس لها :

-آسف يا حبيبتي لأني لم أقدر تعبكِ، أرجو أن . . .

قاطعته فريدة بصوت ناعس خالطه الندم:

-سامحني أنت يا حبيبي عما صدر مني، أعلم أنك ترغب في إسعادي ولكن لا أدري ما بي صدقني، أرجوك سامحني .

بدأت تشعر باقتراب أبسل منها وهو يكمل كلامه هامسًا :

-لم أحزن مما صدر منكِ كي أسامحك، أنا أحبك يا حبيبتي، ولا يوجد سبب للاعتذار بين الأحبة.

حاولت فريدة الابتعاد عنه وقالت:

-أبسل، أرجوك، يكفي كلام اليوم فلننم...

ولكن أبسل أصر على الاقتراب منها، فانفعلت فريدة من تصرفه وقررت أن تغير اتجاه نومها كي تنظر له وتمنعه بحزم، ولكن بمجرد ما نظرت إليه وجدت أبسل يضحك لها ضحكة شريرة، وعلى عنقه تلك العلامة، علامة الشعلة؛ كانت العلامة تضيء في وسط الإضاءة الخافتة.

هنا صرخت فريدة بعدما أدركت من هو:

-ابتعد عني، ابتعد عني يا جواد، ابتعد...

ولكنه استمر فيما بدأ فيه وهي ما بيدها حيلة سوى المقاومة والصراخ.

-فريدة، فريدة، استيقظي يا فريدة.

ها هي فريدة تستيقظ وتقوم من شدة فزعتها بعدما رأته بجوارها.

أبسل ينظر لها بتعجب وهو يحاول أن يضع يده عليها كي يهدئ من روعها:

-ماذا بكِ و . . .

لم يكمل كلامه لأن فريدة قامت بصفع يده بقوة وهي تبتعد عنه وتنظر له بقلق وذعر وأردفت:

-ابتعد عني، أنت جواد، لقد كشفت حقيقتك.

شعر أبسل بضجر وقال لها غير فاهم ما تقصده:

-من هو جواد . . . ؟

ها هي فريدة تقوم من مكانها وتقف وتبتعد عنه وتقول له بجزم:

-لم أصدق رؤياي تجاهك، ولكن تعددت الرؤى التي تثبت لي أنك جواد وعِدتَ لكي تنتقم مني.

رفع أبسل حاجبيه غير مستوعب كلامها وقام من مكانه ووقف أمامها كي يواجهها ويسألها:

-جواد من . . . ؟ أنا لا أفهم عمن تتحدثين . . . ! ولماذا أنتقم منكِ . . . ؟

تبتعد عنه فريدة كي لا يقترب منها أكثر من ذلك وتقول بغضب:

-يكفي تمثيل عليّ يا أبسل، أحب أن أقول لك إنك نجحت في خداعي.

ها هو أبسل يتبعها ويمسكها من ذراعها بقوة كي تلتفت إليه وأردف:

-يبدو أنكِ جننتِ من كثرة المجانين الذين تتعاملين معهم .

أزاحت فريدة يده بقوة وقالت له بكره:

-لا تنسَ أنك كنت واحدًا منهم يومًا ما .

ها هي فريدة تهم بالخروج من الغرفة متأهبة لترك البيت، ولكن أبسل يتبعها وقال لها بصوت عالٍ:

-إن كنت أرغب في الانتقام منكِ، لَما أنتقم منكِ منذ البداية، ولِمَ جعلت علاقتنا تصير وطيدة هكذا وتزوجنا . . . ! ؟

ها هي فريدة تقف عند بداية الدرج تحاول أن تستوعب كلامه، من ثم عم الصمت للحظة، من ثم التفتت فريدة له ونظرت له نظرة ريب وندم في ذات اللحظة بعدما رأت الحزن قد خيم عليه، من ثم أمسكت رأسها وقالت بندم وهي تهم بالاقتراب منه:

-لا أدري يا أبسل ما يحدث لي، أنا مشتتة جدًا بسبب تلك الكوابيس التي أراها .

اقترب منها بدوره وأمسك يدها وهمس لها بتعب:

-دعكِ من الأحلام وأرجوكِ دعينا نعيش الواقع .

نظرت له فريدة نظرة ندم وطأطأت رأسها أرضاً ، فرفع رأسها وابتسم لها هامسًا :

-واقعنا الجميل الذي حلمنا به وخططنا له يا فريدة، أرجوكِ لا تدعي شيئًا يفرقنا عن بعض أبدًا مهما كان، لا شيء في الحلم ولا في الحقيقة سوف يبعدنا عن بعضنا ، أنتِ لي وأنا لكِ .

نظرت له فريدة وابتسمت له ابتسامة يشوبها القلق .

***

ها هي فريدة تعوم هي وأبسل ويتسابقان من هو أسرع من الآخر ، ها هما يضحكان، يرشان على بعضهما المياه، من ثم همست له فريدة:

-دعنا نخرج من المياه قليلاً ، دعنا نتمدد على رمال الشاطئ الحمراء .

-أنتِ تطلبين وأنا أنفذ ما ترغبين به فقط يا فريدتي .

ها هي فريدة ملقاة بجوار أبسل على الرمال الحمراء بسبب الصخور البركانية التي اكتسبت اللون الأحمر مما جعلها فريدة ومميزة في مظهرها .

رمال الشاطئ والصخور المحيطة به ليس لها مثيل أبدًا، فسبحانه الخالق الذي أبدع.

ها هي فريدة وأبسل مسترخيان على الرمال الدافئة سارحان في جمال الشاطئ الأحمر الذي اختلطت زرقة مياهه بحمرة رماله.

ها هي فريدة بدأت عيناها تنعسان قليلًا، فنظر لها أبسل وقال لها بلهفة:

-هاي فريدة حبيبتي، أرجوكِ لا تنامي، صرت أخاف من نومك صراحةً.

فتحت فريدة عينيها وقالت بصوت مرهق بعض الشيء مع ابتسامة على وجهها:

-لا تقلق يا عزيزي، قلت لك إن ما حدث بسبب تعب متراكم، ولكن دفء الجو جعل جسدي يسترخي تمامًا، كدت أنام.

أمسك يدها وهو يهم بالنهوض وقام بسحبها وأردف بلهفة ضاحكًا:

-لن نقضي العطلة كلها نوم، هيا معي، لَمصرتِ كسولة هكذا؟ أين فريدة متسلقة الجبال وصاحبة المغامرات؟ ألا تكوني صرتِ عجوزاً...؟!

قامت فريدة من على الرمال من ثم تركت يده وهي تضحك وبدأت تزيل الرمال عن جسدها وقالت ساخرة:

-عجوز . . . ! ؟ آه يا أبسل، ما مررت به يشيب الشعر، لذا يبدو أني صرت عجوزاً .

هم أبسل بضمها وبدآ يمشيان تجاه مطعم مجاور للشاطئ وقال لها :

-أنتِ لستِ عجوزاً يا فريدة، وحتى لو صرتِ عجوزاً فسأظل أحبك إلى الأبد .

نظرت له فريدة مبتسمة وهي ترفع حاجبيها غير مصدقة، فتوتر أبسل وضحك وأردف:

-أقسم لكِ، أنا لا أمزح، هذه الحقيقة، وفكرة رغبتك في النوم أنا أعرف السبب، كل هذا لأني أيقظتكِ باكرًا لكي نبدأ يومنا المليء بالمغامرات .

-حسنًا ، أصدقك يا سيادة الرومانسي، هل يمكن أن نأكل الآن ؟ أنا أتضور جوعًا .

وقف أبسل ونظر لها متعجبًا :

-أتعجب لمَ البحر يجعل المرء يجوع هكذا . . . ؟ ! ولكن الذي يجعلني أتعجب أكثر هو لمَ أنا لا أجوع مثل باقي البشر . . . ؟

تنظر فريدة في حيرة وقلق وتقول له:

-لمَ . . . ؟ !

يبتسم لها ويقول:

-لأنكِ بجواري يا فريدة، وما دمتِ أنتِ معي فأنا لا أحتج شيئًا .

هنا فريدة تضربه على صدره وتنفخ في ضجر مصطنع وتبتسم وهي تهم بالمشي وتقول بصوت عالٍ:

-حسنًا ، سأذهب لكي آكل أنا ، ولا أريد أن أراك تأكل شيئًا واحدًا .

هنا يلحق بها ضاحكًا ويمسك بذراعها ويوقفها ويردف لها مبتسمًا :

-ليس إلى هذه الدرجة يا فريدة . . .

هنا ترفع فريدة حاجبها وهي تبتسم وتكمل سيرها وهو بجوارها وتهمهم:

-هذا من أجل أن تتأكد أنك كاذب كبير .

يبتسم لها ويردف:

-لست بكاذب يا حبيبتي، ولكني أحب أن أعبّر عن حبي لكِ بهذه الطريقة .

-حسنًا يا مبالغ .

ضمها وأردف:

-قولي عني مبالغ ولكن لا تقولي أبدًا أني كاذب.

ها هما فريدة وأبسل يتناولان طعامهما في مطعم راقٍ جدًّا يسيطر عليه اللون الأبيض مع القليل من الأزرق القاتم، مما يجعل الراحة تستعمر الروح وتقضي على ما بها من آلام.

***

ها هما يضحكان، ها هما يمشيان سويًا على الشاطئ، من ثم جلسا كي يشربا مشروبًا باردًا كي ينعشهما قليلًا وهما شاردان في جمال البحر المتلألئ بسبب أشعة الشمس المنعكسة.

ها هو أبسل ينظر لفريدة ويبتسم وهو يغمز لها من ثم ينظر للصخور العالية، من ثم تنظر فريدة للجبل وتعود بنظرها مرة أخرى له وتبتسم متسائلة:

-أتقصد أن. . . ! ؟

هنا قام أبسل بلهفة وسحبها وابتسم وقال:

-بالفعل. . . والآن.

هنا صرخت فريدة ضاحكةً وقالت:

-أشعر أني مثل دمية الماريونيت التي تتحرك بواسطة أحد يتحكم بخيوطها ، كفّ عن سحبي يا أبسل .

تركها تزيل الرمال التي علقت في جسدها وبدأ يهرول وهو يهتف لها ويؤشر لها كي تسرع:

-هيا أيتها الكسولة، فلنبدأ بالتسلق .

ها هي فريدة تهرع نحوه وهي ما زالت تحرك يدها على جسدها كي تزيل ما تبقى من الرمال وهي تبتسم بلهفتها المعتادة .

ها هما يتسلقان الجبل الذي اختلط لون صخوره بين الأحمر والأسود إلى أن وصلا قمة الجبل وجلسا كي يستريحا قليلًا ويتأملا المنظر من علٍ .

ها هي فريدة تميل رأسها على كتف أبسل وهما شاردان في الجمال الذي يحيط بهما من كل اتجاه .

بعد قليل من التأمل، ها هي فريدة تنظر لأبسل وتبتسم، من ثم تغمز له وتنظر للبحر .

هنا ابتسم لها أبسل، من ثم ضحك وقال:

-يبدو أن حبيبتي المجنونة قد عادت من جديد .

ها هي فريدة تهم بحماس من مكانها وتصرخ فرحة وتهم بالقفز من علٍ .

هنا يقف أبسل بعدها وينظر لها بعدما رفعت رأسها فوق سطح المياه ونظرت له وابتسمت .

هنا ضحك لها وأردف وهو يهم بالقفز:

-أنا أحب مجنونة، أحبك يا فريدة .

من ثم صار معها في المياه وعادا لضحكهما سويًا ، ومن كثرة الضحك تعبا إلى أن عم الهدوء وبدءا يرخيان جسديهما على سطح البحر وهما يمسكان أيديهما وأغلقا عينيهما كي يتجنبا أشعة الشمس .

همس لها أبسل برومانسية وبصوت يتخلله الراحة والفرحة الكامنة في أعماق قلبه:

-فريدة، أنا محظوظ لأنكِ في حياتي، لم أكُ لأشعر بكل هذه السعادة إن لم تكوني أنتِ معي .

قالت له فريدة بصوت خافت:

-وأنا أشعر براحة وسعادة معك ليس لهما مثيل .

من ثم عاد الصمت من جديد ، ولكن سرعان ما شعرت فريدة أن هناك شيئًا ما يدغدغ قدمها ، فقالت ضاحكة وهي مغلقة العينين:

-أبسل، توقف عن دغدغتي، أنت تعلم جيدًا أني لا أحب هذا .

تعالت ضحكات فريدة بسبب أن الدغدغة ما زالت مستمرة، فقالت فريدة صارخة من شدة الضحك:

-أرجوك يا أبسل، توقف أ . . .

لم تكمل كلامها بمجرد أن فتحت عينيها ، فنظرت بتعجب وغاب عنها الضحك وخيم عليها القلق والتوتر بعدما أدركت أن أبسل ليس بجوارها .

من ثم بدأت تتكلم بصوت أكثر حزمًا :

-أبسل، أخرج من تحت المياه، لا يتطلب المزاح أن تجلس كل هذه المدة تحت المياه من أجل مقلب .

ولكن لا رد ، والدغدغة توقفت بمجرد ما فتحت عينيها .

بدأت تشعر بالقلق لأنها لم ترَ أبسل، قررت أن تقوم بالغطس كي تطمئن عليه .

ها هي تغطس وتنظر في عمق البحر ولكن لا وجود لأبسل .

ها هي فريدة تلتفت في كل الاتجاهات عسى أن تجد أبسل، تنظر بعين يسيطر عليها القلق، ولكن سرعان ما تتحول نظرة القلق إلى طمأنينة بمجرد ما نظرت جيدًا في القاع ووجدت طحالب بحرية فعرفت أنها السبب في دغدغتها؛ لأنها غطست هي وأبسل في مكان بعيد عن الشاطئ الذي يملأ قاعه الحصى والرمال الحمراء .

ولكن عادت من جديد للقلق وتمتمت بداخل نفسها وهي تهم بالصعود لسطح البحر كي تتنفس:

-ولكن أين أبسل . . . ؟ !

ولكن قبل أن تصل للسطح، ها هي تشعر أن هناك شيئًا قد أمسك بقدمها .

ها هي تحاول أن تخرج أنفها فوق سطح البحر كي تتنفس وهي تقوم بجذب قدمها بكامل قوتها ولكن بلا جدوى.

أدركت أن الطحالب هي التي تشابكت برجلها ، ولكنها تحاول أن تفك هذا التشابك ولكن لم تستطع .

بدأت الحيرة تسيطر عليها : كيف لنباتات بحرية أن تكون بكل هذه القوة ؟ فقررت الغطس من جديد كي تفك هذا التشابك بيدها ، ولكن بمجرد ما نظرت للأعماق

صعقت من هول الصدمة وصارت تصرخ صرخات مكتومة تحت المياه، مما صدر عن هذا الكثير من الفقاقيع المحملة بصرخاتها .

رأت أبسل يمسك رجلها ويسحبها لأسفل .

كان أبسل ذا بشرة رمادية أشبه بالأموات، كان نصف جسده مدفوناً تحت قاع البحر ونصفه العلوي فوق القاع، ويمد يده بكامل قواه كي تنجذب إليه وهو يضحك ضحكة هستيرية مما برزت عنها أسنانه الصفراء الحادة .

ها هي فريدة تقوم ولكنها تنجذب نحوه أكثر وأكثر، وكلما تقترب أكثر للقاع يختفي جزء من جسد أبسل تحت قاع البحر .

ها هي فريدة تحاول أن تركل رأسه بقدمها كي يفلت قبضته ولكن بلا جدوى، ها هو جسد أبسل اختفى تحت القاع، وها هي قدم فريدة لامست رمال القاع وما زالت قبضة أبسل تسحبها من أسفل رمال القاع، وكأن رمال هذا القاع رمال متحركة تسحب من يلمسها .

فريدة تصرخ لأنها أدركت أنها ستموت في كلا الحالتين، سواء مدفونة تحت قاع البحر أو بسبب عدم تنفسها .

ها هي فريدة أوشكت على فقدان وعيها ولكنها ما زالت تقاوم بوهن، ولكن فجأة رأت من علٍ يدًا تمتد لها ولحقت هذه اليد جسد يغطس لها، ولكن فريدة أغمضت عينيها . . .

ها هي فريدة تخرج لسطح البحر وهي في حضن أبسل .

أبسل قلق عليها ويحاول إفاقتها، يضرب خديها وينادي عليها بخوف:

–حبيبتي، فريدة، أرجوكِ ردي عليّ .

ولكن لا يوجد رد، بدأ القلق يسيطر عليه وبدأ في البكاء، ومن ثم حاول أن يقوم بعمل تنفس صناعي لها، ومن ثم تمتم باكيًا مثل الطفل التائه الذي لا يدري كيف يعود لأمه من جديد :

–أرجوكِ يا حبيبتي، ردي، لا أستطيع أن أراكِ هكذا .

فريدة . . . أرجوكِ يا فريدة، أرجوكِ . . .

ها هو يصرخ باكيًا كي يلاحظه أحد :

–النجدة، ساعدوني، أرجوكم، معي حالة غرق هنا، النجدة . . .

ولكن سرعان ما قطع صراخه وعاد لكي يقوم بعمل تنفس صناعي لفريدة، وسرعان ما سمع صوت سعالها .

هنا توقف عن البكاء وبدأت الطمأنينة تجتاح ملامح وجهه .

ها هي فريدة تسعل بقوة وتفتح عينيها بوهن غير مدركة ما يحدث، ولكن بمجرد أن أدركت وفتحت عينيها جيدًا، أزالت يد أبسل من حولها وابتعدت عنه قلقة ونظرت له نظرة كره .

من ثم نظر لها بقلق وهو يقترب منها، وقبل أن ينبس ببنت شفة أوقفته صارخةً:

-ابتعَد عني . . . لا تقترب مني نهائيًا، أتفهم . . . ؟

من ثم شرعت في السباحة، اتبعها أبسل إلى أن وصل إليها وأمسك يدها ولكنها أزاحت يده بقوة وكره إلى أن وصلت للشاطئ .

اتبعها غير فاهم ينادي عليها :

-فريدة، لِمَ تعاميلني هكذا . . . ؟ فريدة، ردي عليّ، أنا أتحدث معكِ . . . !

ها هي فريدة تمشي بسرعة ولكنه أوقفها صارخًا بها بغضب وهو يوقفها :

-قلت لكِ ردي عليّ .

هنا نظرت له فريدة بكره وقالت بابتسامة متهكمة:

-ها قد بدأ يظهر وجهك الحقيقي . . .

لم تكمل كلامها لأن أبسل استشاط غضبًا وقال لها:

-أي وجه تتحدثين عنه . . . ! أنا قمت بإنقاذكِ وفي النهاية لا تريدين أن تردي عليّ حتى و . . .

قاطعته فريدة بغضب خالطه التهكم وهي تهم بالتحرك:

-آه، تقوم بإنقاذي بعدما أغرقتني . . .

صار أبسل يمشي بجوارها ويجاري سرعتها وينظر لها بنفاد صبر:

-ولِمَ أنقذك ما دمت أريد أن أغرقك . . . ؟ !

لم تنظر له فريدة وقالت له بضجر:

-اسأل نفسك .

من ثم زادت من سرعتها ، وأبسل لم يتبعها ولكن قال لها بصوت عالٍ سيطر عليه الغضب:

-أنتِ مجنونة يا فريدة، مجنونة مثل مرضاكِ يا مريضة .

عادت فريدة إلى بيتها ، صعدت وتحممت كي يسترخي جسدها ويرتاح عقلها بنزول قطرات الماء على رأسها ، ذلك الماء أشبه بحبات المطر المنهمر الذي يقوم بإزالة الطبقة الخارجية من الصخور وتركها لامعة مصقولة، فالماء الآن قادر على إزالة طبقة الإجهاد والتعب والحزن الذي قد ران على عقلها .

ها هي انتهت من حمامها الدافئ ولم ترتد سوى روب التجفيف وقامت لَفّ شعرها بمنشفة .

تمتمت في قرارة نفسها أن تقوم بتجفيف شعرها وهي أمام مرآتها ولكن بمجرد أن قامت بنزع المنشفة من على رأسها شعرت أن ما تبقى من قواها التي ادخرتها قامت باستخدامها في نزع المنشفة عن رأسها ، لذا قررت أن تتحامل على نفسها وتسحب أقدامها إلى أن تصل للسرير ونامت ملقاة مثل القتيل بروب التجفيف وغاصت في ذات اللحظة في نوم عميق .

إن هذا هو حال أي أحد بعد يوم من السباحة، فما بالك هي التي مرت بموقف مفزع قد أوشك على نزع روحها من جسدها .

مر وقت وما زالت فريدة مثل ما هي لم تغير وضع نومها حتى، ما زالت نائمة على بطنها فاتحة أحد ذراعيها كأنها تعانق السرير كي تكسب منه بعض الدفء والحنو والطمأنينة.

واليد الأخرى بجانبها، أقسم أنها سوف تقوم متألمة وجسدها متكسر من هذه النومة التي تشبه نومة سكان الفضاء لا نومة بني آدم.

أترون معي ملامح وجه فريدة بدأت تتغير، ها هي تحرك أنفها كأنها تشم شيئًا، ولكن من ملامحها يبدو أنها ليست رائحة جميلة، ها هي فريدة تفتح عينيها وتحاول أن تقوم وتجلس على السرير وظهرها لنا، تحاول أن تحرك رأسها من اليمين موضع نومها إلى الأمام، ولكنها حركت رأسها بألم رهيب بسبب ثباتها على نفس الوضع.

التفتت وهي تشم كي تعرف سبب هذه الرائحة، ولكن بمجرد أن التفتت صدمت، بل صرخت وأخذت وسادتها وهرعت سريعًا تجاه الأريكة الموجودة بجوار الجدار، كانت هذه الرائحة رائحة حريق، ولكنه لم يكن حريقًا عاديًا، بل كان أبسل هو الذي يحترق، وبالأخص شعره، ها هي فريدة في ثانية كانت أمامه

ووضعت الوسادة على رأسه كي تطفئ النار التي نشبت في شعره، وهي تنفخ في الشمعة المجاورة لأبسل .

ولكن في ذات اللحظة شعرت أن يد أبسل تدفعها ، وبسبب هذه الدفعة لم تكن فريدة تحسب حسابها فسقطت، فجأة رأت أبسل أمامها يقف وكل ملامح الغضب سيطرت على وجهه برغم أن إضاءة الغرفة ضعيفة لا يوجد بها سوى شمعة واحدة، قطع شرودها في ملامح أبسل الغاضبة صوت أبسل الذي صاح بحزم:

-هل فقدتِ عقلك يا فريدة، كثرت اتهاماتك ولم أعتب عليكِ، قلت أنكِ مضغوطة متوترة أو أي جنان من جنان البنات ذا ، ولكن يصل جنونكِ أن تخنقيني وأنا نائم . . . !

هنا حركت فريدة جسدها فسندت ظهرها على السرير من ثم نظرت لأبسل غير مصدقة وأردفت:

-أقسم لك إن شعرك كان يحترق وأنا أردت أن أساعدك .

أمسك أبسل بشعره وقد جن جنونه وقال بنفاد صبر:

-هل هذا شعر محترق ها ، كيف جاء في بالك أن يحترق شعري ولا أشعر به، قولي لي كيف . . . ؟ !

تنفست فريدة الصعداء ونظرت للأرض وقالت بنفاد صبر:

-لا أدري، كل ما أعلمه أن نومك ثقيل، وفي كل الحالات كانت نيتي خيرًا أن أساعدك .

هنا تنفس أبسل بعمق كي يهدأ وازدرد ريقه واقترب من فريدة وها هو يهم بالجلوس بجوارها ، وبمجرد ما لمس يد فريدة، أبعدت فريدة يده عنها وهمت تجاه الشرفة وقالت بصوت مشتت:

-أرجوك يا أبسل، دعني بمفردي قليلًا .

هم أبسل وراءها قبل أن تدخل الشرفة:

-ولكن . . .

بتر عبارته لأن فريدة أغلقت زجاج الشرفة .

وقفت فريدة في الشرفة شاردة في جمال المباني المضيئة من علٍ لأن بيتها على حافة تل، ولكن عينها فقط الشاردة فيما حولها ولكن عقلها شارد فيما يحدث لها .

ها هي تقول في قرارة نفسها :

-ترى ماذا يحدث لي . . . ! هل حقًا أنا فقدت صوابي وصار يخيل لي . . . !

ممكن ولِمَ لا . . . !

دكتور جون حذرني كثيرًا من استخدام جهاز السفر عبر الزمن، ولكني لم أصدق تحذيره، أكيد ما يحدث معي بسبب إرهاقي الشديد لخلايا عقلي السنين الماضية و . . .

فجأة قطع كلامها صوت فتح زجاج الشرفة، التفتت مفزوعة ولكن سرعان ما هدأت بمجرد ما سمعت صوت أبسل وهو يهمس لها :

-سامحيني يا حبيبتي لأني غضبت عليكِ، أدري أنه يجب عليّ أن أقف بجانبك في أصعب حالاتك وألا تكون ردة فعلي هكذا .

طأطئت فريدة رأسها أرضًا وتنهدت قائلة:

-سامحني أنت يا أبسل، لا أدري ما يحدث لي صدقني .

ابتسم لها أبسل وهو يلمس خدها بحنو وأردف:

-لا تقلقي يا عزيزتي كل ما في الأمر أنكِ يجب أن ترتاحي قليلًا وبعد شهر العسل نسافر سويًا للندن وتتابعي مع إيفانا عسى أن نجد حلًا لحالتك تلك .

-ولكني طبيبة نفسية وأعرف حالتي جيدًا .

-وكذلك إيفانا طبيبة نفسية وصديقتك، حتى الطبيب يحتاج لطبيب مثله كي يعالجه ليست بمشكلة .

التفتت له فريدة وسألته:

-هل تظن أني مجنونة . . . ؟

أردف مبتسمًا وهو يقترب منها أكثر:

-لستِ مجنونة يا حبيبتي . . .

ولكن سرعان ما تحولت ابتسامته الرومانسية إلى ابتسامة شر وهم بدفع فريدة من على سور شرفة البيت وقال ساخرًا:

-ولكني سأدفعكِ للجنون .

***

ها هي فريدة تسقط من على سريرها أرضاً ، فيستيقظ أبسل على صوت سقطتها ، فيهرع إليها فزعًا ، وأردف ملهوفاً وهو يقترب إليها :

-فريدة هل أنتِ بخير . . . ؟

مد لها يده ولكنها سندت ظهرها للكومود المجاور للسرير ونظرت له نظرة ريبة ولم تنبس ببنت شفة ولم تأخذ بيده، نظر لها بحيرة بسبب صمتها وأردف:

-فريدة حبيبتي، ردي عليّ . . . ! هل أنتِ بخير . . . ؟ !

شعر أبسل أن فريدة في حالة صدمة فهرع إلى المطبخ كي يحضر شيئاً لها كي تشربه .

ظلت فريدة مكانها تتكلم في قرارة نفسها متعجبة من حالها :

-يمكن ما قاله لي أبسل صحيح، يبدو أن عليّ أن أقابل إيفانا ولنرى ما هو الجديد في حالتي، حتى الطبيب النفسي يحتاج إلى من يفضفض إليه، قد تكون تلك الكوابيس بسبب ضغوطات على عقلي، وعقلي يفرغ هذه الضغوطات على هيئة كوابيس، ولكن تلك الكوابيس قد أهلكتني، أظن أن الفضفضة لن تأكل من روحي هكذا وسوف تريح عقلي بالتأكيد ، يبدو أن أبسل على حق .

ها هو أبسل في المطبخ يعطينا ظهره ويحضر عصيرًا بلهفة وسرعة كي يرجع من جديد لحبيبته، ولكن بمجرد ما التفت فزع، ورسمت على وجهه ملامح الذعر فثبت مكانه لم يحرك ساكنًا .

كانت فريدة أمامه تنظر له بريبة وشك وكره، وفجأة قطع صوتها الصمت الذي حل للحظة:

-ما الذي وضعته لي في العصير . . . ؟

ازدرد أبسل لعابه الذي كاد أن يجف من حلقه وأردف مترددًا :

-أنا ، أنا لم أضع شيئًا .

اقتربت منه فريدة وهي تهم بوضع يدها في جيبه ولكنه منعها وقال لها بحزم:

-قلت لكِ لم أضع شيئًا ، كفي عن جنانك ذا .

استمرت فريدة فيما تسعى إليه وهتفت تحاول وضع يدها في جيبه وهي تقول:

-إذا كنت أنا مجنونة دعني أتأكد من ذلك .

وبالفعل استسلم لها بنفاد صبر وأسى . . .

وهنا كانت الصدمة . . .

لقد وجدت فريدة علبة بيضاء لا تحوي أي اسم وكان بها حبوب، ها هي ترفعها أمام عينيه وكأنها قد وجدت دليل إدانته، وأردفت بحزم وكره:

-ما هذا . . . ؟ قل لي . . . ! صارحني ما هذا . . . ؟ !

أبسل لم ينبس ببنت شفة، ولكن فريدة قامت برمي العلبة على صدره وتركت له المطبخ وهي تهم تجاه غرفتها وهي تقول بصوت عالٍ وغضب:

-كنت أعلم جيدًا أن أحلامي لها أساس ولها معنى ودليل، ولكني لم أنتبه لتحذيرات الأحلام منك .

صرخ بها أبسل وهو يلحقها ووقف أمام باب الغرفة:

-أنتِ مجنونة وتتبعين سبيل الوهم والتخاريف، وهذه الحبوب يا دكتورة فريدة هي حبوب لكي تقلل من الأرق الذي ينتابك هذه الفترة .

ولكن فريدة لم ترد على كلامه وكل ما تفعله أنها تجهز حقيبتها بمنتهى الحزم، ولكن أبسل لم يكترث وكان كل همه أن يوضح موقفه كي يرتاح ضميره:

-بالأمس بعدما تركتني على الشاطئ قررت أن أذهب لطبيب نفسي كي استشيره في حالتك ويكتب لي اسم مهدئ إلى أن ينتهي شهر العسل وتتابعي بنفسك مع طبيب تثقي به .

توقفت فريدة ونظرت له بكره وكأنها لم تحبه في يوم من الأيام، وقالت له وهي تضغط على أسنانها :

-توقف قليلًا عن الكذب، كلامك ذا لن . . .

قاطعها بحزم وهو يقترب منها ويمسك ذراعها كي تنظر له مرة أخرى بعدما انكبت تنظر لحقيبتها وتهم بغلقها ، سحبها بعنف فتحرك شعرها الأسود الحريري على وجهها وقال لها بغضب خالطه الثقة:

-أنا لست بكاذب يا فريدة، أنا أحبك ولكن يبدو أنكِ لم تحبِني ومع أول موقف ويا ليته موقف أنه مجرد شك ها أنتِ ترغبين في هجري .

أزاحت فريدة يده بقوة وأخذت حقيبتها من على سريرها وقامت بسحبها وأعطته ظهرها وقالت بغضب:

-أهجرك لأنك كاذب ومخادع وأنا لا أحب الكاذبين أمثالك .

هتف بها بثقة ونفاد صبر وهو يتبعها وهي تغادر البيت:

-إن كنتِ ترغبين في التأكد من صدق كلامي خذي الحبوب وسوف تتأكدي أنها مجرد مهدئات ولكني استبدلت العلبة كي لا تتعرفين عليها ، وكان لدي أمل أن بانتهاء شهر العسل واستمرارك على هذه المهدئات تكوني بخير و . . .

قطع كلامه صوت ارتطام الباب .

***

الفصل الثالث

العيادة

ها هي وتين تسمع صوت بوابة فيلتها أي أن هناك من دخل، ها هي تلمس سلسلتها ذات الحجر الأزرق فينبثق منه شاشة تختار منه خيار الكاميرات، فيظهر كل أرجاء الفيلا، وهنا تندهش عندما ترى بنتها فريدة في بهو الفيلا، فتهرع خارج غرفتها بلهفة كي تقابلها .

ها هي وتين تقف على الدرج أمام بنتها ، فتقف فريدة أمام أمها وسرعان ما تشيح نظرها عن أمها محاولة الهرب، ولكن وتين تنزل درجتين لكي تقترب من فريدة ولكن سرعان ما تحولت لهفتها إلى قلق وريبة، لم تمنع فضولها من السيطرة عليها فسألتها :

-فريدة . . . ؟ بنيتي . . . ! هل أنتِ بخير . . . ؟ !

أشارت فريدة للروبوت كي يستمر في الصعود كي يضع حقيبتها في غرفتها ، من ثم تنهدت وتمالكت أعصابها وقالت لأمها وهي تهم بالصعود :

-ها أنا أمامك يا أمي وهذا يعني أني بخير .

نظرت لها وتين ووضعت يدها على كتفها كي تمنعها من الصعود وقالت لها بتعجب:

-أمي . . . ؟ أنتِ لا تقولين لي يا أمي إلا نادرًا . . . قولي لي يا بنيتي ما الذي حدث . . . ! وأين أبسل . . . !

نظرت لها فريدة بنفاد صبر من ثم تنهدت وقالت وهي تهم بالصعود متجهة لغرفتها :

-يكفي أرجوكِ . . . ؟ إلى متى ستظلين هكذا . . . ؟ لمَ أنتِ مصرّة على إقحام أنفك في حياتي . . . ؟

ظلت وتين ثابتة في مكانها مصدومة من ردة فعل بنتها ، وشعرت للحظة أن لسانها قد انعقد وبمجرد ما سمعت صوت باب غرفة بنتها عندما قامت بغلقه بقوة اهتز جسد وتين النحيل من قوة الصدمة، وكان هذا الصوت قادرًا على أن يحل عقدة لسانها ويفيقها من صدمتها فأردفت وهي تهم تجاه باب فريدة:

-أقحم أنفي في حياتكِ لأنها حياتي، أنتِ أنا يا فريدة، وفي يوم ستكونين أمًا وسوف تشعرين بما أشعر به .

لم تتلق إجابة من فريدة، شعرت وتين بألم في قلبها من الحزن الذي أصابها، وضعت يدها على قلبها، وجرت قدمها تجاه غرفتها كي تهدأ قليلًا .

فريدة في غرفتها تجلس أمام مرآتها، تنظر لملامحها بعدم استيعاب من ثم تحولت نظرتها لذاتها لنظرة تعجب اختلطت بالكره وهي تتمتم في قرارة نفسها :

-من أنتِ . . . ؟ لمَ صرتِ هكذا . . . ؟ ! هل هذه هي الحياة التي كنتِ ترغبين في بدايتها . . . ؟ يا ترى العيب بهم أم بي أنا . . . ؟

تمسك فريدة رأسها من شدة الألم، ولكن سرعان ما يقطع شرودها صوت ارتطام شيء في نافذة شرفتها الزجاجية، فرفعت فريدة رأسها فنظرت في المرآة فرأت زجاج شرفتها منعكسًا أمامها في المرآة وهناك طائر ناري الريش يحاول أن يرتطم في زجاج الشرفة ولكن بلا جدوى .

ها هي فريدة تلتفت وتنظر للشرفة وتقول في قرارة نفسها وهي تهم بالحركة تجاه الشرفة:

-هل يا ترى هذا واقع أم مجرد هلوسة أو كابوس . . . ؟

ها هي كلما تقترب من الشرفة يقلل الطائر من هياجه ومحاولته في الطيران والارتطام في الزجاج.

من ثم هدأ تمامًا بمجرد أن وقفت فريدة بالقرب من الشرفة، وبعدها رفع رأسه لها بعينين لامعتين مما زرع في قلب فريدة الطمأنينة تجاهه.

نزلت فريدة على ركبتها من وراء الزجاج كي تراه بوضوح، وعندما تأكدت من هدوءه، قامت فريدة بفتح زجاج الشرفة وبدأت تمسح بيدها على ريش هذا الطائر.

رأت فريدة أن هذا الطائر جميل على عكس أي طائر رأته في حياتها لأن به لطافة غير معهودة وغير ذلك أنه لونه برتقالي وهو لونها المفضل.

جلست على الأرض ومدت له يدها فصعد عليها، ها هي تقربه من وجهها، وتحرك خدها على ريش جسمه الناعم وهي تبتسم وهي مغلقة العينين سارحة.

ولكن سرعان ما تفيق من شرودها وتتحول ابتسامتها لملامح ألم بعدما وخزها الطائر بمنقاره في رقبتها ونعق وطار في ذات اللحظة، ها هي فريدة ترفع رأسها وتنظر له وهو يطير في السماء، تنظر له غير فاهمة ما جرى، وتقول في قرارة نفسها:

-لَم يحدث معي هكذا . . . ؟ لمَ الأذى يلاحقني . . . !

ها هي تقوم وتقف أمام مرآتها فرأت ذلك الخدش في رقبتها قامت بتعقيمه من الدم وعلى وجهها ملامح الألم وقامت بوضع ضمادة وهي تتمتم غاضبة وهي تضغط على أسنانها :

-آه كل ذلك منها . . . هي السبب .

خرجت فريدة من غرفتها بغضب واقتحمت غرفة أمها الممددة على سريرها ، وظهرها تجاه فريدة، فقالت فريدة غاضبة وهي تهم بالوقوف أمام أمها من الاتجاه الآخر:

-كل ما يحدث لي بسببك . . .

رفعت وتين رأسها وقالت لها بأسى:

-كيف يا فريدة . . . ؟

أشارت لها فريدة على رقبتها وقالت لها بغضب ولكن ملامحها أخذت ملامح أنها تشاغب أمها :

-لا يوجد مرة أدخل في جدال معكِ إلا وتحدث لي مصيبة .

تحاول وتين النهوض وتسند ظهرها على السرير، من ثم تقول بصوت واهن لا يتناسب مع سنها الذي قارب على الخمسين:

-صدقيني يا بنيتي كل أمنيتي في هذه الحياة أن تكوني بخير وألا يصيبك مكروه.

جلست فريدة أمامها على السرير وهي تنظر بلوم وابتسامة في ذات اللحظة:

-وكيف سأكون بخير ما دمت إن لم أفعل ما ترغبين به تصيبني بلعنتك تلك.

-أقسم لكِ لا أقصد ذلك أبدًا.

أمسكت فريدة يد أمها وقبلتها ونظرت لها بعينين لامعتين:

-آسفة يا أمي لأني انفعلت عليكِ وأنتِ ليس لكِ ذنب فيما أمر به.

وضعت وتين يدها على يد بنتها وربتت عليها وقالت بصوت دافئ:

-وما الذي تمرين به يا حبيبتي...؟

تنهدت فريدة وقالت بنفاد صبر ولكن سرعان ما ابتسمت ابتسامة خفيفة:

-آه منك ومن فضولك يا وتين، ألن تكفي عن استجوابي...!

-لا، بل أريد أن يطمئن قلبي عليكِ.

تضرب فريدة ناصية رأسها بيدها الأخرى وتقول لأمها بلهفة:

-آه صحيح، طمئنيني عليكِ، هل كنتِ تأخذين أدويتكِ أم لا . . . ؟

أشاحت وتين نظرها قليلًا وأردفت:

-بصراحة أغلب الوقت يفوتني موعده لأن . . .

قاطعتها فريدة بغضب وفي ذات اللحظة تلمس حجر خاتمها وتصدر أمرًا من الشاشة المنبثقة كي يحضر الروبوت:

-لماذا تفعلين بي هكذا . . . ؟ لمَ تشغلين بالك بي وتكفين عن الانشغال بنفسك وبصحتكِ . . . ؟

في خلال ثوانٍ كان الروبوت أمامهما ، فلمست فريدة وجه الروبوت فتحولت ملامح وجهه المرسومة على شاشة رأسه إلى عدة إعدادات تقوم فريدة بها وهي تكمل كلامها لأمها التي لا ترد:

-يبدو أن الاعتماد عليكِ في الانتباه لصحتك لا يفيد ، روبوت سوف يعطيكِ الدواء وسوف يرسل لي في حال أخذك للدواء وسوف أراكِ مباشرةً من شاشة الروبوت على شاشة خاتمي، لا مفر يا وتين .

-حسنًا يا فريدة اتفقنا ، ولكن ما الذي حدث معكِ أنتِ لم تكملي بضعة أيام في شهر ال . . .

قاطعتها فريدة وهي تهم بالوقوف:

-مجرد سوء تفاهم بيني وبين أبسل، والبعد أفضل من أن نلتقي ويحدث جدال يزيد الأمر تعقيدًا .

-ولكنكما لم تكملا شيئًا كي تبدأ الخلافات .

بدأت فريدة بالتحرك تجاه الباب وهي تقول:

-هذا ما حدث، لا تشغلي بالك ولا توجعي قلبك بسبب حياتي، كل شيء سيكون على ما يرام .

فريدة وهي عند باب الغرفة تقف بسبب صوت أمها الذي ينادي عليها بلهفة:

-فريدة، إلى أين أنتِ ذاهبةً . . . ؟

التفتت لها فريدة وهي تمسك بالباب وهي تبتسم وتهز رأسها وتقول:

-لا فائدة منكِ يا وتين، أظن أن أنفك ذا خلق كي يتدخل في حياتي وكفى .

ابتسمت لها وتين وقالت لها بإصرار:

-هذا لا يمنع من ردكِ على سؤالي .

-حسنًا لا مفر منكِ، عليّ أن أرد عليكِ لأني أخاف إن لم أرد عليكِ الآن تحدث لي مصيبة وأنا في الخارج.

-الخارج . . . ؟ إلى أين . . . ؟

-سأذهب لأرى احتياجات شقة العيادة أريد أن أبدأ بالعمل كي أشغل عقلي قليلًا .

-سوف أنتظرك على العشاء، لذا لا تتأخري عليّ .

ها هي فريدة في الممر تجاه غرفتها وهي تلمس حجر خاتمها فاختارت من الشاشة المنبثقة جزء غرفة الملابس من ثم قامت بتكبير الشاشة وقامت باختيار سروال أسود وقميص حريري قصير لونه برتقالي كما تعلمون أنه لونها المفضل وحذاء كعب لونه أسود، وبمجرد دخولها للغرفة كانت الملابس جاهزة على السرير ويقف بجوارها الروبوت وعلى وجهه ابتسامة .

همت فريدة بخلع قميصها الأبيض وبمجرد أن خلعته نظرت تجاه شرفتها وتمعنت في النظر فأدركت أن هناك أحدًا أمامها في شرفة الفيلا المقابلة يتطلع عليها ، أدرك أنها رأته فتوتر وفي ذات اللحظة لمست حجر خاتمها وأمرت بإغلاق ستار الغرفة .

خرجت فريدة من فيلتها وتمشي في الحديقة متجهة للباب الخارجي وهي تلمس حجر خاتمها ومن ثم تعدل نظارة الشمس الخاصة بها ، ولكنها تصدم .

فترفع رأسها فترى أمامها خالد ، فتشيح نظرها عنه بسرعة وتهم بلمس خاتمها كي تفتح باب سيارتها ، يوقف حركتها صوت خالد متنحنحًا :

-جئت لكي أعتذر لكِ عن الموقف الذي حدث منذ قليل .

لم تنظر له فريدة وهمت لكي تدخل سيارتها ذات الباب المفتوح لأعلى وقالت:

-لم يحدث شيء كي تعتذر .

همت بلمس زر كي تغلق باب سيارتها ولكن خالد وضع يده فالباب تلقائيًا توقف عن النزول، نظرت له فريدة للحظة بغضب وفي ذات اللحظة أشاحت بنظرها بعيدًا وهي تتنهد وقبل أن تنطق بحرف سألها خالد مستغربًا :

-هل يمكن أن أعرف إن كنتِ تتجاهلين النظر لكل الناس أم لي أنا فقط . . . ؟

تنفست فريدة الصعداء وقالت بنفاد صبر:

-لا، أنا هكذا مع الغرباء عني.

ابتسم لها خالد وقال لها بود:

-ولكن يمكن أن نكون أصدقاء... ها ما رأيك...؟

هزت فريدة رأسها وهي تضغط على الزر مرة أخرى في السيارة كي ينزل الباب وهي تقول:

-حسنًا، ولكن في وقت آخر.

طرق خالد على زجاج السيارة فأنزلت فريدة الزجاج وتنفست الصعداء فابتسم لها متسائلًا:

-هل يمكن أن أعرف إن كان أبسل في الفيلا أم لا...؟

-لا، ليس في الفيلا، ولكن هل تسمح لي بالرحيل؟ لدي عدة أمور يجب أن أقوم بها.

-هل ترغبين بأن أرافقك...؟

خلعت فريدة نظارتها ونظرت له نظرة حيرة صاحبتها ابتسامة وأردفت:

-هل أنت الخجول الذي حكى لي عنه أبسل . . . ؟

ضحك خالد وأردف وهو يرفع حاجبه:

-كل شخص خجول أو منطوٍ هو شخص لم يجد من يرتاح معه، ولكن في حالة أنه وجد من يطمئن إليه يكون شخصًا مرحًا جدًّا .

رفعت فريدة حاجبها وقالت مبتسمة:

-أوه كلام موزون يا دكتور خالد .

ضحك لها خالد وقال بثقة:

-يمكنني أن أبهرك أكثر ولكن اعطني الفرصة .

-حسنًا تشرفت بك يا خالد ، وفي حالة عودة أبسل سوف أخبره بأنك سألت عنه .

ضم خالد شفتيه متحيرًا هل يبوح بما في داخله أم لا . . . ؟ ! هنا أنقذته فريدة من حيرته:

-هل تريد أن تقول شيئًا آخر قبل أن أرحل يا خالد .

ابتسم لها خالد وهو يلف يده في توتر:

-بصراحة، أريد أن أكون معكِ، أساعدكِ .

-ولكن ها هو روبوت معي في السيارة إن احتجت لمساعدة .

فجأة شحب وجه خالد ولكن سرعان ما تداركت فريدة الوضع وقالت بابتسامة:

-حسنًا ، تعال اركب، يبدو أنه صار لي أخ صغير أخيرًا .

ابتسم لها خالد وهمّ مسرعًا بركوب السيارة .

ها هي فريدة بدأت في القيادة، فارتفعت السيارة عن الأرض، وفي لحظات وصلا لعمارة راقية جدًّا، ها هما يصعدان المصعد الزجاجي للدور السابع والعشرين وبمجرد أن وصلا وجدت عدة صناديق وبجوار الصناديق روبوت، انبثقت من عيني أي شاشة رأسه شعاع فحص وجه فريدة وصدر منه صوت "تم التسليم" .

أعطت فريدة أمرًا للروبوت الخاص بها أن يقوم بحمل الصناديق وإدخالها للشقة، ها هي فريدة تصدر الأوامر للروبوت والروبوت يقوم بتنفيذها وكذلك هي وخالد يقومون بتعديل بعض اللمسات وهما يبتسمان لبعضهما البعض .

مجرد عدة ألواح زجاجية في عرض اللاب توب يتم فتحها وترتيبها فتكون في النهاية طاولة وباستخدام جهاز التحكم يمكن تغيير لونها أو حتى أشكالها على حسب

الحالة المزاجية، وكذلك تلك مجرد كرة مطاطية يتم فتحها ويقوم الروبوت بملئها بالهواء فتتحول إلى أريكة جلدية مريحة، مجرد جهاز دائري ذي أربع كاميرات واحدة في كل اتجاه، ولكنها ليست بكاميرات بل ينبعث منه لوحة على كل جدار أو الزاوية التي يرغب بها المرء، ها هي فريدة تقوم بالتبديل بين اللوحات العالمية الشهيرة التي تظهر على الحائط الذي أمام مكتبها، لم يعجبها أغلب اللوحات ولكن فجأة ظهرت أمامها لوحة تحولت بسببها ملامحها من ضجر وملل وعدم الرضا إلى الدهشة، هنا قطع خالد شرودها متسائلًا:

-هل أعجبتك تلك اللوحة يا فريدة...؟

هزت فريدة رأسها معلنة إفاقتها من شرودها وقالت:

-آه، نعم، أعجبتني ولكن...

رجعت مرة أخرى تتأمل في الصورة المنبثقة على الجدار بتقنية أقرب للحقيقة يكاد المرء منا في عصرنا ذا يشعر أنها حقيقية من شدة انبثاقها خارج الجدار لا موجودة عليه فقط، من ثم تمتمت فريدة لخالد وهي تقترب من اللوحة:

-أعجبتني ولكن ذلك الطائر لقد رأيته...

قاطعها خالد ضاحكًا:

-أكيد في الأحلام يا فريدة.

التفتت له فريدة مصدومة وأردفت:

-كيف عرفت أني أراه في أحلامي...؟

أردف خالد منتهى الثقة وهو يستند على المكتب الزجاجي:

-لأنه طائر أسطوري، لا وجود له في الواقع.

نظرت له فريدة غير مستوعبة وقالت بتعجب:

-ولكني رأيته في الواقع مرتين.

نظر لها خالد غير مصدق وسألها:

-رأيتِ طائر الفينيق في الواقع...!

التفتت فريدة مرة أخرى للصورة وقالت له بحيرة:

-بصراحة أنا لا أعلم اسمه حتى، ولكن للحق الذي رأيته كان مثل الطائر الموجود في اللوحة تمامًا ولكن الفرق أن في الصورة عملاق جدًا بينما في الواقع هو بحجم النسر تقريبًا.

من ثم التفتت فريدة لخالد وسألته:

-هل أنت تحب الطيور . . . ؟

-يعني إلى حد ما . . . لا أستطيع أن أقول لكِ إنني ملم بكل شيء عن الطيور لأن هذا سيكون غروراً مني، كما تعلمين أن الدنيا بها الكثير من العلوم وكل علم ما هو إلا بحر مهما حاول المرء أن يجترع منه لا يستطيع أن يأخذ منه إلا القليل، وكاذب من يقول لكِ إنه ملم بعلم ما ، لأن مهما ذهب المرء للبحر استحال أن يرجع منه ممتلئًا بل سيظل دائمًا عطشان، وقد ينفد عمر المرء ولا ينفد بحر العلم أبدًا .



طائر الفينيق {العنقاء}

ابتسمت له فريدة، وأخذت تكمل أوامرها للروبوت بوضع تلك الكرة المطاطية لكي يتكون شيزلونج "الكرسي الذي يتمدد عليه المريض في العيادة النفسية"، وكذلك يضع تلك الشريحة المطاطية على أماكن معينة على كرسي مكتبها أو الكرسي المجاور للشيزلونج، ويقوم بتعبئتها بمجرد لمسة فتتحول إلى وسائد جلدية مثبتة على الكراسي الزجاجية.

ها هي فريدة وهي تتابع لمسات الروبوت تتابع حديثها مع خالد وهي تقول بابتسامة:

– حسنًا يا خالد، أحببت تواضعك، ولكن هل يمكن أن تخبرني بما تعلمه عن ذلك الطائر، أو كما تقول الأسطورة؟

أخذ خالد يتبعها حيث تذهب ويحكي لها:

– هذا طائر الفينيق أو كما يقولون عنه طائر العنقاء كان...

التفتت فريدة فجأة ونظرت للوحة وقالت بتردد فقاطعت كلام خالد:

– ولكن يا خالد، أشعر أن الصورة غير ملائمة في العيادة.

بتر خالد كلامه بعد ما قاطعته فريدة بجملتها وهي تبدل بين اللوحات، وبعد ثاني لوحة توقفت وقالت بلهفة وهي تلتفت لخالد :

– أوه، كم أحب هذه اللوحة إنها لوحة "قيظ يونيو" .

ابتسم خالد وقال لها :

– إنها لتحفة فنية للفنان البريطاني "فريدريك ليتون" .



لوحة "قيظ يونيو" بريشة الفنان "فريدريك ليتون"

فريدة نظرت له بدهشة ومن ثم ابتسمت:

-يبدو أنك لست سهل يا خالد برغم صغر سنك .

-لست صغير كما تتوقعين، ولكن كل ما في الأمر أن هذه اللوحة من أهم لوحات العصر الفيكتوري، ذات تركيبة عبقرية من حيث الانسجام بين الألوان بين الثوب البرتقالي "الزعفراني" الشفاف الذي ترتديه الفتاة الحسناء، حيث أن فريديك ليتون قام بلمسة مختلفة بأنه لم يتبع خط رسم النساء العاريات، ولكن رسم تلك الشابة التي يُذكر أنها كانت الموديل الخاصة به التي شاركت معه في عدة أعمال وكانا سوف يتزوجان ولكن لم يكتمل الأمر .

تنظر له فريدة وتبتسم وهي تهم بالجلوس على الكرسي المجاور للشازلونج، فابتسم لها خالد وقال بإحراج:

-أعلم إن هذا ليس موضوعنا .

ضحكت فريدة وقالت ساخرة:

-يبدو أن الفتاة الحسناء أعجبتك بشدة لدرجة أنك أحببت أن تعرف قصة حياتها .

ضحك خالد وأكمل بمنتهى الثقة كي يتجنب إحراج فريدة له:

-وجود دورثي دين في هذه اللوحة هي رمز للإغراء المتستر وراء ذلك الثوب الشفاف، والتناغم يزيد بين اللون البرتقالي النابض بالحياة مع اللون الأزرق المنعكس من البحر في الخلفية وعليه بعض التلألؤ بسبب أشعة الشمس .

قاطعته فريدة وقالت بثقة وهي تبتسم:

-ولا تنسَ اللغز المحير في الصورة .

هز خالد رأسه بثقة وقال ضاحكًا في نفس الوقت الذي قالت فيه فريدة:

-زهرة الأولياندر .

ضحكا الاثنان سويًا لأنهما قالا نفس الكلمة في ذات اللحظة .

همت فريدة هي وخالد وتأملا اللوحة وقالت بحيرة وهي تبتسم:

-وما رأيك بخصوص هذه اللمسة يا خالد . . . ؟ إلى أي رأي تميل أكثر . . . هل الزهرة زادت من جمال اللوحة بما إن زهرة الأولياندر هي رمز للإغراء أم تميل إلى رأي أن هذه الزهرة سامة فوجودها في هذه اللوحة يجعلنا لا نثق في هدوء الجميلة النائمة بل علينا أن نشك بها بأنها أنثى قاتلة ؟

ابتسم لها خالد ونظر لها وقال ضاحكًا كأنه يأخذ حذره من عدوه الذي يريد أن يمكر به:

-آه إنه لسؤال ثعباني ماكر، لن أجاوب عليه يا فريدة.

ضحكت فريدة وسندت نفسها على المكتب وواجهت خالد وقالت له بحيرة:

-ولِمَ لا يا خالد . . . ؟

سند خالد نفسه على المكتب بجوارها وهو يهز رأسه ناكرًا:

-لا لن أجاوب، لست مجنوناً كي أجاوب عليكِ، منذ قليل كنت أصف حال الصورة فاتهمتني أني اتبعت خط حياة دورثي دين.

وأنا أعرف تحليلك لأجوبتي في كلا الحالتين، في الحالة الأولى إذا قلت لكِ إن زهرة الأولياندر هي رمز للإغراء وزادت من جمال اللوحة التي تزينها الجميلة النائمة ذات الثوب الشفاف الزعفراني سوف تقولين عني شهواني.

التفتت له فريدة ونظرت له وهي ترفع حاجبها وتبتسم، فأكمل خالد كلامه:

-لا تضحكي عليّ يا فريدة انتظري سوف أكمل لكِ، وإذا قلت لكِ إن هذه الزهرة سامة فهذا يدل على ألا ينخدع المرء في جمال النساء لأن في النهاية سوف يؤدون به

إلى الهاوية، إذا قلت لكِ ذلك ستقولين عني أني رجعي كيف لي أن أظن في المرأة هكذا، وإذا صدقت هذا، فهذا يدل على أني أصدق أن حواء هي سبب خروج آدم من الجنة، وابنتها هي السبب في أن قابيل يقتل هابيل، وباختصار أن المرأة هي أساس كل الشر، لذا لن أقول رأيي.

ضحكت فريدة وهمت تتحرك وتتابع اختيار الأوامر من الشاشة التي انبثقت عندما لمست حجر خاتمها عندما همت بالحركة خارج الغرفة وهي تقول وهي تضحك:

-حسنًا يا خالد يا لئيم.

اتبعها خالد وقال لها بتسامة وهو ينظر لها وهي بجواره في ردهة العيادة:

-لست لئيمًا أقسم لكِ.

قالت فريدة بثقة وهي تختار الترتيب المناسب لحجرة الاستقبال:

-للعلم أنا طبيبة نفسية، يعني إذا أحببت أن تحكي عن أفكارك، ميولك، رغباتك الدفينة أو ما يتعبك سوف تجدني معك، لذا لا تخبئ عني شيئًا.

أمسك خالد ذراعها ولكنه تردد في ذات اللحظة فترك ذراعها وهو يقول لها وهي تواجهه:

-بالعكس هذه أول مرة أفتح قلبي هكذا وأتحدث مع أحد ، أشعر أني أعرفكِ منذ زمن .

ما زالت تنظر له فريدة بشرود بعد ما أمسك ذراعها ولكنها أفاقت من شرودها وقالت وهي تبتسم:

-وأنا أيضاً أحببت الحديث معك .

ولكن سرعان ما ابتسمت وسألته:

-هل أنت من النوع الخجول . . . ؟

نظر لها خالد بتعجب وقال لها :

-ولِمَ استنتجتِ هذا . . . ؟

-لأن وجهك اكتسب حمرة بمجرد أن لمست ذراعي بالرغم من أننا اتفقنا أنك أخي الصغير .

-أوه، لا أدري حقاً .

أشاحت فريدة نظرها عنه لوهلة كي لا تحرجه، ولكن عندما نظرت لشاشتها المنبثقة من حجر خاتمها انتبهت للوقت، فتحولت ابتسامتها إلى ملامح الجد وقالت لخالد:

-يجب أن أعود للبيت، أمي تنتظرني على العشاء.

ظل خالد شاردًا قليلاً، لم تفهم فريدة ماذا يريد فقطعت الصمت الذي دام للحظة وقالت بمجاملة:

-ما رأيك أن تأتي لتتناول معنا العشاء وتتعرف على أمي...؟

ابتسم لها خالد وقال:

-أوه، لن أستطيع، ولكن يمكن أن أمر عليكم بعد العشاء.

ابتسمت له فريدة وفي قرارة نفسها قالت:

-أوه، يبدو أنه أعجبه الصحبة، ولكني أرغب أن أرتاح.

هنا قطع خالد شرودها وقال لها بلباقة:

-هذا في حالة إن كنتِ بحالة مزاجية جيدة يمكنكِ التأكيد عليّ برسالة، بينما إذا أردتِ أن ترتاحي فسوف نعوضها في يوم آخر.

هنا ابتسمت له فريدة ابتسامة، وفي عينيها لمعت لمعة التوتر، وقالت في قرارة نفسها:

-وكأنه سمع ما يجول في خاطري.

ولكن سرعان ما تحولت نظرتها إلى نظرة طمأنينة وهي تهم بالحركة كي تقلل من توترها وأكملت في قرارة نفسها:

-أو يمكن أنه شاب يفهم في الذوق.

قطع شرودها خالد بصوت هادئ:

-هل تسمحي لي أن أكون معكِ في طريق العودة، صدقيني أنا ارتحت كثيرًا للحديث معكِ.

بمجرد أن وصلت فريدة أمام بيتها وخرجت من سيارتها هي وخالد، سرعان ما رأت أبسل أمامها.

نظر لهما أبسل مبتسمًا ولكن فريدة مرت بجانبه من دون أن تنظر له أو تبدي أي تعبير على وجهها، ولكن سرعان ما صاح أبسل مرحبًا بخالد:

-أهلًا أهلًا يا خالد، يبدو أنك خرجت من قوقعتك أخيرًا.

ابتسم له خالد وهو يمد له يده بالسلام:

-أهلًا يا أبسل، سررت بعودتك يا عريس .

ضحك له أبسل وهو يهمس له:

-لا تذكرني بأني عريس، يبدو أن شائعة الجواز تدمر كل شيء جملة حقيقية .

نظر له خالد مبتسمًا وأردف:

-لماذا تقول ذلك يا رجل . . . ؟ إن فريدة يتمناها كل من يراها .

نظر له أبسل متعجبًا من ثم ابتسم وقال:

-يبدو أنها صارت صديقة لك كي تكون في صفها .

ضحك خالد وهو يدلف لحديقة الفيلا مع أبسل:

-صدقني يا صديق، أنتما الاثنان فرقتما في حياتي بشكل كبير ودخلتما قلبي سريعًا، لذا أنا في صفكما لا أنحاز لأي منكما .

-خير ما فعلت يا صديق، ولكن نصيحتي لك ألا تغلط غلطتي وتتزوج، صدقني كل شيء كان جميلًا قبل اتخاذ هذا القرار .

نظر له خالد بحيرة وقال له:

-أي قرار . . . ؟

ضربه أبسل ضربة خفيفة على كتفه مداعبًا إياه مبتسمًا وأردف:

-قرار الزواج يا خالد ، أين عقلك يا صاح . . . !

ابتسم له خالد محرجًا وهو يضرب جبهته بكف يده، ولكن سرعان ما أكمل أبسل ممازحًا إياه:

-يبدو أنك جائع يا صديق، لذا هيا أدخل معي، نتعشى سويًا ونسهر، ها ما رأيك . . . ؟

وضع خالد يده على صدره مبتسمًا وهو يمد قدمه متجهًا للخارج وبذوق قال:

-لا يا أبسل، تعوض في مرة أخرى، ارتح أنت اليوم .

-أقسم لك سوف تقضي سهرتك معنا ، أنا أقسمت .

ابتسم له خالد وأردف:

-حسنًا يا صديقي ولكن لا تعتاد أن تقسم هكذا ، لا تورطني معك .

ضحك له أبسل وقال بثقة:

-أنا أخوك الكبير، اسمع كلامي من دون أن تضطرني أن أقسم، اتفقنا . . . !

-اتفقنا . . . وهل أقدر أن أقول لك شيئًا غير هذا .

وضع أبسل يده على كتف خالد وقال ضاحكًا:

-آه، الآن فهمتني يا خلّود .

من ثم دلفا للفيلا ودخلا غرفة الطعام وجلسا على المائدة، من ثم دخلت وتين مرحبة بالضيف:

-أهلًا أهلًا، لدينا ضيف .

من ثم عندما ركزت في ملامح خالد تحولت ملامحها من الترحيب والابتسامة إلى حيرة من ثم أشارت لخالد وأبسل وقالت متسائلة وهي تهم بالجلوس على الكرسي الأساسي للمائدة:

-هل هو من أقاربك يا أبسل . . . ؟

ابتسم لها أبسل وقال بثقة:

-آه، إنه أخي .

هزت وتين رأسها وقالت بثقة:

-صحيح أخوك لأنه يشبهك كثيرًا .

وكزه خالد في ذراعه وهو يضحك، فنظرت لهما وتين وسألتهما بابتسامة:

-ماذا بكما يا شباب . . . ؟ شاركاني ما يضحككما .

هنا همّ خالد بالحديث:

-أنا خالد . . .

ولكنه لم يكمل كلامه لأن فريدة قد دخلت الغرفة مقاطعة كلامه وهي تهم تجاه مقعدها المقابل لمقعد أبسل وقالت بثقة خالية من المزح:

-إنه خالد يا وتين، خالد جارنا .

نظرت وتين بحيرة وابتسمت لأبسل الذي يضحك لها وقالت:

-حيرتموني معكم يا شباب . . . !

توقف أبسل عن الضحك وقال بجد وهو يبتسم ويمسك يد وتين:

-أمزح معكِ يا توتة . . . ما قالته فريدة صحيح، ولكن قولي لي أليس خالد يشبهني . . . ! ؟

ألقت وتين نظرة على كليهما وقالت بابتسامة وهي ترفع كلا حاجبيها :

-يشبهك بشدة .

داعبها أبسل وهو يدغدغها في جانبها وأردف ساخرًا:

-لا يشبهني بفتحة.

ضحكت وتين وقالت بضيق:

-أرحمني يا أبسل من مزحك الثقيل ذا.

تصنع أبسل الحزن بمبالغة وأردف:

-مزحي ثقيل، ولكن أمي كانت تقول لي أني حلو مثل الشربات في القلب والقالب.

تمتمت فريدة بصوت خفيض وهي ترفع شفتها معترضة:

-القرد في عين أمه غزال.

هنا نظر لها أبسل متعجبًا أنها أخيرًا نطقت بكلمة له، ولكن سرعان ما تمالكت وتين الموقف وهي تمسك بيد أبسل كي تقلل من إحراجه:

-بل الحقيقة أن أبسل جميل في كل شيء، أنتِ محظوظة لأنه لكِ.

مضغت فريدة تلك اللقمة التي كانت في فمها وهي تنظر لهما غير معجبة بما يحدث، من ثم قالت وهي تهم بالوقوف:

-حسنًا، اعتبريني تركته لكِ ولكِ مني عليه قبلة.

من ثم طبعت قبلة على خد أمها بحزم وقوة وهمت خارجةً، نظرت لها وتين بحيرة واتبعتها بعينيها من ثم التفتت إلى أبسل مستغربةً مبتسمة:

-ماذا يجري يا شباب . . . ؟ أكيد كل شيء يحدث من الصباح مع فريدة مجرد مزح . . . أليس كذلك . . . !

رسم أبسل ضحكةً على وجهه وقال:

-أكيد يا أمي نمزح معكِ .

من ثم ألقت نظرة على خالد الذي لا يضع منطقًا وقالت له:

-خالد يا بني . . . أنت لم تأكل شيئًا ولم تتكلم حتى .

همّ خالد موضحًا مبتسمًا بعد أن فاق من شروده وترك الشوكة التي في يده:

-لا بل أنا . . .

قاطعه أبسل موضحًا لوتين:

-القصة وما فيها يا أمي أنه خجول بعض الشيء .

نظرت له وتين بحنان وأردفت:

-خذ راحتك يا خالد ، ومن الآن اعتبرني مثل أمك، أوه كم أنا محظوظة صار لدي ولدان .

هز خالد رأسه وأردف:

-هذا شرف لي يا أستاذة وتين .

وكزه أبسل وقال له هامسًا :

-قالت لك إنها تعتبرك ابنها يا صاح . . .

تنحنح خالد عندما نظر لوتين فرآها تبتسم له:

-حسنًا يا أمي .

تناولت وتين لقمة أخرى من ثم همت واقفةً وهي تبتسم وأردفت:

-سوف أترككك على راحتك أنت وأبسل هذه المرة، ولكن المرة القادمة لا تخجل مني، أنت في بيتك .

بمجرد خروجها أكمل أبسل أكله ولكنه تحير من خالد الذي يمسك الشوكة فقط ولا يأكل، فسأله مستغربًا :

-ماذا بك يا صاح. . . ؟ قلت إن الخجل هو الذي يمنعك من الأكل، ها لِمَ لا تأكل الآن. . . ؟ هل تعتبرني غريبًا أيضًا . . . !

هز خالد رأسه نافيًا وهو يبتسم قائلًا :

-لا يا صاح، كل ما في الأمر أني آكل طعامًا مخصوصًا ، لأن أغلب الطعام يسبب لي حساسية .

زفر أبسل من ثم هز رأسه مستغربًا :

-أوه، أنت غريب يا خالد ، ولكن لا يهمك يا صاحبي، قل لي ما يناسبك ونجهزه لك مخصوص .

-يكفيني وجودي معكم، لا تشغل بالك بأكلي .

اكتفى أبسل من الأكل وهمّ واقفًا وقال بحماسة:

-حسنًا يا خالد ، هيا بنا نجلس في غرفة الضيوف قليلًا .

هز خالد رأسه موافقًا .

ها هما يدخلان غرفة الجلوس، كانت فريدة تحتسي كوب القهوة سريعة التحضير وبجوارها أمها تحتسي فنجان قهوة وهي تهمس لها ضاحكةً:

-كم أنتِ محظوظة به يا فريدة .

وفريدة تجاريها بضحكةً خفيفة ولكن سرعان ما يبتران حديثهما بدخول خالد وأبسل الذي همّ عائداً للمشاغبة:

-آه، إذا حضرت الشياطين كفت الملائكة عن الحديث .

نظرت له فريدة بعناد :

-حمدًا لله أنك تعرف نفسك جيدًا .

أشار أبسل لوتين مشهدًا إياها وهو يهم بالجلوس مقابلًا أيهما :

-ها أيرضيكِ يا وتين ما يحدث . . . ؟

وكزت وتين فريدة وقالت له مبتسمة:

-لا يا بني لا يرضيني ولكنها تمزح معك .

هز أبسل رأسه موافقًا من ثم نظر لهما جميعًا ، وقال بحماسة:

-ها ما رأيكم أن نسهر على فيلم رعب جديد . . . ؟

همت وتين واقفة وسحبت أبسل من يده وجعلته يجلس بجوار فريدة ومن ثم أخذت يده ووضعتها على كتفها وقالت بابتسامة:

-قم باختيار برنامج السهرة على مزاجك ولكن أظن أن الوضع هكذا أفضل .

من ثم سحبت يد خالد وأجلسته بجوار أبسل ومن ثم جلست بجوار فريدة من الاتجاه الآخر وهمست لها :

-أليس هكذا أفضل يا ريدا . . . ؟

تمتمت لها فريدة وهي تنظر لها نظرة أن ليس في يدها حيلة:

-وهل أقدر أن أقول عكس ذلك .

ضحكت لها وتين ومن ثم طلب أبسل الروبوت من خلال صوته لخاتمه، ومن ثم اختار أن يقوم بعرض فيلم رعب عن مصاص دماء .

هم خالد واقفًا أول ما سمع اقتراح أبسل وأردف بتردد :

-اعذروني يا جماعة ولكني لا أحب هذه الأفلام .

سحبه أبسل من يده وقال له ممازحًا :

-أجلس يا رجل لا تكن جبانًا ، وإن خفت كثيرًا يمكنك أن تبيت هنا الليلة .

ابتسم له خالد وقال له:

-كف عن مزحك يا أبسل ليس الأمر كذلك ولكن . . .

سحبه أبسل بقوة وأجلسه وأردف بإصرار:

-أجلس يا رجل، ها ولا تنسَ اتفاقنا أنا أخوك الكبير اسمع كلامي.

بالفعل جلس واستمتعوا بالفيلم، ولكن في منتصف الفيلم نامت وتين ومن ثم بعد قليل ومض خاتم أبسل ذو الحجر الأحمر القاتم فأنزل يده من على كتف فريدة، فنظرت له بحيرة متسائلة ولكنه رد عليها هامسًا قبل أن تتكلم:

-اتصال مهم يجب أن أرد عليه يا حبيبتي وسوف أعود لكِ.

من ثم طبع قبلة على خدها، ولكن ظلت فريدة تنظر له بحيرة غير منتبهة للفيلم وتقول في قرارة نفسها:

-منذ متى وأبسل يخفي الشاشة المنبثقة من حجر هاتفه التي تعرفني المتصل، منذ متى يُفعِل الوميض فقط...؟

ولكن الفضول زاد في داخلها، فهمت تلحق به تاركة خالد مع أمها النائمة على طرف الأريكة الآخر، ولكن بسبب لهفتها وسرعتها وعدم انتباهها لطريقها ارتطمت بالطاولة الصغيرة الموجودة أمام الأريكة، فوقع كأس العصير الذي كان

يشربه أبسل، فانتبهت له فهمت لكي تلتقط الزجاج بسرعة غير مفكرة في أن تطلب ذلك من الروبوت .

ها هي تلتقط قطع الزجاج من على الأرض بسرعة وبسبب سرعتها ها هي تصدر صوت صرخة سرعان ما كتمتها بسبب إصابتها بجرح في يدها ، هنا همّ خالد مقتربًا منها هامسًا لها :

-هل أنتِ بخير يا فريدة . . . ؟

فريدة تنظر لإصبعها الذي ينزف بشدة ولكن سرعان ما يمسك خالد يدها ويبدأ في مص الدم من إصبعها .

فريدة تنظر له بتعجب ضاحكةً وهي تهمس له:

-يبدو أن الفيلم قد أثر عليك يا خالد .

توقف خالد عن مص الدم من إصبعها وقال مبتسمًا هامسًا :

-لا أبدًا ، كل ما في الأمر أنها طريقة فعالة لوقف النزيف .

من ثم عاد لكي يكمل مص الدم من إصبعها ، هنا مدت فريدة يدها الأخرى على كتف خالد وهي تهمس له:

-خالد هذا يك . . .

ولكن قبل أن تكمل كلامها قاطعها صوت أمها الناعس الذي ينظر لها بعينين ناعستين مستغربة:

-ماذا يحدث يا فريدة . . . ؟

تسحب فريدة يدها بسرعة وتنظر لأمها بتوتر وهي تهم بالوقوف هي وخالد :

-لا شيء يا أمي . . . كل شيء على ما يرام، مجرد كأس كُسر وجرح إصبعي .

في ذات اللحظة دخل أبسل مستغربًا من وقوف خالد وفريدة واستيقاظ حماته فأردف متسائلًا :

-ماذا حدث يا جماعة . . . ؟

التفت له خالد ولكن سرعان ما ردت وتين:

-فريدة سقط منها الكأس وجرح إصبعها .

همّ أبسل تجاه فريدة بلهفة وهو يمسك يدها بقلق وقال:

-دعيني أرى جُرح إصبعك يا حبيبتي . . . ؟

سحبت فريدة يدها بسرعة وقالت بصوت خفيض:

-مجرد جرح بسيط .

هنا قالت وتين وهي تهم من مكانها بتعب:

-انتبهي لنفسك يا فريدة .

نظرت لها فريدة بحيرة وقالت:

-ولكن إلى أين أنتِ ذاهبة . . . ؟ لم يكتمل الفيلم بعد .

ابتسمت لها وتين ضاحكةً وقالت:

-على أساس تابعت منه شيئًا ، أنا كنت مع الملائكة آكل رز بلبن، لذا سوف أصعد غرفتي لكي أكمل باقي طبقي .

ابتسم لها كل من خالد وأبسل وفريدة، ومن ثم برز صوت خالد وهو يقول مستأذنًا :

-أسمح لي يا صديق أن أعود لبيتي الآن .

وضع أبسل يده على كتف خالد وأردف:

-لا يا خالد ، أجلس أكمل معنا الفيلم على الأقل .

-لا، لا أقدر صدقني ولكن أشكرك على هذه السهرة الجميلة .

وهم يسلم عليهما مودعًا إياهما ، ولكن أبسل نظر له ممزحًا إياه:

-خالد ، إن كنت خائفًا يمكنك المبيت هنا ، لا تشعر بالحرج البيت بيتك .

ابتسم له خالد وقال له وهو يضربه ضربة خفيفة على كتفه:

-توقف يا أبسل عن مزحك ذا ، هيا تصبحان على خير .

بمجرد أن خرج خالد سحب أبسل فريدة وجلسا على الأريكة وضمها لحضنه، ولكنها خرجت من حضنه، فسألها :

-إلى متى سوف تبتعدين عني . . . ؟

لم تنظر له فريدة وهمت بسحب منديل من على المنضدة وأردفت وهي تلف المنديل على جرحها :

-أنا لا أبتعد عنك، ولكن أنت تزيد الشكوك حولك . . . ؟

أمسكها أبسل من ذراعها كي تواجهه وقال لها بحيرة:

-أي شكوك يا فريدة . . . ؟ قولي لي ماذا أفعل لكي ترضي عني وأنا مستعد لكي أفعله . . . !

نظرت له فريدة بشك وأردفت:

-لماذا فعلت خاصية الوميض فقط في حجر خاتمك . . . ؟ منذ متى يا أبسل . . . ؟

زم أبسل شفتيه ورفع كتفيه غير فاهمًا :

-وما بها يا حبيبتي . . . ! أنتِ دائمًا مفعلة هذه الخاصية ولم أقل لكِ شيئًا .

نظرت له فريدة بجد وحزم وقالت:

-أبسل، لا تقلب الطاولة عليّ ها ، أجب على ما قلته لك وكفى .

همّ أبسل ومسك يدها وقال لها بصوت هادئ:

-لكِ ما تشائين يا حبيبتي، اعتبري أني لم أقم بتفعيلها من الأساس، هذه أول وآخر مرة، ها قولي لي ما الذي يرضيكِ وأنا تحت أمر معاليكِ .

ابتسمت له فريدة فهمّ بأخذها في حضنه وقال لها بلهفة:

-آه، كم أشعر أن روحي قد عادت لي من جديد بمجرد أن رأيت ضحكتك .

وكزته فريدة وقالت له مداعبة إياه:

-توقف عن كذبك ذا يا أبسل .

زاد أبسل من ضمته لفريدة وقال لها بعد أن تنهد كمن عاد للحياة من بعد البعث:

-آه يا فريدة، كم ساعة من دونك شعرت أن الدنيا ما هي إلا قبر معتم وبرغم وسع هذه الدنيا إلا أني شعرت أنها ضاقت عليّ إلى أن صرت لا أستطيع أن أتنفس في مكان أنتِ لستِ معي به .

خرجت فريدة من حضنه وقالت له بحيرة:

-لَمَ تحبني هكذا يا أبسل . . . ؟

زم أبسل شفتيه وقال في حيرة:

-أقسم أني لا أدري ما هو السبب، ولكن أشعر أن روحي متعلقة بروحك بجنون، أنا لا أستطيع العيش بدونك .

-يعني لم تفكر قط أن تؤذني . . . ؟

-أنا أؤذي نفسي ولا أؤذيكِ يا حبيبتي، أخرجي تلك الهلوسة من رأسك أرجوكِ .

هزت فريدة رأسها موافقةً من ثم توسدت حضنه، فهمس لها وهو يحرك يده بحنو على ذراعها وهو يهمس لها :

-يبدو أنكِ صرتِ أفضل بقليل هنا . . . !

أومأت فريدة وقالت وهي شاردة في الشاشة التي أمامها :

-آه، أفضل بكثير، يبدو أن طاقة المكان التي كنا بها لم ترحني أبدًا .

-أنا معكِ في المكان الذي يريحكِ يا حبيبتي .

***

ها هو أبسل يقف أمام المرآة ويعقد رابطة عنقه، في انعكاس المرآة تظهر فريدة وهي تتحرك في السرير معلنة استيقاظها وقبل أن تفتح عينيها يهلل لها بلهفة وهو ينظر لانعكاسها :

-صباح الخير يا حبيبتي، يبدو أنكِ لم تري كابوسًا الليلة . . . !

فتحت فريدة عينيها ونظرت له بعينها الناعسة باستغراب وهمست بتعب:

-الحمد لله لم أَرَ أي كابوس، ولكن إلى أين أنت ذاهب الآن . . . !

التفت لها وهو يهم تجاهها ويجلس على السرير وهو يقول:

-مضطر للسفر ومتابعة عملي .

عدلت فريدة من جلستها وقالت بتعجب:

-ومتى سوف تعود . . . ؟

نظر لها برومانسية وأردف:

-يومين أو ثلاثة بالكثير وسوف أعود لكِ يا حبيبتي .

أومأت له فريدة بصمت من ثم همّت من سريرها ، فسألها متعجبًا :

-إلى أين أنتِ ذاهبة يا حبيبتي ، أكملي نومكِ يا عزيزتي ، يكفي أني رأيتكِ قبل أن أسافر .

وقفت فريدة بجوار سريرها وقالت بصوت متعب بعض الشيء :

-سوف أذهب للعيادة كي أشغل وقتي وأعود لحياتي مثلك .

تحرك تجاهها من ثم همس لها :

-المهم أن تطمئنيني عليكِ من وقت لآخر .

من ثم همّ بالخروج من الغرفة فقالت له:

-وأنت أيضًا ، أرسل لي فور وصولك لندن .

***

ها هي فريدة تخرج من الفيلا وتهم بفتح باب سيارتها ، ولكن سرعان ما ترفع رأسها وتنظر أمامها ، فتجد خالد يقف أمام فيلته ويؤشر لها بحماسة وبمجرد أن نظرت له همّ تجاهها ، فأشارت له فريدة وبمجرد أن أوشك على الوصول هلل لها :

-أهلاً فريدة، أوه أقصد صباح الخير .

فتحت فريدة باب سيارتها وهي تقول في عجالة:

-صباح النور يا خالد .

-سوف تذهبين للعيادة أليس كذلك . . . ؟ !

-نعم، سوف أذهب حالاً لأني متعجلة جدًّا .

-هل يمكن أن آتي معك واعتبري أني حالتك الأولى هنا .

أزالت فريدة نظارة الشمس التي ترتديها ونظرت له بتعجب من ثم أردفت:

-حسنًا ، ولكن أنسَ أني فريدة التي تعرفها ، أنا طبيبتك، لذا عليك أن تصارحني وتجاوبني على كل أسئلتي . . .

أومأ لها خالد برأسه موافقًا وفي ذات الوقت سمع صوت فريدة مؤكدة:

-اتفقنا . . . ؟ !

ابتسم لها خالد وقال بثقة:

-اتفقنا يا دكتورة فريدة .

دخلت فريدة السيارة وهي تبتسم وأردفت لخالد الذي يقف بجوار الباب:

-في العيادة فقط ليس هنا ، هيا اركب .

همّ خالد مسرعًا بلهفة وركب السيارة، بدأت فريدة في القيادة من ثم نظرت لخالد بتعجب وسألته:

-لِمَ ترتدي نظارة الشمس الآن، زجاج سيارتي يعزل أشعة الشمس المزعجة .

توتر خالد وقال لها :

-لا، أنا أفضل أن أرتديها في النهار دائمًا .

-هل أنت مصاب بمرض ما . . . ؟

-لِمَ تقولين ذلك . . . ؟

-لا أقصد أن أتدخل في أسلوب ملابسك، ولكني متحيرة لِمَ ملابسك دائمًا ذات كم طويل برغم أننا في فصل الربيع . . . !

ضحك خالد وقال لها :

-يبدو أن الجلسة قد بدأت في السيارة، ألم تقولي لي منذ قليل كل شيء سيكون في العيادة . . . !

نظرت له فريدة نظرة خاطفة ومن ثم نظرت لطريقها وقالت نافيةً:

-أنا لا أسالك بصفتي طبيبة أبدًا، وفي العيادة أنت من سيحكي أكثر من كوني سأطرح أسئلة.

نظر خالد للطريق وقال بأسى:

-لذا دعينا نبدأ هذا الموضوع في العيادة كي أكون متهيئًا بشكل أفضل.

أومأت له فريدة برأسها وقالت بمواساة:

-أفتح لي قلبك تمامًا وكل ما تقوله لي هو سر بينك وبين الدكتورة فريدة، يعني خارج العيادة أنا لا أدري شيئًا عنك.

ها هما خالد وفريدة دخلا حجرة فريدة في العيادة، أشارت لخالد أن يتمدد على الشيزلونج وقامت باختيار إعدادات من خاتمها بتفعيل خاصية تعتيم الزجاج تمامًا وتفعيل إضاءة هادئة تميل للأصفر والبرتقالي، واختارت من الجهاز الذي ينبعث منه الصور أن ينبعث منه مشعلا نار متحركة في زاوية الجدار الذي ينتصف به لوحة قيظ يونيو المقابل للشيزلونج، واختارت موسيقى هادئة تساعد على الاسترخاء.

ها هي فريدة تجلس على الكرسي المواجه لخالد وقالت له بهدوء:

-حسنًا يا خالد، أظن أن الجو هكذا يناسبك أكثر أليس كذلك...!

أومأ خالد برأسه وقال:

-يناسبني كثيرًا .

ابتسمت له فريدة وقالت له مشجعة إياه:

-لذا اخلع تلك النظارة والكمامة والقفاز ودعنا نبدأ وقل لي ما هو سبب بعدك عن الشمس هكذا . . . ؟

بدأ خالد بخلع كل تلك الأشياء ، أخذتهم منه فريدة ووضعتهم على المنضدة المجاورة، ومن ثم بدأ خالد في الحديث بعدما تنهد بعمق:

-بصراحة أنا لا أستطيع مواجهة الشمس لأن الشمس تسبب لي حروقاً في جسدي، لذا أهرب منها بعدم خروجي في النهار إلا نادرًا ، وأكون مضطرًا أن أخرج وأنا أرتدي قبعة وقفاز ونظارة وكمامة، والناس ينظرون لي نظرة ريبة لا أحبها ، لذا ابتعدت عن الناس .

-أتقصد أن ليس لديك أصدقاء أبدًا . . . !

-ليس لي سوى أنتِ وأبسل .

-يعني قبل ظهوري أنا وأبسل كنت بمفردك فقط . . . !

أومأ لها خالد برأسه بأسى، فأكملت فريدة متسائلة:

-هل تعيش بمفردك . . . ؟

أومأ برأسه مؤكدًا فنظرت له فريدة متعجبة وهي تدون على الشاشة المنبثقة من خاتمها وسألته:

-هل يمكن أن أعرف ما هو سبب اختيارك للعزلة .

قال لها خالد بأسى:

-لم أختر العزلة، بل العزلة هي التي اختارتني .

-كيف يا خالد . . . ؟

-ليس لي أهل، أنا وحيد .

-كيف ليس لديك أهل . . . ؟

-للصدق لم يكن لي سوى أمي في هذه الدنيا ولكن سرعان ما حرمت منها .

-متى فقدت أمك . . . ؟

-لا أتذكر بالضبط .

-كيف لا تتذكر وهي الوحيدة لك في هذه الدنيا . . . ؟

-أنا لا أشغل بالي بالتاريخ والأيام أبدًا .

-فقدتها في أي مرحلة في حياتك . . . ؟

-وأنا في شبابي .

-يعني منذ فترة قريبة . . . !

-يمكنك قول ذلك .

نظرت له فريدة وقالت له كي ينظر لها بعدما شرد :

-خالد ، عليك أن تساعدني وتجاوبني بدقة .

-أنا أجاوبك صدقيني .

-حسنًا ، ولكن كيف تعيش بمفردك، وهل تدرس أو تعمل، ماذا تفعل في حياتك . . . ؟

-لا أفعل شيئًا . . .

-كيف لا تفعل شيئًا ، وكيف تعيش . . . ؟

-أمي كانت سيدة لديها الكثير من المال وقبل وفاتها قامت ببيع كل ممتلكاتها وتركت لي كل أموالها ، وللحق أنا أعيش حياة بسيطة، لا يغرك تلك الفيلا التي أعيش بها ، حتى نظام أكلي مختلف .

-ولكن يا خالد كل شيء وله نهاية، حتى وإن كان المال معك كثيرًا سوف يأتي يوم وينتهي، عليك أن تدرس أو تعمل كي تعمل على زيادة هذا المال .

-لا أستطيع الخروج إلا في الليل لأني لا أحب أن ينظر لي الناس بتعجب هكذا .

-هل أنت مصاب بالبورفيريا . . . ؟

نظر لها خالد بتعجب وقال لها :

-كيف عرفتِ . . . ؟

-أنا أعلم أن هناك حالات مثلك يتجنبون الشمس لأن الشمس تضر جلودهم كثيرًا ، وبشرتهم شاحبة جدًا وأغلب الأطعمة لا يأكلونها .

-صحيح، كل هذه أعراض مرضي .

-هذا المرض يؤكد شحوبك عندما رأيتك أول مرة عندما زرتك أنا وأبسل، وكذلك حالة الهياج التي أصبت بها .

-لذا أنا أفضل أن أتجنب الناس، لأن ليس كل الناس مثلك أنتِ وأبسل .

نظرت له فريدة بابتسامة ولكن سرعان ما نظرت له بتعجب وأردفت:

-ولكن أنا متحيرة جدًا كيف أنت مصاب بالبورفيريا الحادة ولكنك صرت فجأة نضرًا هكذا وكأنك استعدت عافيتك ولكنك ما زلت تتجنب الشمس . . . !

-صرت ملتزمًا على جلساتي مع طبيبي الخاص وهو يقوم بنقل كمية الدم التي أحتاجها .

-صحيح مريض البورفيريا يحتاج إلى الهيم من الدم .

-صحيح، طبيبي الخاص يحاول أن يبتكر لي علاجًا خاصًا كذلك، طلب مني الاستمرار على الحيطة من الشمس إلى أن يجرب معي علاجًا لجلدي، وبصراحة أقول لكِ الحقيقة التي قالها لي طبيبي . . . !

-قل لي كل ما يجول في خاطرك، فأنت مريضي الوحيد الآن، كل الوقت لك .

-طبيبي تعجب جدًا من نتيجة استجابتي لبقية العلاج وعندما ذكرت له أني تعرفت عليكِ وعلى أبسل قال لي إن العامل النفسي له دور مهم في الاستجابة للعلاج .

-أنا وأبسل سنكون سندًا لك، لا تقلق إلى أن تكون بخير وتمارس حياتك مثل الآخرين . . . ولكن قل لي منذ متى أصبت بهذا المرض . . . ؟

-قلت لكِ لا أتذكر تاريخ أي شيء .

-يعني ما هي المرحلة العمرية التي أصبت فيها بالبورفيريا . . . ؟

-في مرحلة الشباب أيضًا .

-حسنًا هل يمكنك أن تحكي لي عن طفولتك أو فترة معينة في حياتك أثرت بك .

-لا أتذكر شيئًا أبدًا عن حياتي في طفولتي .

-كيف . . . ؟

-لا أدري . . . كل ما أتذكره أني في يوم كنت مع أمي في الحديقة وبمجرد أن فقت من نومي عانقتني أمي بشدة باكية . . .

قاطعته فريدة وسألته:

-ولِمَ كنت نائمًا في الحديقة . . . ؟

-أقصد أني كنت في غرفة في حديقة فيلتي على سرير، وعندما أفقت عانقتني أمي وبكت وبدأت تقول لي "حمدًا لله على سلامتك" وهي تقبلني بلهفة .

أومأت له فريدة برأسها على أن يكمل فأكمل خالد شاردًا:

-نظرت لها بتعجب وسألتها: "من أنتِ. . . ؟ وأين أنا . . . ؟" .

مسحت دمعها المنهمر وقالت لي وهي تنظر لي بلهفة:

-أنا أمك يا حبيبي . . . وهذا بيتك يا ولدي .

نظرت لها متعجبًا وقلت لها وأنا أطمح أن أقوم وأجلس على السرير ولكني شعرت أن جسدي يؤلمني بشدة، ولكني جاهدت نفسي وأنا أسألها بتعجب:

-أمي . . . ؟ وهذا بيتي . . . ؟ أمي من . . . ؟ ومن أنا . . . ؟

بكت أمي وهي تحاول أن تجعلني أمدد وأنام مرة أخرى، وهي تبكي وتبتسم لي بلهفة وهي تمسح على شعري وهي تقول لي:

-أرتاح يا حبيبي ومع الوقت ستبدأ تذكر كل شيء .

أبعدت يدها عني وقلت لها بتشتت:

-من أنا . . . ؟ أريد أن أفهم الآن . . . ؟ ولِمَ جسدي يؤلمني هكذا . . . ؟

-أنت أبني حبيبي الذي أراد الله ألا يحرمني منه، وجسدك يؤلمك لأن . . .

لم تكمل كلامها ، فقلت لها بحيرة:

-لماذا ، قولي لي . . . ؟

-لأنك قمت بحادث وكنت بين الحياة والموت، ولكن الرب استجاب لدعائي وعدت لي من جديد ومع الوقت ستكون بخير يا حبيبي .

شعرت أني أختنق من هذه الغرفة التي لا يضيئها شيء سوى ضوء البدر القادم من بابها ، قلت لها وأنا أسعل:

-أريد أن أخرج من هذه الغرفة، أريد أن أتنفس .

أومأت لي أمي أنها موافقة، وهمت لكي تنادي على البواب والخادمة كي يحملاني للخارج، لأن صحتها لا تسمح لها بحملي .

وبمجرد أن سندني البواب من اتجاه والخادمة من الاتجاه الآخر وتحاملت على نفسي وأنا أسير ببطء للخارج، بدأت أتمالك قوتي، وبمجرد أن ملأ الهواء صدري شعرت أن الروح قد ردت بي من جديد وأنا أنظر للسماء ، هنا نظرت لي أمي بلهفة باكية وهمت تعانقني ، هنا قلت لها بعد أن خرجت من حضنها :

-من أنا . . . ؟ أريد أن أعرف كل شيء .

مسحت دمعها وقالت لي:

-أنت خالد ولدي.

-قولي لي كل شيء عني. . . لا أريد أن أكون تائهًا هكذا . . . ؟

وضعت يدها على صدري كي تهدئني وقالت لي بصوتها الحاني:

-سوف أقول لك كل شيء ولكن تعال اصعد غرفتك بالأعلى وبعد أن ترتاح سوف أحكي لك كل شيء.

صعدت أمي معي الغرفة ولكني لم أنم طيلة الليل، وأمي بدأت تنعس فقلت لها:

-عليكِ أن ترتاحي.

مسحت على شعري بلهفة وقالت لي:

-أنت راحتي يا ولدي، لا أريد شيئًا من الدنيا سواك.

أكدت عليها أن تذهب للنوم وقلت لها:

-أرجوكِ نامي الآن، وأنا لن أعرف أكمل نومي لأني يبدو أني نمت كثيرًا.

-صحيح نمت كثيرًا يا حبيبي، ولكن لكي أستطيع النوم تعالى نام معي في غرفتي.

-وأبي. . . ؟

-أبوك مات منذ عدة سنين .

قمت من سريري وقلت لها متسائلاً :

-ألن تحكي لي كل شيء كي أتذكر ما مررت به قبل الحادث .

سحبتني من يدي وقالت لي:

-أنسَ الماضي يا ولدي، دعنا نبدأ حياة جديدة وإذا جال في خلدك سؤال مثل سؤالك عن أبيك فيمكنني أن أجيبك، ولكن نصيحتي لك أنسَ الماضي ودعنا نبدأ من جديد .

قالت له فريدة متعجبة:

-يعني أنت مصاب بفقدان الذاكرة أيضاً ولا تعلم شيئاً عن حياتك .

أومأ لها خالد أي نعم، عم الصمت قليلاً ومن ثم سألته بحيرة:

-هل يمكن أن تقول لي ما اسم أمك . . . ؟

-أمي اسمها رحاب .

هنا صدمت فريدة وظلت شاردة لبعض الوقت فسألها خالد بحيرة . . . ؟

-فريدة، ماذا بك . . . ! ؟

ازدردت فريدة لعابها بعد ما جف حلقها من الصدمة، وسألته:

-هل لديك إخوة يا خالد . . . ؟

-أنا وحيد ليس لدي إخوة .

-يعني أمك لم تحكِ لك أن لديك أخًا يكبرك سنًا . . . ؟

-قلت لكِ إن أمي لم تحكِ لي شيئًا وطلبت مني نسيان الماضي .

-هل يمكن أن أعرف ما هو اسم أبيك يا خالد . . . ؟

-أمي قالت لي إن اسم أبي فتحي* .

هنا صاحت فريدة بصدمة:

-فتحي . . . !

قال لها خالد متعجبًا :

-هذا ما قالته لي أمي، ولكن لِمَ صدمتِ هكذا . . . ؟

لمعت عينا فريدة وقالت له بلهفة الغريق الذي رأى أن هناك من سينجده:

-أنا متأكدة أن لك أخًا يكبرك سنًا .

نظر لها خالد بلهفة وأردف:

-حقًا . . . ؟

ومن ثم ابتسم وقال ساخرًا :

-ألا يكون أبسل أخي . . . !

ابتسمت له فريدة وخرجت من حالة الجد التي أصابتها وقالت:

-توقف يا خالد ، يبدو أن أبسل قد أصابك وصرت تمزح مثله .

تمالك خالد ضحكته وقال بلهجة يحاول أن تكون جادة:

-حسنًا ، من هو . . . ؟

-لا ، لن أقول لك أي شيء عنه إلا بعد أن أتأكد إن كان هو أم لا ؟

-وكيف ستتأكدين . . . ؟

-هل ما زالت متعلقات والدتك موجودة في الفيلا . . . ؟

-نعم، موجودة في صندوق كبير .

-هل يمكنك أن تأخذني لبيتك .

-أكيد ، ولكن متى . . . ؟

قالت له فريدة بلهفة وكأن روحها قد عادت لها أخيرًا : -حالًا .

الفصل الرابع

الصندوق

خالد وفريدة وصلا أمام الفيلا، وها هي فريدة تغلق باب سيارتها بقوة متعجلة، وخالد يلحقها متعجبًا وهو يقول لها:

-على مهلك يا فريدة، لِمَ أنتِ متعجلة هكذا . . . !

التفتت له فريدة بلهفة وقالت وهي تسحبه:

-سوف أفهمك كل شيء بعد قليل، لا تتعجل، بل الحقيقة سيفهم كلانا كل شيء بعد قليل.

تعجب خالد ولكن سرعان ما همَّ بفتح الفيلا، فالتفتت له فريدة متسائلةً:

-آه، أين الصندوق . . . ؟

أشار لها خالد تجاه الغرفة الموجودة في نهاية الحديقة، وبمجرد ما علمت فريدة المكان سبقته إليه مسرعةً، فأتبعها خالد مسرعًا لكي يلحق خطاها.

حاولت فريدة فتح باب الغرفة ذا مقبض الأبواب القديمة، فنظرت متعجبة، فقال لها خالد ضاحكًا:

-هل يمكن أن تعطيني الفرصة لكي أسبقك وسوف أقوم لكِ بما ترغبين به.

ها هو خالد يخرج من جيبه مفتاحًا ذا طراز قديم نحاسي، وبمجرد ما فتح الغرفة انبعثت منها رائحة عفنة جدًّا لدرجة أن فريدة أوشكت على التقيؤ بسببها، ولكن سرعان ما كتمت أنفاسها ومن ثم سعلت وقالت وكل ملامح التقزز قد رُسمت على وجهها:

-ما هذه الرائحة يا خالد؟

تمالك خالد نفسه وقال لها:

-بعد قليل ستهدأ الرائحة، يمكن سبب هذه الرائحة أني لم أقم بفتحها منذ موت أمي.

ضحكت فريدة ضحكة تهكمية وقالت:

-بعد قليل ماذا . . . ؟ هذه الرائحة تحتاج لسنة لكي تتخلص منها الغرفة، الرائحة تشبه رائحة جثة متعفنة.

نظر لها خالد وعلى وجهه ملامح جد :

-ليس لهذه الدرجة .

نظرت له فريدة ممازحة إياه:

-أنت تقول هذا لأنك ترتدي كمامة .

لم يرد عليها خالد ، فرُسمت ملامح الإحراج على وجه فريدة وقالت متمالكة الموقف:

-أمزح معك يا خالد ، لمَ أنت جاد هكذا . . . ؟ !

ظل خالد ينظر أمامه وهو يهم بالنزول على ركبتيه لكي يقوم بسحب الصندوق من تحت السرير .

وقفت فريدة شاردة لا تدري ما الذي تريده وماذا سوف تستستفيد في كل الحالات، ولكن فضولها قادها إلى هنا وتريد أن تعرف ما يقودها إليه .

أحيانًا ما يقودنا إليه خاطرنا وقلبنا يكون صحيحًا .

ها هو خالد يلتفت ويقول لها قبل أن يفتحه:

-هل تصدقين أني لم يأتِ في بالي قط أن أفتح هذا الصندوق . . . ؟

نظرت له فريدة متعجبة وهي تهم بالنزول أرضاً بجواره وهي تقول له:

-ولكن لماذا . . . ؟

همَّ خالد بنزع كمامته وقال لها :

-لأن أمي لم ترغب بأن تخبرني شيئًا ، فلم أحب أن أبحث عن حياتي السابقة احترامًا لرغبتها ، فبمجرد ما ماتت أمي طلبت من الخدم أن يقوموا بأخذ كل متعلقات أمي ووضعها في هذا الصندوق ولم أترك لي سوى صورتها المعلقة على الدرج.

نظرت له فريدة ومن ثم نظرت للصندوق بلهفة وقالت:

-وهل سنقوم بفتح الصندوق الآن أم ماذا . . . ؟

-آه، أكيد . . .

لم يكمل خالد كلامه وقال وهو يضرب رأسه بكف يده:

-آوه، إن الصندوق مغلق بقفل .

-وأين هو مفتاحه . . . ؟

-صدقيني لا أعرف .

-يجب أن نبحث عنه الآن .

-ولكن أنا لا . . .

لم يكمل كلامه لأن فريدة خرجت من الغرفة مسرعةً وهي تقول بلهفة وهي تقف أمام باب الغرفة:

-يجب أن نبحث في كل مكان .

نظر لها خالد متعجبًا :

-ولكن لِمَ كل هذا . . . ! أنا صاحب الشأن ولا يشغلني إلى هذا الحد .

دخلت فريدة الغرفة وسحبته وقالت بلهفة صاحبها الجد :

-ولكن يهمني أنا ، يجب أن نعرف كل شيء عن ماضيك وعن عائلتك، لا يصح أبدًا أن تعيش جاهلاً كل شيء عن ماضيك وعن حياتك .

ها هو خالد دخل فيلته وأعطى أمرًا للروبوت للبحث عن مفتاح الصندوق، وبالفعل صعدا وراء الروبوت، وها هو الروبوت يقوم بمسح كافة أرجاء غرفة رحاب بعينيه، لدرجة أن فريدة فقدت الأمل بأنه غير موجود ، ولكن سرعان ما تجدد بها الأمل بمجرد ما سمعت صوت النتيجة الصادر من الروبوت:

-المفتاح. . . غير موجود في هذه الغرفة.

بمجرد ما أتم الجملة قلت همتها، ولكن سرعان ما قالت لخالد بلهفة:

-لن يضر إن بحثنا في كل الفيلا، أليس كذلك. . . !

رفع خالد كتفه بلامبالاة وأردف:

-أنا معكِ للنهاية.

بالفعل قام الروبوت بالبحث في كل أرجاء الفيلا بدون جدوى، وها هي فريدة وخالد في الحديقة.

فريدة شاردة تفكر بصمت، فقطع خالد صمتها بصوته:

-فيما تفكرين يا فريدة. . . ؟

-لا أدري فيما أفكر، ولكن أشعر أن في هذا الصندوق شيئًا مهمًا بالنسبة لك ولي.

-ما رأيك في أن نكسره. . . ؟ !

نظرت له فريدة بلهفة كمن رأى النور من بعد الظلمة وقالت:

-نسينا أن نبحث في الغرفة الموجود بها الصندوق.

ها هو الروبوت يمسح الغرفة بعينيه، وبمجرد ما سمعت فريدة الصوت النابع من الروبوت وضعت يدها على قلبها :

-المفتاح. . . هنا .

همَّ خالد مسرعًا بالبحث تحت السرير، وبالفعل قد وجده .

أخذته فريدة من يده مسرعةً بلهفة وهمت بفتح الصندوق .

ها هي تنظر للصندوق بتعجب، لأن الصندوق برغم حجمه الكبير لا يوجد به إلا بضعة أوراق .

سألته فريدة متعجبة وهي تبحث في الأوراق:

-هل هذه كل متعلقات أمك. . . ؟ !

-كما تعلمين، بمجرد موت أمي طلبت من الخدم أن يجمعوا أشياءها ، يمكن البعض أخذ أشياءها أو قام بتوزيعها ، لا يهمني و. . .

لم يكمل كلامه لأن فريدة صاحت متعجبةً بمجرد ما رأت مجموعة من الصور:

-هل هذه صورة عائلتك. . . ؟

نظر خالد لما في يدها وقال متعجبًا :

-كما تعلمين، أنا لم أَرَ صورة والدي، ولكن هذه المرأة تشبه أمي، يمكن هذه صورتها في شبابها ، وهذا الرجل على ما يبدو أكيد هو والدي، وأكيد هذا الطفل كنت أنا .

نظرت له فريدة بشرود غير مستوعبة، ومن ثم قالت وهي تعيد نظرها للصورة:

-إنهما فتحي ورحاب اللذان أعرفهما .

نظر لها خالد مستغربًا :

-وما المميز في كلامك ذا ، سبق وقلت لكِ اسم أمي وأبي، وأكيد سبق ورأيتِ صورة أمي المعلقة على الدرج.

-لم أتعرف على رحاب من الصورة المعلقة على الجدار لأني لم أركز بها بسبب الإضاءة المتذبذبة يومها ، واليوم لم أنتبه لها لأني كنت أبحث عن ال . . .

قاطعها خالد متعجبًا :

-آه صحيح، لتوك قلتِ لي "أنكِ تعرفين والداي" . . . ! ولكن كيف تعرفين عائلتي . . . ؟ هل نحن أقرباء . . . !

لم تعره فريدة تقديرًا لسؤاله، وقالت بلهجة غلبها الجد وهي تهم بالوقوف وفي يدها كل الأوراق والصور:

-هل يمكن أن آخذ تلك الأوراق لكي أتطلع عليها في بيتي . . . ؟

-ولِمَ تستأذني وأنتِ بالفعل قد أخذتِها . . . !

ابتسمت له ولكن وراء ابتسامتها حيرة تغزو كل ملامحها، وهمت بالخروج من الغرفة وهي تتمتم:

-سوف أتركك لكي ترتاح قليلًا، أراك غدًا .

قال لها خالد بلهفة وهو يهم لكي يلحقها خارج الغرفة:

-لِمَ لم تجيبيني يا فريدة . . . ؟ ولِمَ لا نرى الصور والأوراق سويًا وتفهميني كل شيء . . . ! ؟

التفتت له فريدة وقالت:

-لا، بل عليك أن ترتاح الآن وأنا كذلك سوف أرتاح، وبعدما أُرتب أفكاري سوف أخبرك بكل شيء .

***

الفصل الخامس

السر

ها هي فريدة تدخل غرفتها وهي تمشي شاردة الذهن، ومن ثم ألقت بالأوراق على المكتب والصور واضحة أمامها، تنظر للصور شاردة وتسأل في قرارة نفسها :

-أنا لا أفهم شيئًا، من خالد هذا . . . ؟ هل هو أخ لفارس . . . ؟ ولكني عندما عدت بالزمن لم يكن لفارس أي إخوة . . . ولكنه أقر بأن من في الصورة هي أمه، ورحاب لم تنجب سوى من فتحي وأنجبت فارس فقط . . . ! أم تكون رحاب تزوجت مرة ثانية من رجل غير فتحي بعد سنوات من موت ابنها فارس . . . ! ولكن رحاب عاقر وانجبت عن طريق السحر الذي فعله فتحي . . . !

آه، أنا في حيرة رهيبة، كيف لخالد أن يكون هو فارس، وفارس مات أمام عيني بل وبين يدي .

من هذا الخالد . . . من هو . . . ؟ يجب أن أعرف السر الذي وراءه . . . ولكن كيف لي أن أعرف وأنا قمت بتحطيم جهاز السفر عبر الزمن كما طلب مني أبسل .

ماذا عليّ أن أفعله . . . ؟ سوف أتصل بدكتور جون، هو من صنع لي هذا الجهاز وهو قادر أن يصنع لي غيره .

لمست فريدة خاتمها لكي تتصل برقم دكتور جون، ولكن الهاتف مغلق وسمعت صوت الرسالة المسجلة:

-أهلًا ، أنا دكتور جون، أترك لي رسالة صوتية وسوف أعيد الاتصال بك في أقرب فرصة .

-دكتور جون، اشتقت إليك كثيرًا ، وأشعر بحزن رهيب يجتاح صدري لأنك لم تحضر زفافي وأنت تعلم جيدًا ماذا تعني لي، على العموم أنا في انتظار اتصالك، أحبك .

ها هي فريدة تخطو تجاه سريرها وتلقي بجسدها متعبة من كثرة التفكير وهي تتمتم لنفسها :

-بعد قليل سوف يتواصل معي جون وسوف يصنع الجهاز مرة أخرى وسوف أعرف الحقيقة كاملة .

ها هي فريدة تفتح عينيها بسبب صوت ارتطام شيء في زجاج شرفتها ، تفتح عينيها فترى ذلك الطائر في شرفتها يحاول أن يخترق الزجاج وينقره بمنقاره، ونقره يزداد أكثر وأكثر إلى أن شرخ الزجاج قليلاً ، وفريدة الذعر احتل ملامح وجهها من بعد ملامح التعجب .

ها هو الطائر ينقر الشرخ أكثر فتحول الشرخ إلى كسر ، وكلما زاد الكسر أكثر كلما ازداد حجمه أكثر ، هرعت فريدة هاربة تجاه باب غرفتها ، وهنا قد تمكن الطائر من دخول الغرفة، وهي تحاول فتح بابها ولكن بلا جدوى وهي تصرخ من شدة الرعب الذي تعيش به، وفجأة بدأت تشعر بحرارة رهيبة تأتي من ورائها ، بمجرد أن التفتت رأت ذلك الطائر البرتقالي ذا الأجنحة النارية، أجنحة نارية بالفعل ليس مجرد وصف لون، لقد تمكنت الشعلات النارية من ريش جناحيه، وعينيه تخرج شرر نار رهيب تجاه فريدة، ولكن سرعان ما تتجنب فريدة تصويبه عليها ، وتلبد النار في الباب، ها هو الطائر يتحرك ويجعل ظهره للباب لكي يقابل فريدة التي أصبحت تجاه شرفتها ، ولكنها لم تتمكن من العبور بسبب كثرة فتات الزجاج في الأرض، ولكن

سرعان ما قررت أن تعبر فوق الزجاج وتقفز قفزة كبيرة على أمل أن تهرب من النار التي تخرج من عين الطائر ولبدت في سريرها .

سقطت فريدة في شرفتها جريحة القدمين بسبب فتات الزجاج المنثور في كل أرجاء الشرفة، وهي تلهث باكية تنظر لقدميها الداميتين ومن ثم ترفع رأسها فترى أن النار قد لبدت في كل غرفتها والطائر يقف أمامها .

ترفع رأسها تنظر لسور شرفتها وهي تمسك بالقطعة الزجاجية من قدمها وهي تكتم نفسها وتهم بسحب الزجاج منها ، حينها أطلقت صرخة قوية لحقتها نعيق الطائر الذي هم بإطلاق شعلة نارية أخرى من عينيه لكي تلبد في الشجرتين اللتين تحيطان بشرفتها ، ومن ثم نعق كأنما يسخر منها وهي أمامه ضعيفة محاصرة غارقة في دمعها ودمها ، كأنه كان تاركًا لها فرصة للهرب ولكن كان يجب عليها أن تذوق ألمًا رهيبًا لكي تهرب، وبعد أن يتلذذ بألمها يغلق في وجهها آخر سبيل للنجاة .

اقترب منها بجناحيه وهم بضمها لكي تلبد النار بها وهي تصرخ، ولكن صوتًا أجش قطع صراخها :

-نهايتك على يدي يا عجيبة .

-عجيبة .

فزت فريدة من نومها مفزوعة، ولكن سرعان ما التقطت أنفاسها ومسكت رأسها ونظرت لأبسل وقالت له متعجبةً:

-ومنذ متى تقول لي يا عجيبة . . . ؟

نظر لها أبسل مستغربًا وقال:

-لم أقل لكِ يا عجيبة، بل قلت لكِ "لَأنتِ نائمة للظهر . . . عجيبة . . . !" أقصد أنكِ قلتِ لي إنكِ ستواظبين على مواعيد العيادة الجديدة .

ما زالت فريدة تنظر له بحيرة ولكن سرعان ما تفحصت خاتمها ولم تجد أي مكالمة أو رسالة من دكتور جون، فقامت برفع شعرها بعصبية وقلق وسألت أبسل:

-أبسل، ألا تعرف أي جديد عن دكتور جون بما أنك عدت لتوك من لندن .

جلس أبسل بجوارها وقال:

-كما تعلمين أن سفري سريع جدًّا، أُكمل أمورًا مهمة في العمل وأعود لكِ من جديد يا عزيزتي .

لمست فريدة خاتمها مرة أخرى وملامح القلق احتلت وجهها وهي تقوم بتشغيل مكبر الصوت من الشاشة المنبثقة أمامها وهي تتصل بالعمة كرستين، أكملت الاتصال ولم يأتِ أي رد .

قامت فريدة من سريرها ووقفت أمام زجاج شرفتها وهي تعاود الاتصال مرة أخرى وفي هذه المرة جاءها صوت العمة كرستين، صوت واهن مكسور:

-ألو.

مما جعل الخوف ران على قلب فريدة التي قالت بصوت مرتجف:

-عمتي كرستين . . . هل أنتِ بخير . . . ؟

سمعت فريدة صوت العمة كرستين وهي تبكي:

-أنا بخير يا فريدة . . .

-ماذا حدث يا عمتي . . . ؟ هل حدث لكِ شيء . . . ؟ ولِمَ جون لا يرد على اتصالي ولِمَ لم تحضرا زفافي . . . ؟

-جون . . . لقد . . .

قطع بكائها صوت فريدة القلق المتسائل:

-ما به جون . . . ؟ قولي لي الحقيقة . . . ؟ ما به . . . ؟

-لقد مات جون يا فريدة، مات .

هنا لم تعد فريدة قادرة على أن تقف وخرت واقعة فاقدة للوعي .

***

ها هي فريدة تقف هي وأبسل وأمها وتين على باب بيت دكتور جون، ها هو الروبوت يفتح لهم الباب ويدخلون غرفة الضيوف التي تجلس بها كرستين التي أصابها العجز أكثر بعد موت زوجها ، صارت مثل الوردة التي قُطفت وأُلقيت على الطريق لكي تلقى مصرعها هي الأخرى .

هرعت فريدة إليها صارخة باكيةً في حضنها ، لأن كرستين وجون اعتبراها ابنتهما بعدما أيقنا أنهما لن ينجبا أبدًا .

من ثم صعدت فريدة لغرفة جون ولمست صورته وهي تقول في قرارة نفسها وهي تبكي بحرقة:

-كنت أظن أني يتيمة بعد موت أبي، ولكن اليوم لقد ذقت كأس اليتم الحقيقي، إن هذا الكأس مُر حقًا ، فَقْد الأب أصعب من السم، لأن السم يجعل المرء يعاني

للحظات ومن ثم يرتاح للأبد ، ولكن كأس اليتم المرير يجعل الغصة تخنقك كل لحظة في يومك .

ها هي تأخذ صورة جون وتجلس على سريره وتقول له باكيةً:

-أتعرف يا جون، كنت أظن أني سوف أكون تلك الفتاة القوية دائمًا ، ولكن موت أبي كسر لي ساقًا وصرت عرجاء أمشي بصعوبة، أدركت حينها أن أبي كان قوتي وسندي، ولكن من هون عليّ كسر ساقي هو أنت يا جون، وصرت لي ساقي الأخرى بل وكنت لي السند والأب الذي أحتاجه، بل واختراعك لكي أرجع بالزمن لكي أقابل أبي شد لي ظهري الذي انحنى بفراقه، ولكن ها أنا الآن بفراقك كُسرت ساقي الأخرى وظهري قد انحنى لأني لن يمكنني أن أرى أبي أو أراك مرة أخرى يا عزيزي .

أنا الآن يتيمة يا جون، أنا الآن يتيمة يا مراد ، أنا مكسورة ضعيفة، أريد كما أن تأخذا بيدي لكي أقف من جديد أو تأخذاني إليكما .

من ثم بكت بكاءً هستيريًا ، فدخل عليها أبسل وهم بضمها وهو حزين على حالتها ويقول لها مهونًا عليها :

-أهدئي يا فريدة، لا تفعلي بنفسك هكذا أرجوكِ .

-أنا وحيدة يا أبسل، وحيدة وليس لي نصيب أن يكون لي أب مثل باقي البشر، مكسورة الجناح أنا يا أبسل وتائهة .

-أنا بجانبك دائمًا يا فريدة، أنا ظهرك، أنا سندك، لا تقولي هذا الكلام أرجوكِ .

***

ها هي فريدة تقف أمام قبر جون وتبكي بصمت، وأبسل يربت على كتفها ويقول لها مهونًا عليها :

-هيا يا فريدة، يجب أن تعودي لحياتك في مصر وتكملي حياتك كما كان يتمنى والدكِ، صار لك شهر هنا ، إلى متى ستظلين هكذا . . . ؟

-متعبة يا أبسل، لقد فقدت آخر ما تبقى من طاقتي بفراق جون .

-هل تريدين أن تبقي في حالتك تلك، أم ستتركين نفسك في حالة صدمة لمدة أكثر من عام مثل عندما مات أبيكِ ؟ فريدة، أنتِ كَبرتِ وتعلْمين جيدًا أن عليكِ أن تواجهي الحياة بمصاعبها ، لا تدعيها تهزمك هكذا ، عودي تلك الفتاة المشاغبة مرة

أخرى، لا تنطفئي يا فريدة، حياتنا مظلمة من دونك، دعي ضوئك يشع مرة أخرى يا شمسنا .

نظرت فريدة نظرة من وجد النجدة بعد ما أوشك على الموت والتقط آخر أنفاسه .

***

فريدة ها تفها يومض باتصال من خالد ، ولكنها لا ترد عليه منذ آخر لقاء لهما .

ولكن سرعان ما يقطع تفكيرها صوت جرس الباب، وكان القادم هو خالد ،

وبمجرد دخوله لغرفة الضيوف همت فريدة بالخروج، فنادى عليها أبسل متسائلًا :

-إلى أين أنتِ ذاهبة يا فريدة، إن خالد جاء إلى هنا خصيصًا لكي يطمئن عليكِ .

جاء صوت فريدة الخافت من بعيد من دون حتى أن تلتفت لأي منهما :

-أنا متعبة، أريد أن أرتاح.

شعر خالد بالإحراج بسبب عدم استقبال فريدة له، فتمالك أبسل الموقف وهمَّ مرحبًا بخالد وأجلسه بجواره على الأريكة، ولكن خالد سرعان ما شرد عن حديثه مع أبسل وهم بإرسال رسالة لفريدة .

-فريدة، لِمَ لا تردين على اتصالاتي وحتى لقائي بكِ تتجنبيه، هل صدر مني أمر أزعجكِ لهذا الحد ؟ في كل الحالات أنا آسف عن كل ما صدر مني بقصد أو من دون قصد ، وصدقيني سوف أبتعد ولن أضايقكِ ثانيةً .

من ثم همَّ واقفًا فجأة، فقال له أبسل متعجبًا :

-لِمَ أنت متعجل هكذا يا صاح . . . ؟

هرع خالد مغادرًا وقال معتذرًا :

-اعذرني، يجب أن أذهب الآن .

-هل سوف أراك لاحقًا . . . ؟

-أتركها تأتي على حسب الظروف .

من ثم رحل، وقف أبسل متعجبًا متمتمًا في قرارة نفسه:

-ماذا يحدث لهما . . . ؟ أشعر أني مثل الأطرش في الزفة .

ها هي فريدة تفتح الدرج الخاص بها وتخرج تلك الصور وتنظر بحيرة وتسأل نفسها :

-كيف لي أن أعرف الحقيقة وراء خالد إن ظهوره في حياتي لغز رهيب، ولقد اعتدت أن أحل أي لغز يواجهني، ولكن كيف . . . ؟

هنا قطع شرودها صوت أحد يطرق على باب غرفتها ، ومن ثم دخلت أمها وبيدها كتاب كعادتها وسألتها بقلق:

-فريدة، لمَ تركتِ خالد هكذا ولم تحسني استقباله . . . !

تنفست فريدة الصعداء وقالت بنفاد صبر:

-لن تتوقفي أبدًا يا وتين عن إقحام أنفك في حياتي، أليس كذلك . . . !

-فريدة، لا تغيري الموضوع وتهربي من الإجابة، هيا قولي لي السبب .

ابتسمت فريدة وقالت مغيرة الموضوع:

-ها قولي لي يا وتين، ماذا تقرأين اليوم . . . ؟ ابهريني .

-تغيرين الموضوع للمرة الثانية يا فريدة . . . !

رفعت فريدة حاجبيها وقالت بثقة:

-تربيتك يا وتين، وعليكِ أن تشربي من نفس الكأس التي تجعليني أشرُب منه .

-كان يجب عليّ أن أسميكِ عنيدة لا فريدة .

من ثم تنفست الصعداء وقالت:

-حسنًا ، ها أنا أقرأ رواية .

-دعيني أطلع عليها .

ها هي فريدة تقرأ اسم مؤلف الرواية ومن ثم التمعت عينيها وقالت بلهفة:

-إن الرواية لـ"رانيا رمضان"، تلك المؤلفة التي تقتني أغلب أعمالها .

أومأت وتين رأسها موافقة وقالت بثقة:

-أنتِ تعلمين يا فريدة إنها من المؤلفين المفضلين لدي .

شردت فريدة في الرواية التي بين يديها وفتحت الصفحة الخاصة بسنة الإصدار

وقالت بتعجب:

-إن هذه الرواية صدرت منذ عامين، هذا يعني أنها على قيد الحياة .

-أي نعم، على قيد الحياة، إن هذه المؤلفة في مثل عمري تقريبًا .

أومأت فريدة برأسها وابتسمت لأمها ، فنظرت لها أمها بحيرة وسألتها :

-ما الذي يدور في خلدك يا فريدة .

ابتسمت فريدة لوتين وأمسكت لها أنفها وقالت لها :

-سوف أخبرك بكل شيء إن توقفتِ عن فضولك ذا ، وهيا بنا ننزل لكي نأكل، أنا

جائعة جدًّا .

من ثم همت تجاه الباب بعفوية تتناقض مع ردة فعلها منذ قليل مع خالد ، فنظرت لها أمها متعجبة وقالت بنفاد صبر:

-أقسم أني أنجبت مجنونة للحياة لا طبيبة نفسية .

***

بعد منتصف الليل، ها هي فريدة تتحرك في السرير غير قادرة على النوم بسبب كثرة التفكير، فقررت أن تجلس على السرير وتتصفح مواقع التواصل الاجتماعي في الشاشة المنبثقة من خاتمها ، وفجأة التمعت في ذهنها فكرة أن تبحث عن حساب رانيا رمضان المؤلفة، ولكن سرعان ما أبعدت الفكرة عن بالها وقالت:

-ما هذا السخف يا فريدة . . . ؟ ما الذي سوف تفيدك به رانيا هذه المرة . . . ؟ في المرة السابقة عدت لعام 2020 لكي أقابلها لكي أستشيرها في مجال لها علم به، بينما الآن ما الفائدة من أن أقابلها في الواقع وليس لي إمكانية السفر عبر الزمن لكي أُكمل ما سوف أبذله .

وهل يا ترى لو قابلتها في الوقت الحالي أي بعد مرور أكثر من ربع قرن، هل سوف تتذكرني . . . !

لا أدري، ولكن بداخلي شعور يقول لي أن أتواصل معها ، واحتمال كبير أن تتذكرني، لقد كنت بطلة لأحد أعمالها في يوم من الأيام، وحاليًا هي بعمر أمي، أكيد سوف تفيدني بخبرتها في الحياة .

ها هي فريدة تبحث عن الحساب الذي قرأته على ظهر الغلاف .

وجدت الحساب ولكنه فارغ تمامًا ، قالت فريدة في قرارة نفسها متعجبة:

-يا لها من غريبة، لَمَ لديها حسابات على مواقع التواصل ولا تستخدمها . . . !

من ثم ركزت في الكلمة التعريفية الخاصة بالمؤلفة: "معكم رانيا رمضان بنت البروفيسور، أديبة وشاعرة ومفسرة أحلام وعاشقة للماورائيات، هذا الحساب ما هو إلا همزة وصل بيني وبينكم لكي تشاركوني قصصكم المميزة وأظهرها للنور، فأنا بكم وإليكم دائمًا" .

هنا التمعت فكرة أخرى في عقل فريدة وقالت:

-أوه، إنها عاشقة للماورائيات، لذا سوف أتواصل معها وأحكي لها بعض الأمور التي أُمر بها وأكيد سوف تساعدني .

أرسلت فريدة رسالة لرانيا :

-أهلًا رانيا، أقصد أستاذة رانيا، سامحيني أني لم أقل لقبك في المرة الأولى، ولكن أتمنى أن تتذكريني، أنا فريدة التي كنت آتي إليكِ من المستقبل عندما كنتِ في بداية شبابكِ، كنا صديقتين، ولكن بما أني الآن فقدت جهاز السفر عبر الزمن صرت غير قادرة على أن أُقابلَكِ في تلك الفترة التي اعتدتِ أن تريني بها، لذا قررت أن أتواصل معكِ في الواقع ضروري، أريد أن أستشيرك في أمور كثيرة أُمر بها يا رانيا، أرجوكِ ردي عليّ، أنا في حاجة إليكِ.

ظلت فريدة تنظر للرسالة على أمل أن تراها رانيا ولكن بلا جدوى، قررت فريدة أن تنام ولكن لم تستطع.

الوقت أوشك على الفجر وما زالت فريدة تفكر، ولكن سرعان ما قطع شرودها صوت رسالة، فلمست خاتمها بسرعة وكانت الرسالة من خالد، فتنهدت بنفاد صبر ولم تعر الرسالة انتباهًا، بعد قليل سمعت صوت رنين خاتمها انبثق من الخاتم شاشة تحمل اسم حساب رانيا، فهرعت فريدة خارجة من غرفتها مسرعةً، وبمجرد خروجها ردت على الاتصال فظهرت أمامها امرأة أوشكت على الخمسين من العمر، تعجبت فريدة من رؤيتها وقالت:

-رانيا . . . ! سعيدة جدًا لرؤيتكِ . . . ؟

-لقد رأيت الصور الموجودة على حسابك وتأكدت أنكِ فريدة، تلك الرسالة لم تكن كفيلة لكي أتواصل معكِ، فلدي عدد كبير من القراء الذين يعرفون قصتك ومن السهل عليهم اختلاق هذه الرسالة .

-سعيدة جدًا لتواصلك معي يا رانيا ، ولكن هل يمكن أن أتواصل معكِ الآن، أم أتواصل معكِ في وقت مبكر . . . ؟

نظرت لها نظرة تعجب وقالت بسخرية:

-يبدو أني تسرعت واتصلت بكِ يا فريدة، لأنكِ لو كنتِ فريدة صديقتي لكنتِ علمتِ أني كائن ليلي .

ضحكت فريدة وهي تهم بالجلوس على أريكة غرفة الجلوس وقالت:

-أعلم يا رانيا ، ولكن قلت في قرارة نفسي أن الوضع قد تغير بحكم السن و . . .

-السن . . . ؟ أتقصدين أني صرت عجوزاً . . . ؟ حسنًا ، يبدو أني تسرعت بالرد عليكِ .

-أمزح معكِ يا رانيا ، على العموم دعيني أدخل لكِ في الموضوع، أنا أُريدك في أمر ضروري، هل يمكن أن أقابلك .

-تنوريني أكيد ، ولكن ها أنا ذا معكِ . . . !

-لا ، أريد أن أراكِ وأريكِ شيئًا مهمًا وأحكي لكِ موضوعًا غريبًا بشكل لا يتصوره عقل .

-ما دام لا يتصوره عقل أكيد يمكن أن تأتي لبيتي، سوف أرسل لكِ موقع عنواني الجديد في القاهرة، سأكون في انتظارك غدًا السابعة مساءً .

***

الفصل السادس

الحل

ها هي فريدة تجلس أمام رانيا في حديقة بيتها ورانيا تقول لها بحيرة:

-لا أفهم يا فريدة ما الذي تقولينه . . . كيف تقولين لي إن فارس مات أمام عينيكِ وها هو خالد يدعي أن رحاب وفتحي هما والديه، كيف له أن يكون هو فارس، وفارس إذا تم إنقاذه لكان عمره الآن أوشك على الخمسين .

هنا قالت لها فريدة بحيرة:

-ولكن يمكن لمرض البورفيريا دور في هذا بأنه لا يشيب ويهرب من الشمس لأنها تسبب له حروقًا جلدية و . . .

-حسنًا ، سوف أسايركِ أن المرض هو سر شبابه إلى الآن، ولكنه مات يا فريدة، مات أمام عينيكِ بل ودفنته أمه في حديقة بيتها ورأيتِ ذلك بعينكِ عندما عدتِ بالزمن .

هنا ضربت فريدة رأسها وقالت بتعجب:

-آه صحيح، لقد دفنته في الحديقة، وهو قال لي إن أول شيء يتذكره في حياته هو خروجه من غرفة ما في الحديقة.

-إن ما يدور في عقلك الآن يا فريدة لا يصدقه عقل، كيف لهذا أن يحدث . . . !

-كيف هذه أريدك أن تساعديني بها، يجب أن نعرف ونتأكد مما مر به فارس، يجب أن نجد الحلقة المفقودة في حياته، هل خالد هو فارس، أم خالد شخص نصاب أو مخادع ولكن لَم يفعل ذلك . . . أم احتمال آخر ؟

ظلت رانيا شاردة تفكر لا ترد على فريدة، ولكن فريدة نادت عليها لكي تنتبه لها:

-رانيا، أنا أتحدث إليكِ . . . ؟

التمعت عينا رانيا وقالت بحماسة:

-وجدتها، سوف تعرفين الحلقة المفقودة.

-ولكن كيف . . . ؟

-لا تقلقي، دعيني أرتاح اليوم وفي الغد سوف تأتين لي في نفس الموعد وسوف تجدين الحل معي.

-ولكن ما هو . . . ؟

-صدقيني، أنا لم أخذلكِ من قبل، خذي كلامي ثقة .

فريدة في المساء تقف في شرفتها وتنظر لفيلا خالد بحيرة، الفيلا مغلقة مظلمة تمامًا بعدما وعدها أنه سوف يبتعد عنها ، ها هي تفكر في قرارة نفسها :

-عليّ أن أقتحم الفيلا، ولكن لمَ . . . ؟ لا أدري ولكن لا يضر . . . !

فريدة تخرج من فيلتها وتتجه ناحية فيلا خالد وتهم بتسلق سور الفيلا وكانت مطمئنة لأنها تعلم أن أجهزة خالد أغلب الأحيان معطلة، ها هي تمشي في حديقة الفيلا وتشعر بشعور مقبض وكئيب بسبب الظلمة الموحشة، ومن ثم وصلت لتلك الغرفة وأخذت تتذكر مكان قبر فارس، ولكن سرعان ما شعرت بحرارة رهيبة وراء ظهرها ، وبمجرد أن التفتت رأت ذلك الطائر الضخم الناري، وهو يهم بإضرام النار عليها ، ولكنها هرعت صارخة هاربة، فلبدت النار في غرفة الحديقة، وفريدة تنظر بندم للغرفة المحترقة وهي تصرخ وكأن طرف الخيط الذي كانت تريد أن تمسك به قد اختفى من يدها .

ها هو الطائر يقترب منها وهي تنظر له وتعود بظهرها للوراء وهي تصرخ إلى أن ارتطمت ببيت الكلب فسقطت أرضًا فصارت تزحف هاربةً بعدما فقدت

قدرتها على الوقوف مرة أخرى، والطائر يمشي أمامها راغبًا في أن تعود بنفسها إلى مقر النار في تلك الغرفة، وها هي تعود بظهرها وكل ملامح الذعر قد سيطرت عليها ، ولكن بمجرد أن أوشكت على أن تلامس النار رأت شابًا يقف وراء الطائر، لم تتضح ملامحه بسبب اللهيب المنبعث من جناحي الطائر .

الطائر يرفع جناحيه وينعق نعيقًا قويًا كان كفيلًا أن تفقد وعيها بسببه .

-فريدة، فريدة . . .

فتحت فريدة عينيها ونظرت بحيرة وتساءلت:

-أبسل . . . ؟ ما الذي أتى بك إلى هنا . . . ؟

-جئت لأني سمعت صراخكِ وأتيت مسرعًا لكي أنقذكِ .

ها هي تنظر حولها وتقول بدهشة صارخةً:

-النار، إنها حقيقة يا أبسل، هل رأيتها . . . ؟

-رأيت ماذا . . . ؟

-ذلك الطائر الناري .

-فريدة، تعالي معي، يجب أن ترتاحي، لا يوجد أي طائر ناري هنا .

-يا أبسل، ألا ترى النار . . . !

-نعم أراها .

-إذن ما رأيته كان حقيقيًا .

-نعم حقيقيًا لأنكِ من فعلتِ ذلك .

-فعلت ماذا . . . ؟

-أنتِ من أحرقتِ الغرفة يا فريدة، لا أدري لمَ فعلت هذا . . . ! ماذا فعل لكِ خالد لكي تقومي بهذا ال . . .

أبعدت فريدة يد أبسل عنها وقالت له بريبة:

-هل تريد أن تقنعني أنني جننت يا أبسل . . . ؟

من ثم أمسكت رأسها كمن تذكر شيئًا وقالت بكره له:

-آه، تذكرت، لقد رأيتك وراء الطائر، رأيت ضحكتك و . . .

-فريدة، لقد جئت لتوي لكي أنقذك، لماذا أضحك وأنتِ في مثل هذا الموقف ؟ وانظري حولك، سوف تكتشفين أنكِ من أضرمتِ النار في المكان، يجب أن تتابعي

مع طبيب نفسي إن حالتك تسوء وصرتِ تمشين أثناء نومك وتوهمك أني شخص سيء زاد عن حده .

بدأ الروبوت في إطفاء الحريق بإشارة من أبسل، وها هو أبسل يهم بالتقرب من فريدة لكي يحملها ولكنها تمنعه:

-ابتعد عني يا أبسل، لا تقترب مني .

-حسنًا ، ولكن يجب أن تعودي للبيت وترتاحي .

هم أبسل بحملها وهي تنظر له بحيرة وتشكك، من ثم قطع الصمت صوتها وهي تسأله: -أنت لا تصدقني يا أبسل . . . ؟

-أنا أصدقك دائمًا .

-ولكن لِمَ لا تصدقني هذه المرة .

-لأني رأيت بعيني ما يثبت عكس كلامك .

نظرت له فريدة بحزن ولم تكلمه، فقال لها :

-سأظل بجوارك دائمًا يا فريدة إلى أن تكوني بخير .

***

فريدة مع رانيا وامرأة أخرى في غرفة الجلوس في بيت رانيا .

-هل تشكين حقًا في أبسل يا فريدة . . . ؟

-أنا حكيت لكِ ما مررت به يا رانيا ، ظهوره كان مفاجئًا في حياتي، والكوابيس زادت في حياتي بمجرد ما تقرب مني، وفكرة الشبه بينه وبين جواد رهيبة و . . .

-نعم، بما إنه يشبه جواد إذن فهو يشبه فارس بل وأسمه أبسل أي الأشجع مثل فارس الشجاع .

-صحيح، وهذا ما جعلني أحبه، أني رأيت به فارس الذي فقدته ومات بين يدي .

-يعني مجرد كوابيس تجعلك تهدمين كل شيء تجاه أبسل .

-أكيد ، أحلامي لها معنى ودلالة يا رانيا .

هنا قطع كلامها صوت تلك المرأة الأخرى .

-ولكن يمكن ظنك في أبسل خاطئ، والذي يثبت ذلك وجودك في الحديقة و . . .

قاطعتها فريدة بانفعال:

-يمكن هو من وضع تلك الأشياء لكي يجعلني أقتنع أني مجنونة وأسير أثناء نومي .

-لن يضر يا فريدة إن تتابعي مع طبيبة نفسية، إن خالة زوجي طبيبة معروفة جدًا و . . .

هنا قاطعتها رانيا وقالت موضحةً بعد ما رأت الانفعال يحتل وجه فريدة:

-ريحانة يا صديقتي، إن فريدة طبيبة نفسية كذلك وتعلم . . .

هنا قاطعها صوت فريدة وهي تقول بانفعال:

-هل هذه هي التي سوف تساعدني يا رانيا، جئتِ بها لكي تتهمني بالجنون.

-لا، بل كانت تقصد أن تقدم حلًا منطقيًا في البداية فقط.

مسكت فريدة رأسها وقالت:

-لا أدري يا رانيا، لِمَ الكل يدافع عن أبسل، أمي وأنتما، كلكم مصرون على أن تشعروني أني ظالمة بظني به، لو رأيتم ما رأيته لكان كلامكن غير هذا الكلام.

قاطعتها ريحانة وقالت بثقة:

-ولكني ما زلت عند رأيي بكِ، يجب أن تتابعي مع طبيب نفسي، لأن حالتك الآن تكثر بها الهلوسة زائد شكك المستمر فيمن حولك، في البداية كان زوجك والآن جارك خالد، عقلك يختلق لكِ نظرية مؤامرة ليس لها وجود في الواقع.

نظرت فريدة كمن خسر النقاش لرانيا وقالت لها :

-وهل أنتِ معها ومع أبسل كذلك أني مجنونة . . . ؟

تنهدت رانيا وقالت:

-صدقيني، أنا لا أستبعد أي احتمال، سوف نعرف بعد قليل .

نظرت لها فريدة بحيرة:

-ولكن كيف . . . ؟

-أوه، ألا تعرفين ريحانة، إنها إحدى بطلات رواياتي، هي بطلة رواية "المهدي المنتظر"، وميزتها يا عزيزتي هي تمكنها من الإسقاط النجمي .

-وهل سوف أتمكن من فعل ذلك معها . . . ؟

-لا، لا يمكنكِ ولكنها يمكنها فقط السفر بالروح.

-حسنًا يا ريحانة، ما أريده منكِ هو معرفة ما حدث لفارس منذ موته، ومن هو خالد ذا . . . ؟

نظرت ريحانة بحيرة لفريدة وسألتها :

-ماذا سوف أعرف عن شخص مات ودفن . . . ؟

ضربت فريدة رأسها بعصبية:

-هذا ما أريد أن أعرفه . . . اعتبرِني مجنونة وسايريني أرجوكِ، أنا في حيرة وأريد أن أرتاح من هذا الأمر أولًا .

***

الفصل السابع

سفر الروح

"ترويه ريحانة"

وقفت أمام رحاب المنهارة الباكية بجوار قبر ابنها الوحيد ، ولكن سرعان ما يقطع بكاءها صوت امرأة ذات لكنة غريبة، يبدو أنها من دولة أفريقية ما واللهجة المصرية صعبة عليها بعض الشيء .

– كفي عن البكاء يا سيدتي أرجوكِ إن البكاء لن يرجع لكِ شيئًا .

استمرت رحاب في البكاء وقالت بحرقة:

– يا ليت الدمع يرجع لي ابني، مستعدة أذرف دمعي ودمي ومالي من أجل أن يعود لي مرة أخرى ولكن يا حسرتاه، فقدته إلى الأبد ، كُتب عليّ أن أُحرم منه دائمًا .

– ولكن إن قلت لكِ يا سيدتي أن لدي طريقة كي يعود لكِ ولدك للحياة مرة أخرى هل ستصدقينني . . . ؟

تحولت ملامح رحاب إلى ملامح الصدمة وقالت بغضب:

– هل جننتِ أم إنكِ تستغلين لحظة ضعفي وبكائي وتظنين أنني جننت . . . ؟

– حاشا سيدتي، ولكن أنا نيتي صادقة، لا أقدر أبدًا أن أراكِ تتعذبين بسبب فراق ابنك وأنا أعرف الحل وأحجبه عنكِ .

بدأت نظرات رحاب تتحول وكأنها صدقت كلامها وسألتها :

– وما هو هذا الحل . . . ؟

– يوجد ساحر من "توغو" وأنا أعرفه شخصيًا ، إنه ذائع الصيت في بلدي ويأتي لمصر مرة واحدة في العام، أي بعد شهر من وقتنا الحالي .

مسحت رحاب دمعها وقالت وهي تزدرد ريقها :

– وما الذي يقدر عليه هذا الساحر يا ألوما . . . ؟

– سوف أشرح لكِ كل شيء يا سيدتي، إن بلدي توغو معروفة بالسحر الأسود لأن ديانة الفودو منتشرة عندنا بشدة وإن كنتِ لا تؤمنين بالسحر إذا رأيتِ بعينك ما يحدث في بلدي لسوف تؤمنين به عين اليقين .

– ولماذا سوف أؤمن بقدرة السحر ماذا يحدث هناك . . . ؟

جلست ألوما تحت قدم رحاب وبدأت تحكي لها :

-في توغو عندنا لكل شيء حل وعلاج عن طريق السحر، وأدوات السحر تباع في الأسواق مثل الأعشاب في العطارة في مصر هنا، والسحرة في بلدنا نلجأ لهم كما تلجئون هنا إلى الأطباء.

- وهل السحر عندكم له جدوى أم مجرد دجالين كما الحال هنا . . . !

- نحن أصل السحر يا سيدتي، السحرة في بلدي لم يختاروا أنفسهم كي يصبحوا سحرة بل الآلهة اختاروهم كي يكونوا يدهم في الأرض كي يساعدوا الناس.

- الآلهة . . . ! هل لديكم أكثر من إله . . . ؟

- في ديانة الفودو يكثر عدد الآلهة عن أربعين إلهًا، وكل إله له دور يلجأ له الساحر على حسب الموضوع الذي جاء له به المحتاج.

- يعني الساحر عندكم قادر على فعل أي شيء.

- نعم يمكنه من خلال الآلهة أن يفعل أي شيء، يوجد الكثير من الفنانين والسياسيين يلجئون لسحرة الفودو من أجل مصالحهم الشخصية.

- يمكن أن أصدق أن الساحر قادر على أن يعطي المرء النجاح أو المال أو الحب ولكنه غير قادر على رد الحياة مرة أخرى لمن فقدها.

– ولكني لم أقل إن الساحر هو من يرد الروح، قلت لكِ أن السحرة في بلدنا يتم اختيارهم من قبل الآلهة وكل شيء يتم بيد إله من الآلهة لا بيد السحرة، السحرة ما هم إلا حلقة وصل فقط، ومعروف أن الآلهة هم من وهبونا الروح وهم من يأخذونها متى يريدون.

– عقلي غير مدرك ما تقولينه لي يا ألوما . . . !

– ما هو الصعب يا سيدتي، كل ما في الأمر أنكِ سوف تجهزين القربان المطلوب من الساحر، ولا تسأليني ما هو القربان أنا لستُ بساحرة، وإن كنتِ غير مؤمنة بالموتى الذين يعودون للحياة مرة أخرى أكيد في مرة من المرات شاهدتِ فيلمًا للموتى الأحياء أي "الزومبي" المشهورة جدًا في السينما الأمريكية.

رسمت ملامح الذعر على وجه رحاب وقالت صارخةً:

– هل تظنين أني جننت كي أوافق أن يتحول ابني لمسخ . . . ؟

– أبدًا يا سيدتي، أنتِ أسأتِ فهمي، إن ما ترينه في الأفلام ليس له علاقة بالواقع أبدًا، سوف أشرح لكِ.

أكيد تعرفين أن الكثير من الأفارقة تم أسرهم كعبيد في أمريكا فبالتالي انتشرت ديانة الفودو في أمريكا اللاتينية وصارت تمارس طقوس السحر الأسود وانتشرت ومن ضمن هذه الطقوس عودة الموتى للحياة من جديد .

يعود كما كان لا كما في الأفلام التي تظهرهم مثل المسوخ.

لم ترد عليها رحاب وظلت تفكر، فنادت عليها ألوما :

– ها يا سيدتي، هل ترغبين بهذه التجربة . . . ؟

تنهدت رحاب وقالت بنفاد صبر:

– أنا امرأة وحيدة وفقدت آخر من لدي في الحياة فلم يعد لي ما أخسره فلم أعد باقية على شيء، سوف أقدم على هذه الخطوة عسى أن يرجع لي فارس مؤنسي وسندي في الحياة.

***

ها هي الأيام تمر وجاء اليوم الموعود وذهبت رحاب وألوما إلى بيت متهالك معباً بالكثير من الناس ولكن كالعادة بسبب مال رحاب الكثير كان كفيلاً أن تدخل فور وصولها بعدما خرج من بالداخل.

رحاب تمسك بيد ألوما وقد أوشكت على فقدان الوعي لأن المكان مقبض للغاية والرائحة به خنيقة جداً، ولكنها تمالكت نفسها وبمجرد أن دخلت رأت عجوزاً شمطاء تجلس على الأرض فنظرت رحاب بتعجب لألوما وهمست لها:

- ألم تقولي لي أنه ساحر لا ساحرة.

قبل أن تنبس ألوما ببنت شفة نطقت الساحرة وقالت بثقة:

- أنا هنا كي أشرح المطلوب للناس لأن الساحر لا يتحدث العربية.

- ولكني أنا أ . . .

قاطعت الساحرة صوت ألوما وقالت بسخرية:

- أعلم أنكِ من نفس بلد الساحر وتفهمينه جيداً ولكن أنا هنا كي أساعد الساحر في بعض الأمور لا قول الطلبات، لأنه لو يرغب بتغيير صوته ولغته لفعل، ولكن ليس كل شيء يجب ذكره.

من ثم نظرت لرحاب المرتجفة وقالت لها ساخرة من خوفها:

- لمَ أنتِ خائفة هكذا، الدار أمان، المكان مكاني وأنتِ تحت حمايتي، اطمئني.

فجأة بدأ يتضح هيئة شخص يجلس بجوار الساحرة، رجل أسود اللون يرتدي سلسلة من أسنان الحيوانات، وفي أنفه حلقة ضخمة عظمية مما زادت من ملامحه رعبًا ، ففزعت رحاب من مكانها ، ولكن سرعان ما وقفت مكانها بمجرد ما سمعت صوت الساحر الذي ظهر من العدم .

فترجمت لها ألوما بسرعة:

– يقول لكِ لا تتحركي من مكانكِ وعليكِ أن تلتزمي باحترامه ما دمتِ بحاجة إليه .

تصلبت رحاب مكانها وأومأت برأسها أي موافقة، فجاءها صوت الساحر وترجمت ألوما في ذات اللحظة:

– أنتِ ترغبين في أن يعود لكِ ابنك من جديد ، لذا عليكِ أن تجلبي للإله ما يريد .

أومأت رحاب أي موافقة وعيناها تذرفان الدمع من شدة الخوف، فأكمل الساحر كلامه وترجمت ألوما :

– يجب أن نحضر نسرًا ذهبيًا وببغاءً برتقاليًا وغرابًا أسود قبل منتصف الليل .

ازدردت رحاب ريقها وقالت باكيةً:

– ولكن كيف لي أن أجدهم بكل هذه السرعة .

– سوف أحضرهم أنا بطريقتي ولكن أريد خمسة ملايين لكي نبدأ في الطقوس .

– لا يهمني المال، سوف أعطيك ما ترغب به ولكن أعد لي ابني .

– سيعود لكِ ولكن علينا أن نذهب حالًا لبيتك كي نبدأ بالطقوس .

***

ها هي رحاب والساحر والساحرة وألوما في جراج بيتها ، من ثم وضع الساحر خمس شمعات وفي المنتصف وضع صحنًا صفيحيًا به الكثير من الفحم الذي أشعله بمجرد نظرة من عينيه هو والشمعات الخمس وبدأ يرمي بشيء أشبه بالرماد كريه الرائحة، بسبب انبعاثه في الجو كان كفيلًا أن تحدث رجفة في المكان واهتزاز شعلة الشمعات بل أدى تمامًا لإطفائها ، بعدها بلحظة واحدة عادت الشمعات كما كانت مضيئة وفي منتصف الصحن المعدني الضخم نسر ذهبي وببغاء وغراب، وبنظرة من الساحر كانت كفيلة أن تضرم النار بهم، والساحر يتمتم بكلمات لم تفهمها حتى ألوما .

كانت الكلمات تزيد من أجيج النيران في تلك الطيور ، وبعد قليل أمسك الساحر بقطة سوداء ظهرت من العدم بين يديه، قام بطعن رقبتها بقوة بناب حيوان من

السلسلة التي يرتديها كانت كفيلة أن تنهي حياة القطة في لحظة، من ثم قام بإخماد النيران بدم ذلك القط، من ثم سحب يد رحاب التي صرخت من هول منظر الساحر وما يحدث أمامها، أمسك بيدها وشق كفها بناب ذا سن حاد، عصر يدها بقوة وهي تصرخ، فأخذت قطرات دمها تسقط على ذلك الخليط بين الرماد والدم.

وهو مستمر في أن يتمتم بكلام غير مفهوم غير عابئ برحاب أو بصراخها.

من ثم وضع بضع قطرات من سائل ما في زجاجة كانت معه ومن ثم بدأ يمزج الرماد والدم والماء سويًا وهو مستمر في قول تعاويذ مختلفة بسببها تتذبذب الشموع بسبب هبوب الكثير من الهواء وكان هذا دليلًا على وجود أطياف للجن في المكان.

ها هي ألوما تمسك يدها كي تطمئنها، من ثم ترك الساحر ما بيده وخرج للحديقة كي يجلب جثة فارس ولكن بمجرد أن خرج رأى تلك الغرفة الموجودة في الحديقة فجاءت له فكرة، فنادى على الموجودين في الجراج كي يخرجوا، من ثم بدأ بإخراج جثة فارس المتآكلة، سألته رحاب بخوف:

– ماذا تفعل بجثة ابني؟

لم يرد عليها وأخذ يخطو تجاه تلك الغرفة ووضع الجثة التي تم تكفينها على السرير ومن ثم أخذ يفتح الكفن عنه، وبدأ يدهن جسده بذلك المزيج الذي أحضره من الجراج وهو يتمتم بطلاسم إلى أن أكمل دهنه للجثة تمامًا ومن ثم نظر لرحاب وقال لها:

– ابنك سوف يكون معكِ مثل اليوم من الشهر القادم.

بمجرد ما سمعت رحاب ما ترجمته ألوما تركت يدها وتوقفت عيناها عن البكاء وظلت تنظر لجثة ولدها المتآكلة المدهونة بذلك المزيج والأمل قد تجدد في روحها أن يعود إليها من جديد.

من ثم هم الساحر بالخروج من الغرفة واتبعته تلك الساحرة العجوز ولكنها توقفت عند الباب والتفتت لرحاب وقالت موضحةً:

– آه عليكِ ألا تصلي ولا تتوضئي ولا تذكرين أدعية أو شيء من هذا القبيل لا أريد أن أوضح وأنتِ تفهميني جيدًا، لا تخربي كل المجهود بفعل أحمق منكِ.

من ثم ابتسمت بسخرية لرحاب الذاهلة مما مرت به.

***

– وبالفعل يا فريدة إنه استيقظ ووجد نفسه في تلك الغرفة كما ذكر لكِ وكان فاقدًا للذاكرة، هو صادق في كل هذا ولكن كان هناك أمر غريب يجب أن أقوله لكِ لأنه يؤكد شكوكك تجاهه، إنه من الموتى الأحياء هذا أمر غريب ولكن ما هو أغرب أنه ظل فترة من دون طعام كل الطعام كان لا يستسيغه و . . .

قاطعتها فريدة وقالت:

– نعم، أنا أعلم أنه لا يأكل مثلنا ولكني ظننت أن هذا بسبب مرضه، بل الحقيقة أن قصته لا يصدقها عقل .

–على العموم تبقى أمر لم أذكره لكِ في يوم انفعل خالد بشدة على أمه لأنه كان جائعًا جدًا وأمه لم تكن تعرف ما هو المناسب إليه و . . .

من ثم قطع كلامها صوت الرنين القادم من سلسلتها ، فلمستها وردت على المتصل:

– حسنًا ، سوف آتي حالًا .

من ثم همت مسرعة، فقالت لها فريدة بصوت عالٍ كي تسمعها لأنها ابتعدت عنها :

– أشكرك كثيرًا يا ريحانة .

ردت عليها ريحانة ولكن صوتها كان خفيضاً جدًا، من ثم نظرت لرانيا وقالت لها متعجبةً:

– آوه كيف لها أن تعرف كل ذلك في تلك المدة الوجيزة من دون أي أجهزة مجرد أنها تتمدد هكذا وتعرف ما تريد .

– هذه هبة ربانية وكما تعلمين أن الروح لا يؤثر بها الزمن، الزمن لا يعني شيئًا في عالم الأرواح الحر الذي يتميز بأنه بلا قيود عالمنا نحن .

– ترى ما هو الذي كانت تريد أن تحكيه . . . ؟

– في أقرب فرصة سوف أتواصل معها وسأعرف لكِ كل شيء، ولكن الآن بعد الذي علمتِهِ ماذا سوف تفعلين . . . ! إن فارس هو خالد ولكنه من الموتى الأحياء .

ابتسمت فريدة لرانيا وقالت لها :

– بل إنه عاد للحياة من جديد من أجلي، وهو ليس من الأموات الآن بل صار خالدًا ولن أُحرم منه مرة أخرى .

– هل تؤمنين بأن فارس عاد للحياة من جديد . . . ؟

– هذا ما رأته ريحانة وأنا أصدقها وأصدق ما رأته عيناها وكأنما رأيته أنا .

– الآن صارت ريحانة جميلة وتصدقينها لأن الموضوع على هواكِ .

– نعم أصدقها ولكن هل تظنين أن أمه أسمته خالدًا لأنه سيكون خالدًا ، أم سيكون له حياة أخرى ؟

– أنتِ منذ قليل قلتِ إنه خالدًا وسيكون معكِ إلى الأبد . . . !

– صحيح هذا ما قلته، ولكن أنا أسألكِ، ما رأيكِ . . . ؟

– أظن أن الخلود فقط لله ولكن يمكن ولا أستبعد دور دم ذلك القط أن له دلالة، هل يمكن استخدمه الساحر لأن معروف للقطط سبع أرواح و . . .

– لا يهم، المهم أن فارس قد عاد لي من جديد .

– أنتِ متزوجة بأبسل يا فريدة أظن أن فارس صفحة وانتهت وفي كل الحالات هو لا يتذكركِ

– أبسل . . . ! أنا لم أحب أبسل قط، أحببته فقط لأني رأيت أن به الكثير من الشبه بفارس، أحببته من أجل فارس ولم أحبه هو قط ولا تنسي أن هناك الكثير من الشكوك حوله بسبب الأحلام التي أراها ، لا تنسي أن جواد توعد لي، وفارس

وعدني بأني سأكون له ومعه دنيا وآخرة، وها هو قد صدق وعده وعاد لي ولكني خائفة أن يصدق جواد كذلك في وعده ويعود لكي ينتقم مني .

- ولكن هذا لا يعني أن أبسل هو جواد .

- يجب أن أقابل ريحانة مرة أخرى كي تساعدني في هذا الأمر .

***

الفصل الثامن

العودة

ها هي فريدة تصل لفيلتها ، فوجدت أبسل في استقبالها وملامح القلق على وجهه:

– هل أنتِ بخير يا فريدة . . . ؟

ظلت فريدة شاردة في عيني أبسل وهي تقول في قرارة نفسها :

–لا يوجد أحد تحمل تقلباتي مثل أبسل، يجب أن أعطيه فرصة أخرى ولا أهدم كل ما بيننا بسبب تخاريف .

ها هو أبسل يقترب منها ويهزها ويقول لها متعجبًا :

– فريدة حبيبتي هل تسمعيني . . . ؟ !

عادت فريدة لتركيزها وأومأت برأسها أي لا، فأخذ بيدها وأجلسها على الأريكة وقال لها بحنو:

– هل واجهتِ كابوسًا أو موقفًا ما في خلال يومك . . . ؟

– أتظن أن الجنون قد تمكن مني يا أبسل . . . ؟

تحسس أبسل وجهها برفق وقال لها :

– لم أظن هكذا أبدًا كل ما قلته لكِ أنكِ مجهدة بسبب ما مررتِ به وتحتاجين إلى الراحة والمتابعة مع طبيب نفسي .

شردت فريدة في عينيه وقالت في قرارة نفسها :

–يبدو أنهم جميعًا على حق، يبدو أني متعبة ولا يجب عليّ أن أحكم على أبسل من مجرد أحلام أو كوابيس وأفعاله في الواقع تثبت حسن نيته تجاهي .

– فريدة، هل أنتِ معي . . . ؟

أومأت فريدة برأسها أي نعم ولكن في ذات اللحظة رأت خاتم أبسل يومض من دون أن ينبعث منه تلك الشاشة المعلنة عن اسم المتصل، سرعان ما تحولت ملامح فريدة إلى ملامح الشك وسألت أبسل الذي لمس خاتمه مرتين فأنهى الاتصال:

– من المتصل يا أبسل . . . ؟ ولِمَ فعلتَ هذه الخاصية مرة أخرى . . . !

ازدرد أبسل لعابه وقال وهو يبتسم ابتسامة نابعة من التوتر:

– أوه لقد نسيت أن ألغيها من الأساس يا حبيبتي .

– إذن دعني أرى من المتصل .

هم أبسل بلمس خاتمه كي يفتحه وفي تلك اللحظة جاءه اتصال مرة أخرى، فنهض من مكانه مسرعًا وقال لفريدة وعلى وجهه ذات الابتسامة:

-حسنًا يا عزيزتي، سوف أرد على هذا الاتصال وأعود إليكِ مرة أخرى وسوف أنفذ لكِ مرادكِ.

ظلت فريدة تنظر له بصمت إلى أن خرج من الغرفة، فمددت فريدة جسدها على الأريكة وأخذت تفكر:

-ترى مع من يتحدث أبسل...؟

من ثم ضربت رأسها وقالت بتعجب:

-لِمَ صرتِ تشكين في كل شيء وتعطين الأمور أكبر من حجمها...! يبدو أن ريحانة عندها حق في حالتي، يجب أن أتغير وأعود مثل ما كنت، يجب أن أتوقف عن الشك.

بدأت فريدة تنعس وهي تكلّم نفسها:

-يجب أن أتوقف عن الشك، يجب أن...

***

ها هي فريدة تستيقظ من نومها ، تعدل من جلستها وتقول في قرارة نفسها وهي تمسح بيدها على وجهها كي تزيل ما تبقى من النوم:

–يبدو أني عندما قررت أن أتوقف عن الشك وفكرة عودة فارس لحياتي من جديد جلبت لي الراحة وأبعدت الكوابيس عني .

من ثم لمست فريدة خاتمها وأرسلت رسالة صوتية لفارس:

– فارس، أقصد يا خالد أريد أن أقابلكَ ضروريًا اليوم في العيادة، سأكون في انتظارك عصرًا كي أوضح لك كل شيء عن ماضيك .

مر بعض الوقت ولم تصل لفريدة أي رسالة فقررت أن تكمل نومها وتحاول أن تصل لفارس بعد استيقاظها .

***

فريدة في العيادة تنظر لساعتها وهي تفكر هل سيأتي فارس أم لا . . . ؟

من ثم سرحت في تلك اللوحة الموجودة وراء كرسيها التي تظهر طائر الفينيق الناري وتفكر وتقول بصوت خفيض:

–لقد قال لي فارس إن ذلك الطائر يعبر عن . . .

– أسطورة البعث بعد الموت، يبدو أن هذه اللوحة تعجبكِ بشدة يا دكتورة فريدة . . .

التفتت فريدة لمصدر الصوت وملامح الدهشة قد رُسمت على وجهها وهمت واقفة وقالت:

– فارس لقد عدتَ من جديد .

– لم أبتعد إلا بناءً على رغبتكِ، لا أدري ما هو سبب تجاهلكِ لي من الأساس، لا أدري لِمَ تغيرتِ معي منذ موضوع الصور ذاك .

من ثم ضرب رأسه وقال لها :

– آه وما قصة فارس هذا الذي تقولين اسمه بدلًا من اسمي، إذا كان لكِ أن تخطئي في اسمي فقولي لي يا أبسل لا فارس وذلك للشبه الكبير بيننا .

أشارت له فريدة كي يجلس وهي تبتسم له ولكنه مستمر في تساؤلاته:

– أم إن هناك شخصًا آخر يشبهني اسمه فارس . . . ؟

ضحكت فريدة وقالت:

– شيء كهذا .

نظر لها فارس بدهشة وسألها:

– تمزحين معي . . . أليس كذلك . . . ؟ ثلاثة أشخاص يشبهون بعضهم في نفس المكان، إن هذا أشبه بفيلم هندي بعض الشيء .

تمالكت فريدة ضحكتها وقالت بجدية:

– إن الأمر ليس كذلك، ولكن سوف أسألك سؤالًا بسيطًا وأريد أن أعرف رأيك . . . هل تؤمن بالبعث بعد الموت . . . ؟

– أكيد أؤمن بالبعث ولكن لِمَ هذا السؤال . . . ؟

عدلت فريدة من جلستها وقالت:

– أظن أنك لم تفهم سؤالي جيدًا، أنا أقصد هل تؤمن بالبعث، أي أن يعود الميت للحياة من جديد و . . .

– نعم أؤمن يا فريدة .

– أنت لم تفهم مقصدي لأنك قاطعتني، أنا أقصد أن يعود الميت للحياة حاليًا في هذه الدنيا لا أقصد يوم البعث والنشور لكل من في القبور .

ابتسم لها فارس وقال له بثقة:

– أقسم لكِ لقد فهمت مقصدكِ من البداية، نعم أصدق وأؤمن بهذا .

– وكيف لك أن تصدق مثل هذا الأمر . . . ؟ هذه الفكرة لا يصدقها عقل .

– أنتِ سألتني عن رأيي وهذا هو، يوجد الكثير من الأفكار التي أؤمن بها إلى أن يثبت العكس، على العموم فكرة الإيمان بها أفضل بكثير من فكرة نكرانها .

ضحكت فريدة وقالت ساخرة:

– إن أولئك الذين ينكرون وجود الإله والبعث وكل تلك الأمور أولئك في مأزق رهيب، هؤلاء مثل بعض الطلاب الفشلة الذين لا يرغبون في الدراسة فكل ما عليهم أن يتمنوا ألا يمروا بامتحان أو ألا يكون هناك امتحان من الأساس ولكن هيهات لا مفر من الامتحان يا عزيزي ودع النكران يفيدهم حينها .

– صحيح لذا الإيمان أفضل من النكران، والاستعداد أفضل في كل الأحوال .

– ولكن الإيمان أيضًا يجب أن يكون مبنيًا على أسس واقتناع، لا مجرد الإيمان بسبب الخوف من فكرة العقاب والعذاب في الحياة الآخرة .

أومأ لها فارس برأسه فقاطعته فريدة ساخرة:

– أنا أقول لك ذلك لا من أجل أن تومئ لي برأسك، بل أريد أن أعرف ما الذي دفعك كي تؤمن بأن هناك بعثًا، وخاصة البعث في هذه الحياة.

– كما تعلمين يا فريدة، أنا ليس لدي أصدقاء ومنذ أول يوم أتذكره في حياتي وأنا لم يكن لي صديق سوى أبسل هو أول من تقرب مني ومن ثم أنتِ، فصرتما أنتما أول صديقين لي، ولكن قبل ذلك كنت أشغل وقتي بالقراءة فقط.

– أوه بسبب قراءتك كل هذه المدة لديك معلومات كثيرة.

– مهما تجرعت من بحر العلم أشعر أني ما زلت عطشان ولم أجترع منه ما يكفيني أبدًا.

– أكمل لي يا فيلسوف زمانك أكمل.

– أنا شخص بسيط، لست فيلسوفًا أبدًا ولكن سوف أقول لكِ ما الذي دفعني إلى التصديق بهذه النقطة، إن فكرة البعث في هذه الحياة ما هي إلا معجزة في بعض الأديان وأمر طبيعي في بعض الديانات الأخرى.

مثلًا في الهندوسية والبوذية يؤمنون بتناسخ الأرواح وعودة الروح من جديد لهذه الحياة لعدة حيوات مختلفة مرة كرجل أو امرأة أو حيوان أو نبات.

قاطعته فريدة بجدية:

– ولكني لا أتحدث عن تناسخ الأرواح أو عودة الروح من جديد أنا أقصد . . .

– أعلم تقصدين عودة المرء بنفس الروح والهيئة التي كان عليها ، أنا فقط أسرد لكِ كل ديانة بمعتقدها ، ولكن الذي تتحدثين عنه ذُكر في القرآن الكريم، ولكن القرآن عكسها كمعجزة إلهية مثلًا في قصة عزير الذي مات لمئة عام هو وحماره وأعاده الله للحياة من جديد كمعجزة لإثبات قدرة المولى على بعث الموتى، وهنا عاد الإنسان ألا وهو عزير والحيوان ألا وهو الحمار وكذلك طعامه وشرابه أي النبات، في هذه القصة إثبات على حدوث هذه المعجزة، وكذلك توجد قصة أخرى تثبت هذه المعجزة وأنا أقول لكِ إن الإسلام يذكر أنها معجزات إلهية، قصة النبي إبراهيم عندما أراد أن يطمئن قلبه تجاه البعث فطلب منه الرب أن يقسم الطير إلى عدة أجزاء وبأمر المولى عاد الطير كما كان، وفي هذه المعجزة إثبات لقدرة الرب على البعث حتى وإن كانت الجثة غير موجودة في مكان واحد بل بأمره يجمع شتاتها من جميع البقاع كي تبعث من جديد .

– صدقت ولكنها تظل معجزة .

– وكل ما هو معجزة ربانية يجب الإيمان به، دعيني أكمل لكِ مثلًا ديانة الفودو المنتشرة في . . .

قاطعته فريدة بلهفة:

– هل تؤمن بهذه الديانة . . . ؟

– مجرد ديانة قرأت عنها مثل باقي الديانات .

– أقصد هل تؤمن بما يفعلونه ومعتقداتهم ؟

– لا أستبعد أي شيء في الحياة، ولكن تلك الديانة لا تمثلني .

– يعني هل تؤمن بقدرة بعض السحرة على إعادة بعض الموتى للحياة من جديد ؟

– السحرة لا يمكنهم فعل شيء ، الديانة والمؤمنون بها يقولون إن من يفعل ذلك هم الآلهة، السحرة ما هم إلا وسيط، يعني مثلًا بما إنكِ مسلمة هذه الفكرة لديهم تشبه القصة التي وردت في سورة البقرة عن قتيل بني إسرائيل وعندما أمر الرب أن يذبحوا بقرة وبالفعل عندما جلبوا تلك البقرة ذات المواصفات المطلوبة عاد الميت للحياة من جديد واعترف وقال من هو قاتله وفي هذه القصة نقول الرب هو من بعث الروح مرة أخرى لا نقول نبي الله موسى من رد الروح، وهذا مثال آخر على بعث الروح في هذه

الحياة وكذلك معجزة سيدنا عيسى عليه السلام عندما خلق الطير ونفخ فيه فصار ذا روح هنا نقول أن النبي عيسى من خلقه أم أنه خلقه بإذن الله كما ذكر في القرآن، وحتى شفائه للأكمه والأبرص والأعمى كل ذلك كان بأمر الله، ولا تنسي أن الانبياء كانوا يتهمهونهم الناس بأنهم سحرة.

ازدردت فريدة ريقها وقالت:

– وهل ستصدقني إن قلت لك أنك متَّ وبعثت للحياة من جديد . . . ؟

رسمت ملامح الصدمة على وجه فارس وقال متعجبًا:

– ما الذي تقولينه . . . ؟

***

الفصل التاسع

الذاكرة

سردت فريدة كل شيء لفارس عن حياته فقال لها فارس متعجبًا :

– لذلك كنت أشعر بأني أعرفكِ، ولكن لا أدري ما هو سبب هذا الشعور .

– نعم كنا سويًا في الماضي في مغامرة أشبه بالخيال .

– ولكن هل تتذكرين أول يوم قابلتك به أنتِ وأبسل عندما كنتِ داخل السيارة، يوم الحادث . . . !

– نعم أتذكره .

– في ذات اليوم حلمت بكِ .

دهشت فريدة وقالت:

– وأنا أيضًا ولكن هل يمكن أن تحكي لي حلمكِ بي ؟

–حلمت كأني في جِنان واسعة وحولي فتيات حسناوات أشبه ب . . .

– بحور العين، وأنا كنت أرتدي زيًا مثل زي الملكات، فوجدتني وأجلستني بجوارك على كرسي أشبه بالعرش، أليس كذلك . . . !

– ولكن كيف عرفتِ ما رأيته في منامي، هل هذا الموقف حدث في الماضي بيننا ويتكرر الآن . . . ! ؟

– لا بل هذه نفس الرؤيا التي رأيتها في ذات اليوم .

أمسك فارس رأسه وقال بتعجب:

– أنا لا أصدق، كيف لي أن أموت وأعود للحياة مرة أخرى بمعجزة بل وأقابلكِ مرة أخرى، إن هذا أشبه بأسطورة يجب أن تروى .

ضحك فارس وقال لها:

– تخيلي يا فريدة أن هذه الرؤيا التي رأيناها لا تكون مجرد رؤيا بل جزء من ذاكرتنا لإحدى حيواتنا في الماضي أنا وأنتِ .

– أتقصد أننا على مر العصور يجمعنا القدر ؟

– ولِمَ لا، أنا لا أستبعد أي شيء .

– أوه لهذا عندما عدتُ بالزمن، شيء ما جذبني لدخول هذا البيت، وكان السبب الحقيقي الذي يجذبني إليه هو أنت، وحينها عندما تكرر لقاؤنا لم أكن أدري لمَ أنا أقحمت نفسي في حياتك ولمَ أرغب في مساعدتك . . . ؟ ! يعني السبب هو أن روحي تعلقت بروحك في زمن من الأزمان .

– حتى أنا عندما قابلتكِ أول مرة عن قرب عندما زرتني مع أبسل في البيت، صرت أشعر أن حالتي تتغير، كانت روحي تتأثر بشكل كبير بسبب حضوركِ .

– يعني هذه الحالة الأشبه بحالة الصرع لم تكن بسبب مرضك . . . ؟

– للحقيقة لا، ولكن روحي شعرت بأن هنالك شيئًا اخترقها فأحياها أو شيء كهذا .

– أوه لذلك لاحظت أنا وأبسل اختلافًا في ملامحك وظننا أن هناك تحسنًا بسبب راحتك النفسية معنا .

– وظنكم صحيح، قربكم مني غيّر بي الكثير، وبخصوص هذا الأمر أريد أن أعترف لكِ بشيء .

– أنا كلي آذان صاغية .

- أنا كذبت عليكِ .

نظرت له فريدة بتعجب:

- كذبت عليّ . . . ! كيف . . . ؟

- كذبت عليكِ بشأن اكتشاف طبيبي الخاص لعلاج خاص لحالتي، بل الحقيقة أنا من بعد لقائي بكِ صرت لا أحتاج لجلسات العلاج الخاص بنقل الدم، لم أعد شاحبًا لم أعد متعبًا بمجرد قربكِ مني لبضع لحظات، لذلك قررت أن أقابلكِ في كل مرة تأتي لي فرصة للقائكِ، وبالفعل اكتشفت أثركِ عليّ .

فتحت فريدة فمها مندهشة من ثم سألت بجدية:

- ولِمَ أنا بالتحديد . . . ؟

- لأن مقابلاتي للناس كانت محدودة ولم ألحظ هذا الأثر على حالتي من قبل، ولا تقولي لي أن أبسل هو من بادر وقد يكون له تأثير . . .

- كيف علمت . . . ؟

– مجرد تخمين، هذا الظن استبعدته وتأكدت أنكِ وحدكِ السبب لأني قابلت أبسل عن قرب قبل أن تأتي لزيارتي بأسبوع تقريبًا ولم ألحظ أي تغيير لحالتي، بل يوم ظهوركِ كان صدمة لروحي، ولكنها صدمة أحيتني فعليًا .

– إن ما نمر به لا يعقل يا فارس .

– أعلم أنه لا يعقل، ولكن بما أنه حدث إذن فإنه يعقل، ولكن أنا متعجب جدًّا لمَ كنتِ منفعلة في هذا اليوم . . . ؟

– لأن يومها رأيت ملامحك وظننت أني جننت لأنك تشبه فارس جدًّا ولكن اليوم الذي وجدت به تلك الصور أثبت لي كل شيء .

حسنًا ، بعد أن تذكرتني ماذا سنفعل وهذا بعد أن علمت بأني قد أحببت أبسل لمجرد أنه يشبهك .

– لن نفعل شيئًا .

صدمت فريدة وقالت متعجبة:

– ماذا تقصد بأننا لن نفعل شيئًا يا فارس . . . ؟

-يجب أن تعلمي أنني الذي بحاجة إليكِ أكثر من حاجتكِ إليّ، ولكن يجب أن تعلمي شيئًا يا فريدة أن ترضي بقدركِ وبأبسل، إن أبسل هو نعم الرجل ونعم الصديق والأخ لي، هو أول من تقبلني وأصر على التقرب مني كي يخرجني من قوقعتي، ولولاه لما كنا سويًا الآن.

انفعلت فريدة وقالت بغضب:

-لا بل القدر هو من جمعني بك هذه المرة مثل ما جمعني بك في المرة السابقة.

-عندكِ حق، ولكن ما تفكرين به غير صحيح أبدًا يا فريدة، من فتح لي ذراعه وبيته لن أطَعنه وأغدر به وآخذ حب حياته لأنه كان لي في الماضي، يجب أن نترك الحياة تستمر كما كتبها القدر.

هنا قطع كلامهما صوت فتح الباب ففزعت فريدة بمجرد أن رأته.

نظر أبسل لفارس وقال متعجبًا ولكن لحق تعجبه تهليل بسعادة:

-أوه خالد . . . نورت العيادة يا رجل.

ابتسم له فارس وقال:

-هذا نورك يا أبسل، ولكن من الآن قل لي يا فارس.

نظر له أبسل بتعجب ومن ثم نظر بحيرة لفريدة ومن ثم سأل فارس:

– ألم تقل لي أن اسمك خالد يا رجل . . . ؟

ضحك له فارس وقال له:

– اعتبر أنه كان اسم الدلع لي .

– حسنًا يا فارس ولكن لِمَ لم ترد على اتصالاتي . . . ؟

– لم أرغب أن أشعر أني ثقيل عليكم .

– لا تقل هذا الكلام مرة أخرى يا رجل، أنت أخي ولكي نجعل علاقتنا وطيدة يجب أن يكون بيننا "عيش وملح" . هيا يا فريدة لكي نأكل سويًا .

نهض فارس من مكانه وقال:

– صدقني لست بجائع أبدًا .

من ثم نظر لفريدة وقال مبتسمًا:

– سبقتك يا صديقي .

***

ها هي فريدة في شرفة بيتها تنظر لفيلا فارس شاردة تفكر به ولكن سرعان ما قطع شرودها خروجه لشرفته، فهمت فريدة بدخول غرفتها، وبمجرد أن دخلت غرفتها استقبلت رسالة من فارس:

– أعلم أنكِ كنتِ تفكرين بي كما كنت أفكر بكِ.

التفتت فريدة ودخلت شرفتها من جديد فنظرت لفارس بحيرة ومن ثم أرسلت له رسالة:

– ولِمَ أنت متأكد هكذا . . . ؟

– لأن روحكِ إن لم تنادِ على روحي لما كنت خرجت وقابلتكِ الآن، روحي وروحكِ مرتبطان سويًا، كلانا توأم شعلة، كلانا منجذب للآخر وكأننا خُلقنا لبعضنا.

–ولكنك رفضت أن نغير قدرنا ونكون سويًا.

– ومن قال لكِ أننا لن نكون سويًا بل سنكون قريبين لبعضنا البعض ولكن بشكل يحترم ما قدّره القدر.

– لماذا تظن أني أقول لك هذا الكلام وفي الغد سوف ننفصل أنا وأبسل وسنكون سويًا ، يجب أن تعلم أن علاقتي بأبسل بعد الزواج صارت متذبذبة بعض الشيء ، وللصدق أشعر أحيانًا أني ظلمته لأني أحببته فقط لأنه يشبهك لا لكونه هو ، وبمجرد ظهورك في الواقع صرت أشعر بداخلي أني هكذا أخونه حتى بظني ، لذا أريد أن أقرر وأن تكون مشاعري حقًا للشخص الذي نبض له قلبي منذ البداية ألا وهو أنت .

– دعي أقدارنا تسير كما كُتبت لنا ، يجب أن نتحمل مرارة القدر أفضل بكثير من اجتراع الحميم بسبب اختياراتنا .

ظلت فريدة تنظر له بصمت من دون أن ترد على آخر رسالة له ، فأرسل لها رسالة أخرى:

– فريدة ، لِمَ لا تردين عليّ فيما تفكرين . . . ؟ لا تفكري كثيرًا لقد أوضحت لكِ أنا صرت في الحياة لا أرغب في شيء سوى وجودكِ فقط ، وفكرة وجود أبسل أشعر أنه نعمة جميلة لكلانا ويجب أن نحبه كما يحب كلانا .

حينها دخل أبسل الشرفة وراء فريدة وأشار لفارس وقال له:

-تعال يا فارس نسهر سويًا .

أشار له فارس أي أنه موافق، من ثم نظر أبسل لفريدة وقال لها برومانسية:

- كنت متأكدًا أني سوف أجدكِ هنا ، صرت أحفظكِ يا حبيبتي .

نظرت له فريدة وقالت بحيرة:

- ولكني مهما حاولت لا أفهمك أبدًا يا فارس، أقصد يا أبسل .

تلعثمت فريدة وشعرت بحرج ولكن سرعان ما قال أبسل متعجبًا :

- يبدو أن الشبه بين كلانا جعلكِ لا تفرقين .

- لا، لم أقصد أبدًا أن . . .

سحبها أبسل من يدها بعفوية وقال بابتسامته المعهودة:

- لا يهمكِ يا عزيزتي، أعرف أنكِ متعبة، هيا بنا كي تخرجي من قوقعة تفكيرك وتقضي وقتًا جميلًا معنا .

***

الفصل العاشر

وهم أم حقيقة . . . !

فريدة وفارس وأبسل جميعهم في الحديقة يضحكون سويًا إلى أن ومض خاتم أبسل فلمست فريدة الخاتم فانبثقت منه شاشة تحمل اسم إيفانا ، فنظرت بحيرة لأبسل:

– من هذه إيفانا التي تتصل بك الآن يا أبسل . . . ؟

توتر أبسل من ثم ابتسم وقال:

– ماذا بكِ يا حبيبتي . . . ؟ إنها إيفانا صديقتكِ .

– غريبة، ولِمَ تتصل بك ومنذ متى . . . ؟

– يمكن تتصل لأنها تريد أن تطمئن عليكِ .

– ولِمَ لم تتصل بي مباشرة . . . ؟

– يمكن لم تستطع أن تصل لكِ، على العموم اسأليها يا عزيزتي، المهم أني ألغيت تلك الخاصية .

من ثم غمز لها ، فوكزته فريدة وابتسمت له، فنهض أبسل وقال لها :

– سأقوم باتصال وآتي في الحال .

من ثم نظرت فريدة لفارس متعجبة:

– ألن تشرب العصير حتى يا فارس . . . ؟

– لا أحتاج لشيء ما دمتِ أمامي .

– هل تريد أن تقنعني أنك لن تأكل أو تشرب أبدًا ما دمتُ معك .

– صحيح .

– وهل هذا يصدقه عقل . . . ؟

ابتسم وقال لها :

– وهل الميت يعود للحياة . . . ؟ !

عاد أبسل بعد ما أنهى مكالمته سريعًا ، فنهض فارس مستأذنًا كي يرحل فذهب معه أبسل كي يوصله:

هنا ظلت فريدة تنظر لفارس وهو يهم بالرحيل وتسأل نفسها متعجبةً:

–آه يا ربي ما هذا الذي أمر به . . . ؟ لو كان فارس الذي حكى لي قصة بعثه للحياة مرة أخرى لم أكن لأصدقه ولكن ريحانة لا تربطني بها أي صلة، مجرد أنها

قالت لي ما رأته وكفى، ولكن كيف له ألا يأكل أو يشرب، يعني في السابق صدقت أنه يعيش على جلسات علاجية، بينما الآن كيف له أن يكتفي بي . . . ؟ يعني إن لم أكن معه سيعود كما كان شاحبًا أغلب الأحيان . . . ؟

– فريدة حبيبتي هل ستظلين شاردة هكذا . . . ؟ أرجوكِ أريحي عقلكِ قليلًا .

قالت فريدة في قرارة نفسها :

–كل ما يريده أبسل أن أتوقف عن التفكير وكفى وكأنني أفكر بعقله .

قال لها أبسل وهو يقوم بسحبها كي تقف معه:

– كثرة التفكير هي التي تسبب لكِ الإجهاد، هيا معي كي نرتاح في غرفتنا .

نظرت فريدة لعينيه وقالت في قرارة نفسها :

–عليّ أن أعطي فرصة لأبسل، خاصة وأن فارس وموضوع عدم تناوله للطعام أو أن يشرب حتى يجعلني أضع عليه علامات تعجب واستفهام .

ها هي فريدة تصل غرفتها مع أبسل، من ثم تفيق من شرودها على صوت أبسل الذي يهمس لها :

– هل تعلمين أني اشتقت إليكِ كثيرًا . . . ؟

تنهدت فريدة وقالت:

-وأنا اشتقت لنفسي كذلك.

- سترتاحين يا حبيبتي صدقيني، سلمي نفسكِ لي وكل شيء سيكون على ما يرام.

فريدة تستيقظ وهي تشعر بأن هناك ألمًا في بطنها، تفتح عينيها فتجد ذلك الطائر ولكن بحجم أصغر ينقر في بطنها وثوبها تلطخ بالدم، وبمجرد أن نظرت له نظر لها بحدة وطعنها بمنقاره فانشقت بطنها فخرج منها حميم، ظلت تصرخ بقوة من شدة الألم...

ها هو أبسل يضرب فريدة على وجهها وهي تصرخ بقوة، إلى أن فتحت عينيها:

- فريدة، توقفي عن الصراخ يا فريدة، أنا هنا بجانبكِ.

فتحت فريدة عينيها تلهث وتنظر بقلق وخوف لأبسل، فلمس وجهها برفق:

- لا تقلقي يا حبيبتي، أنا هنا معكِ، لا تقلقي من شيء.

أبعدت فريدة يده عنها ومسحت وجهها وقالت:

- لا أدري لمَ عادت الكوابيس لي...؟

-أتقصدين أني السبب وفي كل مرة أقترب منكِ بها يحدث معكِ هكذا . . . ؟

-لا يحدث هذا دائمًا ولكن لا أدري ما سبب تلك الكوابيس . . . ؟

سحب أبسل الغطاء عن جسده ونام على جانبه الآخر وهو يقول بصوت قد غلبه الحزن ونفاد الصبر:

-يجب أن أوضح لكِ أن ما ترينه أغلب الوقت ليس بكوابيس، أنتِ الآن كنتِ معي بمجرد ما أغمضتِ عينكِ صرختِ، يجب أن تتعالجي يا فريدة، أريد حبيبتي ترجع لي من جديد .

***

ها هي فريدة تصل لعيادتها وتجلس على كرسيها وتتأمل في لوحة طائر الفينق، وتشرد وتقول في قرارة نفسها:

-لماذا أرى هذه الكوابيس . . . ؟ ما الفائدة منها . . . ؟ لم أستفد منها شيئًا إلا أنها زعزعت علاقتي بأبسل . . . ! وما فائدة ظهور فارس في حياتي مرة أخرى . . . ما المغزى من الذي أمر به الآن . . . وما هو هذا الطائر الذي أراه في أحلامي . . . ؟ على ماذا يدل . . . ؟ هل يمكن أن يرمز لفارس لأن هذا الطائر رمز

للبعث مرة أخرى، ولكن إن كان يدل على فارس عليّ أن أحذر منه لأن هذا الطائر يحاول قتلي . . . كيف لم أنتبه لهذه النقطة . . . ! يعني أحلامي تسببت بأن أشك في أبسل والآن فارس . . . ؟ !

أغمضت فريدة عينيها وقالت بتعب وهي تلمس جفنيها المتعبين:

-يبدو أنكِ متعبة يا فريدة . . . أفضل شيء أن أبتعد قليلًا وأكون بمفردي كي أصل لقرار .

بمجرد ما التفتت بكرسيها فزعت فريدة:

- صرتِ تخافين مني يا فريدة . . . !

تنهدت فريدة وقالت:

- لا أبدًا، أنا لا أعرف ما هو الخوف . . . ؟ لم أكن أظن أن تأتي لي باكرًا هكذا للعيادة .

اقترب فارس وجلس على الكرسي أمامها وقال:

- رأيتكِ تخرجين باكرًا فقررت أن آتي وأكون معكِ، ولكن أرغب أن تسامحيني أني دخلت هكذا من دون استئذان ولكني وجدت كل الأبواب مفتوحة و . . .

قاطعته فريدة بتنهد وتعب:

– لا يهمك يا فارس . . .

ولكن قطع كلامها صوت أبسل الذي دخل العيادة:

– كنت أعلم أنكِ هنا يا . . .

قطع صوته الملهوف بمجرد ما دخل مكتب فريدة ورأى فارس معها ، ولكنه تمالك حيرته وقال بصوت هادئ متعجب وهو يجلس على الكرسي المواجه لفارس:

– أظن أنكما صرتما مقربين جدًا ، هذه ثاني مرة آتي للعيادة وأجدك مع فريدة .

– مجرد صدفة يا أبسل لا أكثر ولا أقل .

نظر أبسل لفارس نظرة ريبة ومن ثم نظر لفريدة بلهفة:

– أعلم أنكِ حزينة مما صدر مني بالأمس، وبمجرد أني رأيتكِ لستِ بجواري فقررت أن آتي لهنا ونفطر سويًا .

ابتسمت له فريدة، وهم أبسل بوضع الطعام على الطاولة الموجودة بين الكرسيين وقال لفارس:

– هيا تفضل معنا يا فارس . . .

نهض فارس من مكانه وقال بابتسامة:

– لا أشكرك يا أبسل، أترككما على راحتكما الآن.

نظر أبسل بحيرة لفارس وقال:

– ما الذي يجري يا رجل لِمَ صرت هكذا عندما أحضر ترغب في أن ترحل؟

من ثم ضحك متعجبًا وقال وهو ينظر لفريدة:

– عندما تحضر الشياطين تذهب الملائكة . . . !

ضحك فارس وقال له:

–يا رجل يقولون عندما تحضر الملائكة تذهب الشياطين.

ضحك أبسل وهو ينهض من مكانه ويمسك بفارس كي يجلس على الكرسي مرة أخرى:

– يا رجل لا أستطيع أن أقول عنك أنك من الشياطين، فالشياطين لا يعرفون الخجل.

هم كي يأخذ كرسيًا آخر وجعل فريدة تجلس عليه، ومن ثم قال لهما:

– هيا نفطر سويًا . . .

وبالفعل بدأت فريدة بالأكل وأبسل كذلك، ولكن فارس لم يمد يده حتى . . .

هنا ضحك أبسل وهو يمسك بلقمة في يده وهو ينظر لفارس:

– يا رجل مد يدك معنا لا يصح أن تجلس وتنظر فقط، أتعلم من هم لا يستطيعون مد أيديهم كي يأكلوا . . . !

ابتسم له فارس وقال له:

– الملائكة كما شبهتني منذ قليل يا أخي .

ضحك أبسل وأكل لقمته وهو يهز رأسه أي نعم، ولكن قطع نظراتهما صوت فريدة:

– لقد شبعت .

نظر لها أبسل بحيرة:

– ولكنكِ لم . . .

همت فريدة من مكانها وهي تقول في عجالة:

– يجب أن أخرج الآن يا أبسل عندي مقابلة مع صديقة لي .

ترك أبسل الأكل من يده ونظر بحيرة وحزن كمن ليس بيده حيلة .

***

ها هي فريدة تركب سيارتها وتقودها بسرعة وتصل لبيت رانيا وتتصل بها :

– رانيا أريد أن أقابلكِ ضرورًيا . . . ؟ أنا أمام بيتكِ .

ردت رانيا بصوت ناعس:

– ولكني لست في بيتي في القاهرة، أنا في الإسكندرية .

– أريد أن أقابلكِ ضرورًيا يا رانيا .

– حسنًا سوف أرسل لكِ عنواني الجديد في الإسكندرية وسأكون في انتظاركِ .

***

ها هي فريدة وصلت لـ "شاليه" أمام البحر مباشرة، رأت أمام باب الشاليه رانيا في انتظارها تؤشر لها ، اقتربت منها فريدة وقالت لها بحيرة:

– رانيا أنا أشعر بحيرة رهيبة . . . أحتاج أن أحكي معكِ .

– حسنًا تفضلي لا يصح أن تظلي هنا هكذا .

أشارت فريدة كأنها تشعر بخنقة رهيبة وقالت:

– أفضل أن نتكلم أمام البحر .

– وهو كذلك، أنا معكِ .

تنفست فريدة بعمق وهي تتأمل في البحر ومن ثم نظرت لرانيا وقالت:

– هل يمكنكِ أن تدعي ريحانة كي أقابلها مرة أخرى، أنا في حيرة رهيبة . . . ؟

– أنا اتصلت بها عندما طلبتِ مني أن أعرف باقي ما حدث، وبالفعل ردت عليّ .

قالت فريدة بلهفة:

– وماذا قالت لكِ . . . ؟

–قالت لي عليكِ أن تحذري . . .

نظرت فريدة بحيرة:

– أحذر من ماذا . . . ؟

– لا أدري يا فريدة . . . لم تكمل كلامها .

– ولِمَ لم تكمله . . . ؟

– الاتصال انقطع .

– اتصلي بها مرة أخرى .

رفعت رانيا حاجبها متعجبة ساخرة:

– على أساس لم أفعل ذلك . . . أنا أحاول أن أتصل بها يوميًا منذ ذلك اليوم . . . لذلك لم أتصل بكِ . . . قلت سوف أتصل بكِ إذا تمكنت من الوصول لريحانة .

– هل تعرفين بيتها . . . ؟

– نعم أعرفه وسألت عنها ولكن لا يوجد أحد يعلم أين ذهبت هي وأسرتها . . . يمكن سافرت الله أعلم وهذا سبب عدم وصولي لها .

أمسكت فريدة برأسها ومن ثم نظرت للبحر وتنفست الصعداء كي تهدأ من التوتر وبعد تفكير طويل وهي مغمضة العينين قالت بلهفة:

– ريحانة قالت إن لها خالة طبيبة نفسية يمكن أن تساعدنا في الوصول لريحانة .

– بالفعل وصلت لعيادتها ولكنها لا تعلم أي شيء عن ريحانة وأخبرتني أنها ستبلغني في حالة تواصلت معها ريحانة .

تنهدت فريدة بصوت فاقد الأمل:

–آآآآآآه، ماذا أفعل الآن . . . ؟

أمسكت رانيا يدها وقالت لها:

– لا تفعلي شيئًا .

نظرت لها فريدة بحيرة:

– إن الشك اشتعل في كل جوارحي ولا أدري ماذا أفعل . . . ! ؟ أريد أن أرتاح يا رانيا ، أريد أن تخمد نيران جوارحي .

– حسنًا يا فريدة يمكنكِ أن تحكي لي ما حدث معكِ وأنا يمكنني من واقع خبرتي في الحياة أن أساعدكِ .

حكت فريدة الجديد الذي مرت به، ورانيا تنصت لها فقط، وبعد أن انتهت من الحديث نظرت لها رانيا وهي تمسك بيدها كي تهدأ من حيرتها :

– سأقول رأيي لكِ وسوف أتخيل أني مكانكِ تمامًا ، لو كنت مكانكِ لأعطيت فرصة لأبسل، إنه شاب حنون وتحمل تقلبات مزاجكِ وشكككِ وقدّر كل ذلك بسبب حبه لكِ . إنسان تحمل شككِ تجاهه بسبب مجرد أحلام، والآن تريدين أن تهجريه لأنكِ وجدتِ حبكِ الأول . . . ! هل أبسل ذنبه أنه أحبكِ كي تجعليه يعاني هكذا . . . ؟ ولن أتكلم عن فارس وحالته الغريبة سواء في عودته أو تصرفاته، أنا أتكلم وأنا أعتبره إنسانًا مثله مثلنا ويأكل مثلنا ولا يوجد حوله أي شكوك لا تختاريه

لأنكِ متزوجة وزوجكِ يحبكِ، احترمي اختيار القدر يا فريدة، ولا تتبعي الضلالات والأوهام. . .

قطع كلامها صوت رنين هاتف فريدة، فنظرت لها رانيا "أي من المتصل" ابتسمت فريدة وقالت:

-أبسل. . .

ابتسمت لها رانيا وهمت من مكانها وهي تقول:

- دعي القدر يسير كما هو، وعليكِ بالرضا وكما قلت لكِ لا تصدقي الضلالات.

أومأت فريدة لرانيا بابتسامة، ومن ثم همت بالرد على الاتصال:

-ألو. . .

- فريدة حبيبتي، أين أنتِ الآن. . . ؟

- مع صديقتي يا أبسل.

- هل يمكن أن تعودي لقد حضرتُ لكِ مفاجأة. . . ؟

- وما هي هذه المفاجأة. . . ؟ !

ضحك أبسل وقال لها:

– ألن تتوقفي عن طبعكِ ذاك . . . ! لا لن أقول لكِ يجب أن تري بعينيكِ الجميلتين .

تنهدت فريدة وقالت له:

– ولكن يا أبسل أرغب في أن أبتعد ليومين أو ثلاثة كي أعود بحال أفضل .

قال أبسل بأسى:

– هل ستتمكنين من البعد . . . ؟

تنهدت فريدة وقالت بأسى:

–أعرف أنك تعبت من وضعي ولكن أحتاج أن أصفي ذهني قليلًا .

تنهد أبسل فاقد الأمل:

– حسنًا يا فريدة كما تشائين .

***

بعد مرور ثلاثة أيام قررت العودة لفيلتها ولكنها لم تجد أحدًا في الفيلا، اتصلت بأمها وهي تشعر بقلق ولكنها لم تجب على الاتصال .

من ثم قررت فريدة أن تتصل بأبسل ولكن أبسل كان مشغولًا حاولت ثلاث مرات ولكن بلا جدوى، فقررت أن تذهب لفيلا فارس وها هي تنتظر كي يجيبها ويفتح

لها الباب، ولكن بلا جدوى، فقررت أن تعود لفيلتها وألقت بجسدها على السرير ولكن فجأة سمعت رنين هاتفها وكانت أمها فنهضت فريدة جالسة:

– أين أنتِ يا وتين . . . ؟

– لمَ أنتِ قلقة هكذا يا فريدة . . . ؟ أنا وجدتكِ سافرتِ أنتِ وأبسل فقررت أن أسافر لأهلي في دمنهور أفضل من وحدتي التي تقتلني .

غضبت فريدة:

– لا تقولي هذه الكلمة مرة أخرى يا وتين لو سمحتِ، أنا متعبة للغاية ولا أستطيع أن أسمع كلامًا يصيبني بغصة تخنقني أكثر مما أنا عليه .

– ماذا بكِ يا بنيتي . . . ؟ قولي لي .

تنهدت فريدة وقالت:

– أنا بخير يا أمي ما دمتِ أنتِ بخير .

– مصرة تقولي لي يا أمي وهذا الأمر يزيد شكوكي يا فريدة .

تنهدت فريدة ضاحكةً:

– وتين توقفي عن مزحكِ هذا، آه ولا تنسي العلاج في الموعد .

-حسنًا يا ماما فريدة.

ضحكت فريدة وقالت:

-بربكِ توقفي يا وتين.

-حسنًا يا عزيزتي انتبهي لنفسكِ ولأبسل.

ها هي فريدة تقوم من على السرير وتقف أمام شرفتها الزجاجية وتنظر بحيرة لفيلا فارس المغلقة تمامًا، فهمت بجعل شاشة خاتمها تنبثق متأهبةً لكتابة رسالة لفارس ولكنها قررت ألا ترسل له شيئًا وقالت في قرارة نفسها:

عليّ أن أحترم القدر لن أرسل له شيئًا هو مجرد جار لا أكثر.

قطع تفكيرها وشرودها صوت رسالة، فاقت من شرودها وقرأتها:

-"فريدة خذي حذركِ".

فريدة حاولت أن تتصل بأبسل كي تفهم مقصده من الرسالة ولكنه لا يرد.

أرسلت فريدة له رسالة:

-"يجب أن توضح لي لِمَ يجب أن آخذ حذري ومن ماذا . . . ! ولِمَ لا تجيب على اتصالي . . . ؟".

من ثم قررت أن ترتاح قليلًا حتى يتصل بها أبسل يوضح لها سبب الرسالة .

من ثم غاصت فريدة في نوم عميق بسبب كثرة التفكير والتشتت اللذين تمر بهما .

ها هي فريدة نائمة على سريرها ، وتشعر أن هناك شيئًا يلمس وجهها برفق، شيء ناعم يلمسها ، شيء أشبه بنعومة الريش .

فتحت عينيها بتعب، فرأت أن ريشًا بالفعل يلمس وجهها . . . !

فزعت فريدة عندما رأت ذلك الطائر على سريرها بجوارها يتأمل بها ويلمس وجهها بريش جناحه الناري .

نهضت فريدة جالسة تنظر له بفزع وحيرة من نظرة عينيه، كانت تشعر أن الطائر ينظر لها بعينين دامعتين .

ها هو يقترب منها وبدأت فريدة تتأثر بنظرة عينيه وقل الفزع من قلبها ، ورأت في عينيه تلألؤًا رهيبًا أتبعه تساقط لدموعه بمجرد ما رأت فريدة دموعه خبأ رأسه في حضنها ، ضمته فريدة وهي تلمس ريشه برفق كي يهدأ ، أغلقت فريدة عينيها عندما بدأت تشعر بالراحة والطائر في حضنها ، ولكنها سرعان ما فتحت عينها مفزوعة:

– ما هذا . . . ؟ ما هذا الذي يحدث هنا . . . ؟

رأت أبسل يقف أمامها مصدومًا ، فقالت له بحيرة:

–متى عدت . . . ؟

اقترب من السرير وهو مستشيط غضبًا :

–هل تريدين أن أستأذنكِ قبل أن أعود كي تخونيني براحتكِ . . . !

من ثم أمسك بفارس وهم بضربه بشدة، نظرت فريدة بجوارها رأت فارس يُسحب من جوارها فصرخت عندما رأته بجوارها ونهضت من السرير تتراجع بظهرها تنظر لأبسل وهو يضرب فارس بكل قوته الذي لا يدافع عن نفسه حتى، فبدأت فريدة تصرخ وتقول وهي تهذي:

– هذا حلم . . . أكيد هذا حلم وسوف أستيقظ الآن . . .

بدأت تضرب وجهها بقوة وهي تقول صارخة باكيةً:

– استيقظي يا فريدة استيقظي . . .

ترك أبسل فارس ملقى أرضًا ونظر لفريدة بنظرة غضب واقترب منها وأمسك شعرها وقال لها باحتقار:

– توقفي عن جنانكِ المصطنع هذا يا خائنة، ماذا تظنين أني مغفل لهذه الدرجة كي تستمري في كذبكِ حتى بعد أن وجدتكِ معه في هذا الوضع . . .

فريدة تصرخ من قبضته ولكنه مستمر في سحبها من شعرها أكثر ورماها أرضاً وهو يقول لها باكيًا :

– لهذا كنتِ تصطنعين المشاكل كي أبتعد عنكِ ويخلو لكِ الوقت معه .

رفعت فريدة شعرها الطويل من على وجهها وقالت صارخةً باكيةً مدافعةً عن شرفها :

– لم أخنك يا أبسل . . . ؟ ولم أصطنع شيئًا إنه كان مجرد طائر وجدته بقربي .

اقترب منها أبسل وسحبها من شعرها وقال لها باكيًا غاضبًا :

– هل تظنين أن بإمكانكِ أن تستغلي حبي وتفعلي ما تشائين، يمكن أن أسامحكِ في أي شيء إلا الخيانة، إلا الخيانة .

من ثم أوقفها أمامه وظهرها للشرفة وبدأ يخنقها بكل قوته وفريدة تحاول أن تدافع عن نفسها وتقول بصوت مخنوق:

– لم أخنك صدقني، كان مجرد طائر صدقني . . .

من ثم التفت بفريدة ويداه ملتفتان حول عنقها ، من ثم تحولت نظرة فريدة من نظرة من يقاوم الموت إلى نظرة المصدوم من شيء من الخلف .

نظر أبسل لفستان فريدة الذي بدأ يُلطخ بالدم فتركها من بين يديه وهو ينظر بحيرة لجسمها من ثم نظر لفارس الماثل أمامه وهو ينظر لجسدها الملطخ بالدم وليده ذات المخالب الطويلة مثل السكاكين . . .

كلاهما نظرا لفريدة التي كانت تنظر لهما بشرود باكيةً من الألم، هم أبسل مسرعًا كي يمسك بفارس ولكنه سرعان ما تحول أمام عينيه إلى ذلك الطائر وفر هاربًا من الشرفة .

هنا نظر أبسل باكيًا متعجبًا من تحوله لطائر من ثم ضم فريدة صارخًا :

– فريدة، انظري لي، ستكونين بخير . .

هم يحملها بين ذراعيه وضمها لصدره وطار بجذائه من الشرفة لأقرب مشفى، وهو يبكي بحرقة ويتمتم باكيًا :

– لا تتركيني يا فريدة، لا تتركيني .

***

الفصل الحادي عشر

كشف المستور

ها هو أبسل يفتح باب غرفة فريدة، تظهر فريدة شاحبة ملقاة على سريرها ومعلق لها محلول، وبمجرد ما دخل الغرفة والتقت عيناه بعيني فريدة، أشاحت بنظرها عنه مسرعةً فتحرك تجاهها باكيًا:

– فريدة، حبيبتي، أرجوكِ انظري لي . . .

تبكي فريدة ولا تنظر له فيجثو أبسل أرضًا باكيًا تجاهها:

– أرجوكِ يا حبيبتي سامحيني، إن الموقف لم يكن هينًا عليَّ أبدًا .

تنفست فريدة بعمق كي تتمالك نفسها وكي لا تبكي، من ثم أمسك أبسل يدها:

– أرجوكِ سامحيني، تذكري لي أي لحظة حلوة .

أشاحت فريدة بنظرها عنه، فنهض من مكانه كي يواجهها مرة أخرى متلهفًا لرؤية وجهها وهو ينظر لها بابتسامة مكسورة:

-إن كنتِ لا تريدين أن تسامحيني لشخصي أنا، فلتسامحيني من أجل ابننا القادم في الطريق.

صدمت فريدة وقالت:

-ابننا . . . ؟ كيف ومتى . . . ؟

اقترب منها أبسل وقبّل يدها:

-تخيلي أن الأطباء يقولون إننا لمحظوظون لقد نجا ابننا ولقد نجيتِ يا حبيبتي.

-منذ متى وأنا هنا . . . ؟

-يومان فقط والحمد لله ها أنتِ معي الآن.

سحبت فريدة يدها من يده ونظرت له محتقرة إياه:

-وما الذي يجعلك سعيدًا بالطفل الذي في بطني، ما الذي يؤكد لك أنه ابنك . . . ؟

-لأني أثق بكِ يا فريدة . . .

ضحكت فريدة ضحكة تهكم وهي تذرف الدمع:

– هههههه، أضحكتني يا أبسل . . . تثق بي أنا . . . ! من هو الذي كان يريد أن أموت بين يديه ؟

– كنت غبيًا يا فريدة صدقيني لم أكن بوعيي لم أدرك ماذا أفعل من هول الصدمة ولكني رأيت برهان براءتكِ بعيني وتحول فارس هذا إلى ذلك الطائر .

– لم يعد لتصديقك لي قيمة، لو كنت صدقتني في تلك اللحظة لكان هذا سببًا لعودة علاقتنا مرة أخرى ولكن بعد الذي فعلته أعتبر أن كل شيء بيننا انتهى .

– أرجوكِ يا فريدة فرصة واحدة لا من أجلي أنا بل من أجل طفلنا .

– للأسف لا أثق بمن يشك بي .

– هل تريدين تركي كي تذهبي لفارس . . . ! ؟

– ما زلت على نفس ظنك يا أبسل .

تنفس أبسل وقال كمن استجمع قواه:

– للعلم فارس هذا لغز كبير ولقد اكتشفت عن حقيقته أمورًا وما زلت سأعرف عنه المزيد .

نظرت له فريدة بغضب وحيرة:

- ماذا تقصد . . . ؟

- سأحكي لكِ ما حدث . . .

بمجرد أن وصلتُ هنا صرختُ بمن في المستشفى كي يلحقوا حالتكِ حينها أغلقتِ عينيكِ ولم تعودي تردي عليَّ، هموا بسرعة بوضعكِ على ناقلة ولكن منعني رجل أمن من الدخول معكِ، أبعدتُ يده عني وقلت بغضب:

- أبعد يدك عني، يجب أن أدخل معها، إن زوجتي تضيع مني .

هم رجل أمن آخر بأن يمسك بيدي الأخرى، استمررت في المقاومة:

- ابتعدا عني، اتركاني أذهب إليها . . .

ولكن سرعان ما وقعتُ على ركبتي نادمًا باكيًا:

- أنا السبب في كل ذلك، أنا السبب لم أستطع أن أدافع عنكِ . . .

فجأة رأيت حذاء رجل يقف أمامي وكزني بالعصا كي أنظر له، بمجرد ما رفعت رأسي رأيت أمامي رجل شرطة ينظر لي بنفاد صبر:

- يا إلهي يبدو أنه يوم متعب، ماذا حدث هنا . . . ؟ الرجال اليوم قرروا قتل زوجاتهم، ما صدقت أن أنهيت استجواب الرجل الأول ها قد جاءني الثاني .

هيا قم من على الأرض وتوقف عن تمثيل هذا الدور، يوجد الكثير غيرك أبدع في تمثيله.

وقفت وقمت بمسح دموعي وقلت:

- ولكني لا أمثل أنا . . .

هم الضابط بالتحرك تجاه غرفة بالجوار وأشار لرجلي الأمن أن يلحقا به ويأخذاني معهما، صرت أنظر بحيرة لكل من بالمستشفى وأقول مدافعًا عن نفسي:

- لم أقتلها، لم أفعل شيئًا . . .

قال لي أحد عمال المشفى مطمئنًا إياي:

- لا تقلق إنه مجرد استجواب.

استمررت أدافع وأقاوم وأقول:

- لم أفعل شيئًا، اتركوني وشأني، دعوني أذهب لحبيبتي.

قطع كلامي صوت الضابط الذي ضرب بكل قوته المكتب وقال بصوت حازم:

- لا أريد أن أسمع صوتك إلا عندما أسمح لك بهذا . . .

توقفت عن كلامي بمجرد ما رأيت غضب الضابط، فقال الضابط بجزم:

– مفهوم . . . ؟

أومأت له أي نعم ومن ثم أجلسني العسكري على الكرسي فازدردت ريقي وقلت بصوت مهزوز وحزين:

– ولكن يا حضرة الضابط أنا أريد أن . . .

طرق الضابط المكتب مرة أخرى وقال بحدة:

– أنا هنا من يتكلم أو يأذن بالكلام .

أومأت برأسي موافقًا ، من ثم هم الضابط بإشعال سيجارة من ثم بدأ في استجوابي:

– لِمَ قتلتها . . . ؟

– لم أقتلها ، لو كنت من قتلها لما كنت جئت بها إلى هنا كي تنقذوها .

نفث الضابط دخان سيجارته بثقة وقال:

– هذا تفكير ذكي من بعض الرجال كي يبعدوا الشك عنهم، ولكن في النهاية يكونون هم من قتلوا زوجاتهم .

– أقسم لك لم أقتلها .

قال الضابط بنفاد صبر:

– حسنًا احكِ لي ما حدث بالتفصيل .

حكيت له كل ما حدث فضحك الضابط ساخرًا ومن ثم أطفأ سيجارته وتحولت ملامح السخرية إلى غضب:

– هل تستخف بي . . . ؟ رجل يتحول لطائر . . . ؟ يعني تريد أن تخرج من جريمة القتل بسبب خيانة زوجتك لك بأن تدعي الجنون، كان غيرك أشطر يوجد كثيرون مثلوا هذا الدور ونهايتهم كانت أنهم تعفنوا في السجن وآخرون أُعدموا .

بكيت وأنا أدافع عن نفسي:

– أقسم لك أني صادق في كل كلمة قلتها لك، أقسم لك .

هم الضابط من مكانه وقال للعسكري:

– ضع في يده القيود وتعال ورائي كي نذهب به هو والحثالة الآخر لقسم الشرطة .

بدأت أدافع عن نفسي وأنا أتحرك وأقاوم وأقول:

– خالد هو من قتلها ، فارس هو السبب، ابحثوا عن فارس أو خالد .

كان الناس ينظرون إليَّ، منهم من ينظر لي نظرة شفقة ومنهم من ينظر إليَّ نظرة أني مجرم وهذا جزائي .

بمجرد أن ركب الضابط سيارة الشرطة وأمر ساعته التي تنبثق منها شاشة بها عدة برامج خاصة بالشرطة "برامج ذات إرسال مشفر" :

– لقد تركت عسكريين لحراسة امرأتين تعرضتا لمحاولة قتل على أمل أن يتم إنقاذ أي منهما ، سوف أصل للقسم ومعي المتهمان، سوف أسلمهما أريد أن يستعد فريق البحث الجنائي كي نبحث في موقعي الجريمة .

قاطعته فريدة بضجر :

– أبسل ما الفائدة من هذا كله . . . ! هل تريد أن تثبت لي أنك تحبني . . . ؟

– حبي لكِ لا يحتاج إثباتاً يا فريدة، بل وغيرتي تلك كانت أكبر دليل على حبي لكِ .

– ماذا تريد مني الآن . . . ؟

– أريد أن أقول لكِ أن الشرطة بحثت عن خالد كما قلت لهم أنه هو الذي قتلكِ ولكن هنا كانت الصدمة .

– ما هي الصدمة . . . ؟

– لا يوجد أي دليل على وجود خالد من الأساس، وإن البيت من الأساس مهجور منذ عدة سنوات .

صدمت فريدة، ومن ثم ازدردت ريقها :

– كيف . . . ؟ ومن هو الذي كنا نزوره في بيته وكان يزورنا . . . ؟

– أنا صدقتكِ حينما تحول لطائر وهذا أثبت لي أنكِ لم تكوني تعلمي بوجوده معكِ ولكن أنا شكي به كان قبلها يا فريدة وعرفت عنه شيئًا لن تصدقيني إن قلته لكِ .

– شيء مثل ماذا . . . ؟

– أرجوكِ أن تفهميني جيدًا ولا تسيئي الظن في نيتي . . .

– قل يا أبسل .

– حسنًا سوف أحكي لكِ كل ما أعلمه عنه .

بصراحة هل تتذكرين عندما قرر خالد أن يرحل من البيت بعد أن أحرجتِهِ أمامنا لم أشك بشيء أبدًا ظننت حينها أنه شعر بالخجل ورحل، ولكنه لم يعد يكلمني أساسًا وبمجرد رجوعكِ لحياتكِ وعيادتكِ ذهب إليكِ مباشرة، حينها تأكدت من مكانتي الصحيحة في حياته، أنا لست صديقه بل أنا مجرد مغفل يربطه ويقربه لزوجته ويستغفله .

توترت فريدة وقالت بغضب:

– ما الذي تتفوه به، إنه نقي شريف في نيته .

– وما أدراكِ أنتِ بنيته . . . ؟

– هو قال لي . . .

ولكن سرعان ما سكتت عندما علمت أنها في مأزق .

– قال لكِ ماذا يا فريدة أكملي .

استجمعت فريدة أفكارها بسرعة وقالت:

– لقد قال لي أننا له أصدقاء وأخوة .

قال أبسل بتهكم:

– وهل تظنين بفعلته تلك أنه صادق في كلامه ونقي وشريف في نيته . . . ؟ ! إنه خائن ائتمنته على بيتي وعرضي ولكنه لا يؤتمن له، لم يكفه ذلك بل كان يريد قتلي أنا ، يريد قتلي كي تكوني له فقط، كنت أظنه مريض اكتئاب فقط أو غريب الأطوار يحتاج من يظل بصحبته كي ينعشه ويخرجه من قوقعة ظلمته ولكن حقيقته أنه مريض بالحقد ، إنه يريد أن يحل محلي ويأخذ حياتي .

ظلت فريدة شاردة في أبسل سارحة مع كلامه الذي يؤيده العقل والمنطق، ولكن سرعان ما أكمل أبسل وقال:

– ها ماذا فعلتُ عندما شككتُ به . . . ؟

أومأت له فريدة أي ماذا . . . ! ؟

– سافرتُ للندن كي أقابل إيفانا وأحكي لها ظنوني . . .

قاطعته فريدة بغضب مكبوت:

– يعني إيفانا هي التي تتواصل معها كل تلك الفترة . . . !

– نعم هي، كنت أتواصل معها من حين لآخر كي أحكي لها تطورات حالتكِ، ولكن سفري للندن كان لسبب آخر .

– ما هو . . . ؟

– كنت أريد جهازاً للسفر عبر الزمن في أسرع وقت كي أعرف ما ينوي له خالد تجاهكِ .

– وهل تمكنت من الحصول على جهاز . . . ؟

– نعم تمكنت من الحصول عليه قبل الحادثة مباشرة وعندما رأيت ما رأيته عندما استخدمت الجهاز قررت الرجوع لمصر مباشرة كي أحذركِ، ولكن الذي رأيته أمامي صدمني ونسيت نفسي و . . .

– أبسل يكفي، مما كنت تريد أن تحذرني . . . ؟ !

– خالد قاتل، بل الحقيقة إنه وحش ومن ضمن ضحاياه أمه . . .

صدمت فريدة وذرفت عيناها الدمع وقالت مصدومةً باكيةً:

– لا أصدق ما أسمعه، لا أصدق كل ما يحدث لي، لا أصدق .

– إن لم تعودي تثقين بي يا فريدة يمكنكِ أن تسأليه .

مسحت فريدة دمعها وقالت:

– وكيف لي أن أسأله . . . ؟ لقد قلت لي أنه ليس له أي وجود .

– إنه يريدكِ لذا سوف يظهر من أجلكِ و . . .

قطع كلامه دخول عسكري الشرطة وهو يقول ها مسًا :

– هيا يا سعادة البيك، الباشا على وصول .

نظر أبسل لها وقال لها بحزن:

– أرجوكِ يا فريدة كوني معي كي أحميكِ مما هو قادم .

– لا لن أكون معك مرة أخرى يا أبسل .

بكى أبسل وقال بحسرة:

– يعني سوف تتركيني أتعفن في السجن بتهمة أني حاولت قتلكِ، أو أكون في مصحة عقلية لأني توهمت معكِ عشيقًا لا وجود له ولكنكِ الوحيدة التي تعلمين بوجوده وتشهدين على ذلك معي، أنا تم إطلاق سراحي ولكني ما زلت تحت المراقبة والضابط سيحسم الأمر بشهادتكِ .

– سوف أخرجك منها يا أبسل لا تقلق سوف تُغلق القضية، العشرة التي بيننا لن تهون عليَّ أبدًا .

– هذا يعني أنكِ موافقة أن نكمل حياتنا سويًا مع ابن . . .

قاطعته فريدة بجدة:

– لا لن أكون معك، إلى هنا وكفى يا أبسل .

– أريد حمايتكِ يا حبي . . .

– لا تكملها، أنا قادرة على حماية نفسي .

هنا سحبه العسكري وهو يتمتم:

– الباشا وصل المشفى لا تضعني في مشكلة .

نظر لها أبسل وهو يخرج من الغرفة وهو يقول لها بلهفة:

– عيني ستظل عليكِ يا فريدة، سأحيطكِ دائمًا .

***

دخل الضابط غرفة فريدة وهو يمشي بتبختر وثقة، من ثم جلس على الكرسي المجاور لها، من ثم لمس ساعته فانبثقت منها شاشة فاختار منها برنامجًا خاصًا لتحويل التحقيقات الصوتية إلى كتابية، وسألها:

– هل تعلمين من الذي حاول قتلكِ . . . ؟

– لا أدري لم أرَ أحدًا .

– من كان معكِ لحظة وقوع الجريمة . . . ؟

– لم يكن معي أحد .

– هل تشكين بأحد . . . ؟

– لا أشك بأحد . . . ولا أريد أن أشك ها أنا بخير لا يوجد داعٍ لكل هذا .

– ولكن زوجكِ هو من أحضركِ لهذا المشفى ويلقي الاتهام على شخص اسمه خالد وكنيته فارس . . . !

– أنا صاحبة الشأن يا حضرة الضابط ولا أريد أن يُتهم أحد .

– ولكن هذا يعني أنكِ معرضة لتكرار نفس الهجوم مرة أخرى . . . !

لم ترد فريدة واكتفت بالصمت فقال الضابط وهو يهم بالوقوف والبرنامج مستمر بتحويل المحادثة على الشاشة:

– يعني صمتكِ هذا يدل على أنكِ لا ترغبين في استمرار القضية والبحث عن القاتل أو حتى حمايتكِ .

أومأت فريدة أي نعم، فقال الضابط وهو يهم بالحركة:

– حسنًا ، كما تشائين .

أُغلقت القضية على رغبة المعتدى عليها فريدة مراد الحبشي .

الضابط/ مصطفى السياف .

***

الفصل الثاني عشر

القاتل

عادت فريدة لبيتها بعد عدة أيام من ذاك الحادث الذي مرت به، وبمجرد ما دخلت بيتها عزمت على تفتيشه كي تسكت عقلها من كثرة التساؤلات التي تدور به .

أمرت الروبوت أن يبحث لها عن جهاز للسفر عبر الزمن، وبالفعل بدأ الروبوت بمسح الطابق الأول بأشعة عينيه ولكن لا أثر له .

قررت أن تصعد للطابق الثاني وقالت في قرارة نفسها بثقة:

-آخر مرة عندما وقع الحادث كان أبسل لتوه راجعًا من السفر وأكيد كان معه هذا الجهاز، احتمال أجده في غرفتي .

وبالفعل صعدت وأمرت الروبوت بنفس الأمر وبدأت تبحث معه من لهفتها ولكن بلا جدوى .

شعرت فريدة بالتعب فقررت أن تجلس على سريرها وهي تنظر لشرفتها وعينها على فيلا فارس وهي تشعر بتردد رهيب، من ثم نظرت للأرض وهي تشعر بأن ليس بيدها حيلة .

ولكن سرعان ما سمعت صوتاً جعلها تنتبه بسرعة:

– هل يمكن أن أدخل يا حبيبتي . . . ؟

فزعت فريدة بغضب وقالت:

– لا يحق لك أن تدخل هذا البيت بعد فعلتك تلك . . . ارحل من هنا .

هم أبسل بدخول الغرفة وشرع يقترب منها بأسى:

– أنا زوجكِ حبيبكِ وأبو طفلكِ .

– لم تعد زوجي، سوف تطلقني، ولا تذكر سيرة الطفل مرة أخرى، لا تجعلني أنتقم منك فيه، أنا نادمة لأن هناك ما يربطني بك .

بدأ أبسل يبكي وقال:

– كيف تمكنتِ من كرهي هكذا . . . ؟

– أفعالك هي السبب .

من ثم مسح دمع عينيه وهو ينظر للغرفة بقلق التي قلبتها فريدة فوضى وهي تبحث عن الجهاز وقال لها:

– ماذا حدث في الغرفة يا فريدة، هل تعرضتِ لأي شيء . . . ! قولي لي . . . أنا هنا لكي أحميكِ .

ابتعدت عنه فريدة بكره وقالت:

–أنا بخير بك أو من دونك . . . كل ما في الأمر كنت أبحث عن شيء .

– وما هو هذا الشيء يمكنني أن أساعدكِ .

– كف عن تودد هذا، إنه يجعلني أشمئز منك أكثر .

– تشمئزين مني أنا يا فريدة . . . ! أنا حبيبكِ الذي فتحتِ له قلبكِ من أول لقاء، صرتِ تشمئزين مني . . . ؟ !

–كف عن الدراما يا أبسل . . . تلك الدموع لن تشفع لك بعد فعلتك تلك، ولكي أكون صريحة معك، كنت أبحث عن جهاز السفر عبر الزمن كي أتأكد من صدق كلامك الذي أشعر بنسبة كبيرة أنك قلت كل هذا بسبب غيرتك وسوء ظ . . .

-توقفي يا فريدة، استحالة أشك في حب حياتي، عليكِ أن تقولي إني شككت في خالد لا بكِ أنتِ.

- النتيجة واحدة يا أبسل لا يوجد مبرر لفعلتك.

- هل يمكن أن تسمحي لي أن أوضح لكِ سبب ظني ذاك. . . ؟ !

- لا يوجد سبب سوى عدم الثقة. . .

أمسك أبسل يد فريدة وأجلسها على السرير وجلس بجوارها وقال لها:

- أرجوكِ اسمعيني يا فريدة، لا تتبعي صوت عقلكِ دائمًا لأنه ليس على صواب في كل الأحيان.

تنهدت فريدة ومن ثم أكمل أبسل كلامه:

- بدأ شكي في خالد منذ أول يوم دخلتُ بيته، بيته غريب جدًا وكنت أشعر أنه غريب الأطوار لا بيته فقط، وعند دخولي لبيته أول مرة لاحظت كلبًا في حديقته وعند خروجي لم أجده أبدًا.

حاولت فريدة الدفاع عنه ولكن سرعان ما أسكتها أبسل وقال لها:

– لا تقاطعيني، دعيني أكمل، وفكرة عدم معرفته أي شيء عن حياته وأهله إنه لأمر غريب ولكن ما هو أكثر غرابة رفضه للأكل أو الشرب حتى، كل هذا اعتبرته مجرد بشر فالناس يختلفون عن بعضهم، ومن ثم تودده لكِ وقربه منكِ جعلني أبدأ أتشكك في صدق إخلاصه لي وأنه يكن مشاعر تجاهكِ، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على شكي به لا بكِ أنتِ ومنذ ذلك الحين قررت الحصول على هذا الجهاز كي أتأكد من أمر مشاعره لكِ ولكن هل تتذكرين عندما قررت السفر منذ عدة أيام عندما اتصلت بكِ وقلت لكِ أني جهزت لكِ مفاجأة . . . !

أومأت فريدة برأسها أن نعم من ثم نظرت له بحيرة وهي تنصت له:

– يومها اشتريت لكِ كلبًا هدية وعندما حل المساء، تركته في بيته وصعدت كي أنام.

ولكن بمجرد ما بدأت نومي سمعت زمجرة الكلب ولكن سرعان ما اختفى صوته. هرعت مسرعًا وفتحت الشرفة ونظرت لبيت الكلب الذي وجدته فارغًا وفي غمضة عين رأيت رجلًا ظهر في عتمة الليل في منتصف الطريق، وفي غمضة عين اختفى، وبعدها رأيته في حديقة فيلا خالد.

ولكن سرعان ما اختفى عن نظري، ظللت أنظر لفيلته لا أفهم ما أراه.

حينها قررت أن أنزل وأذهب لبيت خالد.

كان نظام بوابته معطلًا لدرجة أن باب البوابة كان مفتوحًا بمجرد أن قمت بلمسه فتح مباشرة، بدأت أدخل وأنا قلبي ينتفض لا أدري ما أنا بفاعل...! وبمجرد ما اقتربت من باب الفيلا الداخلي بدأت أسمع صوت طرقات أي صوت فأس يطرق الأرض، بدأت أتبع الصوت إلى أن وصلت أمام باب يؤدي لسلالم بدروم، حينها قررت أن أنزل ولا أدري لماذا أتبع عقلي...! وبمجرد ما نزلت الغرفة لم أجد أحدًا ولم أجد شيئًا، ولكن سرعان ما شعرت بضربة عصا قوية أفقدتني الوعي.

ولم أفق لنفسي إلا ووجدتني على سريري هنا وبجواري خالد وهو يقول لي:

- أعذرني يا أبسل عما صدر مني، كنت أظنك أحدًا اقتحم منزلي.

عدلت من نومتي وجلست وأنا أقول له بحيرة:

- ماذا كنت تفعل في البدروم في ذلك الوقت...؟

- إنه بيتي يا أبسل كنت أقوم ببعض عمليات الترميم به لا أكثر ولا أقل، كما تعلم إن فيلتي تحتاج الكثير من الإصلاحات.

من ثم نظر بحيرة وسألني:

– ولكن السؤال الذي يجب أن يُطرح هو، ما الذي أتى بك إلى منزلي من دون سابق ميعاد، لا أقصد شيئًا يا صاح إنه بيتك أعلم ذلك ولكني تعجبت.

– لقد فقدت كلبي وجئت لفيلتك كي أسألك إن كنت رأيته ولكني تعجبت من صوت الطرق ذاك فاتبعته.

من ثم ازدردت لعابي، وبعدما اطمأن عليَّ رحل وحينها قررت السفر وحصلت على الجهاز وعلمت جرائم خالد بداية من أمه وأشخاص وعدة حيوانات كثر وكل تلك الجثث مدفونة في ذاك البدروم.

نظرت له فريدة وقالت له بجزم:

– أعطِ لي هذا الجهاز أريد التأكد بنفسي، لا يمكننا أن نترك ذلك المجرم في الحي هكذا.

وقف أبسل بجزم وقال بغضب:

– لن أعطيكِ الجهاز مرة أخرى، ألا ترين حالتكِ كيف أصبحت بسببه، لا لن أدع حالتكِ تسوء أكثر من ذلك يجب أن تأخذي كلامي ثقة وتتحد سويًا ونبلغ عنه

الشرطة وسيكون هذا البدروم دليل جرائمه وسوف تبحث الشرطة عنه في كل أرجاء البلاد لأنه ليس له أثر هنا .

همت فريدة بمد يدها في جيب أبسل كي تبحث عن الجهاز وهي تقول بحزم وغضب:

-أعطِ لي الجهاز هذه المرة وكفى .

وبالفعل أخرجته من جيبه فسحبه أبسل من يدها وقال بحزم وهو يقوم بتكسيره أرضًا:

-لن أدع تلك المغامرات تدمر ما تبقى من عقلكِ يا فريدة .

نظرت فريدة بدهشة وغضب للجهاز المهشم أرضًا وقالت بغضب:

-قمت بتكسيره لأنك كاذب .

هم أبسل بالخروج من الغرفة وقال كمن فقد الأمل:

-لقد تعبت أوضح لكِ يا فريدة، إذا كنت كاذبًا في نظركِ فيمكنكِ أن تسأليه أو أن تري بنفسكِ .

ظلت فريدة شاردة في فيلا فارس من ثم قررت أن ترسل له رسالة:

-فارس أريد أن أقابلك من أجل موضوع ضروري .

تمر الساعات ولكن لا يوجد رد من فارس .

حل المساء وفريدة قلقة في سريرها ، لذا قررت أن تذهب وتتأكد بنفسها .

همت فريدة بالخروج من فيلتها وها هي تمشي تجاه فيلا فارس وقد غمرها القلق، ولكنها لا يمكنها أن تجمح فضولها بتاتاً .

وبمجرد ما لمست البوابة فتحت مباشرة أي كأنها تحاول دخول بيت مهجور متهالك كل شيء به معطوب .

ها هي تقدم على دخول الفيلا المظلمة وتتذكر كلام أبسل وكلما اقتربت أكثر كلما زاد شعورها بصدق كلام أبسل ولكن تريد أن تسكت آخر نبض من قلبها ينادي بصدق فارس .

ها هي تعتمد على ضوء خاتمها وبدأت في نزول البدروم "القبو" .

بدأت تقول في قرارة نفسها :

-احذري يا فريدة، يجب أن تنتبهي كي لا يحدث بكِ ما حدث لأبسل .

من ثم تنفست بعمق وأردفت:

ولكن الأدهى أن يحدث لي ما حدث لأمه ولا أدري من غيرها .

بمجرد نزولها للقبو أخذت وضع الاستعداد وجعلت ظهرها يواجه المكان الفارغ في الغرفة ووجهها تجاه الباب كي تتأكد من عدم وجود أحد .

أخذت تنظر جيدًا وبالفعل لم يوجد أحد بالغرفة سواها ، فازدردت ريقها ، من ثم قررت أن تستخدم الفأس وتقوم بالحفر كي ترى بعينها .

ها هي تحفر أكثر وأكثر ولكنها لا تصل إلى شيء ، قررت أن تتوقف كي تلتقط أنفاسها وبدأت الظنون تتغير في عقلها وتقول:

-يبدو أن أبسل اختلق بعض الأمور في حق فارس كي أشك به، ولكن أبسل لا يعلم أني بما فعله فارس وتعرضي لهذا الموقف بسببه كرهته هو أيضًا ، ولكن كذب أبسل زاد كرهي له أكثر .

فريدة عليكِ أن تكملي الحفر ولا تحكمي الآن، توقفي عن التسرع في الحكم، هيا فلأبدأ .

وبالفعل ها هي تكمل الحفر، تحفر بكل قواها أكثر وأكثر إلى أن وصلت لشيء معدني ارتطم بالفأس .

هنا تعجبت فريدة من وقع الصوت على مسامعها وقالت في قرارة نفسها بحيرة:

-أنا هنا أبحث عن جثث تدين فارس، لم أكن أظن أني جئت لكي أجد كنزًا .

ومن قال لكِ أنه كنز يا حمقاء، فلتكملي الحفر وكفي عن التفكير قليلًا .

بدأت فريدة بإزالة ما تبقى من تراب إلى أن ظهر أمامها مباشرة طبقة كبيرة جدًا مصنوعة من حديد ، هنا الشكوك تحولت من كونه صندوق كنز إلى شيء لا تعلم ماهيته، جلست وأخذت تنظر للحفرة التي أمامها ولتلك الطبقة الحديدية .

بعد وقت من النظر وجدت أن لها حدودًا ، أي أنها أشبه بالباب، فقالت في قرارة نفسها بلهفة:

-نعم إنه باب . . .

ولكن سرعان ما خمدت نار لهفتها وقالت بتعجب:

-ولكن إن كان بابًا فكيف لي أن أفتحه وهو من دون مقبض حتى ؟

أخذت تنظر حولها فوجدت عتلة، فقامت بغرسها في أحد أطراف الباب وقوة بنيان فريدة ساعدتها على رفعه، كان الرفع بصعوبة ولكنها تمكنت وأمسكت بطرف الباب وقامت بفتحه على آخره فصار موازيًا للحفرة التي قامت بها .

بمجرد ما فتحت الباب هبت رائحة عفنة جدًّا ، رائحة أشبه برائحة الجيف والجثث، رائحة جعلت فريدة تتقيأ .

حاولت فريدة أن تتمالك نفسها وتكمل ما بدأته، فقامت بخلع قميصها وثنيه وربطه حول وجهها مثل الكمامة كي يقيها من تلك الرائحة .

حاولت أن تسقط ضوء خاتمها كي ترى ما الموجود داخل هذا المكان، ولكنها لم ترَ بوضوح من علٍ، فقررت أن تنزل للأسفل ولكن عمق المكان كبير جدًّا ، فقالت في قرارة نفسها :

-يمكنني أن أقفز بداخله ولكن كيف لي أن أصعد ، يجب أن أجد سلمًا .

أخذت تبحث حولها في البدروم إلى أن وجدت السلم، كان سلمًا طويلًا وثقيلًا جدًّا ولكنه مفيد للوصول لهذا العمق، تحاملت فريدة على حمله وقامت بإنزاله وتثبيت طرفه العلوي على أحد أطراف الحفرة التي قامت بحفرها ، وتبقى جزء من السلم

على ارتفاع بسيط بجوار الحفرة، حمدت فريدة الرب على أنها وجدت السلم، همت بالنزول وهي تقول في قرارة نفسها :

-هذه أول مرة أجد للبدروم بدرومًا .

ها هي تنزل وكلما اقتربت من الأرض يرتعش جسدها أكثر وأكثر .

بدأت تمشي في ممر فارغ مظلم لا يضيئه سوى ضوء خاتمها الذي أخذ يخفت شيئًا فشيئًا وذلك لأن بطاريته ضعيفة، فقالت فريدة حينها بغضب:

-ليس وقتك أن تنفد الآن، أكمل معي قليلًا أرجوك .

إلى أن وصلت لغرفة مغلقة، فهمت بفتح بابها ، وهنا كانت الصدمة .

من هول ما رأته فريدة سقطت أرضًا غير مصدقة ما تراه عينها .

لم تعد قدمها قادرة على حملها فبدأت تزحف وهي تنظر لتلك الغرفة المعبأة بالهياكل العظمية، هياكل عظمية مختلفة الأحجام .

تحاول فريدة أن تلتقط أنفاسها وهي تزحف ولكن سرعان ما أوقف تحركها وجود جسد خلفها .

رفعت فريدة رأسها كي ترى من خلفها ولكن سرعان ما يسقط على عينيها ضوء البدروم الذي فتح لتوه.

شوش الضوء رؤيتها لأن عينها اعتادت الضوء الخافت، ولكنها تمكنت من الرؤية بمجرد أن قام بسحبها تجاهه.

ولكن بمجرد ما واجه وجهها وجه فارس رُسم الفزع على وجهها وقامت بإبعاده عنها فبمجرد ما ترك يدها فقدت توازنها مرة أخرى وسقطت وبدأت تزحف للخلف تجاه السلم وهي تصرخ وتقول:

-ابتعد عني، أنت قاتل، أنت مجرم.

أخذ فارس يقترب منها ببطء وهو ينظر لها بتعجب ويقول:

- إذا كنت قاتلًا لَم لَم أقتلكِ بعد . . . !

- يمكن لأنك تكن تجاهي مشاعر وبسبب مشاعرك تلك جعلتني أظهر بصورة غير شريفة أمام أبسل . . . لَم جعلت الأمور تنتهي بهذا الشكل ؟

- يبدو أنكِ لا تفهمين الأمور كما تظنين.

حاولت فريدة أن تتمالك نفسها بمجرد ما ارتطم جسدها بالسلم، حينها همت مسرعةً كي تصعد وتهرب، ولكن قبل أن تضع قدمها حتى على أول درجة في السلم كان فارس أمامها وضرب السلم فسقط أرضاً، حينها التفتت فريدة له وهي تتوسل:

-أرجوك دعني أخرج من هنا وأعدك بأني لن أخبر أحدًا بما رأيته.

-لن أدعكِ تخرجي من هنا قبل أن تفهمي الحقيقة كاملة.

بدأت فريدة تلتقط أنفاسها بصعوبة وتقول بوهن:

-أرجوك، دعني أخرج من هنا، لم أعد قادرة على التنفس، أشعر بالدوار، أنا حامل...

من ثم خرت واقعة، فالتقطها فارس وطار بها، ومن ثم أخذ يصعد بها على الدرج ببطء وهو يتأمل ملامحها، إلى أن وصل غرفته فقام بفرد جسمها على السرير وإزالة القميص من على وجهها.

جلب بعض الماء وحاول إفاقتها به، بعد ما فتحت عينيها قال لها برفق:

– اشربي الماء يا فريدة والتقطي أنفاسكِ، لا يمكن للمرء أن يعرف الحقيقة من منظور واحد، وأنتِ أكثر واحدة تعلم ذلك.

حاولت فريدة أن تعدل من وضعها وجلست وهي تنظر له بريبة وهي تشرب الماء، من ثم قطع فارس تساؤلاتها الداخلية فأردف:

– لا أدري ماذا أقول لكِ. . . ! هل أقول الحقيقة بأني بالفعل قاتل. . . ؟ أم أدافع عن نفسي وأنكر هذا الجرم الذي أرتكبه بدون إرادة مني. . . !

– يعني الحقيقة أنك قتلت أمك يا فارس. . . ؟

– نعم، قتلتها.

– هذا يعني أنك كذبت عليَّ. . . !

– لا يمكنكِ أن تقولي إني كذبت، يمكنكِ أن تقولي إني أجلت الموضوع إلى أن يحين الوقت المناسب الذي تفهمين فيه ما أقوله لكِ.

– لا يوجد مبرر للكذب يا فارس، أنا طلبت منك أن تصارحني بكل شيء في حياتك، ولكنك عاملتني كأني مغفلة كبيرة.

– عليكِ أن تكوني رحيمة يا فريدة في حكمكِ على من حولكِ، لا تكوني صارمة هكذا، على الأقل أعطي لي فرصة كي أدافع عن نفسي وأحسن صورتي أمامكِ.

عليكِ أن تسألي نفسكِ أولًا لمَ قتلت أُمي من الأساس، هل هذا في نظركِ أمر طبيعي . . . ؟ لا تقاطعينني يا فريدة دعيني أحكي لكِ كل شيء ولكِ الحرية الكاملة في ردة فعلكِ.

بعد عودتي للحياة مرة أخرى، حاولت أمي أن تجعلني آكل معها ولكن بلا جدوى، فشلت في أن يستقر الطعام في جوفي، أغلب الطعام لا أطيق رائحته، والبعض حاولت أن أبتلعه ولكن بضع ثوانٍ وأتخلص منه.

حينها أمي بدأت تتعب عندما رأتني وأنا أذبل أمامها ولا تدري ماذا تفعل لي، حينها قررت أن تجلب لي طبيبًا كي يتابع حالتي، قرر الطبيب أن يستخدم المحاليل كي تعوضني عن قلة أكلي، ولكن مرور المحلول في عروقي كان يحرقني ويأكل في جسدي، كنت أصرخ بهستيريا، وقمت بإزالته من يدي، وانفعلت على الطبيب فقرر الرحيل بعد الذي فعلته معه.

حينها قررت أمي أن تسأل الخادمة عن الساحر الذي أعادني للحياة مرة أخرى ولكنه لا يأتي إلا مرة واحدة في السنة، لذا قررت أن تذهب للساحرة التي كانت تعينه، فقالت لها تلك الساحرة العجوز الشمطاء:

– ابنكِ لن يأكل الطعام العادي مثل باقي البشر، ابنكِ خالد والخالدون ليسوا مثلنا، إن غذاءهم اللحم وشرابهم الدم.

– لحم ودم ماذا . . . ؟

– على الأقل عند كل اكتمال قمر يتم قتل أي روح له.

– روح مثل ماذا . . . ؟

– هل تعلمين القربان . . . ؟

أومأت أمي بقلق أي نعم فأكملت الساحرة كلامها:

– عليكم بتقديم قربان بقتل روح واحدة ويفضل أكثر لو كان إنساناً بالغاً من ثم الأطفال، وأقل القليل روح حيوان ولكن التأثير ليس بقوي مثل روح البشر.

– ألم تقولي لي أنه خالد بل إنه سيكون أبديًا في هذه الحياة؟

– كل شيء وله ثمنه وتضحياته يا رحاب.

– وإن لم أفعل ذلك ماذا سيحدث . . . ؟

– إن لم تفعلي ذلك سيفعل هو بنفسه بشكل خارج عن إرادته كي يستمر في الحياة، أقل كمية جثة مع كل قمر وهذه الجثة ستكون كفيلة أن تكفيه لمدة شهر ولن يحتاج لشيء، ولكن إن كانت هذه الجثة جثة حيوان صغير فسيحتاج لشرب الكثير من الدم إلا . . .

– إلا ماذا . . . ؟

– إلا أنه سوف يواجه الكثير من التعب والإرهاق والشحوب وهكذا أكون شرحت لكِ المطلوب، انتهى وقتكِ . . .

– ولكني لا يمكنني أن أفعل ذلك . . .

– من بدأ شيئًا عليه أن يكمله، ومن فعل شيئًا عليه أن يتحمل عواقبه، وأنتِ من طلبتِ تحضير الروح من جديد فتحملي .

خرجت أمي وهي في حالة صدمة لا تدري ماذا تفعل، صارت تمشي وهي تجر أقدام الخيبة والذل والندم على فعلتها تلك وهي تقول:

–ما الذي فعلته . . . ؟ اعترضت على قدر الله وها أنا أعاني مما اقترفته يداي .

قررت أمي أن تشتري لحمًا طازجًا من أجلي ولكن للأسف لم أستسغه أبدًا ،

فقررت أمي أن تطلب ممرضة لكي ترعاني وتجلب معها دمًا من أجلي .

قررت أمي أن تقبل أن تجلب لي الدم يوميًا على أمل ألا تقتل أحدًا من أجلي .

حاولت أمي أن تخرج معي وكي نتقبل الواقع الجديد فخرجنا للسينما ، ولكن للأسف حينها لم أكن أتمكن من التحكم في ذاتي، في أول يوم لي في الخارج تعرضت لموقف، الفتاة التي كانت تجلس بجواري، نظرت لها فظنت مني أني أحاول مغازلتها ، ولكني انقضضت على رقبتها فصرخت بشدة فهمت أمي مسرعةً وقامت بسحبي وهي تعتذر للناس باكيةً:

– أعذروني، أعذروني، ابني ليس على ما يرام، ابني مريض، لم يقصد ما فعله، أرجوكِ سامحيني يا بنيتي، اتصلي بي يا بنيتي وسوف أعوضكِ كما تشائين .

من ثم أخرجت كارتًا خاصًا بها وأعطته للفتاة وهي تهرع وهي تشعر بالخزي وهي تسحبني مثل الطفل الصغير رغم ضخامة بنيتي .

خرجت وأنا في حالة صدمة من نفسي بمجرد ما رأيت انعكاس صورتي ووجهي ملطخ بالدم .

عدت للبيت وحينها أدركت أمي أن ممارستي للحياة الطبيعية تعتبر خطرًا جسيمًا لمن حولي.

ظللت حبيس غرفتي، أشرب بعض الدم، هزيل حزين وحيد بسبب غرابة طبعي، وتعب أمي تعبني أكثر، الندم الذي في عينيها وحزنها على حالي جعلاني أكره نفسي أكثر.

شعور مؤلم جدًا عندما تصير مصدر الألم لمن يحبك وهو كان يظن أنك ستكون له مصدر السعادة.

الخزي مميت يا فريدة مميت.

يجب على البشر بدلاً من أن يسألوا الشخص المكتئب بتعجب: "لمَ أنت مكتئب. . . ؟" بل عليهم أن يسألوا برحمة: "ما الذي جعلك مكتئبًا . . . ؟ !".

كل شيء وله سبب يا فريدة.

استمر الوضع هكذا إلى أن اكتمل القمر وهنا تحولت مثل المجنون، لم أستطع أن أجمح نفسي، هنا أول من رأيته كان أمي ولم أفكر حينها في كونها أمي بل أريد أن أسكت الصوت الذي بداخلي.

هنا أمي صرخت عندما رأيتني أقترب منها ولكن سرعان ما هممت الخادمة كي تدافع عن أمي وكانت هي أول ضحاياي .

أمسكت بها وقمت بمص دمها من رقبتها إلى أن فارقت الحياة، وبمجرد أن فقد جسدها قواه وخرت على الأرض جثوت على جثتها وبدأت في نهش لحمها ، وأمي واقفة تنظر لي وهي تصرخ وتبكي بندم على الوحش الذي جلبته للحياة، وسرعان ما رأيتها تتحرك هاربة خارج البيت، فتركت الجثة التي بين يدي، ولحقت بها ، كنت أعلم أنها فاض بها وسوف تبلغ الشرطة عني لأني كنت سوف أقتلها هي إلا أن الخادمة ضحت بنفسها بدلاً منها .

وقبل أن تصل لباب الفيلا كنت قد لحقت بها وقتلتها .

لم يتبقَّ في البيت سوى البواب فخرجت للحديقة وقمت بقتله كي لا يتبقى أحد ويكون شاهدًا على ما حدث .

منذ ذلك اليوم وأنا وحيد ، أخاف من الخروج كي لا أوذي من حولي، وأخاف أن أحب فيأتي يوم وأقتل أحبتي .

– يعني يمكنك أن تقتلني أنا أيضاً ، لا أمان لمن قتل أحدًا وأنت لم تقتل أي أحد أنت قتلت أمك التي فعلت المستحيل كي تعود لها من جديد .

– ولكن لقد مرت سنوات كثيرة على ذلك الحادث، وتغيرت كثيرًا وصرت مدركًا حالتي جيدًا ، صرت أضحي بأقل القليل كل شهر مجرد قط أو كلب، وأرضى أن أكون متعبًا هالكًا أغلب الأحيان بدلاً من أن أقوم بجريمة أخرى .

وهذا كان حالي إلى أن قابلتكِ حينها شعرت أن قوتي تزيد بقربكِ مني، تأثيركِ عليَّ أشبه بتأثير شرب الدم، لدرجة أني ظننت أن هذا الشهر لن أمر بتلك الحالة التي تدفعني لقتل ضحية جديدة ولكن للأسف أنتِ لم تكوني موجودة فاضطررت أن أقتل مرة أخرى .

– وكانت الضحية هذه المرة كلبي . . . !

– على الأقل كلبكِ لا زوجكِ .

– لا تقل زوجي كل شيء انتهى بيننا بعد الذي فعله يومها ، لمَ فعلت هذا الفعل الشنيع لمَ . . . ؟ !

– سوف أحكي لكِ السبب، أولًا أنا لم آتِ إليكِ كي أضعكِ في هذا الموقف مع زوجكِ، بل الحقيقة أنا جئت لكي . . . .

– لكي ماذا يا فارس . . . ؟

– لكي أقتلكِ . . .

– لم يكن عليَّ الوثوق في قاتل مثلك .

– إذا كنت أريد قتلكِ فأنتِ أمامي لَم لم أفعلها . . . ؟ تعقلي يا فريدة وافهمي ما أقوله لكِ .

بعد جريمة قتلي الأخيرة وقفت أمام مرآتي وكنت أنظر لنفسي بندم رهيب وتمنيت من داخلي ألا أستمر في هذا الوضع باقي عمري، حينها تحرك انعكاسي ونظر لي نظرة شر كلها ثقة وقال لي:

– إن دم البشر أو الحيوانات لا يشبع غريزة الجوع بداخلك سوى شهر واحد فقط وكما تعلم أنت خالد فاحسب معي كم عدد الضحايا التي سوف تحتاجها طوال حياتك .

ولكن هناك حل دائمًا لأي مشكلة .

-وما هو . . . ؟

-أن تقتل فريدة، فريدة ليس مجرد اسم لها فقط بل هي فريدة كذلك، حتى دمها فريد، فما بالك بلحمها، مجرد هالة روحها وطاقتها تغنيك عن شرب الدماء، فما بالك بدمها ذاته.

-هل جننت . . . ؟ هل تريدني أن أقتل حبيبتي . . . ؟ !

خرج انعكاسي من المرآة وهو يضحك في وجهي ساخرًا وبدأ يحوم في غرفتي ويظهر في انعكاس المرآة خلف صورتي:

-ضحية واحدة ومن بعدها حياة طبيعية مستقرة، أم ضحايا كثر وحياة أشبه بحياة الجرذان لباقي عمرك الأبدي . . . !

حينها انفعلت جدًّا فكسرت المرآة وبمجرد ما التفتُ رأيته أمامي وقال بسخرية:

-ضحية واحدة، ضَحِّ بفريدة من أجلك، من أجل حياتك، من أجل أرواح آخرين.

وبالفعل عند رجوعكِ فكرت أن أذهب لبيتكِ وأقتلكِ، ولكني اكتشفت بأني ضعيف أمامكِ يا فريدة، الموت أهون عندي من أن أقتلكِ فلم أستطع يومها سوى

بجرحكِ جرحًا بسيطًا في رقبتكِ ورحلت، والمرة الثانية عندما دخل أبسل وكنت أمص دم إصبعكِ و . . .

– يعني أنت كنت تعلم بأني حبيبتك، كنت تعلم وتتذكر كل شيء عني وعن حياتك .

– وكيف لي أن أنساكِ يا عجيبتي . . . ولكني لم أرغب أن أوضح لكِ ذلك وذلك احترامًا لكِ ولحياتكِ الحالية، فأسرت حبي في قلبي .

– كنت أعلم أنكِ هنا ، بمجرد وصولي للبيت وعدم وجودكِ به في هذا الوقت المتأخر قلت أكيد أنكِ عند عشيقكِ يا سافلة .

– أنت حقير يا أبسل، أنت مريض ولديك إسقاط، أنت الخائن لذلك تظن أني خائنة مثلك أيها الوقح .

– زوجتكِ شريفة يا عديم الشرف .

– هههه صحيح، شريفة هي من تنام في سرير رجل غير زوجها ، ماذا عليها أن تفعل أكثر من ذلك كي أشك بها . . . ؟

أيتها الشريفة قولي لي، من أبو الطفل الذي في بطنكِ . . . ؟

– توقف يا أبسل عد لرشدك وكف عن تفوهك بهذا الكلام، كلانا لم نخنك .

– تخيل يا خالد بعد الموقف الذي حدث منذ كم يوم لمت نفسي وكنت أظن أني ظلمتها ، وبمجرد أن علمت أن هناك رابطًا بيننا قلت لنفسي أن نعطي فرصة لزواجنا ، ولكن بعد الذي فعلته اليوم هذا يثبت خيانتها لي وأنت خنتني يا من كنت أظنك أخي .

– أنت لا ترى الموضوع من الموضع الصحيح .

– مطلوب مني أصدقكما وأكذب عيني مرتين ها . . . ! ؟

– لا أريدك أن تصدق شيئًا ، أريدك أن تطلقني وألا أراك مرة أخرى في حياتي .

– لا تريدين أن تري وجه حبيبك وزوجكِ . . . !

من ثم ضحك بتهكم ساخرًا بشدة وأكمل كلامه:

–واحتمال أكون أبو طفلكِ . . . ! هههه تخيلي كم الحمق والحب الذي أحبه لكِ لدرجة أني مستعد أن أكون متعلقًا بكِ إلى أن يأتي هذا الطفل للحياة ويثبت أني أبوه كي لا ينتهي حبنا . . . لا أقبل أن ينتهي حبنا يا فريدة، حبنا أقوى من أي شيء .

– بعد الذي فعلته اليوم أنت أطفأت آخر شعلة أمل لعلاقتنا ، وصدقني من يشك في شريكة حياته مرة سيظل عمره كله فاقد الثقة بها ، علاقتنا انتهت يا أبسل . . . انتهت .

– أتريدين هجري من أجل هذا الخائن القاتل غريب الأطوار . . . !

– أنا لست . . .

– أبسل لم يتهمك بشيء كي تهم بضربه أنت كاذب ومخادع وقاتل . . . أنا لا أعرفك، أنت لست فارس الذي أعرفه، اتركني وشأني لا أريد أن أراك أنت كذلك .

كلاكما كاذبان مخادعان . . . أكرهكما بشدة أكرهكما .

– لن أدعكِ تكوني لغيري يا فريدة، أنتِ لي أنا فقط .

– ابتعد عني، لا أريد أي أحد لا أنت ولا غيرك .

– لن أتركِكِ يا فريدة، ولن تغيبي عن عيني لحظة، لن أتركِكِ، أتفهمين ؟

***

الفصل الثالث عشر

الجريمة

بمجرد أن دخلت فريدة بهو فيلتها تمكن منها التعب بشدة، فلمست خاتمها كي يأتي إليها الروبوت وبمجرد حضوره سقطت أرضاً وقالت هامسةً وهي تحاول ألا تفقد وعيها:

- اتصل بأمي وأخبرها أني أحتاجها حالاً .

ها هي فريدة تقف أمام مرآة ضخمة ذات إطار مشغول يدويًا بتصميم يعود للحضارة الإسلامية، من ثم تنظر لنفسها وتتأمل فستانها الأبيض الطويل وقد خطف نظرها تلك السلسلة ذات دلاية البومة ذات الحجر الروبي، تنظر لها بلهفة وهي تلمسها ، من ثم تنظر في انعكاس المرآة فترى حديقة خضراء واسعة من ثم يظهر وراءها نفس الشاب ذا ملابس الملوك، فتلتفت له فيبتسم لها فيهم بسحب يدها بلهفة وهي تتبعه مبتسمة ولكنها تنظر له نظرة معناها: "إلى أين . . . ؟" .

فيقف مرة واحدة ويبتسم لها ومن ثم يؤشر للسماء كي تنظر، فترى حصاناً أبيض ذا أجنحة كبيرة يهم بالهبوط.

وما زالت تنظر بلهفة وهي تشعر بكم كبير من السعادة بسبب جمال ذلك الحصان، كان حصاناً أشبه بالأحصنة الأسطورية فائقة الجمال.

وبمجرد هبوط الحصان، حرك الشاب يده لأعلى فبدأت فريدة بالارتفاع عن الأرض فبدأت ملامح القلق تُرسم على وجهها وخاصة أن توازنها اختل، فنظر لها الشاب مبتسمًا مطمئنًا إياها فاطمأنت، فقام بتحريكها إلى أن ركبت الحصان، من ثم صعد على الحصان أمامها، فأمسكت به بشدة وهي في قمة السعادة، بدأ الحصان في العدو وضحكات فريدة تزداد أكثر وأكثر من نشوة السعادة، ومن ثم قفز الحصان وأطلق جناحيه للريح وارتفع عاليًا إلى أن وصل فوق البحر، هنا انبهرت فريدة من جمال المنظر، ولكن هذا الشعور لم يدم طويلًا، لأن السماء الصافية بدأت تتحول إلى سماء مليئة بالغيوم وأخذت تلك الغيوم تزداد ظلمة شيئًا فشيئًا هنا بدأت فريدة تقلق وتتمسك بالشاب بقوة لأن الرياح قد اشتدت، فأمر الشاب الحصان بالعودة لمكان آمن يهبطون به، وبالفعل غير الحصان اتجاهه ولكن فجأة ظهرت دوامة كبيرة

في عمق البحر، كانت الدوامة تجذبهم لأسفل، كان الحصان يقاوم ألا يقع بها، يرفرف بكلا جناحيه، يحاول ويحاول وفريدة تصرخ وهي تتشبث بالشاب و . . .

– فريدة، فريدة، استيقظي يا حبيبتي . . .

فتحت فريدة عينيها وهي تلتقط أنفاسها وقالت بلهفة:

– أنا هنا، أنا بخير.

همت أمها بالمسح على شعرها وقالت بحنو:

– كنتِ تصرخين في نومكِ يا عزيزتي، يبدو أنكِ متعبة جدًّا .

– كيف جئت لسريري يا أمي . . . ؟

– الروبوت قام بنقلكِ لأنكِ فقدتِ الوعي، وبمجرد أن اتصل بي تركتُ أهلي في دمنهور وجئتُ إليكِ، ماذا بكِ يا بنيتي طمئنيني عليكِ . . . ؟

– أنا بخير يا وتين، كل ما في الأمر أني في بداية الحمل . . .

هللت وتين وقالت بطريقة غير مصدقة وهي في قمة السعادة:

– حامل، منذ متى تعلمين . . . ؟

– لا يهم منذ متى يا أمي، المهم أنكِ علمتِ الآن.

- كم أتمنى أن يكون طفلكِ ذا بال طويل عنكِ يا فريدة .

ابتسمت فريدة بسمة مكسورة أنبتت بداخلها نبتة صغيرة وسط حطامها الداخلي

وقالت بلهفة:

- اشتقتُ إليكِ يا وتين، اشتقتُ إليكِ بشدة .

ومن ثم خانتها دموعها وذرفت من عينها فقامت وتين بلهفة وعانقتها :

- وأنا أيضًا اشتقتُ إليكِ كثيرًا يا بنيتي .

تشبثت بها فريدة بشدة مثل الطفلة وهي تبكي بحرقة:

- أرجوكِ يا وتين لا تتركيني، ليس لي سواكِ، لا تتركيني .

مسحت أمها على شعرها وهي تعانقها وقالت بصوت مرتجف:

- سأظل معكِ إلى الأبد يا بنيتي، روحي مع روحكِ إلى الأبد .

بعد مرور بضعة أسابيع وصلت رسالة لفريدة من إيفانا :

"فريدة يجب أن نتكلم، يجب أن أطمئن عليكِ"

فقامت فريدة بالرد عليها برسالة أيضًا :

-"أنا بخير يا إيفانا ، وأنا لستِ مجنونة كما وهمتِ زوجي بأني أحتاج لعلاج نفسي، لا أدري لمَ فعلتِ هذا . . . ! هل كنتِ ترغبين في زعزعة صورتي في نظر أبسل فيلجأ لكِ فتقتربين منه وتكوني أنتِ في نظره العاقلة المنقذة وأنا المجنونة، على العموم أنا وأبسل انفصلنا فهو لكِ الآن، وإن كنتِ قلقة عليّ فأنا في وضع أفضل منكِ بكثير" .

ردت إيفانا برسالة:

-"ما الذي تقولينه هذا . . . ؟ ألن تتوقفي عن جنانكِ هذا . . . ؟ كنت أظن أن بعد مرور كل تلك الفترة تحسنت حالتكِ ولكن يبدو أن الوضع لم يتغير، أنا آتية إليكِ يا فريدة، لن أتركِ هكذا مرة أخرى" .

ردت فريدة برسالة:

-"وجودكِ غير مرحب به هنا ، لا أنتِ ولا أي شخص يتشكك بقواي العقلية" .

بعد مرور بضع ساعات ها هو جهاز إنذار الفيلا يصدر تنبيهًا بقدوم أحد ما ، يظهر على الشاشة المنبثقة من هاتف فريدة شاشة منقسمة بينها وبين إيفانا ، فقالت فريدة بغضب:

-ألم أقل لكِ لا تأتي إلى هنا ؟

تمالكت إيفانا نفسها وقالت:

– اعتبري أن هذا آخر لقاء بيننا يا فريدة، ولكن يجب أن أشرح لكِ بعض الأمور، صدقيني لمصلحتكِ.

قامت فريدة بفتح البوابة فدخلت إيفانا، وبمجرد ما وصلت إيفانا أمام باب الفيلا الداخلي وقفت فريدة أمام باب الفيلا بحزم وقالت:

– قولي ما عندكِ يا إيفانا.

نظرت لها إيفانا بتعجب وقالت:

– هنا . . . ! على الباب . . . !

ومن ثم قامت بإزاحة فريدة ودخلت مجلس الضيوف وجلست وقالت بثقة:

– اجلسي يا فريدة دعينا نتكلم بهدوء.

ضحكت فريدة بتهكم:

– هههههه، آه تمثلين دور الطبيبة النفسية وأنا المريضة المجنونة.

أشارت لها إيفانا كي تجلس وقالت:

– اعتبريني أنا المجنونة يا فريدة وسايريني.

جلست فريدة بضجر وقالت:

– قولي ما عندكِ يا إيفانا ، ولكن أسرعي لأني متعبة ويجب أن أرتاح .

تعجبت إيفانا وقالت متسائلة:

– متعبة، ما بكِ . . . ؟

– أنا حامل، وأحتاج لقدر كافٍ من الراحة .

مسحت إيفانا بيدها على وجهها ومن ثم تنفست بعمق وقالت بنفاد صبر:

– يبدو أن حالتكِ ازدادت سوءًا يا فريدة .

وقفت فريدة وصرخت غاضبةً:

– لمَ أنتِ مصممة أن تجعليني أقتنع أني مجنونة، في البداية أقنعتِ زوجي أبسل والآن تريدين أن تسيطري على تفكيري .

وقفت إيفانا بحزم وأمسكت بكلا ذراعي فريدة وقالت بغضب:

– لأن أبسل لا وجود له، أنتِ موهومة .

صدمت فريدة لوهلة ومن ثم عادت لرشدها وقالت بغضب وهي تبعد يد إيفانا عنها :

– توقفي أنتِ عن ظنكِ بي أني مجنونة، كيف تنكرين وجوده الآن وأنتِ رأيتِهِ معي في لندن عدة مرات . . . ! ؟ حسنًا سوف أثبت لكِ أن أبسل له وجود وإنه كان زوجي وأبو ابني .

من ثم تحركت تجاه الباب وأكملت كلامها :

– سوف أحضر لكِ أمي كي تشهد لكِ بصدق كلامي . . . أمي، وتين . . . تعالي إلى هنا . . .

اقتربت منها إيفانا وقالت:

– لن تأتي يا فريدة، لن تأتي، لأنها ماتت منذ أكثر من عام .

التفتت لها فريدة وهي مصدومة وقد امتلأت عيناها بالدمع، وقالت ناكرة:

– توقفي عن كذبكِ يا إيفانا ، توقفي، أمي هنا ، كانت معي منذ قليل، سوف أريكِ بنفسي .

همت فريدة بالتحرك وهي في حالة إنكار وهي تتجه للطابق العلوي وهي تقول لإيفانا :

– سوف أثبت لكِ أنكِ على خطأ وأني على ما يرام، كل ما في الأمر أن أمي متعبة بعض الشيء ويبدو أنها نائمة .

ها هي إيفانا تتبعها وهي تقول لها :

– فريدة أرجوكِ صدقيني، أنا هنا كي أساعدكِ .

هنا فتحت فريدة غرفة أمها ووقفت مذهولة، دخلت وراءها إيفانا ومن ثم نظرت لفريدة بيأس وقالت وهي تلمس يدها :

– أرجوكِ يا فريدة عودي معي وستكونين بخير، كل ما في الأمر أنكِ تحتاجين لعلاج و . . .

تركت فريدة يد إيفانا وقالت بجدة وهي تخرج من الغرفة:

– اتركي يدي لا تتصنعي أنكِ يهمكِ أمري .

وأخذت تنادي على أمها :

– وتين، أين ذهبتِ يا وتين ؟

من ثم نظرت لإيفانا وقالت:

– يبدو أنها خرجت من البيت ولم أشعر بها ، بعد قليل ستعود .

لمست إيفانا سلسلتها فانبعثت شاشة منها وفتحت صورة وقالت لفريدة:

– فريدة هذا قبر والدتكِ، وهذه صورتكِ وأنتِ بجوار قبرها، أنتِ من طلبتِ مني أن ألتقط لكِ تلك الصورة، انظري.

وقفت فريدة تتأمل الصورة وهي مصدومة وعيناها تذرفان الدمع وهي تقرأ اسم والدتها وتاريخ وفاتها وقالت بعد أن أعادت تركيزها ومسحت دمعها:

– كاذبة، إن هذه الصورة ليست حقيقية، أنتِ من قمتِ بـ. . .

صرخت بها إيفانا وقالت:

– ولِمَ أفعل ذلك في صديقتي وأختي لِمَ. . . ! ؟

– هذا السؤال تسألينه لنفسكِ ليس لي أنا وهيا اخرجي من بيتي. . .

– فريدة لا يصح الذي تقولينه لي، أنا أريد مصلحتكِ.

بدأت فريدة تمسك بيد إيفانا وتسحبها كي تنزل من على الدرج وهي تقول بغضب:

– أنا أعرف مصلحتي جيدًا هيا اخرجي من هنا، لا أريد أن أرى وجهكِ.

بدأت إيفانا تنظر لفريدة بحيرة وأسى وقالت وهي تنزل الدرج:

– فريدة هذه ثاني مرة تطردينني من بيتكِ وترفضي اهتمامي بكِ.

هنا وصلت فريدة للباب وفتحته وهي تدفع إيفانا للخارج وقالت بغضب:

– لعل هذه المرة تجعلكِ تفهمين أنكِ غير مرغوب بكِ .

ومن ثم أغلقت فريدة الباب في وجهها ، فقالت إيفانا بإصرار من وراء الباب:

– لن أتركك هذه المرة يا فريدة، سأظل هنا لكي تقتنعي بكلامي .

– كلامكِ كذب لا أريد أن أسمعه .

– أنا أعلم أن فقدكِ لأبيكِ كان صعبًا وبوجود أمكِ معكِ تجاوزتِ المحنة، ولكن عندما فقدتِ أمكِ منذ أكثر من عام، كنتِ حديثة التخرج فقررتِ الهروب من الصدمة بكثرة العمل، هربتِ من الصدمة ولم تعطيها الوقت اللازم للتعافي مثل ما فعلتِ بعد فقدكِ لأبيكِ كي تتعافي من صدمة الفقد ، بل كل ما فعلتِهِ هو أنكِ ضغطتِ على جرحكِ بفقدكِ لأمكِ وأكملتِ عملكِ لحد الإجهاد وعدم تعايشكِ للألم وعدم إعطائكِ حقه فعقلكِ نكر وجحد الفقد من الأساس لذا ساءت حالتكِ، تصنعكِ القوة وممارسة حياتكِ وبدء العمل في العيادة معي والضغط النفسي زاد الأمور سوءًا وذلك بتخيلكِ لأبسل الذي لم أره ولا مرة، وبسبب إنكاري لذلك قررتِ أن تبتعدي عني ولم توافقي أن أظل معكِ كي تتجاوزي تلك

الصدمة لذلك بعد موت والدتكِ اقتربتِ أكثر من شخصية أبسل في عقلكِ، كي يعوضكِ عن الفقد الذي مررتِ به، واختلقتِ أحداثًا جديدة كي تشغلي عقلكِ وتخرجي من تلك الصدمة، ولكن هذا الوهم يزيد الأمر تعقيدًا أرجوكِ افتحي لي، وسوف أثبت لكِ . . .

- ارحلي من هنا لا أريد أن أعرف شيئًا .

***

صعدت فريدة غرفتها ونظرت من شرفتها فرأت إيفانا ما زالت في الحديقة إلى أن حل المساء، بدأت فريدة تشعر بالتعب وقررت أن ترتاح في سريرها إلى منتصف الليل، ولكن النوم لم يعرف طريقه إليها بسبب كثرة الإجهاد الذي تمر به جراء كثرة التفكير فقررت فريدة أن تخرج للشرفة كي ترى إيفانا .

فخرجت ولم تجدها، حينها علمت أنها تعبت ورحلت كي ترتاح.

هنا وقفت فريدة أمام مرآتها وهي تنظر لنفسها بتشكك وتقول في قرارة نفسها :

-هل أنا مجنونة حقًا، هل أنا أتوهم . . . ؟ ! يجب أن أسكت كل هذه التساؤلات وأتأكد بنفسي، يجب ألا أفقد الثقة بنفسي بسبب مجرد ترهات .

تجهزت فريدة وخرجت من الفيلا وركبت سيارتها ، وفي خلال فترة وجيزة وصلت دمنهور مسقط رأس والديها ، فقالت فريدة في قرارة نفسها وهي تقف أمام بيت أهل أمها :

-أكيد أمي عادت للبيت لحدوث أمر طارئ، سوف أجدها هنا .

وبالفعل صعدت فريدة لشقة الدور الأول علوي في البيت وطرقت عدة طرقات على الباب ذا الطراز القديم، فتحت لها خالتها وعلى وجهها أمارات النعاس ولكن سرعان ما فاقت وقالت بلهفة:

– فريدة حبيبتي، عاش من شافكِ يا عزيزتي، كلما كبرتِ صرتِ تشبهين أمكِ أكثر .

ومن ثم عانقتها بشدة بينما كانت فريدة شاردة وهي في حضنها تبحث عن أمها في الأرجاء بعينيها ، أخرجتها خالتها من حضنها بلهفة وهي تنظر لها بعينين دامعتين وهي تؤشر لها بالدخول:

– تفضلي يا حبيبتي، البيت بيتكِ، لقد اشتقتُ إليكِ كثيرًا .

نظرت لها فريدة بحيرة وهي تبحث عن أمها وقالت:

– أين أمي يا خالة . . . ؟

ذُرفت الدموع من عين خالتها ، واقتربت من فريدة وهي تضع يدها على كتفها مواسية لها :

– أمكِ موجودة في كل مكان، أمكِ تعيش بداخل هذا البيت بل وداخلنا كلنا ، وتين لم تفارقنا لحظة .

أبعدت فريدة يد خالتها عنها وقالت بغضب وهي تدخل غرفة أمها باحثة عنها :

– توقفي عن ألغازكِ هذه، أين هي أمي . . . ؟

لحقتها خالتها باكية لداخل الغرفة وقالت:

– أعلم أن فراقها صعب عليكِ يا فريدة بل صعب علينا جميعًا و . . .

التفتت فريدة وقالت بغضب وقد ثبتت عيناها في محجريهما من الصدمة:

– ماذا تقصدين بفراقها . . . ؟

اقتربت خالتها منها وعانقتها بشدة وهي تقول لها وهي تجهش بالبكاء:

– ماتت يا فريدة، ماتت منذ أكثر من عام، تقبلي قدر الله يا بنيتي، أعلم أن الفراق صعب ولكن لنا لقاء مرة أخرى بكل عزيز فارقنا ورحل عن دنيانا .

ظلت فريدة واقفة مرخية جسدها بين ذراعي خالتها شاردة وعيناها تذرفان الدمع من الصدمة ومن ثم ثقل جسدها تمامًا بين يدي خالتها وفقدت الوعي .

***

بعد مرور بعض الوقت ها هي فريدة تعود لوعيها وبجوارها خالتها وبيدها كأس عصير وبيدها الأخرى تلمس شعرها برفق وهي تنظر لها بعينين لامعتين بسبب كثرة الدمع التي تجمح سقوطه وقالت بحنو:

– حمدًا لله على سلامتكِ يا عزيزتي، هيا يا حبيبتي اشربي هذا العصير .

قامت فريدة بتعب وسألت بأسى:

– منذ متى وأنا هنا . . . ! ؟

مدت لها خالتها العصير بإصرار وهي ترد عليها :

– لم يمر الكثير من الوقت، فقدتِ الوعي ولكنكِ لتوكِ أفقتِ، لذا اشربي هذا العصير يا عزيزتي .

أبعدت فريدة يدها برفق وقالت بصوت مكتوم كمن يلتقط أنفاسه بصعوبة وكأن الدنيا كلها بحمولتها وهمومها جثت فوق صدرها :

- لا أريد أن أشرب شيئًا يا خالة صدقيني، أحتاج أن أتنسم الهواء في الشرفة فقط، واسمحي لي أن أكون بمفردي.

أومأت لها خالتها برأسها بأسى متفهمة رغبتها .

ها هي فريدة تقوم بصعوبة، وكأن وجود أمها في حياتها كان يشكل لها فقرات عمودها الفقري وبرحيلها شُلّت تمامًا عن الحراك.

قالت فريدة وهي تتقدم نحو الشرفة بأسى وعينان تنهمران بالدمع النابع من حرقة قلبها:

- كل من يشكل لي سندًا في هذه الحياة رحل عني وتركني، أبي وأمي ودكتور جون، وكذلك ها أنا مجنونة يتوهم لي، لمَ أنا على قيد الحياة. . . ؟

أخذت تتنسم الهواء بصعوبة، ومن ثم رُسمت على وجهها ابتسامة مكسورة وهي تبكي عندما تذكرت عندما رجعت بالزمن ليوم كتب كتاب أبيها وأمها ورأتهما وهما في سن الشباب* .

تذكرت اليوم الذي كانت تقف فيه في الشرفة مع أمها وهي لا تعلم أنها ابنتها وقد جاءت لها من المستقبل.

قالت فريدة بحيرة وهي تنظر للبيت المهجور الذي أمامها :

– وهل يا ترى مغامراتي تلك ورجوعي بالزمن كان حقيقيًا أم لا . . . ؟ ولكن إيفانا قالت لي أني تجاوزتُ فراق أبي لأني ظللتُ مع أمي إلى أن تمكنتُ من التعافي وهذا يعني أن رجوعي بالزمن ولقائي بفارس في هذا البيت المهجور حقيقي .

ولكن إيفانا قالت لي أني اختلقتُ شخصية أبسل وبعد فراق أمي اختلقتُ شخصيتها أيضًا وهذا بسبب شعوري بالذنب لأني تركتها في مصر بمفردها واخترتُ أن أكمل حياتي من دونها .

بدأت فريدة تبكي بحرقة وهي تجثو أرضًا وتتكلم بصوت نادم:

– طلبت مني أن أستقر معها في مصر بعد موت أبي، ولكني رغبتُ أن أرضي رغبة من مات عن رغبتها هي التي معي على قيد الحياة .

رغبتُ أن أرضي أبي الراحل وأن أحقق حلمه أولًا وأكون تلك الطبيبة التي تمناها ومن ثم أعود لمصر .

ضحكت فريدة بتهكم باكيةً وهي ترفع رأسها للسماء :

– أين أنت يا أبي يا من رغبتُ أن أرضيه وتركتُ بسببه أمي كي أكون طبيبة، بنتك الوحيدة يا حبيبي صارت مجنونة.

كنت تظن أن ابنتك ليس لها مثيل في قراراتها، بل ابنتك تمتاز بحمق لا مثيل له.

من ثم انهارت باكية ووجهها للأرض:

– ولكن أقسم لك يا أبي لم يهن عليّ تركها، كل ما في الأمر أني كنت أرغب أن أرضيك ومن ثم أرضيها بقية عمري.

ولكن مشكلتي دائمًا أني لا أنتبه لكلامها، هي قالت لي لا أرحل وأظل معكما في آخر يوم في حياتك يا والدي، ولكني أصررت ورحلت وتركتك.

ومن ثم تركت أمي ولم أنتبه لرغبتها بوجودي معها، المشكلة يا أبي ويا أمي أن المرء يفعل ما يشاء ويترك أحباءه ظنًا منه أنهم دائمون له.

ولكن الحقيقة ألا شيء ولا أشخاص يدومون في هذه الحياة الغدارة.

من ثم مسحت فريدة دمعها وحاولت أن تقف من جديد وقالت بحزم:

– توقفي يا فريدة، توقفي، ليس من طبعكِ الندم، أحمد الرب على ظهور إيفانا في حياتي، تلك الصدمة بالحقيقة ما هي إلا بداية انقشاع نور الحقيقة في حياتي بعد ظلمة الوهم.

يجب أن أرى الأمور على حقيقتها.

أنا توهمت شخصية أبسل كي تعوضني عن فراقي لفارس، وكان موت أمي حافزًا لكي أقترب منه أكثر. ولكن إن كان أبسل وهمًا كما تقول إيفانا أنا حامل مِمَن...؟ الطبيب في المشفى هو الذي أكد لي الخبر.

لا أكيد أبسل له وجود في الواقع أكيد... هل يمكن يكون فارس هو من فعل بي هذا...؟! وكذلك فارس ليس بوهم إن ريحانة أثبتت عودته للحياة.

من ثم نظرت فريدة للسماء وهي تفكر بعمق سارحة في القمر المكتمل وهي تقول في قرارة نفسها:

ـيجب أن أعود حالًا كي أقابل إيفانا كي أصل لحل و...

لكن قطع كلامها الداخلي قلق مفاجئ بسببه تحولت نظرتها إلى الخوف وقالت في قرارة نفسها وهي تهرع خارجة من الغرفة مسرعة:

-إيفانا، يجب أن ألحق بإيفانا .

ها هي خالتها تلحق بها وتنادي عليها بقلق:

-فريدة حبيبتي إلى أين أنتِ ذاهبة الآن . . . ؟

ولكن فريدة لم ترد عليها ورحلت .

***

ركبت فريدة سيارتها وهي تتصل بإيفانا ولكن لا يوجد رد .

من ثم وصلت فريدة شارع فيلتها فرأت أمامها الكثير من الأنوار، قادت سيارتها ببطء تحاول أن تستوعب هذا الحشد من السيارات، وبمجرد وصولها وخروجها من السيارة سمعت صفير سيارات الشرطة وبمجرد أن لمحها شرطي أشار لرجال الأمن أن يقيدوها .

فريدة تجثو على ركبتيها ويقيد يدها من الخلف رجل أمن غشيم .

ولكن فريدة شاردة ذاهلة مصدومة تنظر لما حولها غير مدركة ما تراه وهي تقول في قرارة نفسها:

-هل هذا واقع أم كابوس . . . ؟ ماذا يحدث هنا . . . ؟

هنا يأمر الضابط رجل الأمن أن يقوم بأخذ فريدة في سيارة الشرطة وفريدة مصدومة وعيناها مثبتتان لا تقدر على النطق أو السؤال حتى .

وبمجرد ركوبها لسيارة الشرطة بدأت ترى من نافذة السيارة كل شيء يدور أمامها ، الأسئلة تكثر في عقلها وتدور والدوار يسيطر عليها إلى أن . . . فقدت الوعي من جديد .

***

فريدة تجلس على كرسي فاقدة للوعي مقيدة اليدين للخلف، وفجأة تشعر بدلو من الماء البارد سقط عليها ، كان كفيلاً أن يجعلها تعود للحياة إن كانت ميتة لا أن يعيدها لوعيها إن كانت قد فقدته فقط .

فاقت فريدة وهي تشهق شهقة عميقة، ونظرت بصدمة لأمين الشرطة الذي أمامها ولكن سرعان ما قطع تفكيرها قبل أن يبدأ صوت ضابط الشرطة:

– لن نظل ننتظر حضرتكِ طول الليل أيتها القاتلة النائمة .

نظرت له فريدة بصدمة وقالت بتعجب:

– قاتلة . . . ! من القاتلة . . . ؟

ضحك الضابط وقال:

– الأمين مرسي هو القاتلة.

من ثم حول ضحكته إلى غضب وهو يطرق المكتب بكلتا يديه وهم واقفاً:

– لا تتصنعي الغباء، لا يوجد امرأة غيركِ هنا.

بدأت فريدة تبكي وقالت:

– ولكني لست بقاتلة صدقني.

– المجني عليها آخر من تواصل معها كنتِ أنتِ وكان بينكما محادثة تدور حول شجار على رجل يدعى أبسل بدافع الغيرة وأظن أنه دافع قوي للقتل... وكم أنتِ ذكية، بعدما انتهيتِ من عملية القتل بدأتِ تتصلين بها كي تبعدي الشبهات عنكِ بل ولم تكتفي بذلك بل حضرتِ لمسرح الجريمة بنفسكِ كي تبعدي الشبهات أكثر ولكنكِ لم تدركي أنكِ أقحمتِ نفسكِ في الجحيم.

بدأت فريدة تبكي تدافع عن نفسها:

– صدقني أنا لم أقتلها، كان بيننا سوء تفاهم بسيط ولكني لم أقتلها، بل لم أكن في البيت من الأساس، يمكنك أن تتأكد من وجودي في ذلك الوقت عند خالتي في

دمنهور في العنوان التالي . . . . . بل يمكنك التأكد من الكاميرات في الفيلا لكي تتأكد من صدق كلامي .

– يتم فحصها الآن، ولكن يجب أن تعلمي أن بإمكانكِ التلاعب في كاميرات بيتكِ فلن نأخذها كدليل قاطع .

– صدقني لم أقتلها .

صاح بها الضابط بحدة وقال:

– إذن من الذي قتلها . . . ؟

وضع أمامها صورة إيفانا وجثتها غارقة بالدم وكأنما تم طعنها بخناجر بعرض جسدها .

انهارت فريدة عندما رأت جثة صديقتها وقالت:

– أقسم لك أني لم أفعل ذلك، كان مجرد سوء تفاهم وجاءت لي كي تتحدث معي ولكني رفضت حديثها ، ولكني بمجرد أن راجعت نفسي رغبت أن أقابلها وتتحدث سويًا ، كنت أتصل بها ولكنها لم ترد عليّ .

– وكيف ترد وأنتِ قمتِ بقتلها ؟

– لم أقتلها أقسم لك لم أقتلها .

– إذن من فعل ذلك نيابة عنكِ، يمكن أنتِ سلطتِ أحدًا بدلاً منكِ كي تبعدي نفسكِ عن مسرح الجريمة .

– لم أفعل ذلك صدقني، هذه صديقتي وأختي لا يمكن أن أفعل ذلك بها .

جلس الضابط وتنهد بعمق بعد ما أشعل سيجارة وقال:

– هل تشكين في أحد يمكن أن يفعل ذلك بكِ كي ينتقم منكِ بخصوص أمر ما ، هل لديكِ أي خلافات مع أحد . . . ؟

انتبهت فريدة وقالت كمن تذكر شيئًا بعد ما ازدردت ريقها :

– نعم، أنا أمر بخلافات مع زوجي، بل كان زوجي أنا حاليًا طلبت الطلاق منه .

نفث الضابط دخان سيجارته وقال بثقة:

– جميل، وما هو سبب رغبتكِ بالطلاق ؟

– لأنه يشك بي أني أخونه .

ضحك الضابط وقال ساخرًا :

– هههههه أنتِ تخونيه وهو يخونكِ، يعني أنتما أولاد حرام مثل بعضكما البعض، أكملي .

– أنا لست بنت حرام، لا أسمح لك أن تقول . . .

هنا صاح بها الضابط وهمّ وأمسك بياقتها بقوة وسحبها فصارت أمامه مباشرة وقال لها بتهديد :

– إياكِ أن تملي عليّ ما الذي يجب أن أفعله أو أن أقوله، أتفهمين . . . ؟ وهيا أكملي لي أسباب الخلاف وهل تشكين في شخص آخر قد يكون له يد في هذه الجريمة ؟

ازدردت ريقها وقالت بتردد :

– نعم أشك في فارس، جاري في الفيلا الموازية لفيلتي .

– ولِمَ تشكين به . . . ! ؟

– لأني اكتشفت أنه قاتل متسلسل وعرفت مكان دفن الجثث، يمكن هو من قتلها .

ابتسم الضابط وقال بثقة:

– الله الله، قاتل متسلسل، وأنتِ متسترة عليه، هذه جريمة تضاف لكِ فوق جريمتكِ، يبدو أن سهرتنا طويلة، احكي كل شيء بالتفصيل .

وبالفعل أكملت فريدة التحقيق وأعطت للضابط كل التفاصيل الخاصة بأبسل وفارس.

بدأت الشرطة بالبحث عن أبسل وفارس وهنا كانت الصدمة.

ها هي فريدة تدخل مكتب الضابط وهي مكبلة اليدين للأمام وعلى وجهها كل أمارات التعب.

هلل بها الضابط وهو يقول ساخرًا:

– أهلاً بحضرة القاتلة المخادعة الخائنة.

قلتِ لي أنكِ تشكين أن زوجكِ هو من فعل ذلك لما بينكما من خلاف لأنه يظن أنكِ خائنة.

ولكن يا حضرة الطبيبة أنتِ غير متزوجة من الأساس، ولا وجود لهذا الأبسل الذي تتهمينه أنه زوجكِ.

قالت فريدة وهي مصدومة:

- كيف لا وجود لأبسل . . . ؟ أنا حامل منه . . . ! هو من أوصلني للمشفى عندما تعرضت للطعن، بل وقام ضابط بالتحقيق معه، هل راجعت كشف المشفى و . . .

قال الضابط بغضب وهو يهم واقفًا :

- بحثنا كما قلتِ تمامًا بل وأكثر من ذلك، موظفو المشفى قالوا إنهم وجدوكِ ملقاة أرضًا بعدما هبطتِ من السماء أي أنكِ تحاملتِ على نفسكِ إلى أن وصلتِ للمشفى وهذا ما أثبتته كاميرا المراقبة، ولم يأتِ أحد لزيارتكِ قط .

- ولكن كيف . . . ؟ كيف لا وجود له . . . ؟

من ثم قالت بقلق:

- إذن هو فارس من فعل ذلك . . . هو القاتل .

تنهد الضابط بنفاد صبر وقال:

- إن الفيلا الموازية لفيلتكِ مهجورة منذ عدة سنوات، كانت تملكها امرأة اسمها رحاب كما ذكرتِ ولكنها ماتت وقد سبقها ابنها فارس بالموت .

بدأت فريدة تنظر لما حولها بإنكار وهي تقول بقلق وخوف قد غمرها :

– ولكنه حقيقي، حتى ريحانة قالت إنه حقيقي، أكيد هرب، يجب أن تبحثوا عنه، إنه قاتل . . . هل فتشتم القبو . . . ؟ القبو سوف يثبت صدق كلامي .

– نعم فتشنا القبو، كان قبوًا ذا بلاط قديم وعليه الكثير من التراب ولا يوجد أثر لقدم واحدة، مما يدل على عدم دخول أحد هنا منذ سنوات لا أنتِ ولا غيركِ .

أنتِ المتهمة الوحيدة بقتل إيفانا .

صرخت فريدة وقالت باكية:

– يوجد قبو أسفل القبو صدقني، لم أقتلها ، لم أقتلها .

تنهد الضابط وقال بنفاد صبر:

– ما زلتِ تنكرين . . . ؟

من ثم لمس خاتمه فظهرت الشاشة فقام بتشغيل فيديو ووقف بجوارها وقال لها :

– هل ما زلتِ تنكرين أنكِ لستِ القاتلة . . . ؟ أليس هذا بدليل قاطع . . . ! ؟

كان الفيديو يعكس لفريدة صورتها وهي تفتح الباب لإيفانا وتبتسم لها وتدعوها للدخول، ومن ثم دخلت وراء إيفانا لغرفة الضيوف وأغلقت الباب وراءها ،

والكاميرا الداخلية للغرفة تعكس هجوم فريدة عليها بعدما ارتدت قفازاً ذا مخالب حادة تشبه السكاكين .

قال لها الضابط بثقة:

– قمتِ بطعنها بدون رحمة أي كأنها ألد أعدائكِ، وبعد هجومكِ صعدتِ لغرفتكِ ولكن لم نجد كاميرا سجلت ما حدث في غرفتكِ، ولكن بعد قليل خرجتِ من غرفتكِ بل من الفيلا تمامًا وسافرتِ لخالتكِ كي تلغي الشكوك حولكِ في وقت حدوث الجريمة ولكن يبدو أنكِ نسيتِ أن الطب الشرعي أثبت موعد قتل المجني عليها ، وكان وقت الحادث وقت وجودكِ في الفيلا .

بدأت فريدة تصرخ وتبكي:

– لست أنا ، لست أنا الفاعلة، أكيد أبسل أو فارس وإذا كان لم يكن لهما وجود إذن جواد هو من فعل ذلك .

ضغط الضابط بيده على رأسه وقال بتنهد :

– يبدو أنكِ لن تتوقفي عن اتهامكِ للغير رغم إثبات التهمة عليكِ .

– أقسم لك أنه جواد ، جواد من فعل ذلك، جواد هو السبب .

– خذها يا عسكري لغرفة الطبيب النفسي كي يثبت سلامة حالتها العقلية .

بدأت فريدة تصرخ وهي تدخل غرفة الطبيب النفسي:

– أنا لست بمجنونة، أنا بكامل قواي العقلية .

فقاطعها الطبيب بصوت رخيم:

– إذا كنتِ بكامل قواكِ العقلية فهذا يثبت قيامكِ بهذه الجريمة .

بدأت فريدة تبكي وتتكلم بهدوء بعدما أذن لها الطبيب بالجلوس:

– أنا لست مجنونة أنا فقط كنت أعاني من حالة صدمة وكنت أتوهم بعض الأمور ولكني لست بمجنونة .

– اهدئي يا فريدة أنا هنا كي أشخص حالتكِ، احكي لي كل شيء وأنا كلي آذان صاغية .

حكت فريدة كل شيء مرت به للطبيب وبعدما انتهى الحديث عادت فريدة لحجزها .

***

بعد يوم أصدر الطبيب تقريرًا بأن فريدة مريضة باضطراب عقلي بسبب عدة صدمات متتالية فهذا أثر على عقلها وإنها مصابة بالذهان الذي يسبب لها توهم مواقف لم تحدث وأشخاص لا وجود لهم .

وحالتها متذبذبة بين الواقع والخيال، بعض حديثها مبني على الواقع، يوجد شخصيات ذكرتهم وكان لهم تواجد حقيقي ولها صلة بهم في الواقع مثل الكاتبة رانيا صديقتها ولكن أبسل وفارس وأمها هم مجرد وهم بعد تأكدي بنفسي، لذا أطلب بنقلها لمستشفى الأمراض العقلية كي يتم علاجها وتتجاوز هذا المرض ولا يتعرض أحد للخطر على يدها أو حتى ممكن أن تعرض نفسها وجنينها للخطر .

***

الفصل الرابع عشر

نهاية المعاناة

فريدة في الحجز بمفردها والتعب سيطر عليها وبدأ النعاس يغلبها ولكنها تقاوم وتفكر في حالها غير مدركة ما يجري لها ، ولكن فجأة رأت ما قطع تفكيرها .

رأت فارس أمامها ، ضربت فريدة وجهها وقالت:

-لا وجود لفارس، لا وجود لأبسل، كل شيء يثبت أني مجنونة واهمة، لا تنساقي وراء وهمكِ .

قطع همسها صوت فارس وهو يقول بأسى:

- أنا لست وهمًا يا فريدة وأبسل ليس وهمًا ، لا تنكري الحقيقة التي تراها عيناكِ حتى لو أقنعكِ الناس جميعًا بعكس ذلك .

أغمضت فريدة عينيها وقالت بحدة لنفسها وهي تضرب وجهها :

-توقفي عن جنانكِ يا فريدة لا تسايري وهمكِ، توقفي .

ولكنها سمعت صوتًا جعلها ترفع رأسها .

كان الصوت هو صوت ارتطام قضبان الزنزانة، بمجرد ما نظرت أمامها رأت أن قضبان الزنزانة من المنتصف تم ثنيها وفارس ها هو أمامها وقد ازداد جسمه ضخامة ويده ذات مخالب حادة، وقبل أن تفكر أو تدرك الموقف رأت رجال الشرطة يهمون بالدخول، ومن نظرة عينيها فهم فارس والتفت تجاههم وتحول في لمحة عين إلى ذلك الطائر الضخم، هنا وقف رجال الشرطة لوهلة غير مصدقين الموقف الذي أمامهم ولكن في ذات اللحظة صدر أمر بإطلاق النار على الطائر، ولكن الطلقات لم تؤثر به قط، ظلت فريدة وراءه تحتمي به من ثم قال لها:

- اصعدي على ظهري يا فريدة.

وبالفعل صعدت فريدة ونامت على ظهره كي تحتمي من طلقات النار.

قام فارس بإطلاق نار لمدى قصير كي يبعد رجال الشرطة عنهما وهو يقول:

- افسحوا الطريق لا أريد خسائر لأي روح.

ولكنهم استمروا في إطلاق النار، فاضطر فارس بأن يطلق لهبًا من فمه لهبًا شديدًا كي يبتعد كل من أمامه وبعد أن خرج من الزنزانة أطلق لهبًا بشكل دائري في كل

الجهات كي يبعدهم عنهما كي لا تصاب فريدة بأي طلقة إلى أن خرج من قسم الشرطة وطار في السماء وحلق عاليًا .

بعد قليل توقف صوت طلقات النار ، فرفعت فريدة وجهها وظلت تمسك بالطائر الذهبي بشدة وهي تقول بحيرة:

-أنا أحلم، أكيد هذا الحلم له نهاية .

ومن ثم نظرت للارتفاع فرأت أنها على ارتفاع شاهق كان المنظر كفيلاً أن يفقدها الوعي مرة أخرى .

***

فريدة تفتح عينيها فلا ترى أمامها سوى الظلام فقالت:

-ما زلت في الحجز، كان مجرد حلم، يبدو أن حالتي تزداد سوءًا .

فجأة بدأت ترى الضوء ينسدل للداخل، الرؤية بدأت تتضح أمامها ستارة تُزاح وتكشف عن جدار زجاجي من خلفه سماء صافية وأمامها حمام سباحة، وكأن الغرفة بها جهاز حساس في حالة استيقاظ النائم تفتح الستائر مباشرةً .

بدأت تنظر حولها فوجدت نفسها في غرفة فخمة ذات لوني الأبيض والأزرق فقط .

هنا أمسكت فريدة رأسها وقالت:

-أنا ما زلت في شهر العسل وكل الذي مررت به مجرد حلم .

من ثم تنهدت بعمق وقالت:

-الحمد لله أنه حلم .

هنا قطع تفكيرها صوت قادم من الخارج:

- حمدًا لله على سلامتكِ يا فريدة .

هنا همت فريدة من السرير وقالت بلهفة كي تقابله عند دخوله:

-حبيبي أ . . .

ولكن قبل أن تكمل كلامها ظهر أمامها فارس .

ترددت فريدة وتوقفت مكانها وقالت بحيرة:

- فارس . . . ! ما الذي أتى بك إلى هنا . . . ؟

ابتسم لها فارس وقال لها بثقة:

- لأني من أحضرتكِ إلى هنا يا عجيبتي .

- هل تقصد أني لست في شهر العسل مع أبسل وكل ما مررت به مجرد كابوس ؟

– لا، لقد انتهت علاقتكِ بأبسل، ولقد جئت بكِ إلى هنا كي تصفي ذهنكِ وتتقبلي الواقع بحلوه ومره ولا تجحدي بأي ذكرى مررتِ بها حتى وإن كانت سيئة .

تحركت فريدة تجاه الشرفة وهي تقول بحيرة:

– ولكن كل الأدلة أثبتت ألا وجود لك ولا وجود لأبسل .

اقترب منها فارس ووضع يده على ذراعها كي تلتفت وتنظر له وقال:

– أنا أشهد بصدقكِ وبوجود أبسل وزواجكِ منه لأني حضرت زفافكما ولكن كيف تقولين إن أمكِ ماتت منذ عام وأنا قد قابلتها .

نظرت له فريدة بتعجب وقالت:

– وكيف علمت بهذا الخبر . . . ؟

– كنت بجوارِكِ دائمًا أثناء بوحكِ بكل شيء للطبيب النفسي هل تتذكرين عندما كنتِ بجواري في الموقف ذاته في الماضي* ؟

ابتسمت فريدة وقالت:

– يبدو أن التاريخ يعيد نفسه .

ولكن سرعان ما بدأت تفكر وقالت:

- يعني أنت رأيت أمي ولكن كيف . . . ؟

- لا أعرف أدنى فكرة يا عجيبة .

فتحت فريدة الشرفة وخرجت تتنسم الهواء ، تجاوزت حمام السباحة وقررت أن تجلس على حافة المكان الجبلي وأخذت تنظر للبحر الذي يقبع بالأسفل .

وبعد صمت استمر لفترة وجيزة نظرت فريدة لفارس وقالت بتعجب:

- إذا كنت تريدني أن أقتنع أن ما مررت به واقع وأني لست مجنونة وأنك رأيت معي أمي وحضرت زفافي بأبسل لَم تجد الشرطة لك أي أثر ؟

ومن ثم نظرت بحيرة وسألته:

- آه، وكيف أنت تقف في الشمس هكذا من دون كمامة أو نظارة أو قبعة . . . ؟

ابتسم لها فارس وقال:

- لأني بعد أن قابلتك صرت لا أحتاج إليهم من الأساس، كنت أرتدي هكذا كي أقنعكِ فقط بمرضي لأني أعلم جيدًا أنكِ تفكرين في كل التفاصيل، ولكن بعد أن عرفتِ الحقيقة فلا داعي للاستمرار في الكذب .

بينما سؤالكِ لَيس لي أثر، فكيف تريدين أن يكون لي أثر وأنا مسجل أني توفيت منذ عدة سنوات . . . ؟ كان يجب أن أترك البيت، لأن قصتي لن يتفهمها أحد .

– والقبو الذي به الجثث . . . ؟ !

– لقد قمت بوضع طبقة إسمنتية وبلاط وطبقة من التراب تليق ببيت مهجور منذ عدة سنوات .

– يعني أنت هربت لأنك لا تريد أحدًا أن يعلم عنك شيئًا ، ولكن لَمَ بمجرد وصولي لمصر أنا وأبسل ظهرت لنا في الشارع . . . !

– لأني شعرت بكِ يا فريدة .

– وكيف شعرت . . . ؟

– لا أدري كان مجرد شعور فخرجت لكي أتأكد وبالفعل كنتِ أنتِ .

وأنا من همست لكِ في أول ليلة وصلتِ بها مصر .

هنا نظرت له فريدة بتعجب وقالت:

– يعني أنت من همست لي بعجيبة في هذه الليلة . . . ! لم يكن أبسل هو من قالها . . . !

– بل كنت أنا يا عجيبتي .

أمسكت فريدة رأسها وتساءلت:

– ولكن لمَ أبسل أخفى كل شيء يدل على وجوده . . . ؟

–لا أدري يا فريدة .

– توجد حلقة مفقودة يا فارس، بل يمكن تحليل ما أمر به على احتمالين، الاحتمال الأول أن كل ما مررت به وهم وكذلك وجودك أمامي ما هو إلا وهم .

بينما الاحتمال الثاني هو أنك حقيقي لأن ريحانة أثبتت حقيقة بعثك مرة أخرى وهذا يثبت صدق وجودك معي ولكنك تزيد الأمور تعقيدًا بتأكيدك أن أبسل واقع وأمي موجودة على قيد الحياة وهذا ما أنكرته إيفانا وبالفعل تأكدت من موت أمي بنفسي .

– ماذا تقصدين يا فريدة، لم أفهم تحليلك . . . ؟ !

– أمي ما هي إلا روح وممكن أنا وأنت لدينا قدرة برؤية الأرواح كأنهم واقع . . . ؟ !

نظر لها فارس بتعجب وقال:

–هل تقصدين أن أبسل كذلك من الـ . . . !

أكملت فريدة كلامها وقالت:

-نعم هو من الأموات، ولكن كيف لي أن أكون حاملًا من مجرد روح إلا لو كان . . .

-شيطان . . . !

نظرت فريدة بصدمة لفارس وقالت:

-هذا يعني أن أبسل هو . . .

في نفس واحد وملامح القلق رُسمت على وجه كلاهما :

-جواد . . . !

قالت فريدة وهي تبكي:

-لقد زرع بذرة الشيطان بداخلي يا فارس سأنجب أحفادًا للوسيفر، أعلم لا يمكن لإنسية أن تحمل مباشرة من شيطان ولكن لا أدري ما الحيلة التي فعلها أبسل معي . . . ! ؟ لقد انتقم مني أشد انتقام يا فارس .

بنفس الصدمة قال فارس:

-بل انتقامه مني كان أشد ، لقد نهبكِ مني، لقد سرقكِ الشيطان مني كما سرق الصهاينة أرض فلسطين .

لقد نهب أرضي وزرع بها زرعه الطالح .

قالت فريدة كمن بدأت تتضح له الأمور على حقيقتها :

-لذلك اختفت ريحانة، لقد قرأت قصتها وعلمت أن زوج خالتها من عالم الجن

لذلك يمكن يكون هو من حذرها كي لا تقحم نفسها معي .

من ثم أمسك يد فريدة بقوة وهو يقول لها بجدة:

- لا تفكري بريحانة الآن يجب أن تتخلصي من الشيطان الذي في بطنكِ يا فريدة .

صرخت به فريدة باكيةً:

-يجب أن أجد حلاً آخر .

***

الفصل الخامس عشر

المواجهة الحاسمة

بعد مرور عدة أشهر ها هي فريدة تقف على حافة الجبل، بفستانها الأبيض الذي يزيد جماله أكثر جسمها الرشيق، ها هو شعرها الطويل يتطاير مع الهواء وهي مغمضة العينين وهي تتنسم الهواء بعمق، ولكن سرعان ما تفتح عينها عندما تسمع صوت فارس القادم من البيت:

– أنا مستعد يا عجيبتي .

يظهر فارس وهو يحمل طفلة بين ذراعيه .

ها هو فارس يقترب منها وعلى وجهه ابتسامة وفريدة تلمس وجهه برفق وتقول له:

– لقد حان الوقت يا عزيزي، ولكن يجب أن تفهم نيتي أنا لا أشك بك أبدًا ولكن يجب أن تعلم أن جواد سكن جسدك في الماضي، أريد أن أتخلص منه كي ننعم في حياتنا سويًا .

– وهل أنتِ واثقة من هذا . . . ؟ !

– هذا طقس يحدث في الهند يقوم الوالدان اللذان يشكان بوجود روح شريرة تسكن جسد ابنهما ، يقومان بإلقاء من يسكن جسده الشيطان من مكان عالٍ مع وجود ملاءة كبيرة كي تلتقطه .

أنا بحثت والبحث أثبت أن السقوط يجب أن يكون من مكان عالٍ، وفي النهاية يصل الجسد سليمًا معافى والروح الشريرة تنفصل عنه في الهواء ولا تعود له ثانيةً .

– حسنًا يا عجيبتي سوف أفعل ما تقولينه لي، سوف أقوم بذلك أنا وهي سويًا كي نتخلص من أثر أي شر بداخلنا وكي يطمئن قلبكِ تجاهنا .

لمست فريدة وجه الطفلة ومن ثم نظرت لفارس وقالت له:

– اجعل ظهرك للماء وتمسك بالطفلة جيدًا ، كلها ثوانٍ ونعيش في نعيم جميعًا .

***

ها هو فارس أعطى ظهره للبحر وضم الطفلة جيدًا ونظر لفريدة وابتسم ومن ثم رمى جسده في البحر .

ها هي فريدة تنظر لفارس وهو يسقط في البحر ويدها على قلبها ، مرت بضع ثوانٍ ولم يخرج فارس من الماء ، بدأت فريدة تنادي بقلق:

– فارس، فارس، هل تسمعني ؟ فارس، اخرج، لا تقلقني عليك، لم نتفق على ذلك .

بدأ دم يظهر على سطح البحر صرخت فريدة من شدة القلق وقفزت في البحر، وبمجرد أن غطست رأت ما لم تتوقع أن تراه .

رأت فارس وقد اخترق ظهره عامود خشبي مدبب وما زال يعانق الطفلة، أمسكت فريدة بالطفلة التي لم يخترقها العامود المدبب، سحبتها فريدة ورفعت رأسها هي والطفلة كي تلتقط أنفاسها وشرعت تبكي غير مصدقة ما رأته بأم عينها وهي تصرخ باكية:

– فارس، عد لي يا فارس أرجوك .

بدأت تبكي وهي تنظر لطفلتها وهي تقبلها باكية من ثم أغمضت عينيها :

–حمدًا لله أنكِ بخير ولكن فارس يا صغيرتي فارس .

هنا سمعت صوتًا أجش:

– قتلتِهِ للمرة الثانية يا فريدة .

هنا فتحت فريدة عينيها وأخذت تنظر حولها باحثة عن صاحب الصوت، ولكن بمجرد أن نظرت للطفلة رأت على رقبتها علامة الشعلة التي أخذت تضيء أكثر، وعيناها الطفوليتان تحولتا إلى جمرتين مشتعلتين، ورُسمت على وجهها ابتسامة قادمة من قعر الجحيم، ابتسامة تليق بطفلة من نسل لوسيفر .

بدأت الطفلة ملامحها تتحول إلى أن أخذت صورة جواد الذي بمجرد اكتمال هيئته بدأ يضحك متهكمًا منتصرًا وفريدة من هول الصدمة متصلبة مكانها لا تحرك ساكنًا .

– هههههه، لا أدري ما أقوله لكِ هل أقول لكِ أني اشتقت لهذا اللقاء بعد ما ظننتِ أنكِ انتصرتِ عليّ منذ عدة أعوام، أم لا يصح أن أقول ذلك لأني لم أتركِ للحظة .

أتظنين أيتها الإنسية الضعيفة الساذجة أن تنتصري على ابن لوسيفر، هل تظنين أن جنسكم الطيني الحقير ينتصر على جنسنا الأسمى، أم غروركم خدعكم أنكم الأذكى . . . ! بل أنتم لا يوجد لغبائكم مثيل .

هنا فريدة حاولت الهرب ولكن في تلك اللحظة كانت مكبلة من قدمها ويديها تحت البحر بنباتات بحرية تمسك بها بقوة شيطانية .

-لا تحاولي الفرار يا عزيزتي، لقد وصلنا للنهاية .

كنتِ تظنين أنكِ ذكية ولكن الحقيقة أنا كنت أجعلكِ تصدقين ما أريدكِ أن تصدقيه، بل واستمتعت بألمكِ النفسي كثيرًا، كنت متأكدًا أن الانتقام السريع لن يكون بنفس اللذة مثل العذاب على المدى البعيد .

وهذا ما فعلته مع رحاب، أكنتِ تظنين أني طيب لهذه الدرجة ولن أنتقم منها ؟ بل انتقمت منها بالألم طويل المدى، جعلتها تفقد ابنها وزوجها وتعاني في حياتها من الحزن بسبب فقد الأحبة، وفي النهاية أعيد لها الأمل بعودة ابنها من جديد بعد موته ولكن الشرط أن تكفر بالقدر وتؤمن بقدرة السحر معترضة على قدرة خالقها الذي أخذ منها وحيدها ، بل لجأت للخالق لوسيفر العظيم كي ينجدها من بؤسها .

من ثم ضحك بتهكم وقال ساخرًا :

-ولكنها حمقاء أعطت الأمان لمن يكره جنس آدم الطيني الوضيع، بل ولجأت إلى عمة أمي عليا تلك الساحرة الشمطاء التي انتقمت لأمي منها ، لذا يجب أن تفهموا أيها الحمقى أننا لن نكون عونًا لكم أبدًا بل نحن مصيدة نوقعكم في شر أعمالكم، نبدأ ندخل لكل واحد منكم من باب يتناسب مع رغباته، باب لا يستطيع فتحه غيرنا ،

ربكم أغلقه في وجهكم لأنه خير لكم ولكن غباءكم يجعلكم تصرون على فتح هذا الباب لذا نحن كل ما نفعله نبدأ نوسوس لكم بهذا الباب الذي حرمكم ربكم منه، ونظهر لكم أن ربكم غير رحيم كما يصف نفسه لأنه حرمكم مما تتمنونه، لذا نحن نقترح عليكم أن نفتح لكم هذا الباب ونأتي لكم بما تشتهون، كما فعلنا مع أبيكم آدم بالضبط .

أعطاه ربه كل شيء ومنعه من شيء واحد فقط ولم يعبأ بما حرمه ربه منه ولكن كان يجب أن يدخل لوسيفر من ذلك الباب كي يثبت للرب أن آدم لا يستحق التكريم وأنه غير صادق في الإيمان والانصياع للأوامر .

لذا نحن ننتهج نهج أبينا لوسيفر تمامًا فندخل لكم من باب الشهوة، والشهوة معروفة أنها متعددة الأقسام، كل ما نسعى إليه أن نكشف وجهكم الحقيقي الذي تخبؤونه أسفل أقنعة الملائكة التي ترتدونها .

قاطعتها فريدة وهي تنظر له بكره:

– على الأقل نعترف بخطئنا ونعود للرب باكين تائبين له مثل أبينا آدم، لذا يغمدنا الرب برحمته وينعمنا بجنته، لسنا أبالسة متمردين مثلكم تخطئون وتكابرون رافضين العودة للخالق .

نحن بني آدم جنس الإنس خطاء تواب لم نصف أنفسنا أبدًا بكوننا ملائكة، وإذا كنت تظن أن جنسك قوي صدقني أنتم لا تقدرون سوى على القليل منا ، لأنكم ليس لكم علينا سلطان .

ضحك جواد متهكمًا :

– هههه ما زلتِ تتصنعين أنكِ ذكية ترددين بعض الأقاويل ناكرة ما فعلته بكِ، ألم تري زفافنا الذي حضرته عشيرة من الجن، استمتعت كثيرًا عندما تهيأ أحد من الجن على هيئة أبيكِ كي أتلذذ بعذابكِ وحزنكِ، حتى أمكِ التي كنتِ تظنين أنها أمكِ طوال هذه المدة بل الحقيقة هي جنية تمثلت بشكلها ، وللحقيقة أنتِ لستِ بمجنونة وأنا كنت معكِ في الحياة الواقعية لا مجرد خيال، وإيفانا شهدت على حبنا . . .

ولكن عندما قبضت الشرطة عليكِ أخفيت كل شيء يثبت وجودي في حياتكِ كي أقنعكِ أنكِ مجنونة .

صاحت به فريدة غاضبة:

– لا تأتِ بذكر اسم صديقتي على لسانك أيها الكاذب، أتريد أن أكذبها وأصدقك أنت . . . !

ضحك جواد ساخرًا:

– إيفانا لم تكن نعم الصديقة لكِ يا فريدة كما تتخيلين، بل كانت خائنة لكِ لذا استحقت نهايتها ، وكما قلتِ إن ليس لنا عليكم بسلطان، ولكن يوجد من هم أبالسة الإنس يستحقون أن نتمكن منهم .

– كاذب، لن تستطيع أن تشوه صورة صديقتي، وأنت كان يحق لك أن تسمي نفسك أبلس لا أبسل يا مخادع .

– لا بل ذكائك خانكِ كالعادة لأن أبسل معناه أن اسلمكِ للهلاك وهذا مرادي يا بنت مراد ، وبالنسبة لصديقتك صدقيني الطعنة لا تأتي لنا من بعيد ، يجب من يطعن الطعنة في ظهرنا أن يكون قريبًا ، بل قريبًا جدًّا منا .

آه وبالفعل أنتِ لم تكوني تعلمين بخبر موت أمكِ من الأساس، لأني في اليوم الذي ماتت به أمكِ طلبتُ من شركة الاتصالات أن تغير رقم هاتفكِ، فبالتالي لم يصلكِ أي

مكالمة من أهلكِ كي تعلمي خبر موتها ، بل أمرتُ تلك الجنية أن تتواصل معكِ من حين لآخر كأنها والدتكِ لذلك لم تشكي في غيابها قط، وبمجرد نزولكِ لمصر قابلتِها .

ظلت الأمور هكذا إلى أن طلبتُ من إيفانا كي تقوم بهذه المسرحية وتقول لكِ أنكِ كنتِ تعلمين بخبر موت أمكِ وتريكِ صورة مزورة لكِ بجوار القبر وتنكر وجودي كي تقنعكِ بجنونكِ .

ذرفت فريدة الدمع وقالت بغضب:

– ولمَ إيفانا تفعل هذا . . . ؟

ضحك جواد متهكمًا :

– ألم تفهمي بعد . . . ! قلت لكِ أنها خائنة .

حسنًا سوف أوضح لكِ .

منذ بداية علاقتنا كانت إيفانا شاهدة على هذا الحب، بل تمنت أن تحظى بهذا الحب لا أن تكون شاهدة عليه فقط .

وبالفعل بدأ الكلام بيننا ومن صداقة إلى خيانة لكِ .

وبمجرد أن تزوجتُ أنا وأنتِ وبدأت لعبتي معكِ بالكوابيس التي أتحكم بها ، بل بالمواقف التي كانت تدفعكِ للجنون، بدأت أشكو لها سوء حالتكِ وأني لم أعد أتحمل حياتي معكِ، لذا قررت إيفانا أن تودعكِ في مصحة نفسية كي أكون أنا لها .

لذا جاءت وكذبت إيفانا وفعلت ما فعلته كي تقنعكِ وتكسب ثقتكِ وتأتي معها .

من ثم ضحك جواد وأكمل:

– وللحق أنتِ ابتلعتِ الطعم وصدقتِ كلامها وشككتِ في نفسكِ أنكِ مجنونة وكنتِ تودين أن تعودي لها لأنكِ واثقة بها لأنكِ ساذجة ولكني كنت قد قضيت عليها .

مجرد خائنة حاقدة لا يحزن عليها أحد ، بل وفعلت ذلك أيضاً كي أنتقم منكِ برؤيتي لكِ تتعذبين عذاباً طويل الأمد سواء في السجن أو مصحة المجانين .

بكت فريدة وهي تنظر بكره لجواد :

– ما الفائدة من كل ذلك . . . ؟

– الاستمتاع والتلذذ بألمكِ، ولقد استمتعت كثيرًا عندما أغلقتُ في وجهكِ كل الطرق التي يمكن أن تساعدكِ في حال شككتِ بي، طلبتُ منكِ كسر جهازكِ، بل

استمتعتُ أكثر عندما كسرتُ جهازي الذي لم يكن حقيقيًا ولكن فكرة أن أرى قلبكِ ينفطر مع كل جزء انكسر في الجهاز جعلتني أستمتع كثيرًا .

حتى ريحانة أصدرتُ تهديدًا لها من خلال الجن ميمون وهي فهمت التهديد جيدًا .

لعبتي معكِ هذه المرة كانت مسلية لأني تلاعبت بفكركِ وشتتكِ بل وجعلتكِ تشكين في حبيب القلب فارس . . . هههههه، لا بل جعلتكِ تشكين في نفسكِ وأنتِ ابتلعتِ الطعم أنتِ والأخرق فارس الذي لا فائدة من حمقه أبدًا سواء في حياته السابقة أو حياته الحالية . دائمًا أزين له طريق الشهوة ولكنه لا ينجرف له، في هذه الحياة خيرته أن يقتلكِ ويكون له حياة أبدية ولكنه من أجل حبه لكِ قرر أن تكون له حياة واحدة وها هو الأخرق قد خسرها ، مات موتة تليق بمصاص دماء وتد خشبي اخترق قلبه .

لذا كما تقولين ليس لي عليه بسلطان ولكن في كل مرة بذكائي أجعلكِ تقتلينه بدلاً مني .

وأنا حاولت أن أجعلكِ تقعي في الفاحشة ولكنكِ لم تنجرفي وراء عاطفتكِ وذلك لأن الشريف فارس أغلق هذا الباب .

لذا قررت أن أقتل صديقتكِ إيفانا وتتهمين بقتلها وتتعذبين في السجن، وطبعًا كان لي سلطان على إيفانا لأنها ارتكبت الكثير من الأخطاء كما قلت لكِ .

ولكن للحق لم تسر الأمور كما أردت ولكن كما تعلمين أن أولاد لوسيفر لا تنفد حيلهم .

نظرت له فريدة بثقة وقالت:

– وأنا لا أخاف من حيلك، أتدري لمَ . . . ! لأن الرب قال إني أعظم وأقوى منك، وأنا لست مغفلة كي أقع في شرك وشر وسوستك مرة أخرى أيها الخناس .

ابتسم لها جواد وقال لها متهكمًا :

– لن أقتلكِ يا فريدة، بل سأجعلكِ في مكانكِ هكذا مقيدة إلى أن تموتي . . . أو أن تختاري طريقي وتكوني زوجتي وتذهبي لعالمي .

هنا تذكرت فريدة حلمها وقالت:

– لهذا كنت أرى تلك القلادة .

ابتسم لها جواد وقال بثقة:

– نعم، قلادة البومة رمز الإلهة ليليث زوجة الإله المتمرد إله النور لوسيفر، ليليث التي تركت آدم وذهبت للقوي لوسيفر .

صدقيني أنا لا أخدعكِ بل عشيرتي يعجبها قوتكِ وإصراركِ، هذا يعني نسلاً قويًا جدًا .

ضحكت فريدة وقالت متهكمة:

– فجأة صرت قوية وذكية، منذ قليل كنت تلعنني أنا وجنسي الأخرق . . . تعفن أنت وعشيرتك وإلهتك ليليث في عالمكم السفلي، ستظلون دائمًا في الدرك الأسفل وسنظل دائمًا المختارين خلفاء الرب ومكانتنا أعلى العليين .

من ثم ضحك جواد متهكمًا وقال:

– إذن ادعي ربكِ كي ينجدكِ من موقفكِ هذا، ها أنا ذا أنتظر .

بدأت فريدة تقرأ سورة الناس:

–أعوذ بالله من الشيطان الرجيم * بسم الله الرحمن الرحيم .

وها هو جواد يضحك متهكمًا ويقول ساخرًا:

-آه، لا توقفي، أنا أحترق، هههههه .

فريدة لم تعبأ بكلامه وأكملت:

-قل أعوذ برب الناس * ملك الناس *

- هههههه كفى، استعاذتكِ بربكِ لن تفيدكِ .

-إله الناس * من شر الوسواس الخناس *

هنا تحولت ملامح جواد إلى ملامح غضب وهو يقول بصوت أجش:

- قلت لكِ كفى .

ملامح القوة بدأت تُرسم على وجه فريدة وتحديها زاد أكثر وهي تكمل:

-الذي يوسوس في صدور الناس * من الجِنةِ والناس .

احمر وجه جواد من شدة الغضب وهو يقول بتحدٍّ:

- توقفي، لن يفيدكِ ما ترددينه سبق وقمتِ به ووهمتكِ بأني كنت بداخل جسد فارس وقتلته ولكني كنت قد خرجت منه، ولم يصبني أي مكروه بل قتلتِ حبيب القلب وعشتِ تعاني بسبب قتله .

لم تكترث فريدة وأكملت:

-أعوذ بالله من الشيطان الرجيم * بسم الله الرحمن الرحيم *

ضحك جواد ضحكة شيطانية متهكمًا :

- لن ينجدكِ كفي عن الاستعاذة به، توقفي واستغلي عرضي لكِ .

-قل أعوذ برب الفلق * من شر ما خلق *

صاح جواد وقال بتهديد : - سينتهي الوضع بشكل لا يحمد عقباه .

-من شر غاسق إذا وقب * ومن شر النفاثات في العقد * ومن شر حاسد إذا حسد .

- لقد حذرتكِ . . .

هنا غاصت فريدة واختفت عن سطح الماء، فغاص وراءها جواد وهو ينظر لها بجدة ولكن في اللحظة التي رأى بها فريدة كان الأوان قد فات .

كانت فريدة تمسك بفرع مدبب وبكل ما أُوتيت من قوة غرسته في أحشائه وهي تنظر له بتشفٍّ، فبدأ يتحول إلى هيئة الطفلة من جديد وما زال الفرع الخشبي يتوسط أحشاء الطفلة التي فارقت الحياة .

***

الفصل السادس عشر

النهاية

ها هي فريدة ترتدي فستانًا ذا طراز عثماني وتمشي في حديقة خضراء، تمشي شاردة وهي تغمرها السعادة إلى أن يقطع شرودها صوت صفير، فتلتفت فريدة وتبتسم بمجرد ما رأته يؤشر لها كي تأتي إليه وركبت خلفه الحصان الأبيض.

وبمجرد ما اقتربت منه قالت ضاحكة:

– هههه الملابس الملكية تليق عليك كثيرًا يا فارس.

نزل من على الحصان وقال لها بلهفة:

– يجب أن تليق بي كي أليق بسموكِ يا جلالة الملكة.

ضحكت فريدة وهي تلكمه في صدره برفق:

– توقف يا فارس عن مزحك هذا.

ومن ثم غيرت دفة الحديث وقالت مبتسمة وهي تنظر للحصان:

– الآن أنت فارس حقيقي بهذا الحصان الأبيض ولكن لَيس له جناحان مثل الذي رأيته في المنام؟

– لم أجد غيره في الواقع، حمدًا لله أني وجدت الحصان الأبيض كان يوجد بني ولكني بحثت جيدًا إلى أن جلبت لكِ مرادكِ.

تنهدت فريدة بعمق وقالت والسعادة تغمرها:

– حمدًا لله أنك معي يا فارسي.

عانقها فارس وقال وهو ينظر للسماء:

– بل أنا من يحمد الرب على وجودكِ في حياتي يا منقذتي.

قالت فريدة بثقة وهي تضحك ضحكة تهكم:

– جواد لا يختلف عن لوسيفر في شيء، كلاهما نفس الغباء.

ضحك فارس وقال:

– هههههه حقدهم يوقعهم في شر أعمالهم يا عجيبتي.

ابتسمت فريدة وأكملت بثقة:

– لوسيفر بسبب حقده وكرهه لآدم ورغبته أن يجره معه لحفرة الجحيم لم يفده حقده شيء سوى أنه كتب على نفسه الطرد الأبدي من جنة الرب .

بينما جواد الذي قرر أن يأخذ بثأر أمه وينتقم من رحاب ويجرها للجحيم بسبب نقطة ضعفها ألا وهو أنت، كان رجوعك للحياة هذه المرة هو فرصتي لكي أصلح خطئي السابق بقتلك .

ولكن في هذه المرة كان مقدرًا لي أن أكون سبب موتك إذا اخترت حبي أو أكون سبب نجاتك وحياتك الأبدية بموتي .

وبالفعل أنت بسبب صدق حبك لي قررت أن تختار حياة واحدة وفي تلك الحياة مقدر لك أن تموت على يدي .

ولكن أنت في هذه الحياة تختلف عن الحياة السابقة بحاجتك إلى دمي، دمي الذي يداويك ويمدك بالقوة، لذا قررت أن أحملك وأخرج ذلك الفرع الخشبي من داخلك وأخرجتك للشاطئ، ولم يكن أمامي حل سوى حل واحد أن أجرح نفسي، جرحت نفسي بدبوس "البروش" في فستاني .

جرحت ذراعي وبدأ دمي ودمعي يسقطان على جرحك، وبالفعل التأم جرحك وكأن لا وجود له.

ابتسم لها فارس وقال لها:

– لا يوجد لي سوى حياة واحدة ولكني واثق إن أصابني أي مكروه طيلة حياتكِ ستكونين منقذتي، ولكني صدقيني أنا لا أريد أن أعيش من بعدكِ.

سأكتفي في هذه الحياة بالقوة التي أستمدها من قربكِ، بينما إذا قدر لي أن أعيش بعدكِ لن أقتل حيوانًا واحدًا كي أعيش شهرًا من بعد فراقكِ، أنتِ الحياة وسبب الحياة يا عجيبتي.

– أنت قدري يا فارس.

– هل تظنين يا فريدة أننا التقينا في حيوات سابقة لا نعلمها على مر العصور...؟

– سبق وقلت لك أني أحيانًا أشعر أننا كنا سويًا خلال أزمنة مختلفة، على العموم دعك من الماضي دعنا في الحاضر الجميل الذي يشبه النعيم.

نظر لها فارس بحيرة وقال لها:

– آه يا فريدة بما أنكِ قلتِ كيف أنقذتني بالأمس هل يمكن أن تقولي لي كيف تمكنتِ من جواد . . . ؟

– كان جواد يقيد يدي ورجلي بنباتات بحرية بقواه الشيطانية، ولكني تذكرت قصة النبي محمد عندما قرأ المعوذتين ومع كل آية كانت تحل عقدة، وهذا ما فعلته، كان الإيمان واليقين يسيطران على قلبي وكل آية أقولها كانت تحل عني عقدة، إلى أن تحررت تمامًا حينها تذكرت أن هناك شجرة صغيرة تحت الماء غصت وكسرت فرعها وفي ثانية قمت بغرسها في جواد ولا تنسى أن الجني إذا مات وهو متهيأ على هيئة غير هيئته الحقيقية يكون مات بالفعل، لأن جسده أمامي كان جسدًا ماديًا لا أثيريًا، جنى على نفسه لأنه تحدى خليفة الله .

– ولكن أين الطفلة . . . ؟

– بمجرد أن قتلته على هيئته تحول الجسد إلى جسد الطفلة وكان يتوسطها الفرع .

– هل قمتِ بدفنها . . . ؟

– لا بل تركتها تغرق وقررت أن أنقذك .

– ولكن يا فريدة . . .

-يجب أن أنسى أني كنت حاملاً في شيطان في جوفي .

نظر لها فارس بحنو وقال لها :

- بل علينا ألا نفكر في الماضي بعد ذلك، علينا أن نعيش اللحظة كما قلتِ .

ابتسمت فريدة وقالت بحب:

-صفحة جديدة ومن أول السطر .

عانقها فارس وهو يتجه بها تجاه الحصان وهو يهمس لها :

- بل كتاب حياتي الجديد كله لكِ وملككِ يا عجيبتي فلتكتبي قدري وحياتي معكِ كما تشائين .

نظرت له فريدة كمن تذكر شيئًا وقالت بلهفة:

- أوه، صحيح بخصوص الكتاب ذكرتني برانيا صديقتي المؤلفة، يجب أن أحكي لها ما مررت به، ستكون رواية تخطف الأنفاس .

***

تعليق المؤلفة

أهلاً بعزيزي القارئ لا أريد أن أطيل عليك بتعليق طويل،

ولكن لدي خبر لك أن الصراع لم ينتهِ عند هذا الحد بل للصراع بقية .

وبقيته في "الجزء الثالث من أولاد لوسيفر" بعون المولى .

وتذكروا أن لنا في الخيال حياة ولقاء .

دمتم في أمان الله ويبعد الله عنكم شر أولاد لوسيفر الخناس .

ملحوظة: تلك العلامة في الرواية "*" معناها أن هذا الجزء مرتبط بالجزء الأول .

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علمًا

إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

اللَّهُمَّ صَلِّ أَفْضَلَ صَلَاةٍ عَلَى أَسْعَدِ مَخْلُوقَاتِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ

وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ عَدَدَ مَعْلُومَاتِكَ وَمِدَادَ كَلِمَاتِكَ

كُلَّمَا ذَكَرَكَ الذَّاكِرُونَ وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ الغَافِلُونَ.

***

لا تنسوني من دعواتكم لي أخوتي بالتوفيق ولكم بالمثل.

والدعاء بالرحمة والمغفرة لوالدي البروفيسور

رمضان عبد الله هو وجميع أموات المسلمين.

***

أعمال أخرى لبنت البروفيسور

نركسوس (رواية نفسية اجتماعية)

بروفينيا (رواية فانتازيا اجتماعية)

لاقيت الفضفضة– كيمياء السعادة (كتاب تنمية ذاتية وخواطر دينية)

جد ولعب وجرح وحب (ديوان بالفصحى والعامية)

طيف أروما (رواية رعب ورومانسية)

البروفيسور – الخلاصة لفهم الوجه الحقيقي للحياة (كتاب تنمية ذاتية وقصائد شعرية)

المهدي المنتظر (رواية رعب ونفسية)

أولاد لوسيفر ج1 الخطيئة (رواية رعب ونفسية)

أولاد لوسيفر ج2 الخناس (رواية رعب ونفسية)

رواية الخليفة ج3 من أولاد لوسيفر

60 قانون لامتلاك السعادة وتجاوز صعوبات الحياة move on (كتاب تنمية ذاتية)

كتاب "تعلم تفسير الأحلام مع بنت البروفيسور"

كتاب "تعلم فن كتابة السيناريو مع بنت البروفيسور"

كتاب "فضفضة بعد منتصف الليل"

كتاب "رحلة ال 90 يوم" للتعافي والتحرر من الإدمان

كتاب "تعرف على اسرار التاروت مع بنت البروفيسور"

كتاب "رسائل الملائكة"

كتاب (اسوياء نفسيًا)

كتاب (رسائل ملائكة الحب)

كتاب فضفضة في الطريق (أدب ساخر)

تمت بحمد الله

رواية "**أولاد لوسيفر**"

الجزء الثاني

"الخناس"

2023-5-15

رانيا رمضان

بنت البروفيسور

رواية الخليفة

الجزء الثالث من أولاد لوسيفر

تأليف:

رانيا رمضان (بنت البروفيسور)

اسم الرواية: الخليفة

الجزء الثالث من سلسلة أولاد لوسيفر

تأليف: رانيا رمضان

تدقيق واخراج فني وتصميم غلاف: بنت البروفيسور

رقم التوثيق: GGKEY:WAFEJ28L0L7

هذه الرواية عملٌ أدبي خيالي من نسج خيال المؤلفة

رانيا رمضان بنت البروفيسور بالكامل، ولا تمتّ إلى الواقع أو إلى أيّ أشخاص أو أحداث أو جهات حقيقية بصلةٍ.

وإنّ أي تشابه قد يُلاحظ بين شخصيات الرواية أو أحداثها وبين الواقع هو محض صدفة غير مقصودة.

تنبيه: هذه الرواية محمية بحقوق الملكية الفكرية الخاصة بالمؤلفة وورثتها، ويُمنع نسخها أو اقتباسها أو إعادة نشرها أو استخدامها بأي شكل سينمائي أو كتابي دون إذن مسبق، وأي مخالفة لذلك تُعرّض مرتكبها للمساءلة القانونية.

المقدمة

في الجزء الأول والثاني

كنا نظن أن الصراع بين الجن والإنس فقط،

ولكن في هذا الجزء سنكتشف

أن الصراع أكبر من ذلك بكثير.

(1)

فبراير 2079 . . .

–استيقظي يا شمس يا أحلى شموسة، فأنا يومي يكون كئيبًا من دونك .

نسمع صوت همهمة من تحت الغطاء ونرى حركة بسيطة، فيكرر الشاب كلامه وهو يكرها :

–هيا يا شموسة، استيقظي ودعي النور يغمرني ويغمر حياتي .

تنفعل الشابة وتزيل الغطاء عن رأسها ، فيظهر وجهها الجميل وشعرها الناعم غير المُرتَّب من أثر النوم، ومن ثم تقول وهي تهمُّ جالسة:

–آه يا تيمور ! سوف ألغي هذه الخاصية، فلا أحبُّ أحدًا يوقظني من نومي .

يجلس الشاب بجوارها وهو يضحك كمن اعتاد على طبعها :

–وهل يهون عليكِ أن أشتاق إليكِ ولا أتمكن من رؤيتكِ، أو أن أظهر أمامكِ وقتما أريد ؟

–حسنًا ، سوف أجعل خاصية الهولوجرام مفعلةً إلا وقت النوم والأوقات الخاصة بي، لأني سوف أقتلك في المرة القادمة .

ضحك الشاب وهو يهم واقفًا :

-وكيف لكِ أن تقتليني وأنا مجرد هولوجرام أمامكِ . . . ؟ !

تهم شمس واقفةً وترفع شعرها ، ومن ثم تضغط على زر صغير بجوار عينها فتنبثق منه شاشة أمامها ، فيقول لها تيمور بلهفة:

-ماذا ستفعلين . . . ؟

تقول شمس بنفاد صبر:

-أريد أن أُلغي المكالمة كي أذهب للاستحمام .

ضحك تيمور وقال:

-خذيني معكِ يا شموسة . . .

قالت شمس بغضب ونفاد صبر:

-تصدق ! أنت لا تستحق فقط أن أغلق المكالمة، بل أُلغي تمامًا خاصية الرد المباشر عليك .

يضحك تيمور وهو يحاول أن يقترب منها :

-أنا أمزح معكِ يا شموستي .

تبعد شمس نفسها عنه ومن ثم تقول بحزم:

-لا تلومنَّ إلا نفسك يا تيمور .

ومن ثم أغلقت المكالمة وذهبت لأخذ حمام دافئ كي تسترخي قليلًا بمحاولة منها لأن هذا سيساعدها على تقليل عصبيتها .

ومن ثم، عندما خرجت من الحمام، لمست الزر الموجود بجوار عينها فأنبثقت منه الشاشة فرأت أمامها رسالة، فضغطت عليها فأنبثق منها فيديو مجسم هولوجرامي لتيمور وهو يقول:

-حاولتُ أن أتصل بكِ يا شمس يا مجنونة، ولكنكِ بالفعل ألغيتِ الخاصية ! حسنًا ، عندما أراكِ سوف نتناقش في هذا الأمر، فقد كنت أريد أن أذكركِ بموعدنا اليوم .

رأت شمس الرسالة ولم ترد، وقررت أن ترد عليه بعد أن تتناول الفطور مع أمها .

خرجت شمس من غرفتها ومن ثم أخذت تنادي على أمها في أرجاء الشقة ولكنها لم تجدها على غير العادة، فقررت أن تذهب إلى غرفة نومها فوجدتها مستلقية على السرير .

اقتربت منها شمس بلهفة:

-ماما سمية ! قلقتني عليكِ .

ردت عليها أمها بضعف من تجاوزت السبعين:

-أنا بخير يا بنتي، ولكن كل ما في الأمر . . .

قاطعتها شمس بقلق أكثر:

-ماذا بكِ يا أمي، ولِمَ صوتكِ مجهد هكذا ؟ ماذا تشعرين . . . ؟

-كل ما في الأمر أني لا أستطيع الحراك منذ الصباح، و . . .

قاطعتها شمس بغضب وقالت من شدة القلق:

-ولماذا لم توقظيني يا أمي ؟ لِمَ تفعلين ذلك بنفسكِ دائمًا ؟ لِمَ دائمًا تفكرين في غيركِ وأنتِ آخر من تفكرين به ؟

-يا بنيتي، كل ما في الأمر أني أعلم أنكِ لاغية خاصية الاتصال بكِ، ولم أرغب أن أطلب من الروبوت إيقاظكِ، قلت: أجعلكِ تكتفين من النوم كي تكوني معي في مثل هذا اليوم المتعب .

جلست شمس بيأس وقالت لأمها :

-قلت لكِ يا أمي: جربي الأكسير الذي اخترعته، أنا أدرس من أجلكِ منذ صغري لكي يأتي هذا اليوم الذي أراكِ فيه معافاة وتتخلصي من تلك الشرائح التي تتحكم في جسدكِ.

-أحمد الله يا بنتي أني في هذا الزمن حيث من يعاني من الشلل يمكنه المشي وممارسة حياته بشكل طبيعي؛ أنسيتِ في صغركِ تلك البدلة المعدنية التي كانت تساعدني على الحركة وكنتُ أشبه الرجل الآلي بها ؟

-نعم أتذكرها، وأتذكر كيف كان أبي يكرهها بشدة، وكلما يراكِ بها ينظر لي بحقد وكأني أنا السبب.

-هذه ردة فعل منه لأنه كان يحبني بشدة، وكان من الصعب عليه أن يراني عاجزةً في يوم وليلة.

-يعني يا أمي أنا كنت السبب. . . ؟ !

-لا، لستِ السبب يا حبيبتي، ولكن تلك الحادثة حدثت يوم وجدناكِ و. . .

أوقفتها شمس بضيق وقالت:

-أمي، لا تذكّريني به ولا بالحادثة ولا بأني لست ابنتكما.

نظرت لها أمها بلهفة وقالت:

-لم أقصِد يا عزيزتي، ولكن أريد أن أوضح لكِ وجهة . . .

-أمي، دعكِ من هذا الموضوع ودعيني أعرض عليكِ فكرة الأكسير مرة أخرى.

أشاحت أمها نظرها وقالت بيأس:

-لا يا بنيتي، لا أريد أن أجربه.

-وما المانع أن تأخذي الأكسير يا أمي ؟ هذا سيجعلكِ خالدةً معافاةً من أي مرض، أنا صنعته خصيصًا لأجلكِ.

ومن ثم نظرت لأمها بحيرة وشك وقالت:

-أمي ! أنتِ لا تثقي بي ولا بعلمي . . . ؟ !

نظرت لها أمها بثقة تامة وقالت:

-أبدًا يا بنيتي، أنا واثقة أنكِ أعظم طبيبة في العالم.

-حسنًا، فلتجربي الأكسير يا أمي.

أشاحت الأم نظرها عنها ثانيةً وقالت:

-يا بنيتي، أنسيتِ ما حدث لأبيكِ بسبب هذا الأكسير . . . ؟ !

-أعلم أنه مات يا أمي لأنه أخذ الجرعة الخاطئة، ليس ذنبي أن يدخل المختبر من ورائي.

-أعدكِ يا بنيتي، سوف أجربه ولكن بعد أن توثقي هذا الاختراع العلمي.

-أمي، هذا الاختراع أنتِ تعلمين جيدًا أني أجريته منذ أكثر من 13 عامًا، وها أنا ذا عمري 31 عامًا، وقمت بالكثير من الأبحاث التي أشادوا بها أكبر الأطباء، وقمت باستخدام هذا الأكسير على الفئران، ومعروف أن متوسط عمر الفئران (4-6) سنوات إذا كانت في المنزل، وفي حالات نادرة يصل عمرها إلى 9 سنوات، وها هو فأري شمشون عمره 11 عامًا!

ابتسمت لها أمها بوهن محاولةً تغيير الموضوع:

-آهٍ من شمشون ذا! ولكن هل سنظل نتحاور أكثر من ذلك وأنا على هذا الوضع؟

-حقكِ عليَّ يا أمي، ولكني كنتُ أحاول أن أقنعكِ، ولكن كما تشائين.

***

(2)

اتصلت شمس بالإسعاف وقاموا بنقل أمها للمستشفى، وقبلها أرسلت رسالة لتيمور تعتذر له عن موعدهما .

تم نقل أمها للطابق الثالث، وهي في الاستقبال تنهي إجراءات العملية .

وبعد أن انتهت من الإجراءات، توجهت للمصعد واختارت الطابق الثالث، ولكن أثناء حركة المصعد تم اختيار الطابق الرابع، ظلت تضغط على رقم 3 ولكنه لا يستجيب .

أغلق ضوء المصعد عليها فأُصيبت بنوبة هلع وصارت تصرخ، وبعد ثوانٍ فُتح باب المصعد عليها وعلى وجهها ملامح الفزع، فنظرت لها الممرضة التي دخلت المصعد بتعجب، ومن ثم ضغطت على زر الطابق السادس، ثم نظرت بحيرة إلى شمس التي ما زالت واقفةً لا تحرك ساكنًا ، لا تفهم ماذا حدث معها ، وسألتها :

-أي طابق تريدين . . . ؟

نظرت لها شمس بحيرة، ومن ثم نظرت حيث يظهر أمامها أنها لا زالت في الطابق الأرضي ولم تتحرك من الأساس، ومن ثم قالت:

-الطابق الثالث إذا سمحتِ.

وسرعان ما وقف المصعد وفتح وهي ما زالت في حيرة من أمرها، ومن ثم دخلت غرفة أمها وهي ما زالت تفكر في الموقف الذي مرت به.

ولكنها سرعان ما أفاقت من شرودها وبدأت تحكي مع أمها إلى أن جاء موعد العملية.

وفي أثناء انتظارها خارج غرفة العمليات، رأت أمامها بالصدفة تيمور وهو يرتدي اللباس الخاص بالأطباء؛ كان يمشي بسرعة فلم ينتبه لها، ولكنها نادته وأوقفته:

-تيمور...!

التفت متعجبًا:

-شمس...! كيف جئتِ إلى هنا...؟

-جئت لأجل عملية أمي، ولكن هذا ليس موضوعنا؛ هل تعمل هنا...؟

-نعم، هذا مكان عملي الجديد.

-ولكنك لم تخبرني.

-كنتُ سأخبركِ على أي حال.

–حسنًا يا تيمور، سوف نتحدث في ذلك لاحقًا .

ومن ثم قال لها في عجالة:

–إذا احتجتِ أي شيء فأنا موجود .

***

في المساء، وبعد انتهاء العملية، ظلت شمس بجوار أمها إلى أن غلبها النعاس، ولكن سرعان ما أفاقت بسبب صوت ارتطام شيء يأتي من الطابق الرابع فوقها .

حاولت أن تتجاهل الصوت ولكن الصوت ما زال يتكرر، والْعَجَبُ أن أمها لم تستيقظ منه ! ومن ثم سمعت صوت تحريك أشياء فوقها، وصوت صرير الأَسِرَّة مزعج للغاية .

صارت تصمُّ أذنها على أمل أن دقيقةً ستمر وسيتوقفون، ولكن بلا جدوى !

فقررت أن تخرج من الغرفة وأن تطلب المساعدة ممن في الخارج .

همَّت لكي تفتح باب الغرفة ولكنه لا يفتح وكأنه موصد، ظلت تحاول مرارًا وتكرارًا ولكن بلا جدوى، إلى أن قررت أن تطرق على الباب بشدة كي يأتي من يفتح لها من الخارج .

استيقظت أمها على صوتها وقالت لها بحيرة:

-ماذا بكِ يا شمس، لِمَ كل هذه الضجة . . . ؟

في هذه الأثناء، جاءت ممرضة وفتحت الباب من الخارج متسائلةً بقلق:

-هل تحتاجان أي مساعدة . . . ؟

نظرت لها شمس وقالت بغضب:

-الباب كان موصدًا، و . . .

ردت الممرضة ببساطة وهي تقلب نظرها بين شمس وأمها:

-ولكنه كان مفتوحًا، كيف لنا أن نغلقه تمامًا وهنالك من هم في الغرفة ؟

نظرت سمية بحيرة لابنتها التي سرعان ما أشاحت نظرها عنها وسألت الممرضة:

-أنا كنتُ أحاول أن أفتح الباب كي أسألكم لِمَ كل هذه الضجة التي تأتي من الأعلى ؟ أظن أن ترتيب ونقل الأَسِرَّة يكون في النهار لا في المساء والمرضى نِيَامٌ .

قالت الممرضة والحيرة قد تملكتها:

-ولكن هذا لا يحدث في المساء نهائيًا .

قالت شمس بغضب:

-ولكني سمعت تلك الضجة الآتية من الطابق العلوي، أي الطابق الرابع !

-الحقيقة أن الطابق الرابع تحدث به حاليًا تجديدات، ولكنها جميعها تحدث في النهار .

مسكت شمس رأسها لا تدري ماذا تقول، فقالت لها الممرضة برفق:

-هل تحبين أن أطلب لكِ شيئًا تشربينه ؟ قد يكون كل ذلك بسبب الإرهاق، و . . .

نظرت لها شمس بنظرة معناها أنها تريد أن تنهي الحوار وقالت:

-لا شكرًا، سأجلب لنفسي بعد قليل، شكرًا لكِ .

ومن ثم عادت وجلست بجوار أمها وقالت مطمئنةً إياها محاولةً الهروب من هذا الموقف:

-كيف حالكِ الآن يا أمي . . . ؟

-أنا بخير يا بنيتي، ولكن ماذا حدث . . . ؟

-ولا شيء يا أمي، لا تشغلي بالك، المهم أن ترتاحي الآن .

***

وبعد أن نامت أمها ، قررت أن تنزل للكافتيريا .

قررت ألا تستخدم المصعد خوفًا من أن يتكرر الموقف مرة أخرى، فنزلت السلم، ولكن في الدور الأرضي مرت بجوار المشرحة فسمعت صوتًا ينادي عليها هامسًا ! حاولت أن تسرع من مشيتها وتُقنع ذاتها أن هذا من شدة الإجهاد وقلة النوم .

وبالفعل وصلت للكافتيريا وطلبت القهوة وقررت أن تجلس كي تحتسيها ، ولكنها سرعان ما شعرت بالملل بسبب قلة الموجودين في المكان، فقررت أن تأخذ قهوتها وتعود لأمها .

ها هي ترتشف من القهوة، وبمجرد مرورها من أمام المشرحة سمعت ذاك الصوت الهامس الذي ينادي عليها ! قالت في قرارة نفسها : "حتى القهوة لم تعد تؤثر بي" .

ومن ثم رأت باب المشرحة يفتح بشكل بسيط فقررت أن تلقي نظرة بداخلها كي تتأكد أنه يتوهم لها .

بمجرد أن دخلت، رأت جثة أبيها حسن على السرير ينظر لها ! ففزعت ووقعت منها القهوة أرضًا وتجمدت في مكانها من شدة الرعب عندما شعرت أن هنالك يدًا

على كتفها ، ومن شدة خوفها لم تجرؤ حتى على أن تلتفت، ولكنها بمجرد أن سمعت الصوت استطاعت أن تلتقط أنفاسها :

-شمس ! ما الذي أتى بكِ إلى هنا في هذا الوقت . . . ؟

التفتت له وهي في حالة صدمة وهي تقول:

-لقد رأيتُ أبي يا تيمور، و . . .

نظر لها متعجبًا وقال:

-والدكِ توفى يا شمس، كيف رأيته . . . ؟

التفتت وهي تؤشر له على السرير ولكنها لم تجد شيئًا ، فنظرت له مصدومة وهي تقول:

-أقسم لكَ، كان هنا وكان ينظر لي !

ضمها وقال لها بلين:

-يبدو أنكِ متعبة يا شمس فظننتِ ذلك .

ومن ثم سحبها للخارج وهي تحاول أن تلتفت مرة أخرى كي ترى أباها في الغرفة قبل أن تخرج ولكنها لم تره .

وبعد أن خرجت، تركت يد تيمور ومسكت رأسها وقالت له:

-لا أدري ماذا يجري لي يا تيمور اليوم !

-مجرد إجهاد، لا تقلقي، تعالي نشرب قهوة سويًا .

وفي أثناء شرودها وهي تمشي بجواره، سألته:

-ولماذا أتيتَ للمشرحة في هذا الوقت . . . ؟

-أنا من سألتكِ هذا السؤال ولم تُجيبيني عليه، ولكني سأجيبكِ؛ رأيتُ باب المشرحة مفتوحًا فتعجبتُ، فقررت أن أرى من بالداخل ولكني تفاجأتُ عندما رأيتكِ ! وماذا عنكِ أنتِ . . . ؟

-لقد سمعتُ صوتًا يهمس لي وينادني، و . . .

ربت على كتفها وقال لها :

-سنجلس قليلًا في الكافيتيريا، ولكن يجب أن تصعدي بعدها وتنامي، لا تجهدي ذاتكِ أكثر من ذلك .

***

(3)

بعد مرور شهر . . .

ها هي سمية توقظ شمس:

-شمس حبيبتي، هيا استيقظي موعد رحلتكِ اقترب، الساعة الآن الـ 11 .

-ساعة وسأستيقظ يا أمي، أعلم جيدًا أنها الـ 10 لأنكِ دائمًا تخدعيني .

-شمس حبيبتي، هيا استيقظي، مرت ساعة الآن !

-أمي، أنا لم أنم حتى، وهذا يدل على أن الساعة لم تتجاوز الـ 10 وعشر دقائق .

ومن ثم قامت برفع الغطاء عن رأسها بنفاد صبر وقالت وهي تهمُّ جالسة:

-أقول لكِ شيئًا يا أمي؛ لن أحاول أن أنام ثانيةً لأني أعلم جيدًا أنكِ ستظلين تزنين فوق رأسي .

ضحكت لها أمها وقالت:

-هيا، اذهبي للاستحمام والفطور سيكون جاهزًا .

***

بعد قليل، ها هي شمس تتناول الفطور مع أمها باستعجال، وأمها تنظر بشوق وهي تقول لها وهي تلمس يدها :

-شمس، سوف أشتاق إليكِ كثيرًا، فأنتِ تعلمين جيدًا أني لا أستطيع أن أعيش من دونكِ .

ابتسمت لها شمس ابتسامة مكسورة وقالت:

-كلها أسبوع يا أمي، وأنا لو كان يمكن أن أقوم بالمقابلة بالهولوجرام وأرسل العينات إليهم لكنتُ فعلت ذلك، ولكن ضروري أن أكون معهم على أرض الواقع، وكلها أسبوع فقط .

-فقط ؟ ! بل الأسبوع سيكون دهراً بالنسبة لي ! فأنتِ الشمس التي تنير حياتي وتشعرني بالدفء والاحتواء، ومن دونكِ أشعر بالجمود والحزن يسيطر عليَّ .

-يا أمي، أنتِ تتحملين انشغالي في المعمل أو المستشفى طوال اليوم .

-ولكني أعلم جيدًا أنكِ ستعودين في نهاية اليوم، أعيش اليوم على أمل لحظة رجوعكِ .

ضحكت شمس تحاول أن تغير من جو الحديث الذي غيم عليه الحزن:

-لا يوجد فرق كبير يا أمي، انتظري على أمل نهاية الأسبوع وستجديني بين يديكِ .

سقطت الدموع من عيني أمها وقالت بصوت مهزوز:

-أنتِ لا تعلمين كم أحبكِ وكم انتظرتكِ ! أنا ظللت أكثر من 20 عامًا أنتظر الرب أن يهبني ذرية تنمو في رحمي، ولكن لم يشأ الرب، ولم أوافق قط على زراعة الجنين في رحم روبوت لأني أشعر أن عملية الحمل بها مشاعر وترابط عميق بيني وبين طفلي، وكذلك رفضت فكرة التبني، كنتُ أشعر بعدم وجود أي روابط أو مشاعر بينهم، وكلما نظرتُ لهم كانوا لا يملؤون نقصي ولا حرماني، بل تلك الفكرة كانت تجعلني أشعر بالسخط أكثر وأقول للرب: لمَ حرمتني من أن أكون أمًّا ؟

لمست شمس يدها وقالت لها:

-أعرف تلك القصة يا أمي، لطالما حكيتها لي وأنا مقدرة مشاعركِ تجاهي .

-أعلم أني حكيتها لكِ مرارًا وتكرارًا ولذلك أيقظتكِ باكرًا خصيصًا لأني أريد أن أفضفض معكِ قليلًا قبل رحيلكِ، فأنتِ تعلمين كم أرتاح في حديثي معكِ .

أومأت لها شمس برأسها وقالت بلطف:

-وأنا كلي آذان صاغية .

-كما تعلمين، أبوكِ حسن . . .

قاطعتها شمس بغضب وهي تشيح بنظرها :

-لا تقولي أبي، فهو لم يحبني قط ! الأب هو رب الأسرة، والرب هو من يربي ويحب ويحتوي ويضحي ويدبر، وحسن لم يفعل أي شيء من ذلك من أجلي، لذا لا يستحق أن أعتبره أبًا ما دام هو لم يعتبرني ابنةً !

-يا عزيزتي، أنتِ كل ما تحتاجين أن تعلميه كي تسامحي حسن أن تضعي نفسكِ مكانه؛ رجل عشق زوجته ولم يقرر أن يتزوج غيرها، وقبل قرارها بالانتظار كل ذلك فقط لأنه يحبها، وفي يوم قلت له أني أريد أن أذهب للبحر، هو حذرني لأنه قبطان كما تعلمين.

قالت شمس باحتقار:

-وما دخل القبطان بالطقس ؟ ! كل الأجهزة تخبرنا وتحذرنا من حال الطقس، لا أدري لمَ تبالغين في مدحه !

-أقصد أنه يعلم حال البحر، و . . .

قالت شمس بضجر:

-أمي، هل ستجعليني أتأخر من أجل الحديث عن هذا الرجل . . . ؟ !

-لا يا عزيزتي، بل أريد أن أحكي لكِ شيئًا لم أحكه لكِ من قبل .

تنفست شمس الصعداء وحاولت أن تتمالك أعصابها وتتحمل هذا الحديث من أجل أمها :

-حسنًا يا أمي، قولي ما شئتِ، ولكنكِ يمكنكِ أن تكوني معي في اتصال بالهولوجرام، و . . .

-لا، أنا لا أحب هذه التقنيات الخاصة بكم أيها الجيل الحديث، لا يوجد أجمل من النقاش وجهًا لوجه .

-كما تشائين يا أمي . آه، لقد فعلتُ لكِ خاصية الرد المباشر على اتصالاتي في أي وقت كي أطمئن عليكِ .

-حسنًا يا بنيتي، ولكن قبل أن ترحلي علميني كيف أتصل بكِ بالهولوجرام .

تنفست شمس بضجر :

-يا أمي، علمتكِ 100 مرة إلى الآن ! ولكن حسنًا ، سوف أعلمكِ، ولكن هيا أكملي لأن وقتي أوشك على النفاد .

-يومها ذهبنا وجلسنا على الشط، فأنتِ تعلمين كم أحبه، وخاصة في تلك الفترة كان الحزن قد سيطر عليَّ بشدة، ويومها أقنعته أن أحياناً يخطئ التنبؤ بالطقس. ظللنا هنالك وضمني كالعادة، فأنا لم أجد رجلاً في الحياة يحب زوجته مثل حب حسن لي.

قالت شمس متهكمةً بأسى:

-آهٍ، يحبكِ فعلًا! لو كان يحبكِ فعلًا لأحبني لحبكِ لي.

-والله حسن يحبكِ! لا تدري، في أول لحظة ونحن كنا على الشاطئ ورأينا تلك الفقاعة التي كنتِ بها، ذهب ملهوفًا داخل البحر وأتى بكِ إليَّ.

حينها كنتُ أبكي، ولكن عندما رأيتكِ بكيتُ أكثر لأني كنتُ أطلب من الرب أن يكون لي طفل في تلك اللحظة، وعند ظهوركِ في هذه اللحظة اعتبرتها إشارة من الرب بأنكِ دعوتي، ولم أعتبركِ قط مثل الأطفال الذين يمكن أن أتبناهم، بل بمجرد لمسي لكِ شعرتُ أنكِ مني! حينها حسن ضمني وبكى وسعد لسعادتكِ، وسعد بكِ بشدة، وتعرفين هو من اقترح عليَّ اسمكِ.

نظرت لها شمس بعدم رضا وقالت:

–حقًا ! أنتِ قلتِ كان يريد أن يسميني نور .

ضحكت أمها محاولةً أن تلطف الجو وقالت:

–أي نعم، اقترح عليَّ اسم نور لأنكِ ظهرتِ لنا من وسط دائرة الشمس في البحر يا عزيزتي فكنتِ آتية من النور، ولكني قررت أن أسميكِ مصدر الضوء ذاته، أي الشمس يا شمس حياتي وروحي .

وقفت شمس وقالت في استعجال وهي تضغط على الزر الموجود بجوار عينها فظهرت أمامها شاشة فاختارت منه الملابس التي سترتديها للسفر:

–ها أنا يا أمي قد استمعتُ لكِ ولم تقولي لي شيئًا جديدًا، سأذهب لكي أجهز الآن .

وقفت أمها بلهفة وقالت:

–بل انتظري يا عزيزتي، عندما وجدتكِ أول مرة كان حول عنقكِ تلك القلادة، ها هي .

أخرجتها من جيبها وهمَّت لكي تحاول أن تلبسها إياها، ولكن شمس ابتعدت وقالت:

-يا أمي، أنتِ تعلمين أنا لا أحب ارتداء هذه الأشياء .

-أرجوكِ، ارتديها فقط لأجل الحماية فَعَلَيْهَا اسم الله .

-حاضر يا أمي، كما تشائين .

***

ومن ثم ذهبت مسرعةً لكي تجهز، وبعد أن جهزت واستعدت للرحيل، ودعتها أمها ببكاء شديد ، فقالت لها شمس وهي تمزح معها :

-أمي، السفر لمدة أسبوع فقط، وسوف أطمئن عليكِ من حين لآخر .

ضمتها أمها بقوة وقالت:

-لا أدري يا بنيتي، قلبي يؤلمني على فراقكِ، هذه أول مرة ولا أستطيع تحمل فكرة بعدكِ عني ! وأريد أن أقول لكِ شيئًا لطالما أردتُ أن أخبركِ به كي أرتاح .

أخرجت شمس نفسها من حضنها وقالت وهي تهرب لأن الدموع ملأت عينها ولا تريد أن تبكي هي أيضًا مع أمها :

-سأتصل بكِ حال وصولي للمطار يا أمي .

ومن ثم صوتها أتى من أسفل الدرج وهي تقول:

-أحبكِ يا أمي . . .

وقفت سمية وهي تنظر لها بأسى والدمع ينهمر من عينها :

-وأنا أحبكِ يا بنيتي .

***

(4)

ها هي شمس وصلت أمريكا وكان ينتظرها في المطار دكتور توماس، رجل في الستين من عمره شعره فضي مهندم وجسمه رياضي فيظهر عليه أنه أصغر من سنه بكثير؛ ضمها إليه بحنو رهيب وهو يقول لها :

-وأخيرًا تقابلنا يا شمس .

-تشرفت بلقائكِ يا دكتور توماس، يبدو أن أمي عندها حق، المقابلة في الحقيقة لها طعم آخر .

أخذها من يدها وهو يبتسم قائلًا :

-وعلى سيرة الطعم، هيا بنا نتناول الغداء سويًا .

ضحكت له شمس وهي تقول ممازحةً إياه:

-ولكن على حسابك أكيد !

نظر لها بتمثيل رد فعل رجولي وهو يمزح معها :

-أتظنين أنني أجنبي . . . ؟ أنا عربي الصفات، فأنتِ لا تعرفين قصتي مع العرب بعد وماذا تعلمتُ منهم .

ظهرت معالم الحماسة على وجه شمس قائلةً:

-يبدو أن لدينا الكثير لنقوله اليوم .

-أعدكِ ستكون إجازة ممتعة وستكررينها مرارًا وتكرارًا .

-هههه، أمي تركتني أذهب هذا الأسبوع بطلوع الروح فما بالك بتكرار هذه الزيارة !

غمز لها دكتور توماس وقال لها بثقة:

-دعيها لي المرة القادمة وأنا سوف أقنعها بطريقتي .

ضحكت شمس وقالت له:

-أمي امرأة تجاوزت السبعين أيها الدكتور العازب !

رَتَّبَ ياقته وهو يقول بثقة:

-العمر مجرد رقم، والشباب شباب الروح لا السن، وسوف أثبت لكِ ذلك .

-بخصوص الشباب الدائم، هيا بنا لكي نتناقش في البحث بعد الغداء .

قال لها وهو يدخل سيارته التي وقفت أمامه ذاتيًا بمجرد اقترابه منها :

-لا، اليوم اتركِ نفسكِ لي، ومن الغد سوف نبدأ في الجد .

وفي المساء، وصلت شمس إلى غرفتها في الفندق وقد أوصلها دكتور توماس، ومن ثم قال لها بحيرة:

-لقد جذبت انتباهي قلادتكِ.

لمستها شمس وقالت:

-أمي أعطتها لي هذا الصباح.

-هذه السلسلة، لقد رأيتُ مثلها من قبل مع صديقة لي.

تثاءبت شمس وقالت ناعسةً:

-في الغد احكِ لي عنها، لأني لم أعد أستطيع أن أقف على قدمي أكثر من ذلك.

ضحك دكتور توماس وقال:

-صدقيني، أنتِ أول من يحتاج هذا الأكسير أيتها العجوزة.

همَّت بفتح باب الغرفة ببصمة وجهها لأن في الاستقبال أثناء الحجز يتم تسجيل الوجوه المسموح لها بفتح الباب خلال فترة محددة، وقالت له بصوت ناعس وهي تضع يدها على فمها متثاءبةً ثانيةً:

-تصبح على خير يا دكتور توماس...

ابتسم لها وودعها . . .

وبعد أن غيرت ملابسها ، حاولت أن تتصل بأمها ولكن بلا جدوى، حاولت أن تفتح برنامج المراقبة كي ترى أمها ولكنه لم يعمل معها .

قالت في قرارة نفسها : "قد يكون ذلك بسبب عيب في الشبكة عندي أو عندها ، المهم أن أرتاح الآن فأنا متعبة للغاية وفي الغد سأكلمها" .

***

(5)

في الصباح، استيقظت شمس على أمل أن تجد رسالة أو مكالمة من أمها ولكنها لم تجد أي شيء يساعدها في الوصول إليها .

بدأت تستعد للمقابلة ولكن عقلها شارد بأنها تريد أن تطمئن على أمها .

جهزت حقيبتها التي تحتوي على الأكسير وكل ما يثبت بحثها العلمي .

ومن ثم، ها هي قد وصلت للمقهى الذي اتفقا هي ودكتور توماس أن يحتسيا فيه القهوة قبل الذهاب للمعمل .

وبمجرد أن دخلت، رفع شاب نظره عليها مندهشًا وناداها :

-دكتورة شمس . . . !

التفتت له متعجبةً وسرعان ما تحولت ملامح التعجب إلى ترحيب:

-أهلًا تامر، كيف حالك ؟

أشار لها كي تتفضل وهو يرد عليها :

-أنا بخير الحمد لله .

فهمت إشارته ولكنها رفضت بلباقة:

-أعذرني، أنا لدي مقابلة مع دكتور، أنت تعلم أني أود أن أجلس معك ونتحدث .

أمسك يدها وأجلسها :

-على الأقل اجلسي معي إلى أن يصل .

ابتسمت له وتخلت عن إصرارها وقالت:

-حسنًا يا أخي الصغير، ها قل لي، ماذا تفعل هنا . . . ؟

-ألم يقل لكِ تيمور أني أدرس هنا . . . ؟

ضحكت وقالت له:

-أعلم أنك تدرس هنا ، ولكن لمَ أنت في هذا المقهى ؟ هل تنتظر أحدًا ؟

-لا، بل أحب أن أجلس بمفردي أحتسي مشروبي .

ها ، قولي لي، ماذا عنكِ أنتِ . . . ؟

-ألم يخبرك تيمور . . . ؟

ضحك متهكمًا :

-تيمور ليس له وقت إلا لسيادتكِ، غير ذلك فهو دائمًا مشغول .

-حسنًا ، سوف أصدقك؛ لقد جئت إلى هنا كي أناقش بحثي وأثبت اكتشافي .

-وما هو هذا الاكتشاف أيتها العالمة . . . ؟

هنا دخل دكتور توماس ووضع يده على كتف شمس فالتفتت له، فقال لها :

-لا تضيعي وقتكِ حالًا ما كونتِ صداقات .

وقفت وسلمت عليه وقالت وهي تؤشر على تامر كي تعرّفه عليه:

-بل أنا أعرفه بالفعل، إنه المهندس تامر أخو صديقي الدكتور تيمور .

سلم تامر على دكتور توماس وهو ينظر لشمس غامزًا لها :

-صديقكِ تيمور . . . ؟ صديقكِ فقط ؟ !

وكزته شمس وأخذت بيد دكتور توماس محاولةً الهرب من الموقف الذي وضِعَتْ به:

-هيا يا دكتور توماس، لدينا الكثير لنتكلم عنه سويًا .

-حسنًا ، ولكن في المعمل، بينما هنا فلنتناول الفطور ومن ثم نحتسي القهوة ومن ثم نذهب لكي تكتبي اسمكِ في التاريخ .

قال لها تامر بلهفة قبل أن تذهب:

-شمس، اتصلي بي كي نكون سويًا بعد انتهائكِ من العمل مع دكتور توماس .

أومأت له شمس إيذانًا بالموافقة، ومن ثم جلست هي ودكتور توماس بمفردهما ، ومن حين لآخر تجد تامر يحدق بها وكلما رأته يبتسم لها .

***

وفي المساء ، حاولت شمس أن تصل لأمها ولكن بلا جدوى، فالقلق غزا قلبها ، فسألها دكتور توماس:

-ماذا بكِ يا شمس ؟ هل تعبتِ اليوم ؟ يمكن أن نكمل المناقشة في الغد .

-لا ، بل من الأمس وأنا لم أتمكن من الوصول لأمي ، أنا قلقة عليها بشدة .

-لا تقلقي ، انتظري لنهاية اليوم وأكيد ستتواصل معكِ .

-لو لم أتمكن من الوصول إليها اليوم سوف أضطر للسفر إلى مصر في الغد .

نظر لها متعجبًا مصدومًا :

-والبحث والمناقشة مع العلماء الذين اتفقتِ أن تقابليهم، و . . .

-أمي يا دكتور توماس ! أمي التي قمت بهذا الاختراع من أجلها هي أهم عندي من أي مقابلة .

–حسنًا ، دعينا لا نستبق الأحداث، المهم أن تقومي الآن كي ترتاحي، وأنا كنتُ أريد أن أعزمكِ على العشاء ولكني أعرف أنكِ قبلتِ موعد تامر .

قالت مندهشةً:

–أوه، تامر ! لقد نسيتُ أمره، لقد ذكرتني أن أتصل به كي يأخذني .

***

بعد قليل، جاء تامر لكي يأخذها بسيارته الطائرة، ولكن بمجرد أن ركبت السيارة وهو يقول لها :

–أهلًا يا شمس . . .

كانت هي في هذه اللحظة قد ردت على الهاتف فظهر هولوجرام تيمور وهو يقول منفعلًا :

–أين أنتِ يا شمس . . . ؟

أشارت بمنتهى البرود وقالت:

–ها أنا مع أخيك تامر .

–يعني تخرجين وتكونين مع تامر وأنا من الأمس لم تردي عليَّ ؟ !

-لقد وصلتُ بالأمس ومنذ وصولي كنتُ مع دكتور توماس، وفور وصولي للفندق نمتُ من شدة التعب .

-وفي الصباح لم تكلفي نفسكِ حتى أن تتركي رسالة كي تجعليني أطمئن عليكِ !

-صدقني، ليس لدي وقت، المهم أني قمت بالرد الآن لأني لم أتمكن من الوصول لأمي؛ هل يمكنك أن تذهب لكي تطمئن عليها وتقول لي سبب تعطل الاتصال ؟

-حسنًا ، ولكن بمجرد رجوعكِ للفندق اتصلي بي، أريد أن أتحدث معكِ .

فاقترب تامر وقال ممازحًا :

-على الأقل قل أهلًا يا أخي، وأُمّ كل الاهتمام لحبيبة القلب !

لم يرد عليه تيمور وقال:

-في انتظاركِ يا شمس .

ومن ثم أغلقت المكالمة، فقال لها تامر:

-أرأيتِ ؟ لا يهتم بأحد سواكِ !

أومأت له برأسها وبالكاد ابتسمت له، ومن ثم قال لها :

-سوف أعزمكِ على مكان سيعجبك الأكل فيه جدًا .

وبمجرد أن نزلا من السيارة، مر بجوارها شخص ملثم وسحب حقيبتها بشدة فارتَمَتْ أرضًا ، ومن ثم طار بحذائه النفاث فصرخَتْ وقالت:

-تامر ! الحق به، لقد سرق الحقيبة التي بها البحث !

أوقفها وضمها إليه وقال لها :

-هل أنتِ بخير . . . ؟

قالت له بحزم برغم الألم:

-أنا بخير، ولكن الحق به بسرعة أرجوكَ !

قال لها :

-سوف ألحق به، ولكن انتظريني أنتِ في المطعم .

اقتربت من السيارة وقالت بحزم:

-مطعم ماذا . . . ؟ ! أنا أريد أوراقي حالًا !

وبالفعل ركبا السيارة وحلقا بأقصى سرعة، وسرعان ما رأيا الشخص الملثم، ولكنه سريعًا ما نزل أرضًا ودخل في حارة ضيقة لم تتمكن السيارة من الدخول بها ،

فأوقفا السيارة وأخذا يبحثان عنه في كل زقاق ولكن بلا جدوى ! ومن ثم جاء صوت إشعار لتامر فنظر لها مصدومًا ، فقالت له شمس وهي تلهث:

-ماذا ستفعل الآن يا تامر . . . ؟ !

ولكنها لم تكمل كلامها إلا وشعرت أن هنالك من ضربها بإبرة، وقبل أن تنظر حولها لترى من ضربها ، بدأت رؤيتها تختفي شيئًا فشيئًا ، ومن ثم سقطت أرضًا .

***

(6)

ها هي شمس تستيقظ لتجد نفسها في غرفة لا تشبه غرفتها في الفندق، فقررت أن تخرج من الغرفة لكي تفهم الوضع .

ولكنها بمجرد أن حاولت أن تفتح الباب وجدته موصدًا ، فبدأت تصرخ وتقول:

-افتحوا الباب، هل يوجد أحد هنا . . . ؟

ولكن لم يأتها رد ، فحاولت أن تنظر من النافذة ولكنها كانت في مكان أشبه بغابة، فكرت بأن تهرب من النافذة ولكنها خافت أن تكسر قدمها لأنها في الدور الثاني .

فعادت مرة أخرى تنادي ولكن بلا جدوى، حاولت أن تتصل بتيمور أو دكتور توماس ولكن الاتصال كان معطلًا تمامًا .

ظلت تبكي وتصرخ إلى أن بحَّ صوتها ، وبعد قليل ظهر أمامها شخص ملثم، فنظرت له بخوف وهو يقدم عليها بخطوات ثابتة ومن ثم قال لها :

-يجب أن تعرفي أني لا أريد أن أؤذيكِ . . .

قالت له والخوف قد سيطر عليها وهي تكبح دمعها :

-إذن دعني أرحل من هنا ، أريد أن أذهب لأمي كي أطمئن عليها .

نزل من وقفته واقترب منها وقال وهو يمسح على شعرها :

–حسنًا ، إذا كنتِ تريدين الذهاب لأمكِ، فأعطني ما أريده منكِ .

ازداد خوفها وزحفت إلى الوراء وقالت:

–ماذا تريد مني . . . !

ضحك متهكمًا وهو يقترب منها ويضع يده على رأسها ، وبالأخص على الجهاز الملحق برأسها :

–ما أريده منكِ هنا ، هنا فقط .

قالت له بمنتهى الثقة وكأنها شعرت أنها ستتمكن من الخروج من المأزق:

–كل ما أعرفه موجود في الحقيبة التي سرقتها مني .

وقف وقال متهكمًا :

–وهل تظنين أني لو وجدته في الحقيبة لكنت أتيت بكِ إلى هنا . . . ؟ !

قالت له بمنتهى الثقة:

–أقسم لكَ أن كل ما يخص البحث موجود في الحقيبة، صدقني .

قال بغضب:

-أين الأكسير . . . ؟

قالت له ببلاها :

-وعن أي أكسير تتحدث . . . ؟ !

اقترب منها وأمسكها من شعرها وقال بحزم:

-أكسير الحياة، أين هو . . . ؟

قالت له متألمة:

-مع دكتور توماس، لقد سلمته له .

ومن ثم فك قبضته عنها ووقف يقول للرجل الضخم الواقف أمام الباب:

-اجلبه من الغرفة المجاورة .

ظهر أمامها دكتور توماس وهو مقيد اليدين، وتم إغلاق فمه بلاصق، فأقترب منه

وقام بإزالة اللاصق من على فمه وقال له:

-هيا اعترف، أين الأكسير ؟ إنها تقول إنه معك .

أقسم له دكتور توماس بتوتر :

-أقسم لكَ أنها لم تعطني شيئًا، حتى الأبحاث معها، هي لا تثق في أحد من الأساس.

ظلت شمس تنظر له بذهول وقالت:

-دكتور توماس! لم أتوقع أبدًا أن تكذب...

قال الرجل الملثم بضجر ونفاد صبر:

-كُفّوا عن أداء هذه المسرحية...

صرخت شمس وقالت وهي تهمُّ واقفةً:

-أقسم لكَ أني لا أكذب، الأكسير مع دكتور توماس، أرجوك دعني أرحل من هنا، أريد أن أطمئن على أمي.

أمسكها من يدها وسحبها ومن ثم ألقاها أرضًا وقال:

-دخول المكان ليس مثل خروجه أيتها العالمة...

قالت له متألمة من أثر السقطة:

-صدقني، لا أملك ما تريده، أقسم لكَ...

قال لها بتحدٍّ:

-أما مكِ فرصة يوم بطوله لتقولي لي أين الأكسير، أو تصنعيه لي .

بكت شمس وقالت:

-صنعه مستحيل . . .

قال متهكمًا وهو يهمّ بالخروج:

-ما دام صنعته مرة، فسوف تتمكني من صنعه مرة أخرى .

بكت شمس بانكسار وقالت:

-الأمر ليس كما تظن . . .

التفت لها قبل أن يغلق الباب وقال:

-آه، نسيت ! إن لم تقرري أن تبوحي وتقولي أين الأكسير أو تصنعيه لي، فسوف أضطر أن أفعل شيئًا يجعلك تندمين باقي عمركِ .

ومن ثم أغلق الباب وراءه، فظلت تبكي وهي تصرخ وتقول:

-أقسم لكَ ليس معي، بل مع دكتور توماس، اسألوا دكتور توماس وأطلقوا سراحي، أرجوكم . . .

ظلت تبكي إلى أن غلبها النعاس .

وبعد عدة ساعات استيقظت، وكان الظلام ما زال سائدًا .

نظرت من النافذة مفكرةً: هل تلقي بنفسها منها أم لا ؟ إلى أن قررت أن تقفز، ولكنها عندما فكرت أن تفتح النافذة وجدتها مغلقة وغير قابلة للفتح .

فقررت أن تستخدم الليزر الملحق بالجهاز الموجود بجوار عينها ؛ لطالما تساءلت فيما سوف تستخدمه عندما اشترته، وها قد آن الأوان بعد أن تأكدت أن الغرفة ليست مراقبة .

بدأت تحرك الليزر على حافة الزجاج بشكل مربع، وحركة الرياح ساعدتها على إلقاء اللوح باتجاهها لا باتجاه الخارج، فالتقطت لوح الزجاج برفق على صدرها ووضعته أرضًا ، ولكن الزجاج كان ما زال ساخنًا من أثر الليزر فاحترقت يدها ، ولكن لا يوجد وقت للتألم ! من ثم سحبْت مفرش السرير والستارة وقامت بربطهما في طرف السرير فهي لم تجد شيئًا آخر تربط به، وتمنت أن تساعدها خفة وزنها في عدم تحريك السرير فيصدر صوتًا .

وقبل أن تبدأ، قررت أن تأخذ حافظات الوسائد وتضعها على يدها وقدمها قبل أن تقف على حافة النافذة التي ما زالت بها حافة زجاجية، وكي تفعل ذلك قررت أن تقطع الحافظة بيدها ولكن صدر صوت، فانتبهت وتوقفت.

وفي تلك اللحظة سمعت صوت خطوات في الخارج، وتمنت ألا يأتي إليها، وبالفعل لم يأتِ أحد.

ومن ثم قررت أن تقطع بالليزر ولكنه كان يحرق القماش فكانت سرعان ما تضع يدها عليها كي لا تأكلها النار، وقامت بلف القماش على كفيها وقدميها، حينها تمنت لو كان حذاؤها النفاث معها لكان الأمر أسهل بكثير ولكن الخاطف أخذ كافة الاحتياطات.

وها هي بمجرد أن مسكت بطرف الملاءة كي تنزل من النافذة، بدأ السرير يتحرك شيئًا فشيئًا مصدرًا صريرًا، فهنا قررت أن النزول ببطء لن يفيدها فسحبت نفسها سريعًا لأسفل، فهذا أصدر صوتًا أعلى بكثير.

هنا همَّ الحارس لدخول الغرفة مسرعًا ففهم ما حدث، فاستخدم حذاءه النفاث كي يلحق بها من النافذة.

ها هي تجري في الغابة المظلمة لا تدري إلى أين هي ذاهبة، ولكنها تحاول جاهدةً أن تتصل بتيمور، ولكن لم تتمكن من الاتصال.

ما زالت تحاول وتحاول، والحارس في السماء يبحث عنها ولكنه لا يراها جيدًا، حينها قرر أن يفعل الرؤية الليلية ولكنها لم تفده لأن الأشجار تخبئ أغلب المكان، فقرر أن يفعل الرؤية الحرارية وقد كان، فقد استطاع أن يعرف مكانها وهمَّ بإمساكها، ولكن قبل تلك اللحظة كان الاتصال قد بدأ، وبدأت تسمع صوت رنين، ولكن بمجرد أن أمسكها كان تيمور قد رد ولم تقل شيئًا سوى:

-ساعدني يا تيمور، أنا . . .

هنا كان الحارس قد أغلق المكالمة، وقام بإعطائها حقنة منومة.

***

(7)

ها هي شمس تستيقظ لتجد نفسها في ذات الغرفة التي كانت بها منذ قليل، وتنظر للنافذة وتجدها قد أُغلقت بمادة فولاذية.

فنظر لها الرجل الملثم وقال لها:

-هذه المرة من فولاذ قوي يحتاج أدوات خاصة لقطعه كي لا تستطيعي الهرب...

حاولت أن تتحرك من نومتها، فضحك وقال:

-لن تستطيعي القيام يا عزيزتي لأنك مقيدة كما ترين.

هيا، سأبرم معكِ اتفاقًا: أفكُّ قيدكِ وتدليني على الأكسير أو تصنعيه لي، أم ستجعليني أضطر أن أسحب الجهاز من عقلك تمامًا وتكونين بلا ذاكرة...؟

بدأت تبكي وتحلف له:

-صدقني ليس معي، أقسم لكَ...

التفت لدكتور توماس وقال له:

-حسنًا يا دكتور توماس، فلتُبدأ إذن بسحب ذاكرتها...

نظرت له شمس باكية:

-دكتور توماس ! أَعطِهِ الأكسير أرجوك، ودعني أرحل من هنا . . .

بكى دكتور توماس وقال:

-لم تعطني شيئًا يا شمس، لو كنت أخذته لما كنت جعلت الأمور تصل لهذه المرحلة .

بكت شمس أكثر وقالت:

-لم أكن أتوقع أن تكون كاذبًا وتغدر بي يا دكتور توماس، لم أتوقع ذلك .

من ثم قال الرجل الملثم بجدة لدكتور توماس:

-هيا ، قم بتخديرها وسحب جهاز الذاكرة الخاص بها ، يبدو أنها لن تتوقف عن التمثيل وسوف تضيع وقتنا .

اقترب منها دكتور توماس ويظهر على وجهه ملامح الندم، ومن ثم وكزه الرجل الملثم وقال بعنف:

-هيا ، ليس لدينا وقت لهذه الدراما .

ومن ثم قام دكتور توماس بتجهيز حقنة التخدير .

تنظر له شمس والدموع تنهمر من عينها ولم تقل له شيئًا هذه المرة، فنظرة عينها قالت كل شيء بداخلها تجاهه.

وبمجرد أن قام بغرس الحقنة في يدها، سمعوا صوت اقتحام وقتال بين الحراس في الخارج، وسرعان ما دخل الغرفة أربعة رجال ضخام ومعهم رجل خامس،

وبمجرد أن دخل الرجل الخامس همست شمس وهي تفقد الوعي:

-ت...

***

(8)

فتحت شمس عينها وهي تشعر بالدوار، فوجدت نفسها في سيارة مع تيمور

فقالت:

-تيمور ! ماذا حدث . . . ؟

التفت لها وقال بلهفة وهو يلمس شعرها :

-حمدًا لله على سلامتك يا حبيبتي، أخي تامر اتصل بي كثيرًا وقال لي إنكِ

تعرضتِ للاختطاف، فقمت بالسفر إلى أمريكا وظللنا في انتظار إشارة كي نجدكِ

إلى أن جاءني اتصالكِ وعرفت موقعكِ وجئت كي أنقذكِ .

ابتسمت له شمس وهي ما زالت تشعر بالدوار:

-يعني عرضتَ حياتك للخطر من أجلي يا تيمور . . . !

لمس خدها وهو يقول لها :

-أنا أرمي نفسي في النار من أجلكِ يا شمس، أنتِ لا تخيلين كم أحبكِ .

وفي هذه اللحظة، انقلبت الموازين ! خرجت السيارة عن السيطرة وسقطت من

علٍ .

(9)

شمس تفتح عينيها لتجد نفسها في مستشفى، تنظر لكل شيء بحيرة وعدم استيعاب، فاقتربت منها الممرضة وبابتسامة قالت لها:

-حمدًا لله على سلامتك، الله يحبك فلقد كتب لكِ عمرًا جديدًا .

نظرت لها شمس وقالت:

-ماذا حدث . . . ؟ وأين أنا . . . ؟

-لقد فقدت سيارتكِ السيطرة فسقطت أرضًا ، كان حادثًا أليمًا ولكنكِ نجوتِ منه بأعجوبة .

نظرت لها شمس بحيرة أكثر وقالت:

-ولكن أين أنا ؟ أو بالأصح، من أنا . . . ؟ أشعر أني لا أتذكر شيئًا .

اقتربت منها الممرضة وقالت بلين:

-إصابتكِ كانت شديدة وكنتِ في غيبوبة لمدة يومين، واضطررنا لإزالة جهاز الذاكرة والتواصل لأنه تعرض للتلف أثناء الحادث .

بدأت الدموع تنهمر من عيني شمس وقالت:

-وكيف لي أن أعرف من أنا وكيف كانت حياتي، كيف . . . ؟

دخلت هنا الطبيبة وقالت برحابة:

-حمدًا لله على سلامتك، أووووه، لماذا تبكين . . . ؟

لم ترد شمس بسبب الغصة التي تشعر بها ، فأوضحت لها الممرضة وقالت مطمئنة إياها :

-نحن كنا في انتظار إفاقتكِ كي نقوم بتصويركِ ورفع صورتكِ والفيديو الخاص بحالتكِ، وأكيد أقاربكِ سوف يتواصلون معنا .

***

وفي المساء، سمعت شمس من يطرق بابها فسمحت له بالدخول، فكانت الممرضة وقالت لها :

-يوجد من يريد زيارتكِ .

فأومأت لها شمس كي يتفضل، وهناك دخل دكتور توماس .

بمجرد أن رأته شمس، لم يظهر على ملامحها سوى التعجب وهي تحاول أن تذكر من أمامها . وهنا قطع تساؤلاتها الداخلية الكثيرة وقال:

-شمس، بنتي العزيزة، حمدًا لله على كونكِ بخير.

وهمّ كي يضمها، وهنا قالت شمس بتعجب:

-أنتَ أبي...؟

أخرجها من حضنه وقال لها بحنو وهو يجلس على الكرسي المجاور لسريرها:

-لا يا حبيبتي، لستِ ابنتي.

قالت له بتعجب وصل لمرحلة الإنكار:

-لا تقل لي إني زوجتكَ...!

ضحك دكتور توماس وقال:

-هههههه، لا، لست أنا من أحب من هن في عمر ابنتي إذا كنت تزوجت!

قالت له بحيرة ونفاد صبر:

-حسنًا، من أنا ومن أنتَ؟ وأين أنا؟ أنا لا أعرف ولا أفهم شيئًا...!

ربَّتَ على يدها وقال لها بهدوء:

-سأحكي لكِ كل شيء يا شمس، ولكن تحلي بالصبر.

حكى لها بداية تعارفهما ومشروعه واختراعها وسفرها من مصر إلى أمريكا واختطافهما وقال:

-وبمجرد أن خدرتكِ، دخل مجموعة من الرجال الضخام وقاموا بضربي وفقدتُ الوعي.

وبعد فترة استيقظتُ فجَدْتُ نفسي في البيت الذي تم اختطافنا به بمفردي، لا وجود لأحد من أفراد العصابة الذين قاموا باختطافنا ولا العصابة التي دخلت وهجمت على الموجودين.

كنت أشعر بدوار رهيب وحاولت أن أتمالك نفسي وخرجت ومشيت في الغابة إلى أن تمكنت من الحصول على شبكة للتواصل مع سيارتي كي تأتي لي، وطوال طريقي كل شغلي الشاغل أن أصل إليكِ، ولكن لم استطع أن أتواصل معكِ.

هنا اكتشفت شمس أن حياتها لم تكن سهلة بل مليئة بالمغامرات، حينها تمنت في قرارة نفسها لو كانت حياتها حياة بسيطة مثل أي بنت تهتم بذاتها وجمالها وتجعل شابًا يقع في شباكها وتتزوجه وتنجب وكفى، وأقصى همها أن يزيد زوجها المصروف.

قاطع دكتور توماس شرودها وقال:

-شمس، هل أنتِ معي . . . ؟

أومأت له برأسها أي نعم، فأكمل كلامه:

-حينها قررت أن أذهب للمعْمل الخاص بي، ووجدته قد قُلِبَ رأسًا على عقب أكثر مما تركته بعدما هجمت عليَّ العصابة كي يخطفوني، وهذا يدل على أنهم جاءوا مرة أخرى وبحثوا في كل أركان المعمل وقد تمكنوا من الوصول للأكسير وأهم أوراق البحث .

كنت أعلم أن هذا البحث لن يمر مرور الكرام وهنالك من سيمكر بنا ، لذا وضعته في مكان خاص في المعمل، ولكنهم يبدو يمتلكون تقنية تكشف لهم مكان ما يبحثون عنه وهم في داخل المكان .

نظرت له شمس وقالت:

-ولِمَ أنكرتَ أن الأكسير معك ؟ لِمَ قلتَ لهم إن الأكسير معي وأنت تعلم أنك بذلك تعرضني للخطر . . . ؟

-لأني أعلم أنهم خونة وسوف يغدرون بنا وقد يؤذونكِ في كل الحالات .

-ولكن من فعل بي كل ذلك، وما الدافع كي يؤذيني شخصيًا . . . ؟

نظر لها دكتور توماس نظرة توحي بكم الضياع الذي يشعر به:

-صدقيني، لا أعلم، و . . .

ولكن سرعان ما أضاءت فكرة في باله وقال بحماس:

-ولكن يمكنني أن أساعدكِ كي نعرف .

-ولكن كيف . . . ؟ !

وقف متحمسًا وقال:

-سأعرف من المشفى متى يسمح لكِ بالخروج وسوف أقول لكِ كل شيء .

***

بعد قليل، دخل عليها دكتور توماس وقال لها وقد اختلطت ملامح الفرحة والحيرة في آن واحد :

-شمس، يمكنكِ أن تأتي معي الآن . ولكن كيف . . . ؟

نظرت له شمس وقالت:

-ماذا . . . ؟

-كيف مررتِ بهذا الحادث المروع ولم يصيبكِ أي مكروه. . . ؟ !

ضحكت شمس وقالت:

-هل تحسدني يا دكتور توماس. . . !

قال لها موضحًا وهو يقترب منها:

-ولكن كيف ؟ جسدكِ لا يوجد به خدش واحد. . . !

هنا احتارت شمس بدورها وقالت:

-الطبيبة قالت لي إني كنت في غيبوبة ليومين وجهاز الذاكرة تلف من أثر الحادث.

فقال لها دكتور توماس بعدم اقتناع:

-وهذا كلام يقنع طفلًا صغيرًا ؟ ! كيف أقنعكِ أيتها العالمة. . . ؟

قالت شمس وهي تهمّ من سريرها:

-شكلك أنتَ من فقدتَ الذاكرة لا أنا، أنسيتَ أني لا أتذكر شيئًا عن هويتي وحياتي. . . ؟

أومأ لها بدون أن يتكلم وكأنه شارد في عالم آخر، فقالت له:

-فمَ تفكر ؟ هل تريد أن تذهب وتسأل الطبيبة القائمة على حالتي. . . ؟

قال لها بثقة وحزم:

-لن تقول لي شيئًا سوى ما قالته لي ولكِ، وأنا سوف أعرف بطريقتي .

-ولكن كيف . . . ؟

-ستعرفين بعد قليل . . .

***

(10)

في بيت دكتور توماس، ها هو يتناول العشاء مع شمس ومن ثم قال لها :

-هيا ، سأكشف لكِ عن شيء لم أقل عنه لأحد طوال هذه السنوات .

قالت له بدهشة:

-وما هو هذا الشيء . . . ؟

سحبها من يدها بلهفة وقال لها :

-سوف ترين بعينكِ الآن . . .

ومن ثم دخل غرفة مكتبه وأمسك بروازاً موضوعًا على المكتب، فقالت له شمس:

-هل هذه الصورة هي التي تريدني أن أراها . . . ؟

قال لها توماس بثقة:

-بالطبع لا، ما زلتِ كما أنتِ، لا تعرفين الصبر بتاتًا ، فكم تشبهينها !

اقتربت منه شمس وسألته:

-هل هذه صديقتك التي حكيت لي عنها وأنا في المشفى . . . ؟

التمعت عينا توماس وقال:

-نعم، أنتِ تشبهين فريدة كثيرًا .

-هل هي عربية كذلك . . . ؟

ابتسم وقال لها :

-ألم أقل لكِ إن لي تجارب مع العرب وسوف أحكي لكِ ؟

قالت له بثقة وغيرة أنثوية -فالمرأة مهما كانت لا تحب أن يتم تشبيهها بامرأة أخرى، ولو وجد شبه يجب توضيح بأنها أجمل بالتأكيد -:

-بصراحة أنا أجمل، هي أشبه بالرجال، و . . .

قاطعها توماس بحدة وقال:

-أولًا ، هذه صورتنا ونحن مراهقون فلا تحكمي عليها بأنها تشبه الرجال، بل شخصيتها ليس لها مثيل ! وفي هذه الصورة كنا في رحلة ومغامرة، أظن أنه من غير المناسب أن ترتدي مثلًا فستانًا أو تهتم بوضع طلاء الأظافر في وقت كهذا .

-مهلًا مهلًا يا دكتور توماس، لمَ كل هذا الدفاع عنها . . . ؟

أشاح بنظره وهو يحاول أن يتمالك نفسه لكيلا تسقط دمعة من عينه وقال:

-أدافع عنها لأني لم أجد مثلها قط في حياتي؛ فريدة اسمها ، وكانت فريدة بالفعل في كل شيء ، ليس لها مثيل، وأنا من حبي لكِ أشبهكِ بها .

قالت له بجيرة:

-هل تحبني يا دكتور توماس . . . ؟

نظر لها ومن ثم نظر من جديد إلى الصورة وقال:

-أحبكِ أكيد ، ولكن حبي لكِ كحب أب لابنته، بينما حبي لفريدة كان حبي الأول والأخير .

غمزت له شمس وقالت مداعبةً إياه كي تغير جو الحديث قليلًا :

-هل تريد أن تقنعني أن دكتور وسيمًا مثلك ليس له أي تجارب في الحب سوى الست فريدة هذه . . . !

جلس على الكرسي الموجود بجوار المكتب وقال وهو يهيم عشقًا بتفاصيل فريدة في الصورة:

-من جرب حب فريدة لن يذوق حبًا مثل حبها ! أتعرفين، حب فريدة مثل ماذا . . . !

أومأت له شمس أي لا كي يكمل كلامه:

-أكل الأم.

ضحكت شمس بشدة، فقال لها موضحًا:

-لِمَ تضحكين؟ مهما نأكل من أمهر الطهاة يظل أكل الأم لا مثيل له، ومهما يمر العمر لا نجد نفس طعم أكل الأم في مكان آخر! فها أنا ظللت أبحث عن طعم الحب مثل الذي ذقته في حبي لفريدة ولم أجده، ويمكنني أن أقسم لكِ أني لن أجد مثله أبدا.

جلست شمس أمامه وقالت بعدم اقتناع:

-ولِمَ أنت واثق هكذا...؟

-لأن الفكرة بأولوية الشيء؛ تجربة الشيء لأول مرة لا تنسى.

الفكرة الأولى عن الحب والإعجاب تكونت بداخلي تجاه فريدة، تخيلي هذه الفكرة سنين ترسخت في عقلي أن الحب لفريدة، الانجذاب لفريدة، مستقبلي لفريدة، لذا عقلي تبرمج على حبها، وحتى عندما أجرب أن أخوض تجربة حب مع امرأة غيرها حينها أكون أبحث عن فريدة بهن، ولكن للأسف لم أجد من تعوضني عنها.

-لذلك مهتم لأمري لأني أذكرك بها.

-بصراحة، ألمس فيكِ شيئًا من ريحها ، ولكن فريدة ذاتها أيقونة صعبة التكرار .

قالت شمس وهي تتصنع الضجر ممازحةً إياه:

-يا ربي ! كلُّه فريدة فريدة فريدة ! ساحرة لكَ أكيد ! أنا عربية مثلها وأقول لكَ:

نحن نفعل ذلك .

ضحك وهمَّ واقفًا وقال:

-نظرة عيونكم العربية وشخصيتكم كفيلة أن تسحر وتسيطر على أي قلب

وتتحكم به .

-حسنًا ، هيا قل لي، ماذا كنتَ تريد أن تريني . . . ؟

نظر لها ومن ثم لمس الصورة لمدة ثوانٍ فتم إضاءة علامة بصمة على زجاج الصورة،

ومن ثم تحرك المكتب فكشف عن سطح معدني تحت السطح الخشبي للأرضية .

وهنا نظرت شمس بذهول، فقام بخلع حذائه فسألته:

-ماذا تفعل . . . ؟

فقال لها متهكمًا:

-أكيد لا أستعد لكي أتوضأ وأصلي، فأنا مسيحي كما تعلمين .

ضحكت شمس ومن ثم ركزت معه فقام بلمس مكان معين ببصمة قدمه ففتح المكان، فانكشف سلم معدني يأخذهم لمكان سري .

نزل السلم فتبعته شمس، ومن ثم بمجرد نزولها قالت له:

-ألم يكن بمقدورك أن تخبئ الأوراق المهمة والأكسير هنا . . . ؟

استمر دكتور توماس في المضي قدمًا وهو يقول لها بثقة:

-وهل تظنين أني لم أكن أنوي ذلك ؟ بالفعل كنت أريد أن أفعله، ولكن بمجرد خروجكِ من المعمل قاموا بمهاجمتي تلك العصابة، فلم يكن لدي وقت كي أخبه هنا .

ومن ثم قطع كلامه بمجرد أن رأى الجهاز على المكتب وقال بلهفة:

-ها هو . . . !

اقتربت شمس وهي تهمُّ كي تمسكه وقالت:

-ما هذا . . . ؟

-هذا جهاز السفر عبر الزمن .

-أنتَ من اخترعته . . . ؟

-نعم، منذ سنوات عديدة، ولكني لم أرغب أن أعلن عنه .

-ولماذا ؟ إنه سيحدث طفرة و . . .

قاطعها وقال بحسرة:

-لأنه مثلما هو جهاز يجمعنا بمن نحبهم، أحيانًا يكشف لنا أشياء كان من الأفضل أن تظل مخفية عنا .

-مثل ماذا . . . ؟

-فريدة . . .

قاطعته شمس ممازحةً إياه:

-شكلنا اليوم ليس لنا سيرة سوى الست فريدة !

ابتسم دكتور توماس ومن ثم أكمَل:

-فريدة في آخر فترة كنا بها سويًا ، علمت أن الدكتور جون صنع لها جهاز السفر عبر الزمن كي تقابل والدها الذي فارقها ، وبعد سنوات افترقنا أنا وفريدة، أنا سافرت أمريكا وهي سافرت مصر ، وهنا اشتقت لها كثيرًا وانقطع كلامنا وهي انشغلت في حياتها ، وأنا بمجرد أن علمت أنها خطبت قررت ألا أظهر في حياتها ،

فشعور صعب أن تشعر أنك تفرض نفسك على أحد ، ولكن كان لدي أمل أن تختارني في يوم، ولكن بمجرد أن خطبت قررت أن انسحب .

ولكن قررت أن أتحدث مع دكتور جون أن يصنع لي جهازاً مثل الذي كان مع فريدة، ولكني علمت أنه توفي .

فهنا قررت أن أصنع جهازاً بنفسي و . . .

-وفمَ ستحتاجه يا دكتور توماس، فمَ ! أتريد أن تصنع جهازاً كي تقابل من لم تحبك قط، وهذا بدل أن تحاول أن تمحيها من ذاكرتك ؟

قال لها بأسى:

-الحب إدمان، بل هو أخطر أنواع الإدمان يا شمس؛ تعلمين الحقيقة وترينها في عين من أمامك ولكنكِ تكذبين كل ذلك وتصدقين نبض قلبك الذي ينبض لأجل من يحب، هو وحده وكفى .

اقتربت منه شمس وهي تشعر بأسى على حاله وقالت:

-ألا تريد أن تنساها بعد كل هذا ؟

ابتسم ابتسامة مكسورة وقال:

-أتعلمين ؟ ذكريات حبي لها هي ما تجعلني على قيد الحياة إلى الآن، ألم أقل لكِ إن قلبي ينبض لأجلها هي وحدها ؟

-حسنًا ، وفيمَ كنت تستخدم هذا الجهاز بالتحديد . . . ؟

-كنت أرجع به إلى الماضي كي أشعر بقربها وباللحظات التي عشناها سويًا .

-ولِمَ لا تسافر للمستقبل مثلًا . . . ؟

-في مرة فكرت، ولكني وجدتها تزوجت، فكان السفر للمستقبل وأرى حياتها التي لا تحتوي حتى على طيفي كانت تؤلمني كثيرًا، لذا فضلت الماضي، فالماضي لطالما نشعر أنه أهون بكثير وأقل رعبًا من المستقبل الذي يخبئ لنا أشياء لا تخطر على البال .

قالت له شمس محاولةً أن تغير مجرى الحديث:

-حسنًا ، والآن ماذا سنفعل . . . ؟

-سنرجع بالزمن منذ أن خرجتِ من عندي في المعمل ونركز على التفاصيل .

من ثم طلب من شمس أن تضع بصمتها في الجهاز كي يكون لها صورة هولوجرامية ومن ثم لنفسه، وكتب التاريخ، وفي غمضة عين كانا في المعمل ولكنهما فعلا خاصية ألا يراهما الآخرون.

ركزا في كل التفاصيل، ولكن من هجموا على المكان كانوا ملثمين وضخام البنية إلا شخص بنيته عادية وهو كان من يعطيهم الأوامر.

من ثم رجعا بالوقت وتتبعا لحظة خروج شمس من المعمل إلى أن وصلت أمام المطعم وركزا في تفاصيل الهجوم، وفي تفاصيل الشاب الملثم الذي سحب منها الحقيبة، وهما يركزان في هذه التفاصيل خطفت عين دكتور توماس ساعة تامر، ومن ثم نظر لشمس وقال لها:

-ألم تلاحظي شيئًا . . . ؟

أومأت له بإنكار أي لا . . .

من ثم كتب وقت وقوع الهجوم في معمله مرة أخرى، ومن ثم أشار لها على الشاب الملثم الذي يعطي الأوامر وقال لها بدهشة:

-انظري، إنه نفس جسم تامر تمامًا ! بل ركزي، نفس الساعة !

هنا صدمت شمس وقالت بحيرة:

-ولِمَ يفعل ذلك . . . ؟ لِمَ . . . ؟ !

ومن ثم قطع دكتور توماس تساؤلاتها وقال لها وهو يكتب عنوان المكان الذي تم اختطافهم به:

-لا تتعجلي، سوف نربط الخيوط ببعضها وسنعلم كل شيء .

وهنا ركزا ووجدا نفس الشخص بنفس الساعة، ومن ثم تتابعت الأحداث ولكنهما قاما بتعديل السرعة فصارت الأحداث تتوالى سريعًا إلى أن جاءت لحظة الاقتحام من العصابة الأخرى، فأسقط الرجال المقتحمين من كان موجودًا بالغرفة إلى أن جاء الدور على دكتور توماس وسقط مغشيًا عليه، ومن ثم التفت الشاب الذي دخل مع العصابة التي قامت بالاقتحام فقام بالاقتراب من شمس التي همست: "ت . . . " وأغمى عليها ، ومن ثم اقترب من تامر ورفع القناع عن وجهه وهمَّ واقفًا :

-هيا يا أخي لكي ننفذ الجزء الثاني من الخطة، خذ أنت هذا الجهاز سيساعدك على البحث في المعمل وكشف مكان الأكسير، بينما أنا سأتولى أمر شمس .

قام الرجال من على الأرض وهموا خارجين مع تامر، وهنا أدرك دكتور توماس وشمس أنهم كانوا يمثلون وليس هجومًا حقيقيًّا، ولكن في تلك اللحظة الأصوات كانت كفيلة أن توحي له بالخطر -فبالإيحاء هناك شعوب تسيطر على شعوب أخرى بمجرد أوهام-.

الهجوم الحقيقي الوحيد كان على دكتور توماس، وبمجرد أن أغمى عليه حينها، همَّ تيمور بحمل شمس.

ومن ثم خرج بها ووضعها في السيارة، ومن ثم ها هي شمس ودكتور توماس يسمعان الحديث الذي جرى بينها وبين تيمور، وهنا صدمت شمس عندما علمت أنها أحبت شخصًا والشخص الذي كان يتصنع أنه حبيبها هو من مكر بها!

وها هو قام بجعل السيارة تميل على جانبها تجاه شمس، ظل يضغط على أكثر من زر يمثل أنه يصلح الأمر ويجعله تحت السيطرة، ولكن في حقيقة الأمر أنه أوقف القيادة الذاتية ولكنه سمح للوسائد الهوائية بالعمل وترك السيارة بعد أن ضغط على زر انبعاث غاز منوم.

وبدأت السيارة تهوي بينما هو فتح الباب وطار بحذائه النفاث.

وها هو يرى السيارة مهشمة وينظر لجثة شمس التي قام بإخراجها وألقاها أرضاً غير مكترث ولا متأثر لما حدث الآن، كل ما يهمه أن تأتي سيارة الإسعاف ويذهب بها للمشفى، وهنا قال للطبيبة:

-ها، مثل ما اتفقنا، وبمجرد أن تسلميني الذاكرة سأحول لكِ باقي المبلغ.

هنا انهارت شمس وهي تشاهد كم المكر والغدر فانهارت باكية، فضمها دكتور توماس وضغط زر العودة مرة أخرى لبيته.

انهارت شمس أكثر وأكثر وقالت:

-لَمَ حدث معي كل ذلك، لَمَ الغدر يا دكتور توماس؟ لَمَ، لَمَ الكذب والخداع، لَمَ...؟!

ضمها بقوة كي تهدأ دقات قلبها الذي انفطر من شدة الصدمة، قال لها وهو يمسح على شعرها ويقبل رأسها:

-الدنيا مؤلمة يا بنيتي، مؤلمة لدرجة لا يمكن وصفها.

-يعني الشخص الذي لي في الحياة هنت عليه لهذه الدرجة...؟!

أمسكها من يدها وجعلها تجلس وطلب من الروبوت أن يحضر لها عصيرًا وقال لها بأسى:

-لذلك لم أرغب أن يعرف أحد عن هذا الجهاز، لأنه يجعلنا نعرف أشياء مخفية عنا، ويكشف لنا حقيقة وجوه من حولنا فحينها نصدم صدمة كبيرة.

من ثم أخذ العصير من الروبوت وقال لها:

-اهدئي يا عزيزتي، أنا هنا معكِ، وكذلك أمكِ تحبكِ.

هنا حاولت شمس أن تتنفس بهدوء وقالت وهي تمسح دمعها:

-وأين هي؟ احكِ لي عنها.

بدأ يحكي لها ما يعرفه عن أمها وكيف وجدتها هي وأبيها والحادث الذي مرت به، إلى أن وصل في الحديث إلى أن أمها كانت قلقة عليها من أن تسافر وتتركها وحدها، وأن شمس لم تستطع أن تصل إليها وجهاز المراقبة لم يرسل لها أي صورة عما يحدث في البيت.

وهنا شمس بمجرد أن سمعت هذا الأمر نسيت ما فعله تيمور بها وفكرت فيما هو أهم، ألا وهي أمها وقالت:

-أريد أن أعود حالاً إلى مصر، أريد أن أطمئن على أمي .

وقف دكتور توماس وقال لها :

-ماذا عن تيمور الذي أخذ الأكسير والذاكرة و . . . ؟

همت شمس بفتح الباب وهي تقول:

-كل هذا لا يهم، أريد أن أطمئن على أمي حالاً .

لحق بها وقال لها بلهفة:

-سآتي معكِ إلى الفندق وسأسافر معكِ فأنتِ لا تتذكرين شيئًا .

وقبل أن تخرج من باب بيت دكتور توماس، التفتت له وقالت:

-خذ جهاز السفر عبر الزمن فيمكن أن نحتاجه فيما بعد .

***

(11)

دخلت شمس البيت وهرعت مسرعةً وهي تنادي على أمها بقلق يشوبه أمل أن تسمع صوت أمها أو أن تهل عليها ، ولكن ها هي الثواني تمر، وها هي تمضي قدمًا في البيت ولا تجد أمها ، وكلما تخطو خطوة للداخل يقل الأمل، إلى أن وصلت لغرفة أمها ووجدتها ملقاة على طرف السرير، وهنا قلَّ مستوى الأمل من داخلها إلى أن وصل لليأس .

حينها جلست شمس بجوار أمها التي رُسِم على ملامحها ملامح الرعب والألم وهي تهزها :

-أمي ! استيقظي يا أمي .

ولكن لا يوجد نبض ولا نفس .

التفتت لدكتور توماس الذي وقف مصدومًا من المشهد الذي أمامه:

-دكتور توماس، إنها لا ترد عليَّ، ماذا أفعل الآن، ماذا أفعل . . . ؟ !

ومن ثم ضمت أمها وبكت بشدة وقالت وهي تنوح:

-لَم تركتكِ، لَم . . . ؟ لَم لم أسمع كلامكِ وأظل معكِ يا أمي، يا آخر سند لي في الحياة؟ لَم تركتني وحيدة يا أمي، لَم . . . ؟

اقترب منها دكتور توماس وبدأ يربت على كتفها وقال:

-أنا هنا معكِ دائمًا يا شمس، ولن أتركِ صدقيني .

التفتت له شمس بغضب واعتراض باكيةً:

-لَم حدث معي ذلك يا دكتور توماس، لَم . . . ؟ لَم أظل عمري كله أسعى لصنع أكسير كي تعود أمي معافاة وتتخلص من الشريحة التي تتحكم في حركة جسدها، بل وكي تظل خالدة معي طوال العمر ولا أُحرم منها لحظة واحدة . . . ؟

حاول دكتور توماس تهدئتها وقال:

-لله حكمة في ذلك، نحن لا نعلمها و . . .

وقفت وزادت حدة غضبها وقالت باكية صارخة بهستيريا :

-لَم يفعل بي الرب ذلك، لَم . . . ؟ ! لَم حرمني من أهلي الحقيقيين ؟ ولَم وهبني لأب كان يكرهني ولم يحبني قط، والأم التي ربتني وسعيت أن أفني عمري في سبيل العلم واختراع شيء يحافظ عليها لأنها الوحيدة التي أحبتني بدون سبب . . . ؟ !

اقترب منها وحاول أن يمسكها وينظر لعينها لتهدئتها ، ولكنها أبعدته عنها وقالت صارخة:

-لَمَ تركني الرب أمضي كل هذه السنين وفي النهاية كل شيء يتحول لسراب . . . ؟ لمَ عندما احتجت بالفعل أن أستغل الأكسير ضاع مني ؟ لمَ حظي هكذا ؟ لمَ، لمَ . . . ؟ !

ومن ثم سقطت على الأرض منهارةً باكيةً، فجلس بجوارها وضمها وهو يمسح على شعرها وقال:

-صدقيني، كل شيء في الحياة لحكمة، ونحن لا نرى سوى جزء من الحقيقة، ولكن مع الوقت سيكشف الرب لنا الحقيقة كاملة .

ومن ثم قال لها وهو يخرج جهاز السفر عبر الزمن من جيبه محاولًا أن يخرجها من تلك الحالة:

-يمكننا استخدام الجهاز لكي نعرف كيف تمت هذه الجريمة .

ظلت شمس في حضنه منهارةً لا تنطق بكلمة .

وضعت بصمتها على الجهاز، ومن ثم ها هما في البيت، وكانت سمية في غرفتها تشاهد فيلمًا بتقنية الهولوجرام حيث يظهر الممثلون مجسمين أمامها ، ولكن فجأة سمعت صوتًا في الخارج، فقررت أن تطلب الروبوت ولكن جهاز الاتصال الخاص بالأوامر لم يعمل، فقررت أن تخرج وترى من بالخارج.

ولكنها قبل أن تخرج من غرفتها وجدته أمامها ، فصارت ترجع للوراء إلى أن اصطدمت بحافة السرير فسقطت .

وهنا اقترب منها ولف جسدها وصار وجهها مكتومًا في مرتبة السرير، وقام باستخدام أشعة الليزر من الجهاز الموجود بجوار عينه، وسلط أشعة الليزر على مكان النخاع الشوكي في عمودها الفقري، ونقطة الاحتراق تزيد أكثر وأكثر، والنار تأكل لحمها وعظمها وهو يضغط أكثر على وجهها كاتمًا صوتها وهو يقول لها بكره:

-يجب أن تموتي مثلما قتلتِ أبي ! موتي أيتها المجرمة، موتي .

ومن ثم عندما توقفت عن الصراخ هنا علم أنها ماتت من الخنق ومن شدة الألم، ومن ثم قلبها وجعل وجهها مواجهًا له وقال:

-تستحقين أن تتعذبي في نار الجحيم .

ومن ثم بصق على وجهها وخرج.

وبعدها دخل مكتب ومعمل شمس وسحب كل أوراقها وأدوات المعمل كافة ونقل كل ذلك في سيارته ورحل.

هنا نظرت شمس لدكتور توماس وقالت له:

-إنه تيمور يا دكتور توماس، أليس كذلك...؟

-إنه ملثم ولكنه نفس بنيته، وأكيد هو من فعل ذلك؛ استغل يوم سفركِ وجاء فهجم على والدتكِ.

-ولكن كيف فعل ذلك، ولمَ...؟

-أكيد اخترق جهاز الإنترنت الخاص بالبيت وعطل كل الأجهزة المرتبطة به، سواء مراقبة أو حتى اتصال؛ لأنه مرتبط بشبكة الإنترنت، لذلك لم تستطيعي أن تصلي لأمكِ ولم تستطيعي أن ترَيها في كاميرات المراقبة، وانتظر إلى أن حل المساء وقام بهذا الهجوم...

قاطعته شمس وقالت باكية بحسرة:

-ولكن لمَ...؟!

ضمها وعادا بالزمن وقال لها :

–سنعرف كل شيء يا عزيزتي صدقيني، ولكن الآن يجب أن نبلغ الشرطة بهذه الجريمة .

هل تريدين أن تقولي للشرطة ماذا جرى لكِ في أمريكا واتهامكِ لتيمور . . . ؟

نظرت شمس لأمها والدموع تنهمر من عينها ، ومن ثم مسحتها بقوة معلنة الحرب:

–دع الشرطة تقوم بدورها ، وحتى وإن سجلوها ضد مجهول لا يهمني، لأني أريد أن آخذ حقي بيدي لأن هذا سيطفئ النار التي في قلبي .

اقترب منها دكتور توماس وقال:

–ولكن يا شمس، لا يصح أن نتعامل مع الخطأ بخطأ مثله .

–هذا عندكم يا دكتور توماس؛ من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الآخر، بينما أنا مسلمة بالوراثة وعندي رخصة القصاص وسوف أستغلها ، والبادئ أظلم .

–ولكن القانون يمكن أن يرد لكِ حقكِ . . . !

–دكتور توماس، هذا سوف يريحني، فإذا أردت أن تكون معي كن معي، ولكن لا تعترض على رغبتي، بينما إذا أردت الرحيل فارحل كما رحل الجميع وتركوني .

ضمها دكتور توماس وقال مطمئنًا إياها :

-بل سأظل معكِ، صدقيني لن أخذلكِ أبدًا ، فمن اجترع من كأس الخذلان لا يحب أبدًا أن يسقيه لغيره .

***

(12)

في صباح اليوم التالي، أيقظ دكتور توماس شمس وهو يقول لها :

-شمس، استيقظي .

قالت شمس بصوت ناعس ومتألم بيأس:

-أرجوك اتركني أنام، فأنا لم أستطع أن أنام إلا منذ قليل .

قال لها وهو يرفع الغطاء عن رأسها :

-هذا خبر لا يمكن أن أؤجله . . .

حاولت أن تفتح عينيها ، ولكن بمجرد أن رأت صورة الخبر من الشاشة المنبثقة لجهاز دكتور توماس، همَّت مفزوعة وفتحت عينيها عن آخرها في حالة صدمة:

-تيمور . . . !

جلس أمامها دكتور توماس وقال لها :

-أهدئي أولًا وسوف نفهم كل شيء .

قالت شمس بحدة وهي تعدل شعرها بعنف:

-أفهم ماذا . . . ؟ ! كل شيء واضح وضوح الشمس؛ إنه لص وسارق تقرب مني كي يسرق مشروعي وينسبه لنفسه .

وما هذا المكتوب . . . ؟

اقتربت ودققت في تفاصيل الخبر وقالت وهي تقوم بالقراءة ورفع الجمل واحدة تلو الأخرى:

-ما هذا . . . ؟ ! ولقد استخدم الأكسير في إعادة والده للحياة . . . !

ومن ثم نظرت بتعجب لدكتور توماس وقالت:

-سرق الأكسير كي يعيد والده للحياة الذي قال إن أمي هي من قتلته . . . ؟ !

أومأ لها دكتور توماس فأكملت تصفح الخبر إلى أن وصلت لصورة جثة أبيه في المشرحة وصورة أبيه بجواره، وهنا صعقت وقالت:

-إنه . . . إنه حسن . . . !

نظرت له بعدم استيعاب فقال لها :

-إنه أبوكِ، الرجل الذي حكيتُ لكِ عنه وعن والدتكِ، ولطالما قلتِ لي إنه لا يحبكِ .

سألته بعدم فهم:

-آه، قلتَ لي ذلك، ولكن لمَ لا يحبني . . . ؟

-لأنه كان يظن أنكِ نحس وسبب خراب كل شيء، لأن في اليوم الذي وجدكِ فيه تعرضا لحادث، وكان يغير من حب أمكِ لكِ، لذا كان ينتقص منكِ دائمًا ويكرهكِ، لذا أنتِ بدوركِ تجاهلته واعتبرتِ أنكِ يتيمة الأب منذ طفولتكِ.

وقفت شمس وهي تحاول أن تربط الخيوط ببعضها:

-ولكن كيف هو أبو تيمور . . . ؟!

ظل يدور في الغرفة يفكر وهو يقول:

-الذي أعرفه أن حسن وأمكِ لم ينجبا لسنين كثيرة، ويمكن هذا دفعه أن يتزوج في السر وينجب من امرأة غير أمكِ، ففكرة الرجل المخلص الوفي هذه صعب أن تكون في الواقع، وخاصة من شخص حقير مثل حسن.

-سوف نتأكد من كل ذلك من خلال الجهاز، ولكن أهم شيء يجب أن نعرفه، هل قتلت سمية حسن بالفعل وما الدافع وراء ذلك . . . ؟

كتبا تاريخ يوم وفاة حسن الذي حصل عليه دكتور توماس من صفحة شمس على وسائل التواصل الاجتماعي، وذلك لأن شمس لا تتذكر تفاصيل حياتها .

في الصباح، جاء لسمية اتصال فردت:

-ألو، أستاذة سمية . . . ؟

-نعم، أنا سمية، من معي . . . ؟

-ألا تتذكريني ؟ أنا كارم، كنت شريك حسن في . . .

قاطعته سمية متذكرة إياه:

-آه، أكيد أستاذ كارم، أكيد أتذكرك، وكيف لي أن أنساك وكل يوم حسن يحدثني عنك وعن عملكما سويًا .

ضحك كارم وقال:

-يعني فالح يحكي لكِ عني ولا يرد على اتصالاتي . . . !

صدمت سمية وقالت:

-ولَم تتصل به وهو معك في العمل . . . ؟ !

تغير صوت كارم وقال:

-أي عمل يا سمية ؟ لقد فضضنا الشراكة منذ ثلاث سنوات، وأنا أتصل به منذ أسبوع ولم يرد عليَّ، وكنت أريد أن أطمئن عليه، لذا قررت أن أتصل بكِ تبلغيه سلامي وأن يتصل بي ضروري .

كانت سمية تسمع كلامه وهي شاردة مصدومة لأنها ولأول مرة تكتشف أن حسن يخدعها .

وقت الظهيرة، عاد حسن فسألته متعجبة:

-حسن ! غريبة، عدت باكرًا . . . !

-هل قد ومي باكرًا صار يضايقكِ . . . ؟ !

-لا، ولَم يضايقني، ولكني متعجبة . . .

-قررت أن أسترخِي قليلًا في البيت وأتناول الغداء معكِ لأني لدي عمل كثير في المساء .

-آه، عمل، حسنًا .

نظر لها حسن بحيرة وقال لها :

-ماذا بكِ يا سمية، لَم تتكلمين معي هكذا . . . ؟

-كلامي ؟ ما به كلامي ؟ ها أنا أتحدث معك بشكل طبيعي .

-ولكن نظراتك لي على غير العادة و . . .

قاطعته سمية وقالت له:

-اذهب استرح يا حسن إلى أن يجهز الغداء ، فهذا أفضل، فأنت متعب يا حرام .

وها هو يهم بدخول غرفته فمر أمام غرفة شمس ففتحها ، فلحقت به وسألته ففاق من شروده عندما سمع صوتها :

-ماذا تفعل هنا يا حسن . . . ؟

التفت لها وبلع ريقه وقال بابتسامة على وجهه يخبئ بها توتره:

-لا أفعل شيئًا ، آه، لدي سؤال: هل شمس تأكدت من مفعول هذا الأكسير حقًا . . . ؟

قالت له سمية وهي تهم بدخول غرفتهما وتقوم بضبط الإعدادات كي يتم غلق الستائر وتشغيل موسيقى تساعد على الهدوء والنوم:

-قلت لك إنها جربت أكثر من عينة ولكنها تقول إنها وصلت لعينة أثبتت جدارتها .

-يعني من يشرب هذا الأكسير يظل شباباً دائمًا ؟

نظرت له نظرة وهو يهم بفرد جسمه على السرير وقالت:

-آه، هذا ما تقوله . . .

قال لها وهو سارح في السقف:

-جميل . . .

-الآن تقول جميل ! ولكن كلما تراها تنعتها بالفشل، حرام عليك كسرة قلبها .

سحب الغطاء وقال:

-ارحميني من دور المحامية الذي دائمًا تتقمصينه من أجلها ، ودعيني أريح عقلي قليلًا .

نظرت له بازدراء بعد ما التفت وأغلق عينيه وقالت بتمتمة:

-استرح يا حسن، يا رب ترتاح الراحة الكبرى لو الذي في بالي حقيقة .

بعد أن تناول الغداء وخرج، قررت سمية أن تتبعه وهذه أول مرة تشك به في حياتها ، وها هي تجد سيارته مصففة أمام بيت، أي أنه لم يذهب للعمل كما قال .

ومن ثم قررت أن تسأل واحدة من الجيران خرجت لتوها من بيت موازٍ للبيت الذي دخل به حسن:

-أتعرفين من يعيش هنا . . . ؟

قالت لها بتعجب:

-الاسم مكتوب أمامك، إنه بيت الأستاذ حسن عبد السلام . . .

-هل يعيش مع أحد هنا . . . ؟

-أكيد يعيش مع أسرته . . .

-هل يمكن أن تقولي لي تفاصيل عن أسرته . . . ؟

نظرت لها بشك وقالت:

-ولِمَ تريدين أن تعرفي . . . ؟

فكرت وسرعان ما جالت فكرة في بالها:

-لأن ابنتي سوف تتزوج ابنه فأريد أن أعرف المزيد عن أخلاق هذه الأسرة، فأنا – يمكنك أن تقولي – دقة قديمة، أحب اتباع التقاليد التي كانت في الماضي.

وهنا تمنت أن يكون له ابن في سن زواج كي تحبك كذبتها ، وهنا جاءها صوت المرأة:

-إنها عائلة محترمة وفي حالهم، سواء الأستاذ حسن وزوجته سيرين، وولداهما الدكتور تيمور والمهندس تامر يتميزان بالتفوق والاحترام، فإنه لخير نسب، لو كان عندي بنت لزوجتها لأي منهما .

شكرتها سمية وعادت تركب سيارتها وفعلت القيادة الذاتية لأنها كانت تشعر أن الدنيا تدور بها من شدة الصدمة .

وصلت البيت وهي لا تدري ماذا تفعل؛ ماذا تفعل بحسن الذي استغفلها كل هذه السنوات ؟ فأحياناً الصراحة يكون ألمها أشد وطأة من صدمة الخداع والخذلان .

ولكنها قررت ألا تواجهه؛ قلبها دلها على شيء ، وقلبها كان خير دليل .

في المساء ، ها هي سمية أعدت مسليات السهرة وقامت بتشغيل الفيلم وضمت بنتها ، وفجأة سمعتا صوت قدوم حسن ، فنادت عليه سمية كالعادة:

-حسن ! تعالَ شاهد معنا هذا الفيلم . . .

جاءهما صوته من بعيد وهو يقول:

-لا، أنا متعب، أريد أن أستريح .

كررت سمية كلامها بلهفة:

-إنه فيلم للبطل الذي تحبه و . . .

هنا قالت لها شمس هامسةً:

-دعيه على راحته ولنكمل سهرتنا . . .

وبعد ثوانٍ سمعتا صوت سقوط حسن، فهرعتا مسرعتين فوجدتاه ملقى على الأرض في غرفة شمس وكان يتلوى ألمًا .

هنا اقتربت منه سمية وهي تتصنع الخوف ومن ثم اقتربت من أذنه بعد ما قالت لشمس أن تتصل بالإسعاف:

-هذا جزاء خيانتك يا حسن .

ظل يتألم ويتلوى ومن ثم نازع والتقط آخر أنفاسه وفارق الحياة .

وهنا صرخت سمية صرخة من قلب أحب بصدق، قلب جُرح بيد حبيبه، ونفس القلب قرر أن يقتله .

في المشفى، شخصوا موته بأنه حالة تسمم، وعندما راجعوا الكاميرات لحظة وقوع الجريمة وجدوه هو من اجترع العينة بنفسه، بعدما عرفا من شمس أنها قائمة على اختراع أكسير الحياة ولكنها طلبت منهم ألا يعلنوا أمر هذا الأكسير لأنها أمامها مدة للإعلان عنه.

وقالوا إن حسن كان يرغب أن يجربه ولكن للأسف أخذ عينة خاطئة.

وفي ممر المشفى من بعيد، كان تيمور موجودًا ولكن شمس لم تنتبه له لأنها لم تكن تعرفه بعد، ولكنها انتبهت له الآن هي ودكتور توماس محاولين ربط الخيوط ببعضها.

رأت نفسها خرجت هي وأمها من المشفى، فقالت شمس لدكتور توماس:

-أريد أن أتابع تيمور وماذا حدث معه.

أومأ لها أي أنها فكرة جيدة.

عندما دخلا، وجدا الدكتور تيمور من ضمن الفريق القائم على حالة حسن، وهنا ملامح الصدمة رُسِمت على وجهه ودخل لأبيه وبكى بكاءً شديدًا واتصل بأمه

وقال لها الخبر، ولكنه طلب منهما ألا يأتيا ن الآن لأن طلب أبيه ألا تعرف سمية خبر زواجه أبدًا .

وبعد أن دُفِن حسن، قال تيمور لأمه وأخيه بأنه سيسرق الجثة، وعندما سأله تامر لِمَ سيفعل ذلك، فأوضح لهما أنه علم أن أبيه مات بسبب اجتراع عينة خاطئة من معمل ابنته شمس .

فأومأ له تامر وقال:

-وما دخل هذا بسرقة الجثة . . . ؟

-لأن ابنته لديها أكسير الخلود والعودة للحياة مرة أخرى، لذا سأحتفظ بجثة أبي إلى أن أتمكن من الحصول على الأكسير منها .

-وكيف ستفعل ذلك يا تيمور . . . ؟

-الحب يا أخي ! فبه أقدر أن أسيطر على أي بنت في العالم .

ها هو تيمور وتامر قاما بسرقة جثة حسن، وهنا قدرت سيرين أن تلمس زوجها الذي فارقها ، وبمجرد أن لمست عينيه تجلى في عينيها آخر مشهد مر به؛ المشهد

الذي همست له سمية بأنه خائن ويستحق الموت . هنا صرخت بهستيريا وهي في السيارة وقالت:

-أبوكما لم يمت . . .

التفتا لها وقالا:

-كيف . . . ؟ !

قالت باكيةً بحرقة:

-أبوكما مات مقتولًا ، وسمية من قتلته . . .

قال لها تيمور وعينه تعكس انتقامًا شديدًا :

-كنت ناوي آخذ الأكسير فقط كي يعود لي أبي من جديد ، ولكن بما أن لهما يد في قتله فانتقامي منهما ، وخاصة سمية، سيكون عسيرًا .

هنا قالت شمس لدكتور توماس وملامح الصدمة والتعب قد غزوَا ملامحها :

-أرجوك دكتور توماس، دعنا نعود بالزمن، هذا يكفي . . .

وعندما عادا ، قالت شمس لدكتور توماس:

-لذلك كانت أمي تريد أن تبوح لي بشيء؛ حاولت أن تتكلم معي قبل أن أسافر وكانت نظرتها كمن يريد أن يتحرر من عبء يقيده .

هل تظن أنها كانت تريد أن تبوح بسر أنها من وضعت العينة الخطأ عن عمد لأبي كي يشربها . . . ؟

-احتمال كبير، ولكنها لم تقصد أن تقتله لأنها فعلت ذلك على سبيل الاحتمال، قد يفعل ذلك أم لا، وأظن أن سمية لم تكن ستستطيع أن تقتله قاصدةً متعمدةً .

-ولكن هذا ما جرى يا دكتور توماس . . .

-ماذا سوف تفعلين الآن يا شمس ؟

-أحتاج أن أستريح قليلاً ، ومن ثم سوف أستخدم جهاز السفر عبر الزمن كي أكون ذاكرتي من جديد .

***

(13)

شمس ترجع بالزمن لطفولتها وتمر السنين أمامها وترى وتشعر بحنية أمها أكثر وقسوة أبيها ونفوره منها ، فتقرر أن تتجاوز بعض السنين لفترة بعد موت أبيها كي تعرف كيف ومتى تعرفت على تيمور .

وصلت لليوم المنشود ؛ في يوم بعد انتهائها من العمل في المعمل، جاءتها رسالة على مدونتها الخاصة على وسائل التواصل الاجتماعي، فانبثق أمامها من الرسالة مجسم شاب مبتسم ويقول لها :

-أهلاً دكتورة شمس، أنا الدكتور تيمور، وأنا من أشد المعجبين بمحتواكِ العلمي كثيرًا .

رأت شمس الرسالة ولم تضع منطقًا وهيأت نفسها كي تنام .

وفي الصباح، جاءتها رسالة منه كذلك وقال:

-صدقيني، أنا حابب أن نتكلم سويًا كي نتناقش في بعض الأمور العلمية وأتمنى أن تحبي أنتِ كذلك، في انتظار ردكِ .

وكالعادة شمس في الصباح لا ترى أمامها ولا تكترث لهذه الرسالة، وهمت كي تجهز نفسها للعمل.

ولكن عند خروجها من المشفى، أوقفها تيمور وقال بلهفة:

-دكتورة شمس، أليس كذلك...؟

نظرت لملامحه فأدركت أنه الشاب الذي راسلها، ولكنها ردت على السؤال بلا مبالاة:

-نعم، أنا الدكتورة شمس.

-أرسلت لكِ عدة رسائل ولكن لا أدري إذا كنتِ رأيتها أم لا، لذا قررت أن آتي لمحل عملكِ كي أبقا بلكِ.

-ولِمَ كل هذا الإصرار...؟!

-بصراحة، معجب بكِ...

نظرت له بجدة محاولة أن توقفه عند حده وألا يتمادى:

-نعم...؟!

حك رأسه محاولًا أن يتدارك الموقف الذي أُحرج به:

-أقصد ، معجب بأفكاركِ .

ومن ثم تمتم بصوت مسموع وقد رُسِمت على وجهه ابتسامة بسيطة:

-ومعجب بكِ كذلك أيضاً .

همت شمس كي تركب سيارتها وقالت بلا اكتراث:

-شكرًا لك، ولكني مشغولة حاليًا ، إلى اللقاء .

هرع وراءها ووقف بجوار نافذة سيارتها وقال بلهفة:

-ولكني أريد أن أتحدث معكِ ضروري صدقيني .

قالت شمس وهي تهم بإعطاء الأمر للسيارة بالانطلاق:

-في فرصة ثانية .

ولكن الدكتور تيمور لم ييأس وظل يراسلها كثيرًا (ومعروف أن الزن على الودان أمر من السحر) .

تمر الأيام ويأتي اليوم الذي ذهبت به هي وأمها كي تضع الشريحة الجديدة كي تستطيع الحركة .

وهنا تيمور رآها في المشفى فحب أن يلعب معها لعبة أنها جُنَت أو يتهيأ لها؛ فهو من عطل المصعد عندما كانت في المشفى، وهو من اتفق مع الممرضة التي ركبت المصعد مع شمس، وكذلك هو من اتفق مع الممرضتان القائمتان على حالة سمية وطلب منهما غلق الحجرة عليهما وتشغيل صوت تحريك أسرة مزعج عن طريق سماعات الغرفة وكأن الصوت يأتي من الطابق الرابع، كي يقنعوا شمس أنه نفس الطابق الذي كان به أبوها وكأن روح أبيها تحوم.

ومن ثم فتحا الباب لها عندما بدأت تطرق على الباب بشدة فخافا أن ينزعج المرضى الآخرون ففتحتا لها بسرعة، وأقنعاها أن الباب لم يكن موصدًا ولم يكن هناك أي أصوات.

والأم استيقظت على صوت طرق بنتها، بينما صوت تحريك الأسرة لم تشعر به لأن أثر البنج كان لا يزال يثقل رأسها، ولكن عندما تزايدت المؤثرات المزعجة طرقات وصوت بنتها استيقظت وأدركت فقط صوت بنتها.

والممرضتان أقنعتا شمس أنها مجهدة كي تنزل تجلب لنفسها قهوة.

وهنا تيمور وضع خطتين؛ الخطة الأولى تحمل الاحتمال أن تنزل في المصعد ويعطله وهي به ويضع مؤثرات بصوت أبيها كي يقنعها أنه عاد لينتقم منها .

والاحتمال الآخر –وهو رجَّحه أكثر– وهو يتفق مع تامر أخيه في مكتبه بأن شمس سوف تنزل الدرج لأن شمس لا تخطئ مرتين .

وبالفعل نزلت الدرج وهو يعلم جيدًا أن الطريق المؤدي إلى الكافتيريا يجب أن تمر بجوار المشرحة ومن ثم تخرج لممر يؤدي بك للكافتيريا .

وبمجرد أن مرَّت سمعت الصوت الذي قاما بتشغيله هو وتامر، ولكنها أكملت طريقها وأحضرت القهوة .

وهنا تيمور أقسم لتامر أن فضول شمس سيجعلها تدخل في المرة القادمة كي تتأكد هل يتوهم لها أم حقيقة .

فهنا طلب من تامر أن يخبئ نفسه تحت سرير جثة أبيه، بينما هو سيأتي من خلف شمس، وفي حين أن يتكلم معها يقوم تامر بالضغط على الزر في أسفل السرير فيهبط اللوح الذي يحمل الجثة قليلاً ولا يتبقى سوى الملاءة، فعندما تنظر شمس تتأكد أنها يتوهم لها وتتشتت .

وبعد شهر فقط حدث ما حدث وغدر بها .

رجعت شمس ودكتور توماس للحاضر وقالت له:

-الآن الصورة بدأت تتضح قليلاً ، ولكن يوجد الكثير من علامات الاستفهام على أشياء كثيرة؛ فأنا لم أعرف كيف لهذا الأكسير فاعلية إحياء الموتى والخلود ، فما قرأته ورأيته في الفترة التي عدنا به أنه مجرد أكسير لزيادة المناعة ومقاومة الشيخوخة و . . .

قاطعها دكتور توماس وقال بلهفة:

-أكيد يوجد مكون سري أنتِ وضعته في العينة التي نجحت .

-وكيف لي أن أعرفه، فأنا لا أتذكر شيئاً .

ظل دكتور توماس يفكر ، وشمس قالت موضحةً:

-كل ما رأيته أني أقوم بعدة عينات، ولكن أغلبها عينات مقويات، وهنا شعرت بيأس أن حلم الطفولة لم يتحقق لذا اقتنعت أني واهمة نفسي بسراب لأني متأثرة ببعض الأساطير التي ليس لها أساس في الواقع .

ولكن هنا قال دكتور توماس:

-يبدو أن حدث اكتشاف الأكسير حدث في الفترة التي تجاوزناها عندما عدنا بالزمن، فلنعد إذن بالزمن هذه المرة ولنتحلى بالصبر كي نصل لهدفنا .

مروا بمواقف وأيام كثيرة إلى أن وصلوا لهذا الموقف .

وفي يوم، طلبت أمها منها أن تحضر لها ملابس لأنها نَسِيَت أن تحضر قبل أن تدخل للاستحمام والروبوت يومها كان في الصيانة .

دخلت شمس الغرفة كي تبحث عما طلبته أمها ، ولكن شمس لا تعلم أغلب تفاصيل البيت لأنها أغلب الوقت مشغولة في دراستها وعملها .

ها هي أمها تنادي عليها وتقول:

-يا شمس، الفستان الأزرق على يدكِ اليمين يا عزيزتي، والملابس الداخلية في الدرج السفلي .

-يا أمي، ها أنا أبحث، أكملي استحمامكِ وسوف أجهز ما طلبته .

شمس تبحث هنا وهناك ولكنها لا تجد ؛ أحيانًا الشيء يكون أمام أعيننا ولكن من شدة التوتر أو عدم التعود على الشيء لا نلاحظه .

قررت أن تأخذ الملابس الداخلية أولًا، صارت تفتح درج والثاني ولفت انتباهها الدرج الثالث فهذه عادة أغلبنا عندما نجد أدراجًا نحب أن نفتحها بالتوالي.

حاولت أن تفتحه ولكنه لم يفتح معها، هنا زاد فضولها: لِمَ هذا الدرج الوحيد المغلق؟! ومعروف أن المرفوض مرغوب، فزاد فضولها. ولكن ما قطع حيرتها صوت أمها وهي تنادي عليها:

-يا شمس، هل وجدتِ ما قلتُ لكِ عليه؟

-آه، حسنًا يا أمي، أنا قادمة...

وهنا بحثت شمس عن الفستان مرة أخرى وصارت ترفع الفساتين واحدًا تلو الآخر إلى أن وجدت تحت آخر فستان بطاقة، وهذه البطاقة يتم استخدامها في فتح الأدراج.

وضعتها في جيبها وسحبت فستانًا أبيض وذهبت لأمها وقالت:

-أمي، صدقيني قلبت الدولاب على الفستان الأزرق ولم أجده، خذي هذا بدلًا عنه.

تمتمت أمها وهي تأخذ الملابس منها:

-حسنًا، سوف أخرج وأريكِ إياه. . .

استغلت شمس الوقت الذي سترتدي فيه أمها الملابس فدخلت الغرفة مرة أخرى وفتحت الدرج بالبطاقة، وهنا ظهر أمامها كتاب قديم مهترئ الأوراق.

وهنا سمعت صوت أمها قادمة فخبأت الكتاب تحت ملابسها، ومن ثم قالت أمها بجنون:

-سوف أجده لكِ يا شمس. . .

وشمس واقفة تحاول أن ترسم ضحكة تخبئ بها توترها.

-ها هو يا شمس، واضح وضوح الشمس أمامكِ.

ابتسمت لها شمس وقالت:

-حسنًا، ارتديه الآن ولا تطلبي مني شيئًا ثانيةً، جهزي أغراضكِ بنفسك مرة أخرى.

-آه من قلة أدبك ولسانك الطويل ذاك، سوف أقصُّه لكِ.

ضحكت لها شمس وتركت الغرفة ودخلت غرفتها وأغلقت الباب وراءها.

فتحت شمس الكتاب فوجدت به رسومًا غريبة وكلامًا أغرب، وهنا أدركت أنه كتاب سحر ! وهنا شمس تعجبت: لمَ كتاب سحر موجود في غرفة أمها . . . ؟ ! بدأت تقرأ به إلى أن وصلت لطريقة تحضير الجن "طوطيائيل"، وهنا سمعت أمها تطرق عليها الباب كي يتناولا الغداء .

وبعد الغداء تركت أمها بحجة انشغالها في المعمل كالعادة، ولكنها أكملت الكتاب .

وفي الليل، ظل يراودها إحساس بأن تجرب طريقة الاستحضار، ولكن صوتًا بداخلها كان يمنعها .

ظلت في صراع بين هذه الفكرة وتلك، وهذا ما أرقها كثيرًا، ولكنها قررت في النهاية أن تقوم من سريرها .

نظرت للوقت فوجدته 3:33، وصوت أن تجربة فكرة الاستحضار تمكنت منها .

وبالفعل قامت وأحضرت المبخرة الإلكترونية وأشعلت خمس شمعات ووضعتهم على زوايا النجمة الخماسية التي رسمتها على الأرض بعد أن قامت بإزالة أي شيء على الأرض، ومن ثم جلست في منتصف النجمة بعد ما وضعت المبخرة أمامها

وأغلقت النور وجلبت فأرًا أسود صغيرًا من الفئران التي تتدرب عليها وفتحت الكتاب أمامها وبدأت تقرأ العزيمة .

وهي تقرأ، قامت بذبح الفأر في طبق وأخذت دمه وبدأت ترسم طلسمًا على الأرض وهي ما زالت تردد القسم والعزيمة لتسخير الجني .

وهنا زاد دخان البخور أمامها وهنا بدأ الخوف يتخلل لروحها، ولكنها أدركت أنها دخلت طريقًا لا يمكنها أن تعود منه بالساهل .

ظلت تردد العزيمة بصوت خائف مهزوز، وبدأت تسمع صوتًا يأتي لها من دخان البخور الذي بدأ يتشكل تدريجيًا أمامها إلى أن ظهر أمامها جسد ضخم وقرنان وكأنهما تاج ملكي، وجسده من أعلى يشبه البشر تمامًا بينما نصفه السفلي دخاني لا تراه شمس جيدًا .

وهنا قطع صدمتها وذهولها وترديدها للعزيمة بشكل لا إرادي قوله:

-ما طلبكِ أيتها الإنسية . . . ؟

-ط . . . طل . . . طلبي أن تتعافى أمي بشكل تام وألا تشيخ وتظل خالدة معي إلى الأبد، أي أريد أن أكتشف أكسير الحياة .

-بل سأمكنكِ من صنع أكسير يعيد من فارق الحياة حتى .

هنا ذهلت شمس وقالت:

-ولكن كيف أن نعيد الروح لمن فارق الحياة من الأساس . . . ؟ أنا سمعت في أساطير ماضية أنه كان هنالك أكسير الشباب لحياة تدوم كثيرًا وليس ل . . .

قاطعها وقال لها بثقة:

-هههههه، مسكينة أنتِ ! ألم تسمعي عن قصص من يدعون بكونهم أنبياء مثل إبراهيم وموسى وعيسى ؟ ! الحقيقة ما هم إلا مجرد سحرة تمكنوا بالتعاون معنا أن يعيدوا الموتى للحياة مرة أخرى .

-بصراحة، أنا لا دينية؛ أي نعم أحمل ديانة أبي وأمي ومسلمة بالوراثة ولكني لم أجد أي منهما يقوم الشعائر الدينية لذا لم أهتم بها قط .

-سأحكي لكِ بعض منها ، ولكنها ليست أساطير ، قصص مدعي النبوة السحرة هذه حقيقية .

أولهم إبراهيم الذي يقدسونه الدينيين ويعتبرونه أبو الأنبياء ، ذلك الرجل الذي أعلن عن ولاءه للشيطان بتكسير وتحقير أي معلم من معالم التقديس والعبادة .

وفي يوم ترك زوجته وابنه الرضيع في الصحراء عندما أراد الشيطان أن يختبر ثقته به، وبالفعل كان إبراهيم يثق به بأن الشيطان لن يخذله بل سيحمي زوجته وابنه .

وفي يوم ذلك الرجل قرر أن يقدم ابنه قرباناً للشيطان كي يثبت ولاءه له، وهل تعتقدين يا شمس أن الرب الرحيم كما يقولون يأمر أحدًا بالقتل . . . ؟ !

وهنا عندما أثبت بفعلته تلك أنه مستعد أن يضحي بأقرب الناس إليه قرر الشيطان أن يهديه كبشًا يضحي به، وأمره بقطع جزء من ابنه وأن ينزف قليلاً ، وهذا الدم تعبيرًا عن الولاء للشيطان، حيث قام بختان ابنه، وهذا ما يحدث في أغلب البلاد .

وفي مرة قرر أن يطمئن قلبه أن الشيطان قادر على إحياء الموتى مرة أخرى، فأمره الشيطان أن يذبح الطير ويضع كل جزء في مكان وبكلمة منه جُمِعَت الأجزاء وعاد الطير للحياة مرة أخرى .

لذا طلبكِ يا شمس ليس بمستحيل بالنسبة لنا ، فلطالما قمنا به .

أقول لكِ مثل من أيضاً ؟ أكيد تعرفين موسى الذي وجد نارًا في طريقه فترك أهله كي يتكلم مع النار ، وهنا تجسد له الشيطان بها واتفق معه أن يقوم بالتخلص من الرجل

الذي رباه أي فرعون فهو بمثابة أبوه الذي رباه وأواه في قصره، والشيطان أعطاه قدرات في السحر هائلة فغلب بها كل السحرة وهنا انبهروا به وصاروا أتباعًا له .

وبقدرته السحرية كذلك تمكن من إحياء الميت الذي شَهِد عمن قتله .

وبعصاه السحرية كذلك قدر أن يشق البحر كي يمر هو وأتباعه، ومن ثم أغرق فرعون وأتباعه يعني قَدَّم عددًا مهولًا من القرايين حينها .

وكذلك عيسى الذي كان يشكل من الطين هيئة الطير وينفخ بها فيصير كائنًا حيًّا ، ولكن كل هذا بالسحر، وبالسحر استطاع أن يشفي المريض ويرد البصر للأعمى ويجذب الأتباع .

قاطعته شمس وقالت:

-ولكن إذ كانت لديه هذه القدرات من السحر لكان حمى نفسه من الصلب وألا يموت هذه الميتة الأليمة . . . ؟ !

ضحك طوطيائيل وقال بثقة:

-ومن قال لكِ أنه مات ؟ ! بل إنه استطاع بفعلته تلك أن يجذب المزيد من الأتباع، بل هو قَدُر بقوته السحرية التي استمدها من الشيطان أن يتمكن من الانفصال عن

الجسد المادي الضعيف المقيد وصار حرًا بالجسد الأثيري الخالد ، بل ووعد وسيعود مرة أخرى في الجسد المادي كي يحقق ما قاله لأتباعه .

وختامًا بمحمد الذي كان يجلس كثيرًا في الغار وأعلن عن ولاءه للشيطان والناس كانوا يقولون عنه ساحر ومجنون، هذا ليس ادعاء بل كان ساحرًا يسيطر على العقول بقوة الكلمة .

-إذ كان ساحرًا لَم ظل في معاناة لمدة ثلاثة عشر عامًا في مكة . . . ؟ !

-يا شمس، أولئك أذكياء ، طلبهم السيطرة على العقول بشكل طبيعي يعني لا يريدون بكلمة كل من أمامهم يؤمنون بهم، بل هم يريدون التغيير بشكل منطقي، مجموعة تؤمن ومن ثم مجموعة أكبر ومن ثم أكثر فأكثر، كي تكون القصة محبوكة جيدًا .

وكذلك كان محمد يشفي المرضى والجرحى وكل من يقول عن نفسه ولي من الأولياء سلك نفس هذا الطريق، ومبارك عليكِ أنكِ معنا ولكن يجب أن تعلني ولاءكِ لنا الدائم .

-كيف . . . ؟

-أن تتبعي إله النور، لوسيفر .

وللعلم هو من يتحدث عنه الدين الإسلامي بأن الرب هو نور السماوات والأرض وتصلون كل صلواتكم مع نور الشمس، وفي المسيحية تسمى مريم بأم النور، لأنها حملت في ابن لوسيفر فأخذ من نور لوسيفر وقوته وقدرته .

أومأت له شمس أي موافقة، فقال لها :

-عليكِ أولًا أن تقومي بالتعاقد معنا ، والعقد بيننا يكون بالدم، وفي حالة عدم التزامك بالعقد سيكون الحساب بالدم كذلك . . . ؟ !

خافت شمس وسألته:

-ولكن كيف سيكون الحساب بالدم . . . ؟

هنا اقترب منها وقال لها :

-ولِمَ تريدين أن تعرفي كيف سيكون الحساب مادام أنتِ ترغبين في أن تخلصي وتفي بالوعد وتلتزمي بالعقد . . . ؟ !

أومأت له أي أنها موافقة، فأقترب منها وأمسك يدها وطال ظفره الذي يشبه السكين وقام بجرح يدها وجرح يده وأمسك يدها بيده وضم يدها بقوة فصارتا يداهما تقطران دمًا .

كانت شمس تتألم من قوة قبضته على يدها ولكنها لم تتمكن من الصراخ خوفًا من أن يسمعها أحد .

كانت مغمضة العينين من شدة الألم، وبمجرد أن فتحت عينها وجدت نفسها ملقاة أرضًا في وسط النجمة الخماسية والشموع قد ذابت والدم حولها ، ودم يدها متجلط، وفي اليد الأخرى وجدت عينتين؛ عينه حمراء اللون وعينة أخرى سوداء .

صدمت أن نور النهار قد دخل غرفتها ومن بعيد تسمع صوت أمها تنادي عليها :

-شمس، استيقظي يا عزيزتي .

ومن ثم سمعت صوت طرق الباب فهنا همت مفزوعة تحاول أن تلم ما في الأرض وتلقي بها في القمامة وهي تقول لأمها :

-حسنًا يا أمي، ها أنا ذا خمس دقائق وأكون معكِ .

فقامت بوضع مادة مطهرة على الأرض وتخلصت من الرسم والدم وفرشت الغرفة بسرعة .

ومن ثم دخلت الحمام كي تستحم وهي تشعر بالضياع، لا تعلم ماذا فعلت .

ومن ثم بعد أن خرجت من غرفتها قررت أن تغلقها بالمفتاح.

تناولت الفطور مع أمها وهي شاردة جدًّا فسألتها :

–ماذا بكِ يا عزيزتي، لِمَ لا تأكلين ؟ لديكِ عمل كثير اليوم فيجب أن تتغذى جيدًا .

ابتسمت شمس وقالت لها بعد أن فاقت من شرودها :

–لم أنم جيدًا يا أمي، ولكن لدي خبر جميل سأقوله لكِ عند ما أعود من العمل .

ومن ثم قبلت رأسها وعادت لغرفتها مرة أخرى .

في المساء بعد تناول العشاء، دخلت شمس غرفتها واستدعت طوطيائيل وسألته عن العينتين فقال لها إن الحمراء أكسير الحياة، والسوداء في حالة الرغبة في الموت وتدمير مفعول أكسير الحياة، لأن من يأخذ أكسير الحياة لن يتأثر به أي شيء في الحياة لا حوادث ولا حتى سموم، أي سيكون خالدًا دائمًا حرفيًا ، لذا في حالة رغبة المرء في إنهاء حياته يجب أن يأخذ هذا الأكسير الأسود أكسير الموت .

بعد ما رحل طوطيائيل، أخرجت شمس الفأر الذي تركته في سلة قمام غرفتها صباحًا ووضعته على مكتب المعمل ووضعت نقطة الأكسير في فم الفأر الميت.

مرت ثوانٍ ولم يحدث شيء، ولكن بعد قليل بدأ ضوء يخرج من رأس الفأر وتكونت أنسجة تمتد وتصل بين الرأس والجسد، ومن ثم صار كما كان قبل أن يذبح، وبعد ثوانٍ استيقظ الفأر وبدأ يتحرك وكأنه لم يمت.

ومن ثم قررت أن تسقيه قطرة من العينة الأخرى فمات مباشرة بعد أن تلوى قليلًا.

وهنا سعدت شمس بما وصلت إليه ولم تتوقع قط أن تصل الأمور إلى تلك المرحلة، فمن شدة سعادتها نادت على أمها بلهفة.

فعندما دخلت أمها الغرفة، سحبت شمس يدها وقالت لها:

-وأخيرًا الحلم تحقق يا أمي! ها هو أكسير الخلود، وهذا أكسير مضاد له أي من يشربه يموت.

-أي هذا سُمّ...؟!

-يا أمي، دعكِ من هذا، المهم عندي أكسير الحياة.

-مبروك يا أعظم عالمة في الدنيا.

ومن ثم سمعت صوت حسن ينادي عليها فذهبت إليه فقالت له والابتسامة على وجهها :

-شمس أتمت اختراعها يا حسن .

أظهر عدم اهتمام بما قالته وقال لها :

-تعالي اجلسي معي؛ أنا طوال الوقت في الخارج وعندما أتي تذهبين وتجلسين معها .

هنا قررت شمس أن تعود بالزمن هي والدكتور توماس وقالت:

-ها نحن ذا صرنا نعرف جيدًا ما سيحدث بعد ذلك؛ أمي ستكتشف أن أبي متزوج عليها ولديه أبناء وكان يخونها وخدعها كل تلك السنوات، وفي منتصف اليوم عندما سألها عن اختراعي لأنه سمع كلامنا بالأمس، فهنا ظنت أمي أنه يريد أن يجربه، لذا عندما ذهب لكي ينام قامت بترتيب غرفتي كالعادة ووضعت أكسير الحياة في الدرج، وأكسير الموت بجوار بعض الأدوات على المكتب كي عندما يأتي أبي بعد العشاء ويستغل وجودنا في الصالة ومشاهدتنا للفيلم فيأخذ من الأكسير

ظنًا منه أن ما وجده هو الأكسير الذي يبحث عنه، ولكنه مات بسبب أمي بطريقة غير مباشرة. . .

وهنا شردت شمس قليلًا وقالت لدكتور توماس الذي رُسِمت على ملامحه كل ملامح الذهول:

-ولكن لِمَ أمي كان معها كتاب سحر. . . ؟ !

-ولِمَ تسألينني يا شمس ؟ هيا بنا نعود بالزمن ونعرف كل شيء .

-ولكن إلى أي زمن بالتحديد . . . ؟

-بصراحة، لا أدري . . .

-حسنًا ، فلنؤجل هذه النقطة لما بعد ، ولكن دعنا الآن نعود بالزمن لليوم الذي سافرت به فأمي كانت تريد أن تخبرني بشيء ولا نتجاوز الوقت سريعًا مثل المرة السابقة التي كنا نرغب بها أن نرى الهجوم فقط .

وبالفعل عادا بالزمن وبعد رحيل شمس، ها هي سمية تجلس بمفردها في غرفتها ومن ثم قامت بتسجيل فيديو لنفسها وهي تقول:

-هذا فيديو أسجله لكِ يا شمس لأني لم أستطع أن أقوله لكِ وجهًا لوجه؛ عزيزتي، منذ موت أبيكِ وأنا أتعذب، أشعر أني مجرمة قاتلة، حتى وإن كان خائن فلم يكن عليَّ أن أؤذيه كما آذاني، بل أنا لم أؤذيه فقط بل إنهيت حياته .

أشعر أني سأموت بسبب تأنيب الضمير لأني قتلته، لذلك رفضت أن آخذ أكسير الحياة منكِ ليس لعدم ثقتي بكِ، بل أنا أثق بكِ وحدكِ في هذه الدنيا ، ولكن كل يوم يأتي عليَّ يعذبني أكثر وأكثر فصرت أرغب في أن يأتيني الموت، وفي نفس الوقت لم أرغب في أن آخذ أكسير الموت، لا أريد أن أموت منتحرةً كذلك، فأنا قمت بالكثير من الذنوب التي صعب أن يسامحني الرب عليها .

من ثم بكت سمية ومسحت دمعها وقالت:

-شمس، أريد أن أعترف بذنبي، فالذنب يجعلني أموت كل يوم أكثر وأكثر .

أنا الرب حرمني من الذرية بالرغم أني ظللت أدعوه وأترجاه كثيرًا ولكنه لم يسمعني لسنوات، لذا قررت ألا أطلب منه ثانيةً، لذا قررت أن أستعين بالجن، وبالفعل الجن استجاب لي سريعًا وهنا أيقنت أني أضعت عمري في توجيه وجهي لوهم .

قلت كيف هو رب رحيم ولم يرحمني ؟ طلب مني الجني أن أذهب ثاني يوم أنا وزوجي حسن للبحر وقال لي إنني سأرى معجزة .

كنت أظن أني سأردد بضع كلمات ومن ثم يتم شفائي، ولكن المعجزة هي أن البحر وهبكِ لنا .

وحسن سعد لسعادتي ولكنه تشاءم منكِ بسبب تلك الحادثة، وعلاقتنا لم تعد كما كانت بعد تلك الحادثة، كنت أظن لأنه يغير من حبي لكِ .

ومن ثم انهارت بالبكاء وقالت:

-ولكن الحقيقة، هو تغير معي لأنه كان يوهب حبه لامرأة غيري، وأنجب منها بدل الواحد اثنين .

وها أنا أموت يا شمس، وأحيانًا يراودني شعور بأني من فعلت كل ذلك في نفسي .

أنتِ لا تتوقعي كمية الحب التي كنت أعيشها مع حسن طوال سنوات زواجنا قبل أن أقرر الحصول عليكِ، وكأن الرب كان رحيمًا بي بعدم استجابة دعائي، وكأنه كان عليمًا بي، بأن عدم إنجابي خير لي والله عوضني بحب زوج مثالي لي، ولكني لم أَرَ ما لدي ولم أرضَ بحالي فبحثت عما أفقده وسخطت على حياتي .

وعندما استعنت بالشيطان أي نعم صرتِ معي، وبمجرد رؤياكِ شعرت بكمية حب رهيبة لكِ، حب لم أكن أظن أني لو أنجبت بنتًا من صلبي بأني سأحبها هكذا . . .

من ثم أجهشت بالبكاء وقالت:

-ولكن حسن كرهكِ وكره اليوم الذي وجدناكِ به لأني فجأة تحولت أمامه بجسد معدني وكأني روبوت، وكلما رآني تحسر على ما حدث لي وما وصلت إليه، ولا أدري أكان هذا هو الدافع لكي يتزوج غيري ويتركني .

ها أنا صرت لم أعد أتحمل أن ألتزم بالعهد الذي بيني وبين الشيطان أكثر من ذلك؛ ضميري وقلبي يجذبني أكثر كي أقترب للرب وأستغفره وأتوب إليه، وأردت أن أصور لكِ هذا الفيديو كي تعلمي من هم إخوتكِ من أبيكِ وتودينهم وتعطين لهم حقهم .

سأرسل لكِ عنوانهم في رسالة بعد هذا الفيديو يا عزيزتي .

أريد في النهاية أن أحذركِ من الشيطان وطريقه، فهو يزين لنا طريق منعنا الله منه، والله لا يمنع إلا لمصلحتنا ، لذا لا تخلعي القلادة التي أعطيتكِ إياها فهي لتحصينكِ .

ومن ثم حاولت أن ترسل الفيديو ولكنه لم يرسل بسبب عطل في الشبكة فقالت وهي تهم كي تغسل وجهها وتتوضأ وتصلي:

-أشعر أني ارتحت بما بُحْتُ به الآن، وعندما تعود شمس سأحكي لها الحقيقة كاملة.

ومن ثم بعد أن صلت وبكت للرب مسحت على قلبها الذي كان يؤلمها من شدة البكاء، ومن ثم شغلت فيلمًا كي تنشغل عن تفكيرها الذي يؤلمها كثيرًا وبعدها حدث الهجوم. . .

هنا عادت شمس ودكتور توماس مرة أخرى للواقع وقالت باكيةً:

-هل قتل أمي لأنها عادت للرب فخسرت حماية الشيطان لها . . . ؟ !

-لا أدري يا شمس، فالأمور زادت تعقيدًا .

نظرت شمس لقلادتها وقالت:

-نعم، هذه القلادة؛ منذ أن أرتديها وحياتي تحولت لجحيم، أنا كذلك خسرت الهبة التي وهبني إياها الشيطان أي الأكسير، وأمي بمجرد أن تقربت للرب خسرت هبة الشيطان لها أي أنا .

ولكن لماذا لم أمت أنا . . . ؟ لمَ هي من ماتت . . . ؟ !

-أظن لأن الشيطان قال لكِ إذا لم تفي بالعهد سيكون الحساب بالدم، لذا حُرِمتِ من أمكِ وهذا عقاب أشد لكِ لأنكِ تعيشين لأجلها وهدفك من الحصول على الأكسير كان لأجلها كذلك، فهو أراد أن يكسركِ ويعذبكِ بفراقها .

بكت شمس وسقطت أرضاً وقالت:

-لم أفهم شيئًا يا توماس، لا أدري ماذا عليَّ أن أفعل . . . ؟ !

ضمها توماس وقال لها :

-سينكشف كل شيء صدقيني وسيهدأ بالكِ .

وبعد أن خرجت من حضنه قالت بغضب:

-لا أريد تلك القلادة التي دمرت حياتي .

فأمسك يدها ومنعها قائلًا :

-لا تخلعيها ، فهذه هدية أمكِ لكِ .

-ولكن يا توماس أنتَ . . .

قاطعها توماس وقال وهو يلمس القلادة قائلًا :

-تلك القلادة قلت لكِ إني رأيت مثلها مع صديقتي، أليس كذلك ؟

توقفت شمس عن بكائها وقالت:

-تقريبًا، لا تقل لي إن صديقتكِ فريدة تلك هي ال . . .

أومأ برأسه قائلًا:

-هي فريدة ومن سواها ! كانت ترتدي تلك القلادة للتحصين، كانت هدية من أمها كذلك، أتذكر تفاصيلها؛ قلادة سداسية بها نجمة داوود وفي المنتصف لفظ الجلالة وحولها آيات تحصين.

-ماذا تقصد يا توماس . . . ؟ !

-لا أقصد شيئًا، بل قلبي يشعر بأن هذه قلادة فريدة يا شمس . . .

-ولكن كيف . . . ؟ !

-قصتكِ يا شمس عليها مليون علامة استفهام؛ فسمية وجدت هذه القلادة معكِ يوم وجدتكِ في البحر، بل وشبهكِ لفريدة أ . . .

قاطعته شمس وقالت: -أتقصد أن فريدة تكون أمي . . . ؟ !

***

(14)

وبالفعل عادا بالزمن منذ أن كانت فريدة معه إلى أن أنجبت بنتها الأولى وألقت بها في البحر ومن ثم حدث الصراع بينها وبين ابن من أبناء لوسيفر (يرجى قراءة الجزء الأول والثاني لفهم التفاصيل*) .

هنا نظر توماس لشمس وقال:

-يبدو أن الشيطان حث فريدة على هذه الفكرة لأنها معروفة أنها تطرد الأرواح الشريرة، ولكنه كان يريد أن تلقي بفارس الذي كان يمسك بكِ وأنتِ صغيرة فيخترقه الوتد الخشبي فيموت لأن هذه هي طريقة الموت الوحيدة لكي يموت .

-ولكن أنا كنت على قيد الحياة ولم يخترقني الوتد ، وفريدة سعدت بنجاتي ولكن سرعان ما ظهرت الشعلة على رقبتي وتحولت لأبسل أو جواد لا أدري له اسمًا حقيقيًا .

-هل هذا يعني أنكِ هو . . . ؟ !

-لا أتوقع ذلك، ولكن أتوقع أنه خدع بصرها بينما جسدي أنا ظل في البحر .

-حسنًا ، دعينا نظل في البحر ولنرى ماذا حدث، أي لا نأخذ زاوية رؤية فريدة .

وبالفعل عادا بالوقت قليلًا وظلا تحت الماء، إلى أن وجدا فارس سقط بظهره على الوتد الخشبي وهنا طوطيائيل أخذ الطفلة وغادر سريعًا .

وهنا رأت فريدة بقعة الدماء في البحر، فنزلت ورأت ما رأت، وحدث ما حدث .

هنا نظرت شمس لدكتور توماس وقالت:

– وهنا أكيد وضعني طوطيائيل في هذه الفقاعة، وفي اليوم التالي أعطاني لسمية .

أومأ لها أي نعم، وقال:

– ولكن ماذا حدث بعد ذلك لفريدة بعد أن انتصرت على ابن الشيطان وأنقذت زوجها . . . ؟

– ما دخلنا نحن في حياتها يا دكتور توماس . . . ؟ ألم تقل لي إنك لم تحب أن تستخدم الجهاز في أن تعرف شيئًا عن حياتها و . . .

– يا شمس، بل أريد أن أعرف ماذا حدث معها وأين هي الآن كي يجمع شملكما ثانيةً .

ابتسمت له شمس وقالت وهي تغمز له:

– يجمع شملي أنا وهي فقط، أليس كذلك . . . !

ضحك لها دكتور توماس وقام بمتابعة الأحداث، وتمر الأيام وفريدة تحمل للمرة الثانية، وجاء موعد الولادة وخرج فارس لكي يأتي لها بالطبيب، وكانت فريدة حينها جالسة في مغطس .

وهنا فجأة بدأت المياه تتحرك تحتها ، وهي كانت تشعر أنها على وشك الولادة، وبالفعل بدأ الطفل في الخروج شيئًا فشيئًا ، وما زالت فريدة ترى حركة غريبة في المياه وظنت أنه يتوهم لها .

ومجرد أن شعرت بخروج الطفل، مدت يدها كي تمسك به وتخرجه، ولكنها شعرت بيدين من نار أمسكتا بها ، فصرخت متألمة وهي تحاول أن تسحب الطفل وتفلت من اليدين الآتيتين من الجحيم تلك .

وهنا ظهر أمامها جواد ضاحكًا :

– أهلًا بالشجاعة، هل ظننتِ أنكِ قدرتِ عليَّ أيتها الإنسية البلهاء ؟ لم ولن تقدري عليَّ، وقررت ألا أظهر في حياتك إلا في الوقت المناسب كي أكسركِ .

قالت له باكيةً متألمة:

– أخرج ابني من تحت الماء حالًا أرجوك .

ضحك بهستيريا وقال:

– تبدين جميلة وأنتِ ضعيفة هكذا يا فريدة، ترجيني أكثر هيا . . .

أجهشت فريدة باكيةً:

– أرجوك، ابني ليس له ذنب كي تقتله، أنا من بدأت التحدي، خذني أنا ودع ابني وشأنه.

هنا قال متفاجئًا:

– تبدين ضعيفة وأنا لاوي ذراعكِ بابنكِ.

– أفعَلْ ما تشاء، ولكن أخرجه حالًا . . .

ومن ثم حاولت أن تتمتم بآيات في سرها، فضحك قائلًا:

– صدقيني، عزيمتك وقوتك الآن ضعيفة للغاية، وخاصة أنه ليس معكِ قلادة التحصين تلك.

ألم أقل لكِ إنني انتظرت الوقت المناسب هذه المرة؟

بدأت تحرك قدمها وترافق ذلك محاولتها سحب يدها، ولكن قوتها كانت ضعيفة للغاية، وليس بيدها شيء سوى التوسل:

- أرجوك، أنا عند كلامي لك، دع ابني وانتقم مني كما تشاء .

هنا رفع ابنها بقوة في الهواء أمامها ، فصارت ترجوه أكثر وتبكي بهستيريا :

- أرجوك لا تؤذيه فهو لم يفعل شيئًا ، خذ روحي أنا واتركه، أتوسل إليك .

وبالفعل أنزل الطفل بقوته بجوار المسبح، واقترب منها بيديه الجمرتين وخنقها وهي تنظر لابنها باكيةً، ومن ثم ماتت .

في هذه اللحظة، كان قد دخل فارس البيت ومعه الطبيب، ولكنه فجأة تحجر وتحول لصنم بجاور الطبيب وفجأة انهار، وما تبقى منه سوى رماد .

هنا صدم الطبيب لما رآه ورغب في الرحيل، ولكن صوت بكاء الطفل جذبه كي يدخل، فدخل من الباب الزجاجي الذي كان مفتوحًا ورأى الطفل بجوار المسبح باكيًا ولم يجد أحدًا معه .

لم يدرِ ماذا عليه أن يفعل، فضم الطفل بين يديه وصار ينادي على من في البيت ولكنه لم يأتِهِ رد ، فقرر أن يأخذه معه بيته، وزوجته أحبته كثيرًا؛ فبمجرد أن شعر الطفل بدفء البيت صار هادئًا جدًا .

وهنا التفتت شمس لدكتور توماس وسألته:

- ولكن أين ذهبت جثة فريدة، وماذا حدث لفارس . . . ؟

- حياة فارس مرهونة بحياة فريدة .

ضربت شمس رأسها وقالت:

- صحيح، تذكرت ذلك .

الفكرة أننا نتجاوز الكثير ونركز على حدث معين من المواقف، فصرت لا أنتبه جيدًا، ولكن هيا دعنا نعود مرة أخرى كي نرى ما حدث لفريدة ولا نخرج لصوت قدوم الطبيب .

هنا وجدا فريدة وقد وضعها جواد في فقاعة كبيرة ورفعها ونزل بها في البحر لعمق كبير جدًّا .

هنا ذهلت شمس لما رأت؛ رأت مدينة كاملة في باطن البحر، مدينة تمتاز بتقدم رهيب .

وها هو يفتح لها بابًا ذهبيًّا كبيرًا، ووضع الفقاعة الكبيرة على شكل دائري في الأرض فصارت أشبه ببلورة تزين المكان .

جثة فريدة المتألمة تزين القصر وتشفي غليلهم .

هنا قال جواد للمرأة التي ترتدي ملابس ملوك وقلادة على شكل بومة بلون دموي:

– أحسنتِ صنعًا يا جواد .

– تحت أمر معاليكِ يا ملكتنا ، فنحن نسعى جاهدين للانتقام من بني آدم وإظهار ضعفهم وإثبات أنهم هم من يستحقون أن يسجدوا لنا لا نحن من نسجد إليهم .

وبعدما خرج، وجد حورية جميلة؛ نصفها امرأة جميلة، حاول الاقتراب منها ، ولكنها حاولت أن تجتنب حديثه، فوقف أمامها وحاول أن يظهر براعته أمامها :

– اليوم الملكة كرمتني على ما فعلته ببنت إنسية .

نظرت له محتقرةً إياه وقالت:

– لقد سمعت ما حدث، تلك هي الفتاة التي ذلتك بدل المرة مرتين، والآن تظهر قوتك وكيف لي أن أراك قويًا وأنت استغللت ضعفها وكونها ضعيفة هزيلة لأنها كانت تلد . . .

غضب بشدة وأمسك يدها وقال بحدة:

– ماذا عليَّ أن أفعل كي تقدري ما أفعله ها . . . ؟

نظرت له بتحدٍّ وقالت له:

– أنت ضعيف وفاشل يا جواد، لذا لا تفعل شيئًا لأني لن أحبك أبدًا، ونحن لسنا مثل بعض ولن نكون.

ومن ثم تركته وبدأت تعوم إلى أن وصلت لسطح الماء.

وهنا جاءها صوت بكاء طفل، فتحولت لطيف وبدأت تحوم بجوار البيوت كي تسمع الصوت جيدًا إلى أن وصلت للبيت.

هنا رأت الطفل الصغير ابن فريدة الذي أواه الطبيب، بدأت تلمس الطفل بحنو ولين إلى أن هدأ.

فكان الطفل ينام كثيرًا وهذا ما حير زوجة الطبيب، وفي يوم قالت له:

– هذا الطفل غريب جدًّا يا أندرو، إنه لا يستيقظ إلا في النهار فترة بسيطة ويرضع مرة واحدة فقط، بينما باقي الوقت ليل نهار نائمًا.

– ولكنه بصحة جيدة ونموه جيد، فلا داعي للقلق يا حبيبتي.

– ولكنك كما ترى، لدينا من الأبناء ثلاثة ولكن هذا لم يحدث مع أي من أبنائنا أبدًا و...

– حبيبتي ارتاحي، فالأطفال مختلفون، ولو به أي شيء سأقول لكِ.

مرت الأيام، وكل يوم تأتي إليه وتلاعبه وترعاه.

وبعد شهر منذ ذلك الحادث، كانت الحورية على سطح الماء فرأت سفينة كبيرة فغطست تحت الماء، ومن تحت الماء رأت قبطان تلك السفينة فخرجت من تحت الماء كي تراه جيدًا، وهنا رآها ولم يصدق ما تراه عيناه فغطست مرة أخرى فظهر ذيلها، ومن ثم التفت من المقدمة إلى زاوية أخرى كي يراها وهي تعوم تحت سطح الماء.

ومن ثم أخرجت رأسها مرة أخرى فرأت في عينيه نظرة انبهار لم ترها من قبل، فغمزت له وابتسمت ومن ثم ابتعدت السفينة عنها.

فظلت تخرج يوميًا في نفس المكان إلى أن جاء اليوم وظهرت السفينة ذاتها مرة أخرى ورأته لا يصدق نفسه أنه رآها ثانيةً، ومن ثم رحلت السفينة فاختفت عن عينيه.

وفي اليوم التالي، ها هي رأت يختاً، فكان يلتفت عن يمينه وعن يساره باحثًا عنها.

وهي بمجرد أن أدركت أن من على اليخت هو، رفعت رأسها من تحت الماء فهنا رُسِمت ملامح اللهفة على وجهه وقال:

– وأخيرًا وجدتكِ.

ابتسمت له ولم تتكلم، فقال لها:

– أنا حسن، من مصر، هل أنتِ حقيقة أم أنا جننت من بعد تلك الحادثة؟

فردت عليه بالمصري وقالت:

– لا، بل أنا حقيقية. . .

انبهر وابتسم وقال لها:

– أوه تتحدثين بالمصري! أنا قلت أتحدث باليونانية بما أننا في اليونان و. . .

– حدثني بما تحب فأنا أفهم جيدًا.

– أنتِ ليس لكِ مثيل يا. . . آه ما اسمكِ. . .؟

– اسمي سيرين. . .

– أوه سيرين في الأساطير الأغريقية هي كائنات بحرية ساحرة كانت تغوي البحارة بغنائها لتقودهم إلى الخطر، ولكن أرجوكِ لا تفعلي بي ذلك.

ضحكت سيرين وقالت له:

– لا تقلق أنا مسالمة وبالأضافة أنا لم أغني لك.

–أتصدقين يا سيرين، لم أؤمن قط أن الحوريات حقيقة، كنت أظن أنها مجرد أسطورة من الأساطير.

– يوجد الكثير من الأمور هي حقيقة، ولكن الناس يقولون إنها أسطورة، ولكنهم لا يعلمون أنه لا يوجد دخان من دون نار . . .

– مثل ماذا . . . ؟

– مثل الجن، الفضائيين، سكان الأرض، والحوريات مثلًا .

– لا يهمني كل ذلك، يهمني أنكِ حقيقة وكفى .

من ثم ابتسم وقال لها :

– هل يمكن أن أراكِ ثانيةً . . . ؟

– كل يوم في هذا المكان . . .

رُسِمت على ملامحه ملامح حيرة وقال:

– هل يمكنني أن أسألك سؤالًا محيرًا بعض الشيء . . . !

أومأت له أي نعم، فقال لها :

– ألا يمكنكِ أن تخرجي من الماء . . . !

- يمكنني أن أفعل أي شيء يخطر على بالك، فأنا من جن البحر .

هنا ظهرت ملامح الصدمة على وجهه، فقالت له وهي تبتسم:

- لا تخف مني، فليس كل الجن كما تظن، أنا من جن البحر وعشيرتي طيبون إلى أبعد حد .

ابتسم لها محاولاً أن يتحرر من خوفه الكامن بداخله:

- لم أكن أدري أن الجن جميل هكذا . . .

- نحن أمم أمثالكم، يوجد منا من هو جميل ومن هو قبيح .

طال الحديث بينهما وتحولت لجسد بشري كامل وركبت اليخت مع حسن، وتكررت اللحظات السعيدة بينهما إلى أن جاء اليوم الذي عرض عليها الزواج.

وهنا قالت له أنها موافقة، ولكن بشرط أن تأخذ الطفل الذي ربته قرب 3 أشهر بعد أن حكت له كل شيء .

هنا وافق حسن، وهي أخبرت أهلها بقرار زواجها من إنسي، وتركتهم وعاشت مع حسن بعد ما أن جهزت بيانات تثبت كونها بشرية يونانية -يمكنكم أن تقولوا أنها مزورة- كي تتمكن من السفر معه وباقي تفاصيل الحياة كذلك .

وكالعادة، تجاوز دكتور توماس وشمس الكثير من الأحداث والأيام، إلى أن جاء اليوم وحملت سيرين .

بعدها عادا بالزمن للواقع:

– يعني تيمور يكون أخي . . . !

– صحيح، يعني لا تنتقمي منه يا شمس، بل دعينا نهدأ ونفكر كيف لنا أن نوضح له الحقيقة ونصل لحل وسط بينكما و . . .

– قبل أن نذهب لتيمور يا دكتور توماس، يجب أن نعلم ماذا سيحدث في المستقبل؛ فنحن فهمنا أغلب المواقف في الماضي، دعنا نفهم ما سيحدث في المستقبل؛ فأمي حذرتني من طريق الشيطان وأنا اتبعته سعيًا وراء هذا الأكسير .

لننظر ما هو أثره على المستقبل؛ فإذا كان خيرًا نحاول أن نجد حلًا وسطًا مع تيمور، بينما إذا كان شرًا فيجب أن نمنعه بكل قوتنا .

***

(15)

سنة 2089، أي بعد عشر سنوات من الوقت الحالي، وجدا العالم صار أكثر تقدمًا عما كان في عام 2079 .

نظرت شمس بتعجب لدكتور توماس وقالت:

– ما هذا التقدم الخيالي يا دكتور ؟ في عشر سنوات فقط تتغير معالم الكون هكذا، ولكن كيف . . . ؟

هنا كان يبحث دكتور توماس في الشاشة المنبثقة أمامه وقال لها بحيرة:

– تعداد السكان صار 990 مليون فقط بعدما كان تجاوز 10 مليارات نسمة !

أين ذهب الناس، ماذا حدث يا شمس . . . ؟

هنا مسكت شمس رأسها وقالت بحيرة أكثر:

– يعني أنا أسألك يا دكتور توماس، فترد عليَّ السؤال بسؤال فيزيدني حيرة أكثر !

هنا قال لها كمن لا يوجد أمامه حل آخر:

– يجب أن نخرج من وضع الاختفاء ونظهر للناس ونسألهم مباشرةً .

أومأت له شمس أي أنها فكرة جيدة .

وبالفعل ظهرا، وعندما يمر تجاههما أحد طائرًا في السماء يرمقهما بتعجب من شكلهما المختلف عنهم، وكلما هبطت سيارة من السماء كي تركن بجوار إحدى الفيلات يرمقهم صاحبها وكأنهما غريبان الأطوار.

وكلما فكرا في الاقتراب كي يكلما أحدًا ما، فجأة تمنعهما نظرات الريبة لهما.

لذا صارا ينتقلان من منطقة لمنطقة أخرى وهما مختفيان عن الأنظار، وكلما انتقلا من مكان لآخر ازدادا تعجبًا؛ لِمَ البيوت كلها صارت من نفس الطراز، ولِمَ لم يعد هناك ناطحات سحاب أو عمارات حتى...؟ ولماذا كل البيوت حولها شيء يشبه القوقعة الزجاجية وكأنها درع للحماية...؟

نظر لها دكتور توماس وقال لها بتعجب أكثر:

– أين الفقراء أو العمال أو بسطاء الحال...؟ ماذا جرى للدنيا...؟ كل من نراهم نشعر وكأنهم نسخة من بعضهم البعض، كلهم نفس التصرفات ونفس البيوت...! ماذا تغير في هذه السنوات البسيطة، ماذا...؟

هنا وجدا واحدة تهبط من السماء، فقررا أن يظهرا من جديد ويقتربا منها كي ينهيا هذه التساؤلات التي لا تنتهي.

هنا قال لها دكتور توماس:

– أهلًا بحضرتك، أنا دكتور توماس، وهذه دكتورة شمس و . . .

هزت لهما رأسها وقالت والباب يفتح بمجرد اقترابها منه:

– تفضلا معي لنتحدث بالداخل أفضل .

بمجرد أن دخلا، انبهرا بأن أغلب الديكور أخذ الطابع الزجاجي الشفاف الذي لا يخطر على البال حرفيًا .

وهنا أثناء انبهار دكتور توماس بالمكان قالت شمس:

– ألم تخافي من فكرة دخول غرباء بيتك هكذا . . . ؟

ضحكت وقالت لهما :

– شكلكما لا يوحي بذلك بتاتًا ، بينما إذا كنت تركتكما لكنت خفت عليكما .

قال لها دكتور توماس بدهشة:

– مما تخافين علينا . . . !

– إنه موضوع كبير، العالم صار مهددًا بالخطر؛ منذ 7 سنوات وكل شيء تغير وصارت تأتينا تهديدات .

– كيف تغير العالم، وما هذه التهديدات . . . ؟

– للصدق، بدأ التغيير الجذري منذ 10 سنوات بعد ما تم الإعلان عن أكسير الحياة الذي تهافت عليه أغنياء العالم وبيع بملايين الدولارات في بداية الأمر .

ومن ثم بدأ العلماء باستنساخ العينة لعديد من العينات بنسبة أكبر عن العينات التي كانت موجودة في البدء ، وذلك بعد أن انتشر وباء بدأ يأكل في صحة البشر وخاصة الفقراء منهم، بينما قاومه بعض الوقت أولئك من كانوا يهتمون بصحتهم ويأخذون مقويات تدعمهم لمقاومة المرض، ولكن سرعان ما بدأت قواهم تضعف هم أيضاً وما بيدهم حيلة سوى شراء العينة بـ 1000 جنيه ذهبي؛ فالعملات اختفت ولم يعد سوى العملات الرقمية فقط، بينما الأكسير كان ثمنه بالذهب .

وهذا كان سعره وكأن الحكومة تدعمه لإنقاذ حياة شعبها ، ولكن في حقيقة الأمر هم من صنعوا ذلك الفيروس كي يقتل الضعفاء والفقراء كي يخلصوا العالم من تلك الأعداد الهائلة في ظرف فترة قليلة، بينما يتبقى من هم مستواهم فوق المتوسط والأغنياء فقط .

وبذلك يكونوا قد خلصوا العالم من الفقر والفقراء الذين هم الأكثر جهلاً ومرضاً .

ومنذ سبع سنوات يا عزيزتي، فجأة تحولنا جميعًا لنفس السن، كلنا صرنا في سن الشباب، أي وكأننا في الجنة؛ الكبير والصغير صاروا في عمر الثلاثين. أتدرين كم كان سيكون عمري الحقيقي إن لم آخذ هذا الأكسير...!

ذهلت شمس وقالت:

-كم...!

-لكان عمري 92 عامًا، ولا أدري هل كنت سأعيش لهذه اللحظة أم لا...!

قال لها توماس بعدم فهم:

-ولكن كيف تغيرت البيوت هكذا وما هذه القوقعة التي تحمي البيوت وكأن حربًا ستقع...؟

-هههه، وكيف علمت أن هناك حربًا ستقع...؟

صعق دكتور توماس وقال:

-أحقًا سيحدث ذلك...؟

– نعم ستحدث حرب، ولكنها ليست حربًا مثل التي كانت في الماضي، بل هي حرب كونية؛ فالعالم الآن كله صار دولة واحدة تحكمه قوة واحدة وتتعامل بعملة واحدة . . . !

قالت لها شمس:

– أتقصدين حربًا مع الفضائيين . . . ؟

– نعم، أنتِ تعلمين أن زيارة الفضائيين لعالمنا كان منذ القدم من فترة لأخرى في الماضي، ولكن لم تكن هنالك أدلة تثبت ذلك إلا بعض قصص على مدار التاريخ، وعندما ظهرت التكنولوجيا اتهمنا أن هذه الأدلة أدلة مزيفة ليست حقيقية .

ولكن منذ 7 سنوات، بدأت تتكرر زيارات الأطباق الطائرة على كوكبنا ، وتمكنا من تشفير رسائلهم أخيرًا ، وكانت الرسالة المكررة هي أن هلاكنا قد اقترب .

فهنا فهمنا أن هذه رسالة تهديد مباشرة من الفضائيين بأنهم مستعدون لأن يهلكونا ويبيدوننا ويسيطرون على عالمنا .

لذا ، منذ ذلك الحين، تم إصدار قرار بالاستعداد لهذه الحرب، واقترح المهندسون إنشاء تلك البيوت وما حولها من حصن زجاجي غير قابل للتدمير .

وهنا العالم أصدر قرارًا بجمع المال من الشعوب، ومن يدفع يتم كتابة اسمه في القائمة التي توفر له إنشاء بيت له ولأسرته بهذه التقنية الجديدة، بينما من لم يستطع أن يدفع يتم إصدار قرار بإعدامه . . .

– وكيف يتم إعدامه وقد أخذ أكسير الحياة . . . !

– أوه، لقد نسيت أن أقول لك إن كل من يدفع ثمن أكسير الحياة يأخذ معه أكسير الموت، كي يكون المرء هو المسؤول عن حياته إذا كان يريد أن يستمر بها أم ينهي حياته بنفسه، وهنا قد صار المرء مخيرًا حرفيًا في حياته وموته .

لنعد لموضوعنا؛ فكما تعلمون أن أصحاب الطبقة الفوق متوسطة قد باعوا كل ما يملكون كي يحصلوا على أكسير الحياة ويتجاوزون إصابة الفيروس اللعين، فكان صعبًا عليهم أن يوفروا ذلك المبلغ الهائل لهذا البيت المحصن، فتم إعدامهم بقرار عالمي، وبذلك تمكنت الدولة من محاصرة ممتلكاتهم والحصول من ورائها على أموال، وتم تدمير المباني القديمة وإنشاء مباني ومدن جديدة، فصرنا أشبه بالمدينة الفاضلة التي لطالما حلم بها أفلاطون؛ مدينة بها علية القوم في كل شيء، في المال

والعلم والنظام، بينما أي من يفتقر لأي شيء فليس له نصيب أن يكمل في هذا العالم.

فهنا نحن صرنا خليفة الرب، ومعروف أن الرب ملك الملوك، فأكيد خليفته ستكون ملوكًا أو من هم الصفوة في كل شيء، فلا يصح أن يخلف الرب من لم يتصف بصفاته ولم يرتقِ من حيوانيته ووصل لقدر عالٍ من الإنسانية والروحانية.

هنا قالت شمس بحرقة:

– وهل كل ما حدث ذلك تسمونه إنسانية . . . ؟ وهل هذا هو الرب الذي تقتدون به وتريدون أن تكونوا خليفته؛ تتحكمون في حياة الناس كما هو يتحكم في حياتهم، تظلمون الناس مثلما هو ظالم؟ هذا ليس بعدل، وأنتم هكذا لا يحق لي أن أصفكم حتى بالحيوانية التي كان عليها الإنسان البدائي، بل أنتم صرتم وحوشًا.

هنا قالت لها:

– هذا ليس تفكيري أنا، بل أنا أقول لكِ تفكيرهم هم . . . !

حاولت شمس ألا تسقط الدمعة من عينها وقالت:

– من هم . . . !

- المتحكمون في العالم من غيرهم .

- ولِمَ لا تعترضون . . . !

- نعترض . . . ؟ وكيف لنا أن نعترض وكل سبل التعبير عن الرأي قد انتهت ؟ أتحسبين أننا متقدمون أحرار ؟ بل نحن سجناء هذه القوقعة، وقبل هذه القوقعة نحن حبيسو أفكارنا وآرائنا .

أتدرين ماذا كنت قبل هذا التغيير الذي حدث . . . ؟

قالا توماس وشمس في ذات اللحظة:

- ماذا . . . ؟

- كنت مؤلفة، وأجاركم الله عندما يكبت المؤلف أفكاره؛ الأفكار تصرخ في عقلي، تريدني أن أحررها ، وبالفعل أحررها وأكتبها ، ولكن أظل متألمة غير مرتاحة لأن واحدًا حتى لم ولن يقرأ ما كتبته لأنه أمر ممنوع عالميًا .

وهنا سمعوا صوت مداهمة وتم فتح البوابات بقرار قانوني، فمسموح لرجال الدولة اقتحام البيت في حالات الطوارئ .

وهنا فزعت عندما رأت رجال الشرطة وهم يقولون:

– حاصروهم، مطلوب القبض عليكِ ومن معكِ لأنكِ جاسوسة تتعاملين مع الفضائيين . . . !

نظرت بخوف وقالت:

– إنهم بشر مثلنا صدقوني . . .

في ذات الوقت كان توماس وشمس يترجيان:

– نحن بشر نقسم لكم بذلك . . .

ولكن الترجي لم ينفع مع رجال الشرطة، فهمَّ دكتور توماس بكتابة التاريخ وأمسك بيد السيدة التي أخذتهما بيتها ، واختفوا من أمام رجال الشرطة وعادوا للحاضر من جديد .

***

(16)

نظرت لهما السيدة وقالت وهي تبتسم بثقة:

– كنت متأكدة أنكما من الماضي، كنت متأكدة من ذلك . . .

قالت لها شمس:

– وكيف كنتِ واثقة من ذلك، بينما بقية الناس كانوا ينظرون لنا بريبة ورجال الشرطة قالوا عنا فضائيين .

– أظن أن الناس الذين رأوا هيأتكما هم من شكوا بكما وأبلغوا الشرطة لكي يتتبعوا طريقكما ويتم القبض عليكما ، وهذا ما حدث، وذلك لأن الناس وكما رأيتما صاروا يتشككون ويخافون من كل ما هو غريب أو من لا يمشي على النمط الذي رسمه لنا القانون، بينما أنا كنت أعلم حقيقتكما وذلك لأني عندي تجربة في الماضي عندما كنت شابة بالفعل .

نظر لها دكتور توماس بدهشة وقال:

– هل كان معكِ جهاز سفر عبر الزمن كذلك . . . ؟

– لا، لم يكن معي، بل كان مع صديقتي فريدة التي جاءت لي من المستقبل ومررنا بتجربة لا يتخيلها عقل.

صدم دكتور توماس وقال:

– صديقتك كان اسمها فريدة مراد أليس كذلك، وكانت طبيبة صحيح . . . ؟

ابتسمت له وقالت:

– صحيح، هل تعرفها . . . ؟ طمئني عنها لأنها اختفت فجأة! أول تجربتي معها عندما جاءت لي من المستقبل وحولت تجربتي معها إلى رواية "أولاد لوسيفر الجزء الأول بعنوان (الخطيئة)"، ولكن شاء القدر أن نجتمع سويًا في الحاضر كذلك، ولكني كنت كبيرة إلى حد ما بينما هي كانت في سن الشباب، ومررنا بتجربة ومغامرة رائعة حولتها لرواية "الخناس" واعتبرتها الجزء الثاني من رواية "أولاد لوسيفر".

التفت دكتور توماس لشمس وقال لها:

- يجب أن نبحث عن هاتين الروايتين وأن نقرأهما ، قد نجد بهما تفاصيل تساعدنا ؛ لأننا تجاوزنا الكثير من الأحداث عندما عدنا بالزمن، وكي نفهم الأحداث من عدة جوانب بشكل أشمل أفضل من تتبع جانب بعينه .

من ثم قالت شمس وهي متأثرة:

- صحيح، يمكن من خلالهما أعرف المزيد عن أمي . . .

هنا صدمت وقالت:

- هل أنتِ بنت فريدة . . . !

- نعم، ولكني لم أكن أعلم ذلك، إن حياتي غريبة جدًا و . . .

اقتربت منها وضمتها وهي تربت عليها :

- لا يوجد شيء غريب، كل شيء سيتضح لكِ بمجرد أن ترتبي الأفكار أمام عينيكِ .

هيا تعالي نجلس سويًا وأحكي لي كل ما مررتِ به ولكن بالتفصيل، فأنا تهمني التفاصيل بشدة .

وبعد أن انتهت شمس من سرد كل شيء ، قالت للمؤلفة:

– الآن عرفتِ كل شيء مني، هيا أحكي لي كل شيء تعرفينه عن أمي .

– بصراحة، لن استطيع أن أذكر كل التفاصيل التي كتبتها في الروايتين، لذا دعنا نعود لبيتي وأعطيكما شيئًا نادرًا جدًا؛ نسختان ورقيتان فهما لم تعودا موجودتين في هذا الزمن .

قاطعها توماس وقال:

– أتقصدين بيتكِ في هذا الزمن أم بيتكِ في المستقبل . . . ؟

– بصراحة، كنت أريد أن نذهب لبيتي في الحاضر كي أقول لنسختي في هذا الزمن أشياء ضرورية، ولكن بعدما حكيتما لي كل هذه التفاصيل، ما زلت أشعر أن هناك أشياء عليها علامات استفهام أريد لها إجابات .

سألتها شمس بتعجب:

– أتريدين أن نعود للمستقبل ويتم القبض علينا وإعدامنا . . . !

– لا، بل أريد أن نختار زمنًا غير الذي كنا به، أريد كما أن تكتبا تاريخ 2097 لكي نرى ما وصل له العالم وهل قامت الحرب أم لا . . . !

وبالفعل كتبوا التاريخ، وهنا كانت الصدمة . . .

(17)

لقد وجدوا أنفسهم في خلاء وأرض لا يوجد بها حياة، وكأن لم يكن عليها حياة من قبل.

وهنا الأفكار المتضاربة بدأت تجول في خاطرهم، وملامح الحيرة والصدمة قد اجتاحت وجوههم إلى أن تكلمت المؤلفة:

– ماذا حدث . . . ؟ هل الحرب قامت وانتهت البشرية . . . !

قال لها توماس وهو يمسك برأسه:

– لا أدري، ولكن هذا لا يبشر بالخير، ويجب أن نعود للحاضر ونضع حدًا لد . . .

قالت شمس بحزم:

– لا، قبل أن نعود للحاضر، يجب أن نعود لليوم الذي قابلنا فيه المؤلفة . . .

وهنا سكتت، ومن ثم سألت بتعجب:

– آه حقًا، ما اسمك . . . !

– أنا الأديبة رانيا رمضان، ولكني معروفة بلقب "بنت البروفيسور" .

– تشرفنا، لذا هيا نعود لصباح اليوم الذي قابلنا به رانيا . . .

سألتها رانيا:

- ولكن لمَ. . . ؟

- ستعرفان عندما نصل إلى هناك، ولكن فعّل خاصية عدم الظهور يا دكتور توماس.

وبالفعل وصلوا لبيت رانيا، وهنا سألت شمس:

- ها، أين تلك الروايات التي قلتِ لي عنها ؟

هنا ضربت رانيا مقدمة رأسها وقالت:

- أوه، تذكرت موضوع الروايات ! صدقوني ذاكرتي قوية جدًا، ولكن عقلي مسحور بقصتكما وبهذه التجربة، ولأني لم أعش تجارب منذ مدة طويلة.

هنا قالت شمس وهي تتنهد:

- الآن علمت لمَ أنتِ مؤلفة؛ لأنكِ لا تتوقفين عن الكلام.

ضحكت لها رانيا وقالت لهما:

- هيا ورائي، وأنا لا أكون هكذا إلا إذا كنت متحمسة. . .

وقفوا أمام غرفة بها مكتبة كاملة، وكل جدران الغرفة تم تعبئتها بالكتب الورقية.

هنا قالت شمس بدهشة:

– ما كل هذه الكتب الورقية. . . !

ضحكت رانيا وقالت:

– أتعلمين أن كل هذه مؤلفاتي أنا وحدي. . . !

قال توماس وهو يهم بقراءة عناوين الأعمال:

– واااو، يا لكِ من معجزة يا رانيا !

– تسلم لذوقك يا توماس، ها هي هنا . . .

وأشارت على رف، وقالت لدكتور توماس أن يجلب الروايتين من على الرف.

أخذتهما شمس بلهفة من دكتور توماس الذي كان سيفتح أول صفحة وقالت له:

– السيدات أولًا يا دكتوري العزيز.

ابتسم لها الدكتور وقال:

– ها، وماذا سنفعل الآن يا شمس؟ هل عدتِ فقط لكي تأخذي الروايات؟

– لا، بل أريد أن أعرف كيف حدث الهلاك. . .

قالت لها رانيا :

- ولكن كيف . . . !

- سوف نقوم بتسريع الزمن من الآن إلى أن يحدث الهلاك ونعرف متى حدث .

وبالفعل بدأ الزمن يمر؛ أيام تعقبها أيام، ومن ثم شهور تعقبها شهور، وسنة تعقبها سنة إلى أن وصلنا لعام 2094 .

وهنا رأوا أن مجموعة من أثرياء العالم قد تجمعوا للقيام برحلة للفضاء تحسبًا للخطر الذي من المحتمل أن يحدث .

بينما من هم ليسوا أثرياء، تمنوا أن يكون التحذير ما هو إلا مجرد احتمال وقد لا يحدث .

ولكن للأسف، حدث التحذير بتقلبات مناخية لا يمكن السيطرة عليها ، وكل ما يمكن للمرء فعله هو أن يظل في بيته .

وهنا رأوا أهوالًا لم تخطر على البال؛ كل مكان بالعالم حل عليه عذاب بشكل مختلف: الأماكن التي بقرب البحر أغرقتها المياه، وأماكن أخرى غطتها الحمم

البركانية، وأماكن أخرى جاءتها ريح عاصف تكنس كل ما أمامها ، وأماكن أخرى شقت من شدة الزلازل .

وبعد مرور أيام من هذا العذاب الذي وقع على الأرض، هدأت الفيضانات والبراكين عن الانصهار، والأعاصير والزلازل .

ومع مرور الشهور، اختفى أثر مياه الفيضان من على الأرض وأظهرت طميًا كثيرًا، ولا أثر للبيوت التي كانت موجودة قبل الفيضانات .

بينما الحمم المنصهرة، وبعدما هدأت، خلفت مكانها رمادًا كئيبًا أخفى كل شيء كان موجودًا .

أما المدن التي حدثت بها الأعاصير والزلازل، فهي بالفعل انشقت الأرض وبلعتها .

وهنا صارت الأرض خاوية لا حياة فيها .

من شدة الصدمات والأهوال التي رأوها ، قرروا العودة للحاضر من جديد .

وهنا قالت رانيا بحيرة بعد أن فاقت من شرودها :

– لدي سؤال يحيرني، أو يمكنكما أن تقولا إنها فكرة غريبة؛ أولئك من هلكوا من هذا الدمار الجائح، هم أشخاص آخذون أكسير الحياة، أي أنهم احتمال أن يكونوا . . .

قاطعتها شمس كمن خطر في بالها فكرة:

– على قيد الحياة . . .

ابتسمت رانيا وكأنها سعدت بمن هو مقتنع بفكرتها :

– صحيح، هذا ما أظنه .

قال دكتور توماس متسائلًا :

– هل تقصدان أنهم صاروا سكان الأرض التي طالما قرأنا عنهم في القصص والأساطير ؟

قالت له رانيا بثقة:

– صدقني، لا يوجد دخان من دون نار، وأي أسطورة لها أصل في الحقيقة .

قالت شمس مؤكدة على كلامها :

– صحيح، وهذا ما أظنه أنا أيضًا .

ومن ثم سكتت رانيا قليلاً وجلست على الأريكة وأخذت تفكر في صمت .

بعد قليل، قاطعت شرودها شمس وقالت:

– فيمَ تفكرين الآن يا رانيا . . . ؟

رفعت رانيا رأسها وقالت بشرود بعض الشيء:

– أفكر في بوابات جوف الأرض التي قرأت عنها كضرب من ضروب الخيال، كي نحدد وجهتنا القادمة .

قال لها توماس:

– أتقصدين أننا سنذهب لجوف الأرض لكي . . .

قاطعته رانيا بثقة:

– بالضبط، كي نتأكد أن من اختفوا في هذا الهلاك لا يزالون على قيد الحياة أم لا . . . !

قالت شمس وهي تقرأ من الشاشة المنبثقة أمامها :

– هناك أساطير تربط بين أنفاق تحت الأهرامات وبين عالم جوف الأرض .

نظرت لها رانيا وضافت لكلامها :

– والبوابات القطبية فهي المدخل الرئيسي يا شمس؛ لأن في صغري شكلت هذه الفترة الفكرة الأكثر رواجًا عن "نظرية الأرض المجوفة"، حيث يُعتقد بوجود فتحات ضخمة عند القطب الشمالي والقطب الجنوبي.

ولا تنسي الأكثر جدلًا على مدار السنين: مثلث برمودا.

هزت شمس رأسها أي صحيح أن هذا موجود أمامها، فقال توماس:

– لقد سمعت كذلك أن جبال الهيمالايا بها بوابات لجوف الأرض ويحرسها رهبان.

قالت شمس وهي تتصفح الشاشة المنبثقة أمامها:

– صحيح، في الأساطير البوذية والتبتية، يُقال إن هناك مملكة أسطورية تسمى "أغارتا" تقع في جوف الأرض، ويُعتقد أن لها بوابات فرعية في أماكن مقدسة حول العالم، منها مصر والتبت والمنطقة القطبية.

ولكن في نهاية الكلام يذكرون كالعادة أن كل هذا ما هو إلا مجرد أساطير و. . .

قاطعتها رانيا وقالت:

– دعكِ منهم، والآن لنذهب.

سألها توماس:

-إلى أين . . . !

-إلى حيث توقفنا أولًا ، لعالم 2097 من تاريخنا الخاص بالجهاز ونكون مخفيين، وننزل لجوف الأرض ولكن سنظل هنا في مصر وخاصة أسفل الأهرامات التي لطالما كانت لغزًا حير العالم.

***

(18)

وصلوا لمنطقة الأهرامات، ولكن لم يظهر منها سوى قمة الهرم الأكبر الذي تم طلاؤها بالذهب الخالص والفضة كما كان في الماضي حيث كانت القمة مغطاة بالإلكتروم، حيث تم استخدام الأهرامات وتوصيلها بباقي الأهرامات في العالم بمجال مغناطيسي وصارت تستخدم كمولدات لتوليد طاقة هائلة منذ عام 2047، وكذلك تغير شكلها من السطح الصخري الباهت إلى اللون الأبيض الخاص بالحجر الجيري من جديد .

بينما عندما وصلوا، لم يروا سوى جزء من القمة ولم تعد كلها مطلية كما اعتادوا عليه، بل تبقى جزء صغير من طلاء الإلكتروم .

وهنا بدأوا النزول في باطن الأرض، وبالفعل وجدوا ممرًا، ومن هذا الممر الذي سلكوه وجدوا عدة ممرات، اختاروا الممر الأيمن واستمروا في النزول أكثر وأكثر وأكثر إلى أن وصلوا إلى عالم، عالم كامل متكامل، وكأن هذه الأرض ليست ما رأوه في الأعلى من خراب ودمار .

صاروا يمشون متخفيين في هذه المدينة التي أخذت الطابع المصري القديم من نقوش، ولكنها حضارية لأبعد الحدود .

وقفوا أمام معبد ذا أعمدة عالية عليها نقوش مصرية قديمة لا يمكن وصفها سوى بكلمة "تحفة فنية" يعجز اللسان عن وصفها .

وبمجرد أن وضعوا قدمهم كي يدخلوا المعبد ذا الأرضية الزجاجية، جاءهم صوت:

– مكانكم أيها الغرباء .

تصلبوا مكانهم، فكيف رآهم وهم مختفون عن الأنظار !

جاءهم الصوت ردًا على تساؤلاتهم الداخلية:

– عندما تكون الروحانيات لديك عالية، تكون قادرًا بسهولة على أن تشعر بالأطياف والأرواح التي حولك .

الإنسان الصافي ذهنيًا يرتقي وتتمثل به ذات الله العليا الذي لا يخفى عنه شيء .

همت شمس كي تنطق، ولكنه سرعان ما قال:

– أعرف مرادكم، ظلوا مختفين هكذا وتعالوا ورائي .

ظل يمشي إلى أن وصل لبيته فقال:

– تفضلوا أيها الغرباء .

وهنا بمجرد أن دخلوا، رأوا أشخاصًا يرددون ترانيم باللغة المصرية القديمة، ولكن الكاهن قام بلمس لوح على الجدار فاختفى الأشخاص .

هنا ذهلت شمس وقالت:

– كانوا هولوجرام أليس كذلك . . . ؟

ضحك الكاهن وقال:

– نحن من أسس العلوم والاختراعات كلها ، هل سنعجز عن صنع تقنية الهولوجرام . . . !

ضغط دكتور توماس على زر الظهور، فأشار لهم الكاهن أن يجلسوا ، وهنا همت رانيا كي تبدأ الكلام:

– هل كنت أنت مع من هلكوا في هذا الهلاك الأخير أم هلاك آخر لحق بالأرض ؟

رد عليها الكاهن:

– أنا ابن مصر القديمة، ويمكنك أن تقولي عمري 13000 سنة .

مصر التي ترونها الآن صحراء كبرى، كانت خضراء وعبارة عن سهول عشبية واسعة تشبه الغابات الإفريقية، وكانت الأمطار في مصر غزيرة وتهطل بانتظام، وهذا أدى لظهور بحيرات وأنهار في قلب تلك الصحراء .

وعندما أقول لكم إن مصر كانت مثل الغابة، فهذا ليس مجرد تشبيه بل حقيقة؛ حيث كانت تعيش الزرافات والفيلة والظباء وحتى الأسود، وأظن قد رأيتم تلك الرسوم مثل في وادي الحيتان .

في أثناء العصر الجليدي، أي قبل 15000 عام تقريبًا ، لم تكن مصر مثل البلاد الأوروبية التي كساها الجليد ، بل مصر كما قلت لكم حينها كانت تمر بالعصر المطير، وهذا أدى إلى ازدهارها من الناحية البيئية .

وكنا نسكن الهضاب بعيدًا عن وادي النيل لأنه كان محفوفًا بالمخاطر والفيضانات في ذلك الحين .

أسسنا كل العلوم، ونحن من أسس الأهرامات .

قاطعته رانيا وقالت:

– ولكن أغلب الدراسات أثبتت أن الهرم الأكبر خوفو بُني عام 2580 ق.م،

وهرم . . .

قاطعها الكاهن وقال:

– أتريدين أن تصدقي التاريخ المزيف الذي يثبت ما يشاء وينكر ما يشاء . . . !

– لا، بل أصدقك أنت أكيد، أكمل كلامك أيها الكاهن.

– نحن المصريين القدماء وضعنا أسس كل شيء، وخاصة الكهنة؛ كان لنا مكانة هامة لأننا وصلنا لمرحلة عالية من الصفاء الذهني التي مكنتنا من الاتصال بكائنات أخرى في هذا العالم، تمكنا من الاستفادة من الجن وحتى الفضائيين وأهل جوف الأرض كذلك.

هنا صدمت شمس وقالت:

– وهل كان هناك فضائيون وأناس في جوف الأرض حينها . . . !

– نعم، هذا صحيح، استعنا بالجن في الكثير من الأمور فهم يسبقوننا بملايين السنين على هذه الأرض، واستفدنا من الفضائيين في فكرة الأهرامات في توليد الطاقة، وسخرنا الجن لما لديهم من قدرات تمكنهم عنا في بناء الأهرامات.

ألم يذكر عندكم في الإسلام أن سليمان كان يُسخِّر الجن لكي ينشئوا له المباني الضخمة والتماثيل والمحاريب أي أماكن العبادة وغيرها ؟

قالت رانيا :

– نعم صحيح، هذا موجود في ديننا الإسلامي، وكذلك قال الرب إن الملاك هاروت والملاك ماروت كانا يعلمان الناس السحر .

– بالفعل، ونحن كذلك تعلمنا السحر واستخدمنا السحر في النفع لا في الضرر كذلك .

وتمكنا بعلوم السحر أن نستخلص عينات لإطالة العمر والتعافي من الكثير من الأمراض، فكان من الطبيعي أن يصل عمر الشخص لألف عام أو أكثر .

وكذلك تمكنا من الوصول لكيفية تحنيط الجثث وذلك بعد أن اكتشفنا أكسير الحياة، وهذا الأكسير كان موجودًا لدى الكهنة وحدهم .

جاءتنا الكثير من التحذيرات من الفضائيين –وللعلم الفضائيون ما هم إلا بشر مثلنا ولكنهم هربوا للفضاء من هلاك سابق– حذرونا كي لا نقع في نفس الخطأ الذي

وقعوا به، وكذلك جاءتنا رسائل من جوف الأرض بنفس التحذير، ولكننا ظننا أنهم لا يريدوننا أن نصل لما وصلوا إليه أو أن نغلبهم في العلم.

كان تحذيرهم ألا نتدخل في قانون الرب على هذه الأرض، لأن هذا يؤدي إلى غضب الرب، وغضب الرب شديد إذا لحق بقوم يجعلهم أسفل سافلين.

لذا قررنا نحن الكهنة أن نستخدم هذا الأكسير عند الضرورة فقط، أي إذا كنا في فترة نحتاج إلى حاكم عادل يجعل البلاد تزدهر أكثر وأكثر فنقوم بإعطاء هذا الأكسير لأكثر ملك كان في عهده الازدهار، لذا نحن كنا نحنط جثث الملوك خاصة.

تركنا في برديات طرق التحنيط ولكننا لم نكتب طريقة أكسير الحياة.

ولكن نيتنا لم تستمر كذلك، فيوجد من هم علموا بمكان الأكسير وقتلوا الكاهن الحارس وسرقوه، وتم استخدامه من علية القوم بنية الخلود، وبعد ذلك حدث ما حدث معكم بالضبط؛ تم التخلص من المستضعفين الفقراء، بينما الصفوة في الجسم والعلم والمال أخذوا الأكسير، وظننا أننا قدرنا على الدنيا، والكهنة بدأ القلق يقل من أن يتحقق الكلام الذي وصل لنا، وأمنا للواقع.

إلى أن جاء اليوم المشؤوم الذي استيقظت فيه على ذلك الكابوس الذي كان يطاردني بغرق البلاد بأكملها ، ولكن هذه المرة لم أستيقظ كي أجترع الماء من الكوب الذي بجوار سريري، بل استيقظت بارتطام الماء بجسدي ورأيت هلاك كل شيء ، وبلاد العلم والتقدم كل ما بها صار تحت الماء .

وكأن الرب عندما يجدنا تجاوزنا حدودنا وتدخلنا في قوانينه، يخسف بنا الأرض ويجعلنا من أسفل سافلين ولا نعد نعيش في الأرض العليا مرة أخرى .

قالت شمس مستنكرة:

– ولِمَ لحق بك الهلاك برغم إيمانك و . . .

قاطعها الكاهن وقال:

– لأن الرب يُسقط العذاب على من تعدّى على قوانينه، أو من قَبِل بها ، أو من حتى لم يعترض على التعدي على هذه القوانين؛ مثل في قصة زوجة النبي لوط؛ أي نعم هي لم تكن تقوم بالفاحشة مثل القوم ولكنها رَضِيَت بما يفعلون ولم تعترض فكان حق وقوع العقاب عليها ، وهذا ما حدث معي .

قالت رانيا متسائلة:

-وهل خرج في عصركم البعض للفضاء مثلما حدث في عصرنا . . . ؟

-علية القوم فقط من تمكنوا من ذلك وحاشيتهم .

فكما تعلمون، تلك الرؤية التي كانت تراودني كانت تراود بعض الكهنة، والبعض الآخر كان يتجاهل قلقه ويتعايش، فكاهن الأسرة الحاكمة وضح لهم الهلاك الذي من المحتمل أن يحدث، وهنا أمر الحاكم بصناعة مركبة فضائية -وقبل أي سؤال سبق وقلت لكم نحن نستعين بالجن في أغلب أمورنا فلم يكن لدينا شيء مستحيل-

قالت شمس متعجبة:

-ولِمَ ربكم يترك علية القوم والحكام ولا يلحق بهم العذاب . . . !

ابتسم الكاهن متحسرًا وقال:

-في كل الحالات هم منبوذون مثلنا ، ولكن من هم علية القوم سيظلون فوق كالعادة، ومن هم من الشعب سيظلون في الأسفل دائمًا ، ولكن التشريف الحقيقي هو من يكون خليفة الرب على هذه الأرض، لا من هم في جوفها ولا المطرودون في فضائها .

قال توماس كمن يربط الأحداث:

– يعني الزمن يكرر نفسه يعني أنتم عندما وصلتم لذروة العلم والتقدم والتحكم في كل شيء حل عليكم الهلاك، وقد تكون الإشارات التي كانت تأتيكم من الأمة التي سبقتكم هي الحضارة التي كانت قبلكم وقد تكون حضارة أطلانتس، وعندما وصلوا لذروة العلم حل عليهم الهلاك فأكيد منهم من في جوف الأرض أو البحر أو الفضاء، ومن ثم جئتم أنتم وأنتم من صنعتم الأهرامات وأبو الهول وتلك الحضارة العريقة التي كانت منذ آلاف السنين ونحن نراها صخرية باهتة ومجرد مقابر أو لغز لا نفهم حقيقتها لأننا لسنا من صنعناها .

ومن ثم ضرب رأسه وأضاف:

– آه صحيح، والدليل الذي يثبت أن أبا الهول كان مدفوناً من أثر الفيضان الذي خلَّف الذوبان العظيم ونهاية العصر الجليدي، هو أن تحتمس الرابع حلم بأبي الهول وطلب منه أن يزيل عنه الرمال ووعده بالملك فكشف عن رأسه، ومن ثم عمليات كثيرة على مدار السنين؛ منذ 1817 قام مغامر إيطالي "جيوفاني كافيجليا" بقيادة حفرية حديثة والكشف عن صدر التمثال وقدميه، ومن ثم عدة حملات، وآخِر

حملة لظهوره كانت عام 1925-1936 وهنا ظهر التمثال كاملاً ولكن بشكل صخري بحت .

والذي يثبت أنه كان ملوناً ، أنهم وجدوا أجزاء قليلة به تحمل طلاءً أزرق وأبيض، لذلك نحن في المستقبل قمنا بإعادة هيئة الأهرامات وأبو الهول بشكل زاهٍ؛ لأنها أكيد لم تكن في البداية باهتة .

فقالت رانيا محاولة أن تربط الأحداث مع توماس:

– بينما الحضارة المصرية القديمة التي يعرفها جيلنا أنا وأنت يا توماس، هي كانت بداية الفرصة الجديدة لجنس آدم على هذه الأرض لكي ننجتاز الاختبار بشكل صحيح ونكون خلفاء للرب في هذه الأرض ونعمرها كما طلب منا ، ولكن في ذات الوقت نظل مسلمين له أي مستسلمين لإرادته وألا نحول كل شيء لإرادتنا وتغرنا عقولنا فنظن أننا قدرنا على الدنيا وهنا يحل بنا الهلاك .

قال لها توماس:

– صحيح، بدأت الحضارة المصرية القديمة بشكل بسيط وتقنيات بسيطة إلى أبعد الحدود، أي نعم وصلوا لعلوم ولكنها علوم مقارنة بعلوم عصر هذا الكاهن فليست بنفس المستوى نهائيًا .

ومنذ عصر المصريين القدماء الذين نعرفهم، أخذنا نتقدم شيئًا فشيئًا على مدار آلاف السنين إلى أن وصلنا لعام هلاكنا كذلك .

قالت لهم شمس:

– أظن الصورة بدأت تتضح لنا، نشكرك أيها الكاهن .

قالت لها رانيا :

– دعينا قليلًا مع الكاهن فأنا أريد أن . . .

سحبتها شمس وقالت:

– أنتِ لا تشبعين من الكلام، سنعود مرة أخرى فها نحن ذا قد علمنا الطريق .

***

(19)

وصلوا للحاضر من جديد ، فجلست شمس على الأريكة بعد أن طلب منها توماس أن يرتاحوا قليلاً ، فأخذت رواية "الخطيئة – الجزء الأول من أولاد لوسيفر" وبدأت تقرأها ، وبعد قليل نظرت شمس بصدمة وقالت لتوماس:

– ما هذا ؟ ما الذي فعلته بأمي . . . ؟

هنا صدم توماس وقال لها بحيرة وتوتر دفين:

– ماذا فعلت . . . !

مدت له الرواية وفتحت له الصفحة وقالت:

– ما زلت في بداية الرواية وها أنا صدمت بك يا توماس !

هنا توماس كان يتطلع على سطور الرواية وهو يتمنى أن تنشق الأرض وتبلعه، ولم يستطع أن ينطق بشيء ، واستمرت شمس في غضبها :

– وتقول لي لمَ أمي تركتك وذهبت لغيرك لأنك لا يؤتمن لك يا توماس، أنت . . .

قاطعها توماس مندفعًا غاضبًا مدافعًا عن نفسه:

– شمس، لا تظلميني أنا لست بكل هذا السوء صدقيني .

تدخلت رانيا كي تقلل حدة النقاش:

– اهدأ يا توماس، أهدئي يا شمس؛ أولًا الموضوع ليس كما تظنين، ثانيًا لا تكوني متسرعةً هكذا، إذا أردتِ معرفة كل شيء فيجب أن تقرئي الرواية كاملة وتفهمي أن ما حدث كيف حدث وكيف انتهى.

جلس توماس وهو يشعر بالخزي وقال:

– أنا لست سيئًا يا شمس، وأنا نادم على ما فعلته، ولكن كل ما حدث كان عن غير عمد مني.

أخذت رانيا يد شمس وأجلستها وأهدأتها وقالت:

– اجلسي، اهدئي وأكملي الرواية. . .

ومن ثم التفتت لدكتور توماس وقالت:

– وأنت يا توماس، لا تدع الحزن يغيم عليك هكذا، وأطلب لنا طعامًا، أكيد تشعران بالجوع، دعونا نفصل قليلًا ونرتاح ونأكل كي نستطيع أن نكمل مغامرتنا.

في المساء، قالت لهما شمس بعد أن أكملت الروايتين وفهمت حياة أمها بالتفصيل وفهمت حقيقة الصراع:

– بقى مكان واحد أريد أن أذهب إليه .

التفت لها دكتور توماس وقال:

– إلى أين العزم هذه المرة . . . ؟

– البحر .

ضحكت رانيا بتهكم وهي تشعر بالضيق لأن شمس سحبتها ولم تدعها تكمل كلامها مع الكاهن، ومن ثم قالت:

– هل سترجعين بالزمن لحضارة أطلانتس هذه المرة . . . !

التفتت لها شمس وقالت:

– لا، لن أرجع بالزمن هذه المرة لأني لا أدري متى كانت تلك الحضارة من الأساس ولا أريد مغامرة إليها بعد أن غرقت كما فعلنا بزيارتنا للكاهن، كل ما أريده أن أذهب إلى سيرين . . .

هنا صدم توماس وقال:

– زوجة أبيكِ . . . ! ألا تخافين أن . . .

قاطعته شمس وقالت:

– لا أظن أنها ستؤذيني .

اقتربت منها رانيا وهي تشعر بالقلق عليها :

– أتريدين أن تذهبي ونذهب معكِ ونحن متخفين لأجل هدف معين، أم تريدينها شخصيًا ؟

– لا، أريدها شخصيًا ، وأظن موضوع التخفي لن يفلح معها ، فهي جنية أصلًا فهي جسد أثيري في الأساس فأكيد سترى الأجساد الأثيرية .

ظهرت ملامح التوتر على وجهي توماس ورانيا ، فهنا همت شمس بجدة ومدت يدها كي تسحب الجهاز من جيب دكتور توماس وقالت:

– إذا أردتما البقاء هنا فكما تشائان، أنا أريد أن أذهب حالًا كي يهدأ بالي .

هم دكتور توماس واقفًا وقال:

– وعدتكِ أني سأظل معكِ وسأفي بوعدي .

وقالت رانيا :

– وأنا كذلك معكِ في كل خطوة يا شمس، فالهلاك نصيبي في المستقبل لا محالة، والهلاك علينا حق عاجلًا أم آجلًا .

نظرت لها شمس وقالت:

– وقد نستطيع تغيير ذلك القدر من وقتنا ذا ومن الآن يا رانيا .

أومأت لها رانيا :

– إن شاء الله يحدث ذلك .

***

(20)

وبالفعل ذهبوا لبيت سيرين، وبمجرد أن فتح لهما الروبوت الباب، وجدوا سيرين وحسن.

هنا وقف حسن وقال غاضبًا وهو يهم بمسك ذراعها بقوة:

– ماذا جاء بكِ إلى هنا يا وجه النحس . . . !

همت سيرين من مكانها كي تمنع الشجار، وهم توماس ورانيا بإبعاده عنها، وقالت شمس بتحدٍّ وضحكة تهكم:

– "وجه النحس" هي السبب في حياتك الآن يا . . . أبي.

نظر لها بكره بعد أن ربتت عليه سيرين وقال:

– بل وكنتِ سبب موتي في الأساس.

نظرت له باحتقار وقالت:

– بل أنت من قتلت نفسك بنفسك أيها السارق، يا من تسحبت ودخلت غرفتي ولكنك أخذت العينة الخطأ.

– وماذا تريدين الآن . . . !

– أريد أن أمنع أخي من هلاك العالم.

نظر لها بعدم فهم وقال بصوت مصدوم:

– أخوكِ من . . . ؟

– تيمور أخي، ألم تقولي له ذلك يا سيرين . . . !

ترقرقت الدموع في عيون سيرين عندما نظر لها حسن بصدمة وقال:

– هل ما تقوله صحيح . . . ! ؟

أومأت له رأسها وقالت:

– إنه موضوع يطول شرحه يا حسن و . . .

هنا ضحكت شمس وقالت:

– لست أنا وأمي فقط من تم خداعهم؛ فكما أنت خدعت أمي، هناك من يخدعك.

نظرت لها سيرين وهي تدافع عن نفسها:

– لا، لم أخدعه، ولكن لم تأتِ فرصة كي أوضح له ذلك.

قالت لها شمس بحسرة:

– هل هنت عليكِ أن تريني طوال كل هذه السنين وأنا أعانى من قسوة أب بينما هو يصب حنانه على تيمور وتامر ؟ لماذا فكرتِ في ذاتكِ فقط وفي بيتكِ ولم تفكري بي ولا بأمي سمية ؟

نظرت سيرين للأرض ومن ثم نظرت لها وقالت موضحة:

– إنه الحب يا شمس، عندما تحبين لا تستطيعين أن تفكري بالمنطق ولا بالعقل، الحب يجعلنا أنانيين لا نفكر سوى بأنفسنا وسعادتنا وكفى، وأنا كنت أظن أن ما تعتقدينه أنه ظلم لكِ ولأمكِ كنت أظنه عدلًا من وجهي نظري بأني تركته مخيرًا بين البيتين ولم أتدخل في طريقة حبه أو اهتمامه لا ببيته ولا بكِ ولا بزوجته، أي لم أخيره بيني وبينكم، بل بالعكس رضيت بالوضع، ولكن طيبتي لم تجعلني أصل لمرحلة أن أجعله يهتم بكم أكثر أو يحبكِ فهذا ليس شأني .

نظرت لها شمس من دون أن توجه لها كلمة وكأن بنظرتها تقول إن الكلام لن يفيد شيئًا ، ومن ثم نظرت لحسن وقالت:

– هل هانت عليك زوجتك سمية أن تموت تلك الميتة البشعة بيد تيمور . . . ؟

التمعت الدموع في عيني حسن وقال:

– لقد قال لي تيمور إنه فعل ذلك وهو في نوبة انتقام، ولو كنت على قيد الحياة لكنت منعته من فعلته تلك . . .

ومن ثم مسح دمعته وقال:

– ولكن تيمور وعدني بأنه سيعيدها للحياة من أجلي، ولكنه سافر ومشغول هذه الفترة بالاختراع و . . .

التفتت شمس لسيرين وقالت:

– هذا ليس الموضوع الذي جئت من أجله، سيرين أنا أحتاجكِ أريد أن أعرف منكِ بعض التفاصيل .

أشارت سيرين كي يتفضلوا بالجلوس وقالت لهم:

– تفضلوا أولاً ، لا يصح أن يظل حديثنا هكذا ، وأنا معكِ فيما ترغبين به يا شمس .

– هل يوجد بشر يعيشون في البحر . . . ؟

– نعم، يوجد بشر يعيشون في البحر منذ آلاف السنين، القصة طويلة يا شمس و . . .

قالت رانيا بلهفة:

- نحن جئنا هنا كي نسمع القصة بحذافيرها .

فأضاف توماس:

- كلنا أذان صاغية لكِ يا سيرين .

وحسن يستمع في حالة ذهول .

من ثم قالت سيرين:

- كما تعلمون، أن العلماء الآن توصلوا إلى أن الأرض عمرها أكثر من 4 مليار سنة، وظهرت الديناصورات منذ 230 مليون سنة، بينما أول ظهور لبشري كان منذ 200 ألف سنة، ويوجد من يقول إنهم وجدوا أثرًا يدل على أنه كانت هناك حياة منذ 700 ألف سنة لبشري .

ولكن الحقيقة أن هناك من سبقوا البشر في العيش على هذه الأرض .

نحن الجن أول من جعلهم الرب خليفة له على هذه الأرض، ولكننا فشلنا في الاختبار لملايين السنين إلى أن جاء اليوم الذي كانت فيه نهاية الاختبار؛ فمهما طال الوقت لابد وأن تأتي النهاية .

سقطت علينا لعنة الرب لعنة أبدية فصرنا مختفين عن الأنظار ولم يتبقى منا سوى جسدنا الأثيري، كما أنتم بداخلكم الروح الأثيرية.

في كل مرة كنا نفشل في الاختبار يعذب الرب من فشلوا في الاختبار بأن يجعلهم في أسفل سافلين في جوف الأرض، أو هائمين في الفضاء، أو في البحار.

ومن ثم عندما أراد الله أن يكرر الاختبار ولكن مع جنس آخر؛ جنس آخر مخير، فالله يريد جنسًا يختار عبادته وحبه والانصياع لأوامره ولا يتغير مع مرور الوقت ويتجبر ويتكبر ويشيع في الأرض فسادًا.

فعندما أراد الرب أن يخلق جنسًا آخر من الطين بدلًا من جنس النار الذي فشل في اختبار التشريف والخلافة، هنا قالت الملائكة للرب: "لِمَ ستعيد التجربة مرة أخرى، هل ستخلق جنسًا آخر في الأرض كي يسفك الدماء ثانيةً . . . ؟" فهنا قال لهم الرب أنه يعلم ما لا يعلمون، وأنه عرض الأمانة ثانيةً أمام كل المخلوقات من حيوان وجماد وإنسان، ووافق الإنسان على تحمل أمانة أن يكون خليفة الرب في الأرض.

ولكن للأسف، التجارب التي مر بها الإنسان إلى الآن أي في خلال الـ 200 ألف سنة الماضية تكرر سقوط غضب الرب على جنس البشر، وما زالت هناك محاولات أمامكم إلى الوصول للنهاية التامة التي تحل فيها عليكم اللعنة وتختفون فيها عن الأنظار مثلنا، ولن تتمكنوا من الظهور إلا في حالات معينة في ثوانٍ أثناء التجسيد أو لبس جسد كائن حي.

وهذا ما ترونه من أهل سكان جوف الأرض من الجن، فهم لم يعودوا كائنات مادية مثلكم، بل هم لم يعودوا سوى جسد أثيري ولا يتمكنون من الظهور إذا خرجوا من جوف الأرض إلا مدة قليلة.

بينما سكان جوف الأرض من البشر ما زال يمكنهم التجسيد بجسد مادي لأن لعنة الاختفاء لا تحل إلا بعد أن تنتهي المحاولات كاملة لجنسكم على مدار السنين.

وحتى الكائنات التي يقولون عنها فضائية، أولئك بشر منبوذون يأتون كي لا تكرروا غلطتهم، ولذلك تستطيعون رؤيتهم لأني كما قلت لكم المنبوذين من البشر ما زال يمكن رؤيتهم، بينما الجن المنبوذ في الفضاء هم الجن الطيار ولا يمكنكم رؤيته إلا إذا تجسد، والتجسيد يكون لثوانٍ و . . .

قاطعتها رانيا بحيرة:

– ولكنكِ متجسدة الآن، وزين أو جواد الذي قتل فريدة أم تيمور وشمس كان يتجسد و . . .

قاطعتها سيرين وقالت:

– لأنه نصف بشري وأنا كذلك نصف بشرية .

ضربت رانيا مقدمة رأسها والتفتت لها شمس وهزا رأسهما في ذات اللحظة كمن تذكر شيئًا ، ومن ثم قالت رانيا :

– صحيح، جواد نصف بشري ونصف جني، ولكن أنتِ . . .

قالت سيرين موضحة:

– ألم أقل إن هناك جنًا منبوذاً في البحر ، وكذلك هناك بشر نبذوا في البحار عندما وقع عليهم الهلاك، وجسدهم البشري لم يتغير ولم يتحولوا لنصف سمكة بل ظلوا كما هم وتمكنوا من العيش في البحار مثل الأسماك ؟ بينما فكرة حوريات البحر جاءت من الشيء الذي يتم ارتداؤه على نصف الجسم فهي تعد مثل الملابس على الأرض وتساعد على العوم بشكل أسهل .

قال توماس متعجبًا:

– هل هذا يعني أنه لا يوجد حوريات بحر . . . !

ضحكت سيرين وقالت:

– لا، بل يوجد بشر وجن يسكنون البحر، والبشر الذين يسكنون البحر يمكنك أن تقول عنهم إنهم الحوريات.

في يوم أحب أبي البشري الذي كان بحارًا، أمي التي كان أبوها من الجن وأمها بشرية منبوذة وقع عليها الهلاك؛ عندما رأى أبي أمي وتمكن من رؤيتها –فكما قلت لكم إن الجنس البشري المنبوذ لا زال بقدرته أن يتجسد – على العموم أبي حب جمالها وطلب منها أن تأتي معه، ولكنها قالت له إنها كُتِب عليها أن تظل في البحر ولا تقدر أن تعيش على الأرض.

تكررت لقاءاتهما في يخت أبي في البحر إلى أن جاء اليوم الذي حملت فيه أمي، وعندما علم أهل أمي حرموها من رؤية أبي، وأن الطفل لا يمكن أن يعيش مع البشري.

وللأسف لم أرى أبي قط لأن أمي لم تحكِ لي عنه أبدًا في طفولتي، وعندما كبرت أمي حكت لي قصة حبها مع أبي وختمتها بأن أبي ميت، ولكن أنا كان بداخلي أمل أن يكون على قيد الحياة، فظللت يوميًا أخرج في ذات الوقت الذي قابلت فيه أمي أبي، ولكني لم أقابله هو بل قابلت حسن وعشت معه قصة حب تشبه قصة حب أبي وأمي، ومن ثم خرجت وتزوجت وعشت مع حسن وتمكنت مما لم تتمكن منه أمي؛ لأن أمي كانت أثيرية جنية بشرية، بينما أنا كنت نصف أثيري جني لأمي ونصف مادي بشري لأبي، لذلك تجدونني أتمكن من التجسيد مثل جنس البشر الذي لم تلحق به لعنة الاختفاء بشكل تام إلى الآن، وفي ذات الوقت لدي قدرات الجن من الاختفاء وغيرها .

قالت لها رانيا :

– والدافع الدفين الذي جعلكِ لا تفعلين شيئًا عندما ترين حسن يقصر في حق وحب شمس، هو شعورك بالحرمان من الأب أليس كذلك . . . !

– صدقيني أنا لم أرد أن أتدخل في حياة حسن لا بالخير أو بالشر ولكن . . .

قالت شمس مغيرة الموضوع بجدة:

– الكلام في هذا الموضوع لن يفيدنا الآن، أريد أن أسألك يا سيرين؛ هل تعتقدين أن حضارة أطلانتس هي من ضمن الحضارات التي كانت موجودة في الماضي وغرقت . . . ؟

– صدقيني يا شمس، عدد من يسكنون البحار أضعاف من يسكنون الأرض، ولكن ستظل الأرض هي مكان التشريف .

وبالفعل أطلانتس من ضمن الحضارات التي غرقت في البحار، والحياة تحت البحر متقدمة ولكن بحدود فصرنا لا نستطيع أن نبتكر أفكارًا غير التي عرفناها .

ولكن تظل الحياة تحت البحار جيدة للكثير منا سواء الجن أو البشر المنبوذين .

هنا تنهدت شمس وقالت:

– يعني قد تكون أطلانتس هذه كانت حضارة متقدمة جداً قبل حضارة بناة الأهرامات السابقين وكالعادة كلما وصلوا لدرجة عالية من التقدم والتحكم في كل شيء يحل الهلاك، وقد نظل في هذه الدائرة مثل الجن وفي النهاية يحل علينا العقاب النهائي .

أومأت لها سيرين أي نعم، فقالت لها شمس:

– أريد أن أطلب منكِ طلبًا سيجعلني أسامحكِ عما صدر منكِ تجاهي وتجاه أمي سمية التي ربتني . . .

قاطعتها سيرين:

– ولكني لم أفعل . . .

قاطعتها شمس وأكملت كلامها :

– سواء بقصد أو من دون قصد ، أريدكِ أن تساعدني في إرجاع أمي .

تصنعت سيرين الغباء وقالت:

– تيمور وعد حسن أن يعيدها للحياة عندما يعود م . . .

قاطعتها شمس بحدة وقالت:

– أنتِ تفهمين قصدي جيدًا . . .

توترت سيرين وقالت:

– ولكن هذا به مخاطرة كبيرة يا شمس .

همت شمس واقفة وقالت:

– أعلم ذلك، ولكني ليس لدي ما أخسره، وها قد جئت كي تساعديني في ذلك .

همت سيرين واقفة أمام شمس موضحةً لها :

– شمس، صدقيني ليليث ليست بهذه السهولة، ولا تعلمين كمية كرهها لجنس البشر .

– ولكنكِ قلتِ لي إن البشر المنبوذين والجن يعيشون سويًا في . . .

قاطعتها سيرين بحدة موضحة:

– نعم نعيش سويًا ، ولكن يوجد من الجن بهم كمية حقد رهيبة على جنس البشر . يعني أنا عندما كنت أعيش في البحر وأنا نصفي بشري ونصف جني، لم يكن يحبني أغلب من هم جن بشكل كامل .

– ولكن لِمَ هذه الكراهية ؟

– من يعيشون البحر من البشر قد يتعاملون مع الجن ولكن هناك كره دفين من الجن تجاههم، ولكن الكره الحقيقي من الجن تجاه البشر خليفة الرب على الأرض، وذلك لأنهم من أخذوا الفرصة منهم وأخذوا التشريف .

لذا الكثير من الجن يستغل أنه جسد أثيري ويوسوس للإنس كي يجعل البشر يخطئون ويثبتون للرب أنهم من كانوا يستحقون أخذ فرصة أخرى للخلافة لا أن يخلق هذا

الجنس الآثم، وكأنهم يقولون للرب: هلكتنا لأننا مذنبون، فالإنس كذلك مذنبون.

لذا التحدي أمام البشر في الخلافة أصعب؛ فعلى الإنسان أن يغلب شر نفسه وشر وسوسة الشيطان.

هنا قالت رانيا مؤكدة:

– صحيح، وهذا يثبت أنه برغم أن الرب يكبل حركة الجن في شهر رمضان، إلا أن الكثير من المسلمين يظلون يفعلون أفعالًا سيئة التي يلقي بالتهمة في الأيام العادية على الشيطان أنه السبب بها، ولكن الحقيقة أن بداخل كل بشري شر وخير فعليه أن يحاول جيدًا أن يحارب شره، ولكن في الأيام العادية غير رمضان الوسوسة بالشر تكون من النفس ومن الجن المؤذي.

قالت شمس بإصرار:

– أريد أن أذهب، وأنا واثقة أني لن يؤذيني شيء فمعي ما سيحميني.

فنظرت لها رانيا بعدما فهمت مقصدها عندما رأت شمس تمسك بقلادتها وقالت:

– نعم، عندك حق يا شمس، وأنا معكِ.

أمسك توماس قلادة الصليب الخاصة به وقال:

– وأنا معكِ يا شمس، فالقوة التي معنا ستشكل لنا أكبر قدر من الحماية.

وقف حسن وقال:

– لن أتركك يا سيرين، سآتي معكِ... أقصد سآتي معكم.

قالت له شمس:

– ولكن يجب أن تكون مؤمنًا بالرب وتشعر بقوته بداخلك، لأن الله هو وحده الحامي من أي أذى، والبعد عن الرب يعني الهلاك.

هنا قال دكتور توماس:

– هيا، أظن أن الجميع جاهزون أليس كذلك؟

أومأوا له أي نعم، ومن ثم طلبت شمس من سيرين:

– اكتبي عنوان ليليث حيث توجد أمي حبيسة الآن، فأنا ودكتور توماس رأينا جواد في الماضي عندما جلب جثة أمي لليليث، ولكن لم نتابع الأحداث ولا نعرف ما هي التغيرات التي حدثت، وقررت أن آتي إليكِ كي توفري عليَّ الوقت ونذهب مباشرة.

قال توماس موضحًا :

– صحيح، أفضل من أن نعود بالزمن ونظل نتابع التغيرات .

قالت لهم سيرين:

– أعلم أنكم كنتم موجودين فلقد شعرت بطيفكم في بعض الذكريات في الماضي .

نظرت شمس لتوماس بصدمة وقالت:

– هذا يعني أن جواد شعر بنا كذلك . . . !

قال توماس بحيرة:

– ولكننا سنذهب على أي حال . . . !

فاقت شمس من شرودها وقالت بإصرار لسيرين:

– أنا مصرة أن أذهب للحصول على أمي يا سيرين .

نظرت لها سيرين بقلق وقالت:

– صدقيني لا أشعر أن . . .

– سيرين اكتبي الآن . . .

***

(21)

ها هم قد وصلوا لقبو قصر ليليث في أعماق البحار .

وقفت شمس أمام البلورة المسجونة بها جثة أمها ، تلمس زجاج البلورة الضخمة وهي تبكي وتتمنى لو تستطيع أن تلمس يدها من وراء هذا الزجاج.

اقتربت منها رانيا وربتت على كتفها ، وقطع هذه اللحظة صوت توماس وهو يهمس:

- يجب أن نجد طريقة لأخذ الجثة في أسرع وقت قبل أن . . .

لم يكمل كلامه؛ لأنه جاءه صوت جعله، بل جعلهم جميعًا ، يتصلبون مكانهم:

- قبل أن ماذا أيها الحمقى . . .

التفتوا، وقد كان الرعب أوشك أن يقتلع عيونهم لما رأوا ليليث؛ تلك الملكة ذات الرداء الأسود والأحمر، وقلادة البومة ذات الحجر الروبي الذي يزين رقبتها .

أكملت كلامها :

- أتظنون أنكم أذكياء ؟ هل تظنون أن اختراقكم لمثل هذا الصرح سيمر مرور الكرام ولن نشعر بكم ؟ للعلم، شعرنا بزيارة طيفكم في الماضي، ولكننا كنا نعرف

جيدًا أنكم ستأتون في الحاضر، وهذا ما يهمنا؛ فهلاككم يجب أن يكون في الحاضر أيها الأغبياء.

قالت شمس بعد أن حاولت أن تتغلب على خوفها:

– لم أقلل من ذكائكم، كل ما أريده أمي فقط، بدون أن تؤذيكم أو تؤذونا.

ضحكت ليليث ضحكة ملأت قلب حسن رعبًا، فأمسكت سيرين بيده كي يتمالك نفسه، وقالت ليليث:

– تؤذوننا! هههههه، وكيف لجنس آدم الطيني الوضيع الضعيف أن يؤذي بني النار من الجن!

في هذه اللحظة دخل جواد وقال متهكمًا:

– يبدو أنها حمقاء متهورة مثل أمها.

ومن ثم اقترب قليلًا ووجه نظرته لشمس وقال:

– شعرت بطيفك في الماضي وتلذذت عندما قتلت أمك أمام عينيكِ، وكنت أعلم أنكِ حمقاء مثلها، وأنتظرت الوقت المناسب لقدومكِ لكي أنتقم منكِ.

نظرت له شمس بتحدٍّ ونظرات الكراهية تنبعث من عينيها:

– أمي التي تصفها بالحمقاء غلبتك بدل المرة مرتين، بينما آخر مرة لم تستطع أن تغلبك لأنك استغلت ضعفها وهددتها بمولودها يا خبيث .

اقترب منها بخطوات ثابتة ونظرات تنبعث منها كل معاني الشر:

– ولكن الأمر هذه المرة مختلف؛ أنتم هذه المرة في مملكتنا و . . .

قاطعته شمس وقالت بتحدٍّ:

– صدقني، لا أخاف منك ولا من غيرك، لا أنكر أني أخطأت عندما استعنت بنفر من الجن، ولكن بمجرد أن خلفت اتفاقي معه ماتت أمي انتقامًا من أني ارتديت قلادة قرآنية، ولكن لم يستطع أن يفعل بي شيئًا لأني محمية و . . .

ضحكت ليليث فضحك جواد، وقالت ليليث:

– تلك الحمقاء تظن أن تلك القلادة تحميها !

– إنها مغفلة حقًا .

نظرت لها ليليث باحتقار وقالت:

– نهايتكِ، أوه، بل أقصد نهايتكم ستكون على يدنا الآن أيها البشريون الأغبياء .

أشارت ليليث لجواد، فهجم على شمس وهو رافع إياها في الهواء، وهو يقهقه وينظر للموجودين:

– صدقوني، أنتم خلق ضعفاء، وما كان يجب أن تكون الخلافة لجنس ضعيف غبي مثلكم.

ومن ثم ارتفع وصار موازيًا لها، ولف يده حول رقبتها وهو يضحك ويقول:

– سأجعلك تموتين مثل ميتة أمكِ، ها، ما رأيك . . . ؟

وهنا شمس تحاول أن تسحب يده من على عنقها، ولكنها لم تستطع، فقامت بسحب القلادة من رقبتها ووضعتها على جبين جواد، وبدأت تردد ما حفظته من الرواية أثناء مواجهة أمها وجواد.

وهنا جبين جواد بدأ يحترق وقواه تضعف، وحلت يداه عن رقبتها وصار يهبط شيئًا فشيئًا.

هنا قالت ليليث بغضب:

– أتظنين أنك ستغلبين بني الجن بكلامك هذا . . . !

وقامت بطرقعة أصابعها لحضور جنود من الجن، وفي هذه اللحظة صرخت شمس آمرة:

– الآن ابدؤوا في الآيات وكلكم يقين.

وبمجرد أن بدءوا بالترديد بصوت عالي تلك الآيات القرآنية، بينما توماس يقرأ من الإنجيل ويمسك صليبه بيقين للحماية، تشكل حول الغرفة هالة من نور، لم يستطع الجنود اختراقها، وكل من حاول اختراقها خرَّ واقعًا.

وما زالت شمس تردد الآيات إلى أن صار جواد على الأرض لا يحرك ساكناً وجبينه قد خُتِم بشكل سداسي مثل شكل القلادة.

وهنا اقتربت من ليليث التي لم تعرف ماذا ستفعل الآن؛ فالمكان محاصر بتلك الهالة وأمامها هذا الجمع الذي لحق بشمس في الاقتراب منها.

قالت رانيا وهي تتهكم عليها:

– نحن خليفة الله وأنتم تعلمون جيدًا أننا أقوى منكم، قد لا نكون بنفس قدراتكم ولكن عقلنا أذكى منكم بكثير، الله عندما قال للملائكة إنه يعلم ما لا يعلمون وأنه علَّم آدم الأسماء كلها، فالله يعرف جيدًا أن الإنسان بعلمه سيميز الخير من الشر

وسيستطيع أن يسخر كل شيء لأجله، حتى أنتم يستطيع أن يسخركم، وهذا ما فعله سليمان بكم، بأنه لم يسخركم فقط بل استعبدكم، وعندما مات لم تعلموا بموته إلا عندما رأيتم سقوط العصا، وهذا ما يميزنا عنكم: الذكاء والعلم، ويجب أن نفهم خبثكم ونحذر منه لأنكم تريدون أن نقع فيما وقعتم به، ولكني أحب أن أقول لكِ لن نقع.

وما زال الباقون يرددون الآيات بعزم ويقين، وشمس تقرب القلادة من رأس ليليث التي وقعت أرضاً وقالت لها:

- أعطيني المفتاح لكي أخرج أمي، فكما قلت لكِ من البداية نحن لا نريد أن نؤذيكِ.

أعطتها المفتاح، فهمت مسرعة كي تخرج أمها، وأخذ توماس مكانها وسلط صليبه على رأس ليليث، وبمجرد أن فتحت الباب هم حسن وسيرين كي يمسكا بفريدة، وأشار لتوماس: هيا اكتب تاريخ الحاضر.

وكل منهم لمس الجهاز وأمسك هويد فريدة وهو يرتجف كي تلمس الجهاز، وانتقلوا إلى الحاضر من جديد.

***

(22)

بمجرد أن رجعوا، وضع توماس وحسن فريدة على السرير .

وهنا التفتت شمس لحسن وقالت له:

– اتصل بتيمور حالًا ، أريد الأكسير، أريد أمي تعود على قيد الحياة من جديد .

التفتت لها رانيا وقالت:

– ولكن يا شمس، يمكنك دفنها في بيتك وتشعرين بقربها منك و . . .

غضبت شمس وقالت بحدة:

– لم أعرض حياتي وحياتكم للخطر لأجل أن أحتفظ بجثة أمي فقط، بل أريدها معي .

اقتربت منها رانيا وحاولت أن تهدئها :

– ولكن يا شمس أنتِ تعلمين من خلال المغامرة التي قمنا بها أنه يجب علينا ألا نتدخل في قانون الرب و . . .

التفتت شمس لحسن وكأنها لم تسمع رانيا وقالت:

– اتصل به وأجعله يأتي على الفور ومعه الأكسير، وقل له إن الأمر طارئ.

ومن ثم جلست بجوار سرير أمها ومسكت يدها ، ومن ثم وضعت رأسها بجوار يدها على السرير ومن ثم راحت في النوم .

ثم شعرت أن هناك يد على كتفها ففزعت عندما رأت صاحب اليد .

هنا دخل حسن وقال:

– لا تقلقي يا شمس، لقد حكينا كل شيء لتيمور، ورانيا أوضحت له تفاصيل مغامرتكم وما سيحدث مستقبلًا .

تنفست شمس الصعداء ومسحت وجهها وقالت:

– أريد الأكسير حالًا .

جلس تيمور على طرف السرير وقال:

– عينة من الأكسير موجودة لا تقلقي، ولكن قبل أي شيء أريد أن أعتذر لكِ عن كل ما صدر مني يا شمس .

– سأسامحك لأنك أخي .

ومن ثم أنزل رأسه للأرض وقال:

– ولكن هناك مشكلة؛ هناك شركة كبرى في أمريكا طلبت أن يتم التكتم على المشروع بعد أن أخذ هذا الرواج، وما علمته أنهم سيستخدمون الأكسير في إعادة شخصيات هامة للحياة مرة أخرى، فأنتِ تعلمين هنالك الكثير من أغنياء العالم الذين يدفعون أموالًا طائلة للحفاظ على جثثهم بعد الموت، وما سمعته أن الأكسير سيباع بمبالغ طائلة لعائلات تلك الشخصيات و . . .

– وأنت ما كان رأيك . . . !

– لم يكن لي رأي من الأساس، وقعت بالتنازل عن كل شيء وأخذت مبلغًا من المال يؤمن لي حياة مرفهة .

ضربت شمس رأسها وقالت:

– عواقب كل ذلك ستكون وخيمة، أنا خائفة أن يحدث ما رأيناه يا تيمور .

ربت تيمور على كتفها وقال:

– صدقيني سنجد حلًا لذلك، ولكن الآن لنعيد أمنا فريدة للحياة مرة أخرى .

نظرت له شمس وقالت:

– وأمي سمية كذلك . . .

ابتسم لها وقال:

– إنها في الأسفل مع رانيا التي لا تتوقف عن الكلام.

وبالفعل أخذت شمس الأكسير من تيمور وقالت:

– سأشربها أنا الأكسير.

فقال لها بتحدٍّ:

– لا، بل سنشربها سويًا، فهي أمي مثلما هي أمكِ.

وبالفعل وضعوا الأكسير في فم فريدة، وبعد قليل بدأ جسدها الشاحب يرجع له رونقه من جديد، ومن ثم شهقت فريدة وفتحت عينيها وقالت:

– ماذا، أين أنا . . . ؟ ومن أنتم . . . ؟

ربت تيمور على يدها بينما تمسح شمس على شعرها وتقبل رأسها:

– أهدئي، أنتِ في أمان.

نظرت لتيمور الذي تكلم وقالت له بتعجب وهي تسحب يدها:

– من أنت . . . ؟

قالت لها شمس وهي تنظر لها:

- أهدئي كي نجعلك تفهمين كل شيء .

وبالفعل بدءا يحكيان لها كل ما حدث، وأثناء حديثهما لها دخل توماس والباقون، وبمجرد أن رأتْهُ تصلب مكانه والتمعت عيناه بالدموع وقال:

- حمدًا لله على سلامتك يا فريدة .

أشارت له بلهفة وسعادة وقالت:

- توماس، أووووه صرت عجوزًا يا رجل .

مسح توماس عينيه وقال بابتسامة:

- الزمن يا فريدة، ولكن لا تنكرين، لا زلت وسيمًا أليس كذلك .

***

(23)

وتلك السعادة واللمة بين الأحبة لم تدم كثيرًا؛ لأنه وبعد عدة أشهر ظهر وباء، وحينها أعلنت الدول عن الأكسير ولكن بمبالغ طائلة.

بعض الناس ماتوا بلا مقاومة لأن مناعتهم ضعيفة، والبعض قاوم لعدة أشهر، ولكن ما ساعد الناس أو الكثير من الناس أن يقاوموا المرض ولا يأخذون الأكسير هي رانيا! رانيا هذه المرة هي رانيا الحقيقية الكاتبة التي تعيش في الحاضر.

ذهبوا لها جميعهم بعد أن عادت فريدة للحياة وحكوا لها كل التفاصيل الخاصة بالمغامرة، وبمجرد أن ظهر الفيروس تأكدت أن كل هذا صحيح، فبدأت بتوعية الناس ألا يأخذوا ولا يدفعوا المال في هذا الأكسير، وأقنعتهم بأنها هي نفسها مصابة بالفيروس ولن تأخذ ذلك الأكسير الذي سيؤدي إلى هلاكهم.

ملايين الناس تموت يومًا بعد يوم؛ منهم من يموت لأنه فقير وليس معه ثمن الأكسير، ومنهم من ترك الفيروس ينهي حياته لأنه لم يعد شيء في هذه الدنيا يفرحه، ومنهم من اعتبر أن هذا الفيروس هو الخلاص من الدنيا واختباراتها التي لا تنتهي.

وحولت رانيا كل تلك الأحداث إلى رواية بعنوان "الخلفية"، واعتبرتها الجزء الثالث من سلسلة"أولاد لوسيفر"، نشرتها على الإنترنت كي يقرأها أكبر قدر من الناس ويفهمون حقيقة الدنيا .

ولكن يوجد من هم ذوو مال ونفوذ سلطوا حملات تحارب حملتها، ولكنها استمرت إلى آخر نفس في حياتها، وعلى مكتبها آخر شيء كتبته في مدونتها على الإنترنت أن الفيروس والأكسير أشبه بقصة المسيخ الدجال الذي يخدع الناس بالشر على أنه خير، ويقنعهم أن الخير هو الشر؛ فأعوانه يقنعون الناس أن الفيروس والموت منه شر، بينما الأكسير والخلود الأبدي هو الخير .

فطالما سمعنا أن المسيخ سيقول للناس إن من سيتبعني سيعيش في جنة على الدنيا، وبالفعل هذا ما سيقتنع به أتباعه بأنهم سيعيشون في النعيم، ولكن الحقيقة أنهم سيسلط عليهم العذاب وسيكونون أسفل سافلين .

وسمعنا كذلك أن المسيخ سيقول للناس: من سيكفر به سينهي حياته ويكون مثواه الجحيم، وهذا بالضبط من سيعترض على فكرة الأكسير سيجعله الفيروس يعاني

ويتألم لأيام وشهور، ولكن نهايته ستكون النعيم لأنه لم يوافق أن يغير قانون الرب وبأنه وحده المحيي المميت.

وعلى العموم، المليارات من الناس الذين ماتوا أغلبهم فقراء وبسطاء وبعضهم واعين ومؤمنين بالله.

ولطالما سمعنا من الرسول محمد صلى الله عليه وسلم:

"قُمْتُ عَلَى بَابِ الجَنَّةِ، فَكَانَ عَامَّةَ مَن دَخَلَهَا المَسَاكِينُ، وأَصْحَابُ الجَدِّ مَحْبُوسُونَ".

والمقصود بأهل الجد هم أصحاب الجاه والسلطان، ولا أقصد أن كل غني سيعذب، بل المقصود من تجبر بملكه وجحد بقدرة ملك الملوك الرب العزيز المقتدر.

وهنا سيحدث التالي الذي طالما سمعنا عنه: بداية الهلاك، ولكن الهلاك الرباني، يأجوج ومأجوج؛ ويأجوج ومأجوج هم جند من جنود الله، هم الماء والنار، هم الفيضانات والبراكين.

فيأجوج تعبر عن فعل تأجج والاندفاع النشط مثل اندفاع البراكين المنصهرة عندما تنشط.

ومأجوج تعبر عن المفعول أو الحالة الجماعية كالأمواج التي تلاطمت بفعل الاضطراب في الفيضانات .

وبهم يهلك ويخسف من هم تجبروا في الأرض، أو من هم حتى كانوا مؤمنين بالرب ولكنهم قبلوا ومشوا مع التيار، كل من على الأرض سيكون من أسفل سافلين، والبعض الآخر جهزوا سفنهم الفضائية وصاروا من المنبوذين .

وبعد أن كتبت آخر كلمة ضغطت على زر نشر، وهذه آخر مقالة كتبتها لتوعية الناس قبل أن يحدث الهلاك الإلهي بعدة سنوات .

وبعد موت رانيا اختفت النسخة الأخرى منها الآتية من المستقبل؛ لأن بذلك تغير الحدث فلم يعد لها وجود .

ومن ثم لحقتها شمس بنفس الفيروس، وكذلك تيمور وتامر وتوماس، بينما سيرين وحسن وسمية وفريدة الذين أخذوا الأكسير قبل انتشار الفيروس، كانوا يموتون حزنًا على فراق أحبائهم أمام أعينهم واحدًا تلو الآخر .

هنا قالت فريدة لهم بأسى:

– هل سنظل هكذا إلى أن يحل الهلاك ومن ثم نعيش في جوف الأرض إلى أن ينتهي العالم النهاية الأبدية أي بعد ملايين السنين ؟ أظن أن الموت رحمة من الرب لنا ، والحياة الأبدية في جنانه أفضل بكثير من هذه الدنيا لأنها دار معاناة وشقاء .

قالت لها سمية بحسرة:

– عندك حق يا فريدة، أنا اشتقت لشمس حبيبتي، أريد أن أجتمع بأحبائي عند الرب .

ومن ثم نظرت فريدة لحسن وسيرين، فنظرا لبعضهما البعض، ومن ثم أَمْسَكَتْ سيرين يد حسن وقالت:

– نحن مستعدون يا فريدة .

واجترع كل منهم جزءًا من أكسير الموت ورحلوا عن هذا العالم في سلام، وارتقت أرواحهم للرب الرحيم، والتقوا بأحبائهم الذين فهموا خطأهم وتابوا للرب العظيم، وعاشوا سويًا في نعيم .

***

تعليق المؤلفة

الصراع بين الجن والإنس لم ينتهِ عند هذا الحد، ولكن الأمر اتضح أنه ليس صراعًا بين الجن والإنس فقط، بل صراع الإنس مع نفسه.

صراعنا ألا نكرر خطأ الجن عندما كانت له الخلافة فتجبر.

والآن ها نحن ذا، كل فترة تتكرر الحلقة، وفي كل مرة نغتر بأنفسنا ونتجبر كذلك.

ولا أنكر أن الجن الحاقد علينا يزيد من رغباتنا التي تبعدنا عن احترام قوانين الرب.

فالرب جعل الإنسان خليفته وأباح له الكثير من الأشياء وحرمه من أشياء قليلة، نفس الفكرة التي بدأت بها قصتنا عندما أباح الرب الجنة وما بها لآدم وحرمه من تلك الشجرة، فتمرد آدم، وما ساعده أن يستجيب لتمرده على أوامر الرب هو إبليس.

فعلينا أن نفهم اللعبة، ونفهم سبب المكر والكيد لنا، وأنه مهما كان وصلنا من علم يجب أن نعلم أن هناك حدود الله فلا يجب أن نتعداها لأن مصيرنا سيكون الهلاك.

وإذا لم نفهم الحكمة الإلهية في الفرص المتاحة لنا ، ستضيع منا الخلافة ولا ندري لمن ستكون بعدنا ؛ فالله في كتابه العزيز قال:

"وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ" .

"وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم" .

***

تمت بحمد الله

2026-2-3

رانيا رمضان "بنت البروفيسور"

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علمًا

إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

اللَّهُمَّ صَلِّ أَفْضَلَ صَلَاةٍ عَلَى أَسْعَدِ مَخْلُوقَاتِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ

وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ عَدَدَ مَعْلُومَاتِكَ وَمِدَادَ كَلِمَاتِكَ

كُلَّمَا ذَكَرَكَ الذَّاكِرُونَ وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ الغَافِلُونَ.

***

لا تنسوني من دعواتكم لي أخوتي بالتوفيق ولكم بالمثل.

والدعاء بالرحمة والمغفرة لوالدي البروفيسور

رمضان عبد الله هو وجميع أموات المسلمين.

***

أعمال أخرى لبنت البروفيسور

نركسوس (رواية نفسية اجتماعية)

بروفيتيا (رواية فانتازيا اجتماعية)

لاقيت الفضفضة– كيمياء السعادة (كتاب تنمية ذاتية وخواطر دينية)

جد ولعب وجرح وحب (ديوان بالفصحى والعامية)

طيف أروما (رواية رعب ورومانسية)

البروفيسور – الخلاصة لفهم الوجه الحقيقي للحياة (كتاب تنمية ذاتية وقصائد شعرية)

المهدي المنتظر (رواية رعب ونفسية)

أولاد لوسيفر ج1 الخطيئة (رواية رعب ونفسية)

أولاد لوسيفر ج2 الخناس (رواية رعب ونفسية)

رواية الخليفة ج3 من أولاد لوسيفر

60 قانون لامتلاك السعادة وتجاوز صعوبات الحياة move on (كتاب تنمية ذاتية)

كتاب "تعلم تفسير الأحلام مع بنت البروفيسور"

كتاب "تعلم فن كتابة السيناريو مع بنت البروفيسور"

كتاب "فضفضة بعد منتصف الليل"

كتاب "رحلة ال 90 يوم" للتعافي والتحرر من الإدمان

كتاب "تعرف على اسرار التاروت مع بنت البروفيسور"

كتاب "رسائل الملائكة"

كتاب (اسوياء نفسيًا)

كتاب (رسائل ملائكة الحب)

كتاب فضفضة في الطريق (أدب ساخر)